

اللَّهُجَّاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي الْإِرْثِ

القسم الأول
في النظائر، الصوت والصرف

تأليف
الدكتور أحمد عالم الدين الجنبي

الدار العربية للكتاب

طبعة جديدة

© جميع الحقوق محفوظة لدار العربية للكتاب

1983

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلَافُ أَسْتَثِمُكُمْ »

القرآن الكريم

سورة الروم : من آية : ٢٢

* * *

« إنَّ مَعْجَمَ الْعَرَبِيَّةِ الْلُّغُويِّ لَا يُجَارِيهِ مَعْجَمٌ فِي ثَرَانَهُ . إِنَّهُ نَهْرٌ
تَقْوَمُ عَلَى إِرْفَادِهِ مَنابِعٌ ۝ حَاتُّ الَّتِي تَنْطَقُ بِهَا الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ » .

كارل بروكلمان

ذکری

إليه ...

حين كنت أسمعه يتلو كتاب الله ، فملأ عليّ روحني ووجداني
— إلى والدي — رحمة الله ...

ابنـك

علم الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدَّمة

الموضوع – أهدافه – دوافعه – منهج البحث فيه – مصادره

•

موضوع هذا البحث «اللهمات العربية في التراث» ودراسة اللهمات مبحث جديد من مباحث علم اللغة العام، وهي الخطوة الأولى التي تسبق غيرها، إذ إن دراسة لغة دراسة تاريخية لا يتم إلا بعد الانتهاء من بحث لهجاتها، ومع هذا لم تحظ بعنابة الدارسين؛ لجفافها الذي يحد الذهن، ويجهد العقل، لما لها من صلة بالتراث العربي القديم – وحتى في هذا التراث العربي، لم يكن الحديث فيه عن اللهمات مقصوداً لذاته، وإنما كان وسيلة يلتمس لغيره من الغایات، وكان مع شحوبه – يستخفى في هامش الدراسة لا في مركزها؛ وهذا كان من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار تلك المشكلة – أن أرضاها لا زالت بكرأ لم تجهد بعد، وروضها ما برح غفلة لم تشتبه تواليف العلماء، وأقلام الدارسين، مع أن جزءاً كبيراً من رصيدها اللغوي، وقدراً وافراً من ميراث أمتنا يمكن وراء دراسة لهجات القبائل العربية لها من إتصال وثيق بعلوم القرآن وقراءاته، وبلهجاتنا الحديثة في جميع البلاد العربية. ومن الأسباب أيضاً ما كان من انصراف الباحثين إلى الدراسات الأدبية والتاريخية والاجتماعية و«جهودهم مشكورة» – غير مختلفين بالدراسات اللهجوية واللغوية لما تحتاجه من أعباء وجلد، وجميع هذا أصحاب المكتبة العربية في الصمم حيث خلت من أمثال تلك الدراسات أو كادت – على أن ما ظهر منها وما بطن لا يكفي في الكشف عن غواصتها أو يقنع في الإحاطة بها.

من أجل ذلك، استجابت لصيحة – أشفقت على نفسى منها – صاحبها باحثان من علماء العربية المحدثين^(١)، وبعد مراؤة مع النفس، واستعوانة بالأنفه والصبر، وعدة من القوة والجلد، والمعاناة والنظر، سرت في الطريق لاضع لبنة في هذا الصرح الشامخ.

(١) أورهها: الاستاذ حفيظي ناصف؛ في بحث قدمه الى مؤتمر العلوم المشرقية بعدين «فينا» في أربيل الحرم ١٣٠٤ - ١٨٨٦ م. وسماه «ميزات لغات العرب» وهي دراسة تقليدية خالية من تحقيق النصوص ومقابلتها =

= وتحقيقها، وموازنة الآراء والمذاهب والتحليل والنقد، كما أنه يستخف برد الروايات إلى مصادرها ومظانها، فأهل المصادر الأصلية إملاً تاماً في هامش الكتاب، ومع صفر حجمه إلا أنه يعتبر أول باكورة أطلت على المقلل للهجي، والمنهج الذي سار عليه حفي ناصف يشبه المنهج الذي سار عليه القراء ليبيان أصول اختلاف القراءات (انظر وجوه اختلاف القراءات في : مقدمة كتاب المبني : ٢١٥ وما بعدهما ، والنشر لابن الجوزي : ٢٧١ ، وقارنه بما ورد في الكلمات الحسان : ٤٣) ولعل الذي دفع حفي ناصف إلى ترسم خطأ القراء في منهجهم في صدر كتبه أن العلاقة وثيقة بين القراءات والهجمات من جهة ومن جهة أخرى أن حفي كان قارئاً ، يؤكد هذا أنه كان عضواً في اللجنة التي قامت برسم المصحف وضبطه ، وهذا رأى منهج القراء في أصول اختلاف القراءات صالحًا لدرس لهجات القبائل على أساسه ونظامه . وللآراء وتعليقات خالفت فيها المؤلف تظهر تباعًا في أثناء الدراسة .

وثانيها : « في الهجات العربية » : للدكتور ابراهيم أنيس ، وهي دراسة منهجية مبنية على خطة نقدية محضة تمتاز بلاحظات هامة ، ومبادئ عامة أساسية قائمة على الدرس اللغوي الحديث ، في منهج خلاق ينتقل من وصف الحقائق إلى فرض القواعد ، ويعتبر بحق من أنسع الدراسات الهجمية التي ظهرت ، كما انتفت بأراء المؤلف وأتجاهاته الحديثة . وقد اعتمد المؤلف في المادة الهجمية على كتاب حفي ناصف ومعجمي اللسان والمحصص بعد عرض ما فيهما عرضاً علمياً . (في الهجات العربية : المقدمة) كما عالج المؤلف فيها لغة القاهرة الحديثة (في الهجات العربية : ٤٠٤ وما بعدها) .

هذا : ويعتبر كتب حفي ناصف السابق أصلاً ، وجميع البحوث التي ظهرت بعده اقتفت أثره ومنها :

١ - (اللغات والشتات) مقال كتبه الأب الكرملي في مجلة « المشرق » السنة ٦ عدد ١٢ - ١٣ سنة ١٩٠٢ وهو لا يتحدث عن لهجات القبائل ، وإنما يورد تعريفات لمدة مصطلحات هجية كالثالثلة ... في قوالب تقليدية .

٢ - محاضرة في « علاقة التاريخ بالهجات العربية » وهي محاضرة تلتها بالفرنسية الأمير شكب ارسلان في مؤتمر المستشرقين المنعقد في « ليدن » في أوائل سبتمبر ١٩٣١ م، ويذكر حديثها في تناول بعض الهجات الحديثة .

٣ - (القراءات والهجمات) للأستاذ المرحوم عبد الوهاب جودة - وهي دراسة ليست خالصة للهجات ، وإنما جزءها الأكبر يشير حديثاً عن القراء وتاريخهم وروايتهم . وحديثه عن الهجات لا يخرج عن كونه روایات سردية تقليدية لا أكثر فيها للدوازنات أو الدرس اللغوي القائم على عمق الفهم والتقصي والتحليل .

٤ - هذا وقد عرض بعض المحدثين إلى إشارات عن الهجات أثناء تواليهم في الأدب واللغة، ولكن هذه الإشارات لا تعمد أن تكون تردیداً لبعض النصوص التقليدية الشائعة في كتب العربية دون بعثها أو دراستها أو نقادها وأغلب هذه التأليف تشير إلى تلك الروايات في الاهتمام مع التمثيل لها بأمثلة مصنوعة (الوسيط في الأدب العربي وتاريخه : ١٤ ط ٧) ، كما أن بعضها يجانبه الصواب في نقل هذه الهجات ، وبعضاً الآخر كان يتعاطى الخطوب في هذه الهجات العربية، فالدكتور جواد علي تحدث عن (العرب ولغاتهم) « تاريخ العرب : ١٣/٢ جواد علي » ولم يتكلم عن هذه الهجات . كما ذكر أيضاً أنه قد خصص كتابه للغات الجاهليين قواعدها من صرف ونحو ، وفي تطور تلك اللغات وفروعها ومقارنتها ويعدها أو قربها من لغة القرآن الكريم (تاريخ العرب : ج ٧ المقدمة) ، وكانت أظن أنه سيثير بعثاً حول هذه الهجات ، ولكنه ذكر في نهاية كتابه أنه لا يستطيع أن يدرس لهجات القبائل « لأن هذه الهجات لم تقدم إلينا نصاً مكتوباً » « تاريخ العرب : ٣٤٨/٧ » ولم يشر إلى هجات القبائل موضوع بعثتنا إلا إشارة خافتة لا تعدد ستة أسطر عن لمجيء طبي وفرازارة (تاريخ العرب : ج ٧ ٣٤٨) ويبعدوا أن الذي جعله يتخلى عن دراسة لهجات القبائل العربية أنه =

وقد انتسبت في دراسة الموضوع منهجاً عالياً محدداً قام على جمع المادة اللهجوية من مصادرها ومظاهرها - ثم تلته الملاحظة وتحقيق النصوص وتوثيقها وعرض المادة وتحليلها ثم استقرؤها ، مقارنة مسلك اللهجات بسلوك الفصحى لاسيما بيان ما تختلف منها وما تشابه ، والإفادة في الأسباب التاريخية والجغرافية والاجتماعية لهذا التشابه أو التباين ، مع العناية بجمع المشكلات المتشابهة وإحاطتها بإطار من الوحدة والتنظيم ، أدى إلى إمامطة اللهم عن أسرار اللهجات وطرق سيرها في مدارها قياماً ووهاداً ، وتهائم وأنجاداً ، وهذا قادماً إلى استنباط الخطوط العامة والتي آثرت السير فيها .

وما يلاحظ في هذا البحث بصفة خاصة أن أركانه قد دعمت على كثرة من النصوص الأصلية ، تكتنفه من بين يديه ومن خلفه ، وتهيمن عليه إلى أن قادته إلى نهايته ، في غير تسلط ولا تحكم ، فقد نبذت التعصب الذي يغلف القلوب فلا تعي ، ويصم الآذان فلا تسمع ، ويعمي البصائر ويعصب الأنظار .

لا يعترف إلا بالرجوع إلى الكتابات المدونة عن لهجات هذه القبائل ، ولم تكشف الأيام بعد عن هذه الكتابات ، وهذا يدعو إلى البحث في جبال الحجاز وكهوفها عليه يمتد على كتابات جاهلية أو كتابات تعود إلى أيام الرسول (تاريخ العرب ٢٤١٧) ولعلنا إذا ثقينا في المصادر العربية ، والخطوطات المكشوفة في مكتبات العالم ودرسناها لاستخراج لهجات القبائل العربية - وجدنا هذه الدعوة وهذا المنج أقرب من دعوة الدكتور جواه تلوك التي يرى فيها جمع لهجات القبائل من الحفريات في الجزيرة العربية .

هـ - كما ظهرت بحوث المستشرقين في هذا الميدان أذكر منهم : Landberg Noldeke, Kampffmeyer, Blau, Freytag, Rabin, Littmann, Vollers. مشكروون ، إلا أن دراسة بعضهم في اللهجات كانت دراسة تقليدية سردية لا أثر فيها للنقد والدرس ، ويمثل *Einleitung in Das Studium Der Arabischen Sprache.* في كتابه : Freytag Bonn. 1861.

ونفر منهم أهل في دراسته اللهجية الجانب الجغرافي ، فكانت لهجات القبائل عنده جامدة راكرة ، لأنه عزها عن أوطانها التي فيها أقيمت ، ومنها ظفت ورائد هؤلاء (Kosler) في بحوثه التي ظهرت سنة ١٩٤٠ .

كان بعضها كان يحمل خطلاً في الرأي ، وأخراناً في التفكير ويتمثل هؤلاء Vollers في كتابه : Volkssprache und Schriftsprache im Alten Arabien. « Strassburg 1906 » .

كان دراسة Rabin في كتابه : Ancient West Arabian. London: 1951. وإن كانت قيمة تم عن صبر وروية إلا أنها لم تشمل ميدان القرآن وقراءاته بدليل تصريحه في كتابه السابق بأنه لم يتعذر على كتاب البحر المتوسط ليفحصه « في إضافات الكتاب : 211 Rabin ». وكتاب أبي حيان كأولئك معلمات كبير في القراءات . وأرى أن لهجات القبائل يجب أن تبحث على أرض القرآن وقراءاته أولاً . وكانت السنة الثالثة لدراسة المستشرقين أنهم لم يتوجهوا نحو الملاحظات الكلية والمبادئ ، الأساسية لظهور اللهجات ، على أن مجدهم الأكبر كان يتركز في الاهتمام باللهجات الحديثة .

وافتضى المنهج أن تكون الدراسة في خمسة أبواب يسبقها تمهيد وتتلوها خاتمة ، مع وجود فهرس ليكون بثابة تلخيص أمين لمحويات الرسالة ، وجريدة مفصلة بأسماء المصادر والمراجع التي أعانتني على هذا البحث .

ففي التمهيد تحدثت عن : جغرافية بلاد العرب ، وتنقلات القبائل العربية ومدى الاعتماد في دراسة اللهجات العربية على أماكن القبائل .

وأما الباب الأول فقد خصصته لجغرافية اللهجات ، ثم بحثت جوانبه في فصلين : في الفصل الأول : درست رأي المستشرقين وعلماء العربية في تقسيم اللهجات إلى الحجازية والتيمانية .

وفي الثاني : منهج وتطبيق ، ويشمل اقتراحين لدراسة اللهجات ، ثم تطبيق لدراسة لهجية تقارنية في ضوء هذا المنهج .

وبعد الباب الأول يجيء الباب الثاني ليعرض : مصادر اللهجات ، وينتظم هذا الباب ثلاثة فصول : الأول منها : القرآن الكريم وقراءاته ، والثاني : كلام العرب . والثالث : التراث الهججي ، ويشمل : تصنيف هذا التراث ، ويعرض تسجيلاً أميناً لمن ألف في لغات القبائل في القرآن ، ومن ألف تحت اسم كتب اللغات ، وكتب نوادر اللغات ، ثم يتلو ذلك دراسات إحصائية تسجل عدد ورود لهجات القبائل في المصنفات العربية ، والتي تشمل كتب النحو ، واللغة ، والقراءات . وكتب الأدب العامة ، وشرح الأشعار . ثم تتلوها إحصائية تسجل أسماء الرواة الذين كانوا مصدراً لرواية اللهجات العربية المعزوة . ثم عقبت على ذلك بلاحضات ونقد شملت اللوحات الإحصائية السابقة .

كما شمل الفصل الثالث أيضاً نظرة علماء العربية إلى اللهجات من خلال مؤلفاتهم ، وانتظم :

أولاً : نظرة البصريين والковاريين إلى اللهجات .

ثانياً : مدى ظهور لهجات القبائل في مؤلفات البغداديين .

ثالثاً : نظرة علماء العربية إلى اللهجات في الغرب الإسلامي .

رابعاً : عصر النهاة المتأخر .

مع دعم هذه الخطوات بلغة الأرقام والإحصاء .

ثم خصصت الأبواب الباقيه لدراسة لهجات القبائل على المستويات الآتية :

الباب الثالث : وفيه درست المستوى الصوتي ، ثم بحثت جوانبه المتعددة في خمسة فصول : في الفصل الأول : درست حركة الكلمة وتحولها الداخلي ، ثم ثبت بدراسة عن الماهلة في الحركات ، وشمل الفصل الثاني : ظاهرة التقريب في الأصوات حيث درست في ضوئها ظاهرتي الامالة والادغام ، ثم جاء الفصل الثالث متناولاً ظاهرة المهمز ، وفي الفصل الرابع دراسة عن اتساع مدرج اللهجات العربية في إبدال الحروف ، ثم أنهيت ذلك بالفصل الخامس متناولاً ظاهرة الوقف .

ثم عقدت الباب الرابع للمستوى الصرفي : وفي الفصل الأول منه تناولت التصحیح والإعلال ، وفي الفصل الثاني : المقصور والمدود ، وفي الفصل الثالث درست الأفعال متناولاً أنماطها وأنواعها . كما عقدت الفصل الرابع للحديث عن المشتقات ، وبذلك تكون هذه الفصول الأربعية الباب الرابع من الرسالة .

وعرضت في الباب الخامس للظواهر العامة في لهجات القبائل .

وقد درست في الفصل الأول من هذا الباب ظاهرة فعل وأفعل ، وفي الثاني التذكير والتأنيث ، وفي الثالث : ظاهرة القلب ، وفي الرابع التخفيف والتشديد كاما تناولت في الفصل الخامس : مطلب الحركات والحروف وانتقادها في لهجات القبائل ، وبذلك تكونت هذه الفصول الخمسة الباب الخامس من الرسالة .

هذا ، وقد كان البحث أميناً في عرض الروايات المتخالفة ، كما كان إيجابياً حين ضعف بعض هذه الروايات التي أثار حولها الشبه والانتقاد ، كما قوى بعضها الآخر اعتماداً على اختبارها للتحقق من صدقها وسلامتها .

وقد عالج البحث نصوص الظاهرة الواحدة على مستويات عدة ليستشاف من ذلك القضايا الهامة ، مانحا فضل بيان لمنهجها والأحكام التي صدرت عليها ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر (قضية الانزال الجغرافي وأثرها في ظاهرة التذكير والتأنيث) وقد كان نظام العمل على هذا الصعيد الواسع دراسة الواقع اللغوي كما هو - لا كما ينبغي أن يكون مع الاستعانة أحياناً بالمنهج التاريخي المقارن لنصل من ذلك إلى توسيع قاعدة اللهجات وتوضيح أبعادها والفصل بين حدودها التي كانت محكّ عراياً بين الضرورات واللهجات .

هذا ، ولما كانت دراسة لهجات القبائل تشمل آفاقاً واسعة ، ويحتاج كل أفق منها دراسة واسعة عميقـة ، لم يكن في طاقة الفرد منها أوفي من استعدادات أن يدرس اللهجات على جميع

المستويات ، لذا آثرت – كما ظهر في المنهج السابق – دراستها على المستويات : الصوتية ، والصرفية ، مع دراسة بعض الظواهر العامة لهذه اللهجات ، وتركت ما وراء ذلك للمستقبل ، إن شاء الله ، لاسيما أن بعض المستويات فيما « كالمستوى الدلالي : السيناتيك » يراعي ظروف الموقف الكلامي الحي وملابساته ، وما يرتبط بذلك من أحوال المتكلمين والسامعين كالحركات الجسمية والإشارات ، والغمز والابتسم ، ومن الصعب الوقوف على مثل هذا ، لأن اللهجات التي نقوم بدراستها انقطعت دورانها على الألسن .

أما مصادر البحث : فقد حتمت على دراسة اللهجات أن أقرأها من أولها إلى آخرها قراءة دقيقة فاحصة ، وكثيراً ما كنت أخرج من الكتاب الضخم بكلمة أو كلمتين إذ اللهجات ليس لها كتاب مسطور ، وإنما هي نف " وأمثال " في ثنايا كتبهم ، وتصانيف رسائلهم ، لهذا جررت ما وقمت عليه يدي من الكتب خطوطها ومصورها ومطبوعها جرداً تماماً ، كما قلت بعمل لوحات إحصائية بينت فيها عدد ورود لهجات القبائل ، وعدد الرواية الذين رووا عنهم لهجات معزولة إلى قبائلها ، وقد شملت هذه الإحصائيات عدداً من المصادر تمثل الاتجاهات المختلفة من علوم العربية : كالقراءات والمعاجم ، والت نحو ، وشرح الأشعار ، والأدب العامي ، وكان لها أثر واضح حيث قادني إلى أدلة يقتضي بصوتها ، وكشفت لي المعالم حتى لا اعتسف الطريق ، أو أسيء فيه على غير هدى .

وفي سبيل إخراج الموضوع على هذه الصورة اعترضتني صعاب جمة .

١ - منها ما يتصل بجمع اللهجات من مصادرها ، وهذا الجمجمة يحب أن يكون من عمل هيئة لا فرد واحد ، لأنها تكمن في كتب لا رباط يجمعها ، ولا وحدة تلم شعنها ، وإنما هي مطمورة ذهب بها تقادم العهد حتى أن التدوين أهملها ولم يسجل إلا نتفاً يسيرة منها في كتب عتيقة لا تعرف نظام الفهرسة أو التنظيم .

٢ - كما أن الكلمات التي جائتنا عن العرب لاسيما ما يتعلق بمعنى الكلمات أو دلالتها إنما هي كلمات مفردة منعزلة عن السياق الذي يوضحها ، فعندما سمع الأزهرى رجلاً من بنى كلاب يقول الآخر « قد مككت روحى »^(١) فإننا لا نستطيع تفسير هذه اللهجة إلا إذا عرفنا الحالة التي بين المتكلم والسامع . فإذا عرفنا أن قائلها يخاطب بها رجلاً عنته – عرفنا معناها لاسيما إذا عرفنا أن تكلك على الغريم – ألح عليه في اقتضاء الدين . وقد ترتب على غموض الظرف اللغوی

(١) اللسان : ٤٨٠ / ٤٢ - ٣٨١ .

أو الظروف التي مهدت للكلام ، وحتمت أن يكون على نمط خاص اضطراب المعنى بين يدي الرواية ، وعدم تحديده ، فمن ذلك ما جاء في اللسان « الحُلقة : العين . وقال الأصمعي : هو شيء من جسد الشاة » ، وعن ابن بري عن الأصمعي أن الحلقة : الفلصلة^(١) . فالكلمة الواحدة أصابها هذا الفموضع نظراً لفقدان الحالة التي قيلت فيها وهي نطق الكلام ، وما يقدمه هنا النطق من مساعدات – حتى سمعنا الأصمعي يفسرها بأنها : أي شيء من جسد الشاة ! ولا شك أن معرفة « الجو » الذي قيلت فيه الملة يساعد على فهمها ودراستها ، ولهذا اضطررت أنت أستعين بالمعلومات التاريخية والجغرافية والتفسيرية لأن تعرف على المجتمع صاحب هذه الملة .

٣ - كأنني لم أستطع أخذ (عينات حية) منطقية تمثل الواقع الامعي ، ولم يكن بد من أنني ركنت إلى الروايات في المصادر المخطوطة والمكتوبة وهي صامدة مشوشه يحيط بها الفموضع وبعوتها كثير من التمحيق والبصر العلمي ، لأستشف منها تلك العينات ، فهي إلى حد تمثل واقعاً فجيناً ، وإنما كان ذلك لأن هذه المصادر ما كانت لتهم بالملة في جوهر الاجتماعي ، بل كانت تسجلها وتنتظر إليها في موقف دراسي بحث ، وخير طريق لدراسة المهمات أن تدرس متصلة بالانسان لا أن تدرس عن طريق الكتب ، لأن الكتابة العربية لا تمثل المهمات ، وإنما هي اصطلاح فقط ، بدليل أنها لم تنقل المهمات كما كان ينطويها أهلها ، لأن الكتابة جامدة هامدة أو مخنط ثابت – والملة كائن حي متتطور وهذا كثيراً ما يقع سوء الفهم واللبس في المهمات على عاتق الكتابة ، يؤيد ذلك ما استشهد به ابن بشّار الانباري من قول الشاعر :

عاَفَتِ الشَّرْبُ فِي الشَّتَاءِ فَقَلَّتِنَا بَرَدِيهِ تَصَادَ فِيهِ سَخِينَا^(٢)

إذرأي أن (برد) تدل على المعنى المعروف في الفصحى ، كما تشير إلى معنى آخر يعنى (سخن) وهي في الشاهد بهذا المعنى الأخير ، فتكون على هذا من الأضداد . والحق أن الكلمة ليس لها إلا معنى واحد بعيد عن المعنيين السابقين وهو الورود بمعنى الأقبال عليه ، وكان يجب أن تكتب : بل رديه ، ولكن كتابتها : برديه – جعلت بعض الرواة يتغافل ويحملها على التضاد – والمسئول عن ذلك كتابتنا تلك التي تتسلّك منزوية في مؤخرة الزمن وأزقة التاريخ بينما اللغة تهروء عجلة مسرعة في طريق التطور والصعود ، زد على ذلك أن الكتابة العربية لم تسجل الأصوات تسجيلاً دقيقاً ، فلم تسجل الحروف الصوتية القصيرة وتركـت بذلك مجالات

(١) اللسان : ١١/٣٢٣ .

(٢) أضداد ابن الانباري : ٥٢ .

للتخيين ، كرسن ، عمر - هل ما يسكنون السين والميم أو بضمها ؟ وما يتصل بالكتابية وبعجزها عن توضيح الفروق اللهجية ما عانيناها من لعب النسخ والحقين في النص بحمله على الفصحى ، وكثيراً ما رجحت في دراستنا صيغة شعبية في إحدى النسخ ، عمد الناشر إلى تبديلها بالفصحي ، ولهذا لم يصلنا التراث اللهجي على تحوله إلا بعد أن مرّ بغربلة دقيقة خضع خلاها وهذب وصفل تحت تأثير الفصحى على أيدي النسخ قارة ، والحقين قارة أخرى ، والمتزمنين من هؤلاء وأولئك .

٤ - كما وقف في طريقه تلك المادة اللهجية والتي يغلب عليها سخنة الصنعة ، صنعة النحاة^(١) ، حيث صرورها في عقولهم وعلى ألسنتهم ، وكان عليهم أن يتحاشوا أمثلتهم ، ويستشهدوا على اللهجات بما يدور في كلام العربي العادي نفسه ، وما يجري على لسانه في المنزل والسوق بألوان الفكاهة والقصص الشعبي .

٥ - كما كان من الحواجز الصعبة « المادة اللهجية » المشوّشة التي جاءتنا عن العرب مبتورة حيناً ، ومسوخة حيناً آخر ، وملفقة لأغراض في نفس الرواية أحياناً أخرى ، وأعرض أمثلة يسيرة حتى نامس الفموض الذي أحاط بهذه اللهجات فمن ذلك :

أ) التحرير في الرواية لإثبات لهجة ، فقد استشهدوا على أن (أن) تجزم واستشهدوا لها بقول الشاعر :

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أنْ يأتنا الصيد نخطب

وعثرت على الشاهد بعد لأي - وهو لامرئ القيس - وصيغته في ديوانه^(٢) بعد تحقيقه :
 (تعالسو إلَى أَنْ يَأْتِيَ)

فإن - فاصحة على المعيظ الصحيح لا جازمة كما رأوا .

ب) كما ورد في الهمع أن الجزم بد (لن) لغة بعض العرب^(٣) : وأيد ذلك ابن هشام^(٤) ،

(١) انظر : شرح السيرافي ٣٥٦/٢ ، ٣٥٨ مخطوط في تيمور .

(٢) ديوان امرئ القيس : ٣٨٩ دار المعرف .

(٣) الهمع : ٤/٢ ، المؤلف في النحو الكوفي : ١٢٠ .

(٤) المغني : ٢٢١/١ .

والأشنوني^(١) ، ونقل صاحب الدرر^(٢) الجزم بها عن اللحياني ، وانتشدو الناك
يقول الشاعر :

(فلن يحلَّ للعينين بعدهك منظر)^(٣)

وأثبتت أن الشاهد محرف ، وهو لكثير بن عبد الرحمن الحزاعي ، وهو في ديوانه بعد
تحقيقه :

أيادي سبَا يا عزٌّ ما كنت بعدهك فلم يحلَّ للعينين بعدهك منظر^(٤)

فهي قد أثبتوا الرواية محرفة لإثبات لهجة ، حالفين ما جاء في ديوان الشاعر نفسه ، وما
جاء في اللسان^(٥) ، وأساس البلاغة^(٦) حيث ورد فيها « لم » على اللغة الفصحى ، ولا أثر في
الشاهد لظاهرة لهجية .

ج) كما حكى اللحياني النصب بـ « لم » لغة^(٧) . وجزم بذلك السيوطي^(٨) لغة لبعض
العرب ، وعليها قراءة من قرأ « ألم شرح لك » بفتح الحاء ، وقول الحارث بن المذر
الجرمي :

في أيِّ يومٍ من الموت أفترِ . أبوم لم يقدرَ أُم يومٍ قدرَ^(٩)

والحق أن « لم » جازمة غير ناصبة ، وأن الفتحة على الحاء في الآية إنما جاءت اتباعاً لحركة
الراء قبلها ، أو لحركة اللام بعدها ، ثم أن الحاء من حروف الحلق ، وهي تؤثر الفتح^(١٠) .

و « لم » في شاهد « الجرمي » جازمة غير ناصبة كذلك ، والأمر لا يبعد أن الشاعر ألقى

(١) ٢٧٨/٣

(٢) ٤/٢

(٣) المغني : ٢٢١/١

(٤) ٦٠/١ شرح ديوان كثير : الجزائر : تحقيق ونشر الشیح هنري بيرس .

(٥) ٨٧/١

(٦) ٩٤

(٧) مع الموضع : ٢٦/٢

(٨) الصبان حل الأشنوني : ٨/٤

(٩) المغني : ٢١٧/١

(١٠) المخصوص : ٢٠٦/١٤ ، شرح الشافية : ٤٠/١ ، والنصف : ١١٥/١

حركة هزة « أم » وهي فتحة ، على راء « يقدر » مراعاة لحبك النسق الصوتي ، وبعض علماء العربية كان جنى لمح هذا الذوق العربي وأحس به^(١) .

وإذا كان التحرير قد أصاب المتن حينما ، فقد أصاب السند أحياناً كثيرة ، وهذا كله يشير إلى الصعاب التي لاقتها ، ولكن ذلك الوعي والمضاء ، والإخلاص للعلم والإيمان به ، والولاء له . كما أعناني عليها الملخصون ، وفي مقدمتهم أستاذى الكريم الدكتور « خليل يحيى نامي » أستاذ فقه اللغة بكلية الآداب بجامعة القاهرة والمشرف على البحث ، حيث وجهه ، ويسره ، وأعانته . وأفادت من مكتبيته ، وانتقمت بنصصه وتوجيهه ، وأعمق الشكر وأخلصه لشقيقى الاستاذ رمضان الجندي المدرس بالأزهر ، ولزوجي جزء ما قدما من عون وجهد .

كما أقدم خالص شكرى لتميizi التحبيب الاستاذ أحمد أبو طالب الجندي المدرس بمهد
البعوث الإسلامية بالقاهرة .

والى يوم : أقدم هذا العمل العلمي بين يديك - عزيزى القارئ - كما قدمته الى كلية الآداب
بجامعة القاهرة أمام لجنة المناقشة سنة ١٩٦٥ م. بدون تغيير فيه ، لأنه يمثل مرحلة فكرية من
حياتى ، وقد حاز على مرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب بجامعة القاهرة - قسم اللغات
الشرقية - فرع اللغات السامية الحية واللسنجات .

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنتدبى لو لا أن هدانا الله .

أحمد علم الدين الجندي

حدائق المعادى : في ١٣ من رمضان سنة ١٣٨٤ھ. الموافق ١٥ من يناير سنة ١٩٦٥ م.

(١) انظر : الخصائص : لابن جنى : ٩٥/٣ ، سر الصناعة : ٨٥/١ .

محمد زيد

أولاً: «جغرافية بلاد العرب»

شبه جزيرة العرب :

حدودها، اختلف جغرافيون اليونان والرومان في حدودها فجعلوا (اكسنفون) حدودها الشمالية تبدأ من الفرات وأضافوا إليها قسماً كبيراً من العراق وتوسيع بطاميوس وديودور وسترابون بحدودها الشمالية حتى قالوا: إنها تبدأ تقريباً من مدينة الرقة الحالية التابعة لمحافظة دير الزور^(١).

وببلاد العرب في الجزء الجنوبي الغربي من آسيا، وهي جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات: البحر الأحمر، المحيط الهندي، والخليج العربي. ويطلق العرب على بلادهم اسم «جزيرة العرب»^(٢). قال الهيثم بن عدوي: جزيرة العرب من العذيب إلى حضرموت^(٣)، وقال الأصمعي: جزيرة العرب إلى عدن أبين في الطول والعرض من الأيلة إلى جدة^(٤). وقال الأصمعي: جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس، من أقصى عدن أبين إلى أطراف الشام، هذا هو الطول، والعرض من جدة إلى ريف العراق^(٥). وقال الشعبي: جزيرة العرب ما بين قادسية الكوفة إلى حضرموت^(٦). وقال أبو عبيدة: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى، بطوراء من أرض العراق، إلى أقصى اليمين في الطول، وأما في العرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السهاوة^(٧).

(١) جغرافية شبه جزيرة العرب من عمر رضا كحاللة. المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٦٤ - ١٩٤٤.

(٢) المداني من ٧٤ ليدن سنة ١٨٨٢، بلوغ الأربع: ج ١ من ١٨٦ الألوسي ط الثالثة. دار الكتاب العربي.

(٣) معجم البلدان: ياقوت ١٠١/٣ ط ١٣٢٤ - ١٩٠٦ مطبعة السعادة.

(٤) معجم البلدان: ياقوت: ١٠١/٣.

(٥) معجم ما استعجم للبكري ٦/١ تحقيق السقا - لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٥ م.

(٦) معجم ما استعجم للبكري ٦/١.

(٧) المرجع السابق.

ونرى أن تسمية العرب بلادهم بـ (جزيرة العرب) فيه تسامح كبير، إذ أنهـا لم تم إحاطتها بالماء، قال ياقوت^(١) : وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهر والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصاروا منها في مثل الجزيرة من جذور البحر، وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرىن ثم المخط على أطراف الجزيرة وسود العراق حتى وقع في البحر في ناحية البصرة والأيله وامتد إلى عبادان وأخذ البحر في ذلك الموضع مغرباً ببلاد العرب منعطفاً عليها ، فأتي منها على سفوان وكاظمة إلى القطيف وهجر وأسياف البحرين ، وقطين وعمان والشحر ، ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبين وعدن وانعطف مغرباً منصباً إلى دهلك ، واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن إلى بلاد فرسان وحكم والأشعرىن ، وعك ، ومضى إلى جدة ساحل مكة ، والجبار ساحل المدينة ثم ساحل الطور وخليج أيله وساحل راية حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها ، وأقبل النيل في غربى هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطلاً معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر الشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حق بلغ بلاد فلسطين فمر بمسقلان وسواحلها ، وأتى صور ساحل الأردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم تقدى إلى سواحل حمص وسواحل قنسرىن حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منعطفاً على أطراف قنسرىن والجزيرة إلى سواد العراق^(٢) .

وهذا التحديد وإن كان يسهل فهم تسمية البلاد العربية بالجزيرة إلا أنه يتطلب أن تعتبر ولايات الشام وفلسطين والأراضي المصرية الواقعة شرقى فرع دمياط من ضمن بلاد العرب ، وهذا غير مرض عند المؤرخين ، فإنهم يحدون بلاد العرب من الشمال بالجزيرة وببلاد الشام وفلسطين فهذهان خارجان عنها . « وعلى ذلك لا بد من القول بأن هناك تساعداً في إطلاق لفظ الجزيرة على بلاد العرب »^(٣) .

تقسيم اليونان والرومـان :

أقسامها : (أ) قسم بطليموس^(٤) شبه الجزيرة إلى ثلاثة أقسام :

(١) نقلـاً عن هشام بن محمد بن السائب عن ابن عباس .

(٢) معجم البلدان : ياقوت ١٠٠/٣ - ١٠١ ، وانظر : صفة جزيرة العرب ، المهداني ص ٧ ليدن .

(٣) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية : محمد الخضري ١/٦ ط الخامسة مطبعة الاستقامة ١٣٦٦ هـ وانظر في تحديد الجزيرة : سباتك الذهب : محمد البقدادى ص ٨ « بدون تاريخ » التجارى .

(٤) شبه جزيرة العرب ، ص ٥ ، كحالة ، خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والإسلام ، محمد غنيم ص ٣٤ ط الأولى – المطبعة العامرة ١٣١٦ هـ .

- ١ - بلاد العرب الحجرية .
- ٢ - بلاد العرب الصحراوية .
- ٣ - بلاد العرب السعيدة .

أما الحجرية : فقد كانت تطلق على شبه جزيرة سيناء وعلى بلاد النبط وهي : الأراضي الجبلية والمرتفعات المتصلة بها الواقعة على شرق البحر الميت وفي شرق وادي العربة وفي جنوب اليهودية حتى خليج العقبة ويفهم من كلام « ديدور » أن بلاد العرب الحجرية كانت في شرق مصر ، وجنوب البحر الميت .

والصحراوية : وتطلق على البادية الواسعة المسماة ببادية الشام ، وقد فهم « ديدور » منها أنها تشمل : المناطق الصحراوية التي كانت تسكنها القبائل البدوية .

أما السعيدة : فقد كانت تشمل أكبر الأقسام رقعة فيدخل في حدودها جميع المناطق التي تعرف باسم شبه جزيرة العرب - أي شمال الجزيرة ووسطها وجنوبيها^(١) . ويلاحظ على هذه الأقسام أن حدودها كانت تتسع حيناً وتتقلص حيناً آخر حسب الأوضاع السياسية ، كما كانت تخضع لمكانة العرب ومقدرتهم .

(ب) تقسيم جغرافيي العرب القدماء :

حدث خلاف بينهم بشأن تقسيم الجزيرة: فيرى المداني أنها تشتمل على خمسة أقسام: هامة، ونجد، والجاز، والuros، واليمن^(٢). وزاد ابن حوقل في أقسامها: بادية العراق، وبادية الجزيرة فيما بين دجلة والفرات، وبادية الشام. وقسمها جغرافيوي اليمن قسمين هما: يمن وشام، قال المداني: هي عند أهل اليمن يمن وشام، فجنوبيها اليمن، وشماليها الشام ونجد وتهامة^(٣).

وجعل البشاري جزيرة العرب: أربع كور جليلة، وأربع نواح نفيسة، والكور: أولها: الجاز، ثم اليمن، ثم عمان، ثم هجر، والنواحي: الأحقاف، والأشجار، واليهامة، وقرح^(٤).

(١) جغرافية الجزيرة العربية: محاضرة للدكتور نامي، وانظر: تاريخ العرب قبل الإسلام: ١١٧/١.

(٢) سبائك الذهب: ٨ البغدادي.

(٣) صفة جزيرة العرب: ٠٠ المداني.

(٤) شبه جزيرة العرب: ٤٩ كحالة نقلًا عن أحسن التقسيم للبشاري.

ويلاحظ في تقسيم العرب الجغرافي لشبة الجزيرة العربية – أن التقسيم لم يمكن محدوداً بحدود ثابتة ، فتارة يمتد وأخرى ينحصر – كما أن تقسيم المداني وغيره يجعل جنوب الجزيرة كله من اليمن والشائع غير هذا^(١) .

(ج) تقسيم المحدثين :

وكا حديث الخلاف بين القدماء ، حدث مثله بين المؤخرين ، فمنهم من قسمها إلى ستة أقسام^(٢) ، ومنهم من قسمها إلى ثانية^(٣) . ومنهم من نظر في تقسيمها باعتبار قربها أو بعدها من البحر^(٤) ، كما أن بعضهم لاحظ في التقسيم الجانبي الطبيعي فقسمها إلى ثلاثة أقسام :

الشمال ، والوسط ، والجنوب – وإلى هذا ذهب الدكتور عبد الوهاب عزام^(٥) ، تلك هي أهم الآراء قد يأى وحديثاً في تقسيم الجزيرة العربية – وسنكتفي بالحديث عن التقسيم المعايير حسب ما ذهب إليه جغرافيو العرب القدماء – وفي ضوئه ستبرز طبيعة الجزيرة وتكونيتها الجغرافي .

الحجاز :

قال عبد الله ، والذي أجمع عليه العلماء أنه (أبي الحجاز) من قولهم حجزه يحجزه حجزاً أي منعه ... قال الخليل : سمي الحجاز حجازاً لأنه فصل بين الفور والشام وبين البدائية^(٦) . وقال الزبير بن بكار : سألت سليمان بن عياش السعدي : لم سمي الحجاز حجازاً؟ فقال : لأنه حجز بين تهامة ونجد . قلت : فما حد الحجاز؟ قال : الحجاز مَا بَيْنَ بَئْرِ أَبِي بَكْرٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِالشَّقْرَةِ ، وَبَيْنَ أَنْهَاةِ الْعَرْجِ . فَمَا وَرَاءَ الْأَنْهَاةِ مِنْ تهامة^(٧) . وقال الأزهري^(٨) : سمي حجازاً ، لأن الحرار حجزت بينه وبين عالية نجد . وقال الأصمعي^(٩) : مَا احتجزت به الحرار حرقة

(١) مهد العرب : ٣٣ عزام .

(٢) شبه جزيرة العرب : ٥١ كعبالة .

(٣) خلاصة الكلام : ٣٥/١ - ٣٦ .

(٤) شبه الجزيرة : ٤٢ كعبالة .

(٥) مهد العرب : ٣٣ عزام .

(٦) معجم البلدان : ياقوت : ٢١٨/٣ .

(٧) معجم ما استجم : ١١/١ البكري .

(٨) لسان العرب : ١٩٦/٧ .

(٩) معجم البلدان : ياقوت الحموي : ٢١٨/٣ ، وانظر : هذا التحديد في اللسان وهو : « وما احتجزت به الحرار » ... اللسان : ١٩٦/٧ - ١٩٧ .

شوران وحرة ليلي وحرة واقم وحرة النار وعامة منازل بني سليم الى المدينة فذلك الشق كله حجاز ، ونقل^(١) ابن دريد قال : إنما سمى حجازاً لأنه حجز بين نجد والسراء .

وقال عمارة بن عقيل^(٢) : ما سال من حرة بني سليم وحرة ليلي فهو الغور حتى يقطعه البحر ، وما سال من ذات عرق مغرباً فهو الحجاز الى أن تقطعه تهامة ، وهو حجاز أسود حجز بين نجد وتهامة . قال عرام^(٣) : حد الحجاز من معدن النقرة^(٤) الى المدينة ، فنصف المدينة حجازي ونصفها تهامي .

ويسمى القسم الشمالي من الحجاز : أرض مدين وحسمى ، وتطلق حسمى على سلسلة جبلية تتجه من الشمال الى الجنوب حيث تجوس خلاها أودية محصورة بين التيه وأيلة من جهة ، وأرض بني عذرة من ظهر حرة نهيل من جهة أخرى ، وكانت قبائل جذام تسكن هذه المناطق في الجاهلية^(٥) .

وقد اختلف الباحثون في العصر الأخير في تحديد الحجاز ، قال محمد صادق^(٦) : إن ولاية الحجاز واقعة بين نجد وتهامة ، ومحدودة من الجنوب ببلاد عسير ، ومن الشرق بصحراء نجد ، ومن الشمال بسورية ، ومن الغرب بالبحر الأحمر . وقال الاستاذ العبادي^(٧) : الحجاز يمتد بوجه عام من رأس خليج العقبة الى حدود اليمن إذا اعتبرنا عسيراً داخلة فيه ، كما يصنع بعض الجغرافيين .

مدن الحجاز وقراءه :

لا أريد أن أحدث حديثاً مفصلاً عن ذلك ، فلا تنسع لمثل هذا تلك الفضول الضيقة المحدودة ، وإليك طرفاً من ذلك :

(١) معجم ما استجمم للبكري : ١١/١ .

(٢) معجم البلدان : ياقوت : ٢١٨/٣ .

(٣) كتاب أسماء حبال تهامة وسكانها : عرام بن الأصبهن السعدي ص ٢٤ : ط أولى ، بلنة التأليف : ١٣٧٥ - ١٩٥٦ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

(٤) قال الأعرابي كل أرض منصبة في ودها فهي النقرة وبها سميت النقرة بطريق مكة التي يقال لها معدن النقرة ، معجم البلدان : ٣٠٨/٨ .

(٥) تاريخ العرب : ١٢٨/١ جواد علي .

(٦) شبه جزيرة العرب : ١٠٠ كحالة . نقل عن « دليل الحاج » محمد بشاش صادق .

(٧) شبه جزيرة العرب : كحالة : ١١١ نقل عن « مراة الحرمين » لابراهيم رفعت بشاش .

أم القرى :

سميت أم القرى^(١) - لأنها أقدم القرى التي في جزيرة العرب وأعظمها خطرًا ، أما الاجتماع أهل تلك القرى فيها كل سنة أو انكفاهم إليها وتعويمهم على الاعتصام بها لما يرجونه من رحمة الله تعالى . وقال الليث^(٢) : كل مدينة هي أم ما حولها من القرى . وأم القرى هي مكة المكرمة ، وقد اختلف العلماء في معناها على خمسة أقوال^(٣) . وقال عبيد الله الفقير إلىه^(٤) : ووُجِدَتْ أَنَّهَا سُمِّيَتْ مَكَّةً مِنْ مَلَكِ النَّدَى أَيْ مَصْهَرَ لِفَلَةِ مَائِهَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَكَبَّرُونَ إِلَيْهِ ، أَيْ يَسْتَخْرِجُونَهُ وَهُوَ فِي وَادِ ضيق^(٥) يَتَجَهُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ ، تَحْبِطُ بِهِ جَبَالٌ شَاهِقٌ ، وَهِيَ عَنْدَ دَرْجَةِ ٢١ مِنْ ادْرِجَاتِ الْعَرْضِ الشَّمَالِيِّ ، وَدَرْجَةُ ٣٧ مِنْ دَرْجَاتِ الطُّولِ الشَّرْقِيِّ . وَأَمَّا صَفَّتُهَا : فَهِيَ مَدِينَة^(٦) فِي وَادِ وَالْجَبَالِ مُشَرَّفَةً عَلَيْهَا مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي ، وَبَنَاؤُهَا مِنْ حِجَارَةِ سُودٍ وَبَيْضٍ مُلْسِنٍ ... حَارَةٌ فِي الصِّيفِ إِلَّا أَنْ لِيلَاهَا طَيِّبٌ ... وَلَيْسَ بِمَكَّةٍ مَاءُ جَارٍ وَمِيَاهُهَا مِنَ السَّمَاءِ ، لَيْسَتْ لَهُمْ آبَارٌ يَشْرُبُونَ مِنْهَا وَأَطْبَيْهَا بِذِرْ زَمْزَمٍ ... فَإِذَا جَزَتِ الْحَرَمَ فَهُنَّاكُمْ عَيْوَنٌ وَآبَارٌ وَمَزَارِعٌ وَنَخِيلٌ .

وكان أول من سكنتها العمالقة ، ثم خلفهم : جورهم ، ثم جاءها بنو إسماعيل وتبعهم الأزد بعد سيل العرم ، وعلى أثرهم حللت خزاعة فكتنادة فقريش^(٧) .

كما ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى « ربنا إلهي أسكنت من ذريقي بواد غير ذي زرع » وقد شاء الله تعالى أن تتملك مكة ما حولها ، إذ كانت منابة للعرب وأمنا ، لأنها تسلي بيدها مفتاح التجارة ، ومفتاح المركز الديني الذي كان ينبع في الكعبة ، وهذا دانت لها الرقب وخضعت . يقول ابن الفقيه : إن أهل مكة لم يؤدوا في الجاهلية أتواه فقط ، ودادت لهم خزاعة

(١) معجم البلدان : ياقوت ٣٣٧/١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) معجم البلدان : ١٣٤/٨ - ١٣٥ .

(٤) معجم البلدان : ١٣٥/٨ .

(٥) مهد العرب : ٥٣ - ٩٤ .

(٦) معجم البلدان : ١٤٢/٨ ياقوت .

(٧) العرب قبل الإسلام : ٢٧٥ جرجي زيدان ، تحقيق حسين مؤنس .

ونقيف وعامر بن صعصعة^(١) . كما أشار القرآن إلى تجاراتهم بقوله « رحلة الشتاء والصيف » وقد جعلت التجارة من مكة مركزاً مالياً في الحجاز^(٢) .

وكان المجتمع المكي يتالف من قريش البطاح والظواهر^(٣) ، وكان في يدها زعامة مكة عند ظهور الإسلام ، وكذلك كانت السقاية والرفادة فيها ، وقد تجمعت الثروة في يد قريش من تجاراتها ، ومن ملك المال ، واحتضن الدين فقد تحققت له الغلبة السياسية . ويشير ابن فارس إلى ذلك معللاً بقوله « بأن الله تعالى اختارهم من جميع العرب وأصطفاه » ، واختار منهم نبي الرحمة محمد^{عليه السلام} ، فجعل قريشاً قطان حرمته ، وجيرون بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها ، وغيرهم يفدون إلى مكة للمحج ، ويتحاكون إلى قريش في أمورهم ، ولم تزل تعرف العرب لقريش فضلها عليهم وتسيمهم (أهل الله) ... إذ جعلهم رمط نبيه الأذنين ، وعزته الصالحين^(٤) .

المدينة :

وأول من سكنها العمالق ، ثم اليهود « قريطة والتضير » ، ثم تابعت عليها القائل اليمنية (الأوس والخزرج) التي هاجرت إليها بعد سيل العرم . وللمدينة عدة أسماء « قد أوردتها ابن الفقيه »^(٥) منها طيبة ، ويثرب ، وقد نطق القرآن بعض أسمائها « يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، « وإذا قال طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم » وتقع المدينة في أرض بركانية بين حررتين تقعان شمال جبل أحد^(٦) ، وهو من أشهر جبالها كما تكتنفها عدة أودية من أشهرها : وادي العقيق ، وقد جعل من المدينة وما حولها جنة وارفة الظل ، يحيط بها النخيل ، والخضراء الدائمة .

ومدينة على الخط الخامس والعشرين من العرض الشمالي - والخط الأربعين من الطول الشمالي وعلى ثلاثة ميل من مكة^(٧) .

(١) تاريخ الأدب العربي : ١/٥٠ دكتور شوقي ضيف .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٨/٧١ دكتور حمود علي .

(٣) نهاية الأربع : ٣٩٨ ، صبح الأعشى : ١/٥٣٠ .

(٤) المزهر : ١/٢١٠ ، الصاحي : ٢٣ .

(٥) شبه جزيرة العرب : ١٣٨ كحالة .

(٦) تاريخ العرب : ١/١٣٢ جواد علي .

(٧) مهد العرب : ٥٥ عزام .

ومن مدن الحجاز وقراء : جدة^(١) ، والحجر^(٢) ، وخيبر^(٣) ، والطائف^(٤) .

تهامة :

ويقال لها الغور وهي الأرض التي على شاطئ بحر القلزم متعددة عرضًا إلى سلسلة جبال السراة ، وقال الأصمعي^(٥) : ... إذا تصوبت من ثنيا المرج واستقبلك الأراك والمرخ - فقد أتتكم . وقال عمارة بن عقيل^(٦) ما سال من الحرتين حرقة سليم وحرقة ليلي - فهو تهامة . وقال الباهلي^(٧) : وتهامة ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مكة .

وقال الرياشي^(٨) : سمعت الأعراب يقولون : إذا انحدرت من ثنيا ذات عرق فقد أتتكم ، قال الرياشي : والغور : تهامة . وسميت تهامة^(٩) ، لشدة حرها ور كود ريحها ، وهو من التهم وهو شدة الحر وركود الريح .

وقال الأصمعي^(١٠) : التهمة : الأرض المتتصوبة إلى البحر .

وتطلق كلمة « تهامة » على القسم الذي تحاذيه : فتسمى في الجنوب باسم « تهامة اليمن »^(١١) وتهامة عسير ، وفي الشمال تهامة الحجاز ، وتقع فيها كثير من المراقي العربية مثل : جدة ، وينبع في الحجاز ، والخديدة والمخا في بلاد اليمن . ولما كانت الحرارة قاسية في تهامة ، فقد أصبحت الأرض المجاورة للبحر قاحلة تقريباً ، وأما مناطقها القريبة من المنطقة الجبلية ، فهي ذات أودية خصبة تصلح لزراعة كثير من النباتات^(١٢) .

(١) معجم البلدان : ٦٧/٣ .

(٢) معجم البلدان : ٢٢١/٣ ، وانظر كتاب أسماء جبال تهامة : ٢٧ ، للصلبي .

(٣) معجم البلدان : ٤٩٥/٣ .

(٤) صفة جزيرة العرب : ١٢٠ ، ممد العرب : ٥٨ - ٥٩ .

(٥) معجم البلدان : ٤٣٧/٢ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) اللسان : مادة ثجد : ج ٤ .

(٨) اللسان : ٣٤٠/١٤ .

(٩) معجم البلدان : ٤٣٧/٢ .

(١٠) اللسان : ٣٤٠/١٤ .

(١١) صفة جزيرة العرب : ١١٩ المداني .

(١٢) شبه جزيرة العرب : ١٣ - ١٤ كحالة .

وقد ذكر الألوسي^(١) كثيراً من قراها ووديانها وأسماء صحاريه .

العروض :

وتعرف أيضاً باليامه ، وسميت عروضاً ، لأنها تعارض ما بين نجد واليمن ، وسميت يامه نسبة الى اليامه ، وهي أشهر بلد فيها ، وكانت تسمى أيضاً (جوا)^(٢) وهو الاسم القديم لليامه .

ويقسم الألوسي^(٣) العروض الى قسمين :

١ - اليامه . ٢ - بلاد البحرين .

وقال هشام بن محمد السائب^(٤) : ... وصارت بلاد اليامه والبحرين وما والاها العروض . قال ياقوت^(٥) : قال أهل السير : كانت منازل طسم وجidis - اليامه . وتسمى اليامه اليوم : العارض^(٦) - وهو القسم الأوسط من جبل طويق ، ووادي حنيفة وسطه ، وفي الجنوب الغربي منه إقليم الخرج . وفي اليامه : قرية « منفورة »^(٧) لبني قيس بن ثعلبة . والظاهر^(٨) أن عامل الجفاف قد أثر كثيراً في اليامه فتحول أكثر أراضيها إلى مناطق صحراوية ، على حين أننا نجد في الكتب أنها كانت غزيرة المياه ، ذات عيون وآبار ومراع .

وتكثر المرتفعات^(٩) في اليامه ويتمثلها بجبل يقال له « شوان » يصب فيه نعام وبرك ، ومن أوديتها « العرضى »^(١٠) حيث يخترق اليامه من أعلىها إلى أسفلها ، ولما كان من الأودية الخصبة كثرت فيه القرى والزروع .

ومن بلاد اليامه : الوشم ، والسدير ، والحمل ، وقد ذكر حافظ^(١١) وله

(١) بلوغ الأربع : للألوسي : ج ١/١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) مهيد. العرب : ٧٣ ، معجم البلدان : ٥١٦/٨ ، صفة جزيرة العرب : ١٦١ بلميد .

(٣) بلوغ الأربع : ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٤) معجم البلدان : ١٠١/٣ ياقوت .

(٥) معجم البلدان : ٥١٦/٨ .

(٦) مهد العرب : ٧٣ عزام .

(٧) صفة جزيرة العرب : الهمداني ص ١٦٢ بلميد .

(٨) تاريخ العرب قبل الإسلام ١٤٥/١ جواد علي .

(٩) معجم البلدان : ٣٨٦/٧ .

(١٠) تاريخ العرب ، جواد علي : ١٤٥/١ .

(١١) شبه جزيرة العرب : ٤: ٤ كحالة .

عدها منها ، ومن ألم إمارتها : إمارة الرياض ، وهي عاصمة نجد ، وقد اتخذها آل سعود عاصمة لهم .

نجد :

قال عمارة بن عقيل^(١) : ما سال من الحرة : حرّة بني سليم وحرّة ليلي ، فهو الغور ، وما سال من ذات عرق مقبلًا فهو نجد .

وقال ابن السكبيت^(٢) : ما ارتفع عن بطون الرمة فهو نجد . قال : وهو نجد إلى ثلثا ذات عرق . .

وروى الأزهري^(٣) بسنده عن الأصمسي قال : سمعت الأعراب يقولون : إذا خلفت عجلزا مصعدا - وعجلزا فوق القرىتين - فقد أتجهت . وقال عمارة : وسمعت^(٤) الباهلي يقول : كل ما وراء الخندق كسرى الذي خندقه على سواد العراق هو نجد . وقال الأصبهاني^(٥) ذيلا عن ابن الأعرابي : نجد اسمان : السافلة والعلالية ، فالسافلة ما ولى العراق والعلالية ما ولى الحجاز وتهامة وقال ابن الأعرابي^(٦) : نجد - ما بين العذيب إلى ذات عرق . وقال ياقوت^(٧) : ونجد اليمن غير نجد الحجاز غير أن جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمالي نجد اليمن . وقال الهمداني^(٨) : وصار ما دون ذلك الجبل (أي السراة) من شرقية من صحاري نجد إلى أطراف العراق والساواة وما يليها نجدا ، ونجد تجمع ذلك كله .

ومن هذا العرض نرى أن صورة تحديد (نجد) مبهمة شيئاً ما - في المراجع القدية ، ويظهر أن حدودها من الحجاز غرباً إلى البحرين شرقاً ، ومن بادية الشام شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً ، وكأنها المضبة التي تكون قلب الجزيرة ، وقد قيل لها في الانكليزية The Heart of Arabic وتتحلل هذه المضبة أماكن وتلال مختلف في العلو والهبوط بعضها عن بعض فتملو في الفرب

(١) معجم ما استجمم للبكري : ١٤/١ .

(٢) اللسان : ١٩٦/٧ - ١٩٧ .

(٣) اللسان مادة (نجد) ج ٤ .

(٤) معجم ما استجمم : ١٤/١ .

(٥) تاريخ نجد : الألوسي : ٨ ط ٢ السلفية : ١٣٤٧ القاهرة . نهاية الأرب ٢٠٠/١ .

(٦) اللسان مادة (نجد) ج ٤ ، اللسان : ٣٤٠/١٤ .

(٧) معجم البلدان : ٢٥٨/٨ .

(٨) صلة جزيرة العرب : ٤٨ الهمداني .

الحادي لبلاد الحجاز ، ثم تتحدر بك دون أن تدرك ذلك ، لأنه أحياناً غير محسوس . وتألف « نجد » من الوجهة الطبيعية من مناطق ثلاثة :

١ - منطقة وادي الرمة ، وتتوافر فيها المياه ويكثر فيها الحصب ، يقول العاصي سمعت ابن الأعرابي^(١) يقول : الرمة طوله عريضة تكون مسيرة يوم تنزل أعلاهـا بنو كلاب . ثم تتحدر فتنزل عبس ثم تتحدر فتنزل بنو أسد .

٢ - المنطقة الوسطى : وهي هضبة تتخللها أودية تتوجه من الشمال الى الجنوب ، وبها جبل طويق .

٣ - المنطقة الجنوبية : وتتكون من المنحدرات الممتدة من جبل « طويق » في إتجاه الجنوب وفيها مناطق معشبة ذات عيون وآبار مثل « الحريق » و « الخرج » ومن مناطقها المشهورة : « الأفلاج » ، والسليل ، والدرايس .

اليمن :

وقد اختلف جغرافيyo العرب في حدودها ، فقال البكري^(٣) : وحد اليمن مما يلي المشرق : رمل بني سعد ، الذي يقال له تبرين ، وهو منقاد من اليمامة حق يشرع في البحر بحضرموت ، وما يلي المغرب : بحر جدة ، الى عدن أبين ، وحدها الثالث : طلعة الملك الى شرون ، وشرون : من عمل مكة ، وحدها الرابع : الجوف ومأرب . وقال الأصمعي^(٤) : اليمن وما استعمل عليه حدودها بين عمان الى نجران ثم يلتوي على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يحتاز عمان . وقيل^(٥) : حد اليمن من وراء ثليلت وما سامتها الى صنعاء وما قاربها الى حضرموت والشحر وعمان الى عدن أبين وما يلي ذلك من التهام والتجدد واليمن تجمع ذلك كله .

والقسم الشمالي من اليمن المجاور للحجاز يسمى : تهامة عسير ، وفي عسير أودية وزروع ، وقرى كثيرة ، منها بيشه ، وترية ، وهي مدينة مسورة كبيرة تحيط بها المزارع والنخيل .

(١) معجم البلدان : ياقوت ٤/٢٩٠ .

(٢) شبه جزيرة العرب كحالة : ٢٢١ .

(٣) معجم ما استجم : ج ١/١٦ .

(٤) معجم البلدان : ٨/٢٥ .

(٥) الوجع السابق .

وأما القسم الذي يلي البحر - فهو الغور واسمه تهامة^(١) . وتهامة اليمن سهل خصيب تحدُّر إليه أودية من الجبال الحاذية للساحل ، وهذه الجبال هي امتداد لجبال السراة ، القاعدة في الجزيرة العربية من شمال الحجاز إلى شمال عدن . « ومن مدن تهامة اليمن : زبيد وبيت الفقيه »^(٢) .

والقسم الجبلي - هو سلسلة جبال يتصل بعضها من الشمال إلى الجنوب ، « وجميع هذه الجبال آهلة بالسكان ، وفيها عيون تنبض وتجري على وجه الأرض »^(٣) وتصب العيون ماءها في أودية حق تنتهي إلى البحر الآخر .

وهذا التصب والرخاء ، وتلك الحضارة التلبيدة نتلمس إطارها في قول القرآن « لقد كان سبأ في مسكنهم آية ، جنستان عن يمن وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا الله ، بلدة طيبة ورب غفور »^(٤) .

وقد تحدث عن اليمن - موقعها ومساحتها وقصورها ومبانيها وجبالها ومعادنها والدول التي حلت بها - الحسن بن أحمد الهمданى في كتابه المشهور^(٥) .

تفصيلات طبوغرافية :

يمكن أن ترسم صورة كاملة لشبه الجزيرة بعد أن تبرز صورتها في الأمور الآتية :

١ - السهل ٢ - المضاب ٣ - الجبال

كما يمكن أن نوضح المسائل السالفة في توزيع التضاريس على الوجه الآتي :

(أ) بادية الشام :

وبادية^(٦) الشام على التحقيق كانت اسمًا للقسم الغربي منها ، وقسمها الشرقي كانت يسمى في الجنوب بادية العراق أو السهوة . وهي تشمل المنطقة المثلثة الشكل الواقعة فيها يلي خط °٣٠ من شمال شبه الجزيرة ، وفي ناحيتها الغربية صحراء بها حجارة صوانية سوداء تفصل منحدرات

(١) شبه جزيرة العرب : ٣٠٣ كحالة .

(٢) مهد العرب : ٨٦ .

(٣) تاريخ اليمن : ٢٨٢ الراسعي .

(٤) سورة سباء آية : ١٥ .

(٥) انظر صفة جزيرة العرب : الهمданى : ٥١ ، ١٢٥ ، ١٢٠ ، ١٧٥ ، ١٧٠ الخ ...

(٦) مهد العرب : عزام ٣٥ .

مؤاب وابدوم عن منخفض وادي سرحان الذي يتدلى الجنوب الشرقي والذي تكثر به بحيرات الملح ، وفي طرف هذا الوادي تقع مدينة الجوف .

(ب) النفوذ أو الدهناء :

وتقع جنوب الجوف ويبلغ طولها من الغرب إلى الشرق نحو ٤٠٠ ميل ومتوسط عرضها نحو ٢٠٠ ميل ، وهي في الغالب عديمة الماء ، وتكثر فيها الكثبان المرتفعة ذات الرمل الدقيق .

(ج) الربع الخالي :

مفارة مقفرة موحلة كانت تعرف فيما مضى باسم رملة يبرين^(١) ، وأما أبعاد هذه المنطقة فهي غير محدودة على وجه الصحة ، والمعروف عند العرب أنها تبدأ من جنوبى واحة « يبرين » ، وتمتد إلى المضاب الموازية لساحل البحر الهندي في الجنوب وإلى الجهة الغربية ، والغربية الجنوبية من هذه المقاطعة توجد مساحات شاسعة من الرمال الرقيقة المعروفة بالأشقاف . لقد وفق^(٢) رجلان من بجاز في الانجليز لاختراقها أحدهما وهو « برترام توماس » من الجنوب إلى الشمال الشرقي بجهاز أطراف الرمال الكثيفة الشرقية ، وقد قص في كتابه : ما شاهده في تلك المحاذفة . *Arabia Felix : Across the Empty Quarter Arabia.*

وثانيهما المستر « سنت جون فليبي » حيث عبره من الشمال إلى الجنوب إلى نقطة متوسطة كان يصلها المستر توماس واتجه منها غرباً إلى منتهى وادي الدواسر .

(د) النفوذ الصغرى :

وتسمى الدهناء ، قال ياقوت ، وقال أبو منصور « الدهناء^(٣) من ديار بني تميم » وهي سبعة أجبال من الرمل في عرضها بين كل جبلين شقيقة ... وهي من أكثر بلاد الله كلاً ، وقد اخترقها الشيخ حافظ^(٤) وهبة من الشمال ، وقطعها في ثلاثة عشرة ساعة على الإبل ، وقطعتها

(١) صفة جزيرة العرب : الهمданى ١٣٧ ، ص ١٦٥ ، معجم البلدان : ٨/٩٤ .

(٢) قلب جزيرة العرب : ٢٣ ، فؤاد حزة .

(٣) معجم البلدان : ٤/١١٥ .

(٤) مهد العرب : ٧٦ .

من جهة الاحسأاء في ست ساعات ، ولفظ «الدهناء»^(١) يطلق على أسياف رملية منفصلة عن التفود الشمالي وواصلة بينه إلا في مسافة قصيرة بين التفود الجنوبي الكبير المسما بالربع الحالي وتنتشر الدهناء بشكل حبال وخيوط وألسنة رملية ، بينها فجوات صلبة ، والدهناء يجمعونها تفصلاً بين مرتفعات العارض والقصيم والدير ، وبين سواحل «الحساء» و«الكويت» ومهمة التفود أنها تتم الحلقة التي تطوق «تجدا» بالصحاري .

مناخ بلاد العرب :

١- السمة الغالبة في مناخها الحرارة الشديدة التي تلحف البشرة بوهجها، إلا أنه يمكن التمييز بين أقسامها فيما يلي :

المناطق الساحلية^(٢) سواءً ما كان منها في الشرق أم في الغرب تتميز بحرارة شديدة أيام أشهر القيط تشويهاً رطوبة لزجة ، وتمثل تلك المناطق في تهامة وسواحل الخليج الفارسي ، وأما المنطقة النجدية فإنها في أيام القيط تكاد تغسل إلى الاعتدال بسبب ارتفاعها ، وتكاد تنسم إلى هذه المنطقة برقة الهواء ولطفتها .

أما المنطقة التاهية الجبلية الشاملة لملكة والمدينة في الغرب ، والحسا في الشرق فالسخنة الغالبة عليها المسموم القاتل في أشهر الصيف متسلعاً من صخور تسفعها الهاجرة ، ورمال تغلي البدم وتصرير المضم ، ثم يتقلب الجو فيما عدا ذلك . وفي منطقة جبال الحجاز وعسير يظل الجو معتدلاً حتى في أشهر القيظ وفي جهات الطائف وجبل الشفا وغير لا يشعر السكان بأنهم في بلاد حارة « والسبب في ذلك »^(٣) ارتفاع تلك المنطقة عن سطح البحر .

٢ - بلاد العرب عدية الأمطار أو قليلتها . وتترجح بين الكثرة والقلة تبعاً لاختلاف الموسام والمواقيت ، ففي الجنوب تطول أمطار الرياح الموسمية في الصيف ، وفي الشمال الغربي تهطل كذلك أمطار الرياح الغربية شتاء ، وما يعجب الإنسان أن المطر أحياناً ينزل قاسياً عارماً حتى إنه ليقطي الأرض بزيده في ساعة واحدة وللإنسان أن يتتحدث بعد ذلك^(٤) «كيف أن بلاداً برمنها كانت من قبل بعض دقائق تحرق الجسد بحرارة أرضها إذا بها كثير متلاطم

(١) قلب جزيرة العرب : ٣١ فؤاد حزّة .

(٢) المرجع السابق : ٥٣ .

(٣) قلب جزيرة العرب : ٥٣ ، شبه جزيرة العرب كحالات ٢٧٩ .

(٤) قلب جزيرة العرب : ٦٠

مزبد ، أما الأمطار في نجد « فلها شأن الأول في الحياة »^(١) ، وتتسم بالقلة على العموم إذا قيست بمناطق الجنوب ، وهيئات أن ترى على وجه البدوي مسحة من السرور إلا إذا برر البرق ، وهطل القصر وشيل بدقائقه جنبات الفجر . وهذا الاختلاف وذلك التنوع في الأمطار يعكس صورة للمجتمع العربي فحيث تقل الأمطار أو تنعدم ترى أسلوب العيش الرعوي وحياة التنقل والقفز ، وحيث تكثُر الأمطار ترى أسلوباً للاستقرار الزراعي حيث تشق الأرض وتلقى البدور ، وينجانب الأمطار نرى المياه الجوفية تتمثل في الوديان عابرة طريقها ، شربة في قلب الجزيرة والأودية التي تصفي سطح السلسلة الفريدي دافعة بياهه إلى البحر الآخر كثيرة جداً منها :

وادي التيم : ويصب قريباً من مدينة العقبة ، ووادي الجوشية^(٢) ، والمرحق والأبيض ، واليعنة . والخدائل ، والعمور^(٣) ، وداما ، وألزم ، والمياه^(٤) والمحض^(٥) ، والخيران^(٦) ، ووج^(٧) ، وبارق^(٨) ، واندوم^(٩) .

ولما كان العمل الأساسي الذي أهدى إليه هو الحديث عن اللهجات العربية كان لزاماً على أن أمهد لذلك بالبحث عن القبائل العربية وتنقلاتها في شبه الجزيرة، حق أكون على علم بمواطنها وديارها التي اطمأنت إليها وأخذلت ، وحديث مثل هذا بالغ الأهمية إذ دراسة اللهجات لا يمكن أن تكون دراسة حقة إلا إذا اعتمدت على دراسة أماكن القبائل ونزولهما في السهل أو في الجبل ، أو على مواطن الكلأ أو على سفوح الوديان ، كما أن بعد القبائل في الأماكن ، وانتشار ديارها هنا وهناك ، أو قرب تلك المنازل والمخراطها في وحدة جغرافية مما يترك آثاره العميقة في لغات تلك القبائل عن طريق تهذيب لغاتها حيناً وتشذيبها أحياناً . كما أن مثل هذه الدراسة الجغرافية – تفتح ميادين للمقارنات اللهجية وإبراز الخلافات التي تكون بين قبيلة وأخرى ،

(١) شبه جزيرة العرب : ٢١٢ كمحالة .

(٢) معجم البلدان لياقوت : ١٧١/٣ .

(٣) صفة جزيرة العرب للهمداني : ١٨٩ بليهد .

(٤) معجم البلدان : لياقوت ٣٧٦/٨ ، صفة جزيرة العرب : الهمداني ٢٢٧ .

(٥) صفة جزيرة العرب : الهمداني ٧١ ، ٨١ .

(٦) صفة جزيرة العرب : الهمداني ١٢٠ .

(٧) معجم البلدان : لياقوت ٣٩٩/٨ ، صفة جزيرة العرب : الهمداني ١٢٠ .

(٨) معجم البلدان : ياقوت ٣٢/٢ .

(٩) المرجع السابق : ٣٧٣/٨ .

فالعلاقة لا زالت قائمة بين اللهجات ، وبين بيئتها الجغرافية بل ؛ فتنا نجد كثيراً من خلاف الأقاليم الجغرافية تتطبع في لغة قاطنيها ومن أجمل اختلاف الأقاليم والسكنى والاستقرار . تختلف مظاهر اللهجات بين سكان الجبل والصحراء والأودية ، وبين ما في الجنوب والشمال ، كما أن هذه المجرات في الجزيرة – كانت تسبب احتكاكاً لغويًا بين الأقاليم والطائرين « فاللغة كما أنها لصيقة^(١) بالدين والأدب ، والتاريخ والقومية » نراها كذلك بالجغرافيا والأرض . والاستاذ « هنري بر » كان على حق عندما قال (ولللغة^(٢) تظل - للحياة » في تطورها الذي لا ينتهي إلى حد » .

(١) محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها : مقدمة ده. أنيس فريحة . مطبعة الرسالة : ١٣٧٤ - ١٥

(٢) اللغة : فندس من ٦ ترجمة الدراخلي والقصاص ، مطبعة جنة البيان العربي : ١٩٥٠ .



جزر العرب

بيان
أماكن القبائل العربية التي
اشتهرت بهجاتها

ثانياً : (أ) تنقلات القبائل العربية

مقدمة

لم يكن المجتمع العربي مجتمعًا انعزاليًا كما يظن ، بل كان من أهم ميزاته النشاط والحركة والتوجه وكانت تيارات القبائل تتحرك في قلب الجزيرة وعلى أطرافها تارة صاعدة وأخرى هابطة ، والعرب بعد ذلك كثير التنقل للقنص أو السطو على القوافل الساحقة في بطن الجزيرة ، وكانت الهيئة الجبلية والصحراء الوعرة لها الأثر الكبير حيث صفتهم بصبغة خاصة ، وطبيعة الإقليم في الجزيرة هو الذي حدد تنقلاتهم وتحركاتهم ، فالمترقبات تقف حائلاً أمام تجمعاتهم ، ثم لا تلبث عزائمهم أن ترزل تلك الكتل الصخرية حيث يفرون منها ضاربين في الوهاد مادام الفقر والقسوة قد أحاطا بمجتمعهم من كل جانب ، وما دام إقليم الجزيرة قد اتسم بالشدة والجفرافي ، فالمناطق الفاحلة الجرداء يحيط بها المناطق الفنية الخصبة وبينما الجبال الضاربة في الأفق يحيط بالآغوار الموجلة في العمق ، ففي موضع قسم الحياة ، وفي موضع تقسم ، ومن المعروف أن العربي يربط حياته بأمرين : تتبع المطر^(١) ، وموطن الكلأ ، فإن وجد ذلك استقر وأمن ، وإن لم يجد لا يلقى عصا التسيير إلا إذا فاجأه واحد منها ، وحياة العربي كانت تتمثل في الصيد والرعي والفزو والقنص والسلب ، فإن لم يجد العربي عدواً من غير قبيلته — أغار على قبيلته^(٢) والأدلة على ذلك كثيرة في الأدب العربي .

وجميع الصفات السالفة تحيط على العربي أن يكون في دائرة متصلة من الحركة التي لا تقطع ، بل كانت جميعها تتمثل في دمه ، لأن العربي يريد أن يعيش . فلا بد من أن يغزو حيناً ويرعى حيناً آخر ، ومن هنا لا يمكن أن نتصور القبائل بأنها كانت كتلاً صماء لا تلاقى ، ولعل المجرة التي أعقبت انهيار سد مأرب كانت أبرز دليل على هذا التمازج والتواصل والحركة ، ونرى صورة مثل هذا يحدثنا عنها ياقوت حيث يقول في هجرة اليمنيين (وباعد الله بين أسفارهم كما ذكرروا فتفرقوا عباديد في البلدان)^(٣) . ثم يحدثنا ياقوت عن نزول من نزل في « خيبر » ،

(١) معجم البلدان : ياقوت ٣٥٧/٧ .

(٢) فجر الإسلام : ١١/١ - ١٢ - ١٢ / أحد أمن : ط الثالثة لجنة التأليف والترجمة ، سنة ١٣٥٤ - ١٩٣٥ م .

(٣) معجم البلدان : ٣٥٦/٧ .

« وقِياء »، « ووادي القرى »، « ويُثْر »، « والحرم »، « وعمان »، « والشجر »، « الشام ».

فلم تكن القبائل في عزلة ولا واقعة تحت أرض محدودة ضيقة ، ولم تسكن تمثل فيها الانطوية كا حدثنا كتب الأخبار ، وإنما كان التقارب بين القبائل عن طريق النسب ثارة ، والخلف^(١) ثارة أخرى ، والمصالح المشتركة أحياناً .

ويروى « جولد تسهير » أن الدوافع التي تكون هذه الأحلاف لم تكن ناشئة عن حس داخلي بوجود قرابة وصلة رحم بين المتحالفين ، بل كانت ناشئة عن المصالح الخاصة التي تهم العشيرة كالمجاهدة والأخذ بالثأر^(٢) .

ونجد أمثلة للتحالف كثيرة في حياة العرب منها « الرباب »^(٣) ، أو حلف « الحمس » ومعنىه : التشدد ، وقد كان بين قريش وكثامة وخزاعة « ويروى عن أبي عبيدة التحوي : أنبني عامر ابن صعصعة دخلوا معهم في ذلك أيضاً »^(٤) .

والذي يرى من تاريخ العرب أن القبيلة لا تكاد تنسن بسخنة خاصة في الزمان والمكان حتى يعرض لها ما يعرض للمجتمعات من قلقة ، فتختلف الأرض التي كانت تعيش فوقها وتختلف كذلك الأسماء التي كانت تسمى بها ، ومن هنا نرى منازلهم تتداخل وتتعدد حتى أصبحنا لا نستطيع أن نحدد من من القبائل يسكن هذه الأرض « فيحدثنا العاصمي عن أبي المكارم الاعرابي وابن الاعرابي أن الرمة طويلة عريضة تكون مسيرة يوم تنزل أعلىها بنو كلاب ثم تنحدر فتنزل عبس وغيرهم من غطفان ، ثم تنحدر فتنزل بنو أسد »^(٥) .

وفي كتاب نصر « أن وسطه لبني كلاب^(٦) وغطفان »، فهذا الخلط الذي أراه من النصين السابقين مرجعه القلقة المستمرة بين المد والجزر فمرة تنزل بنو كلاب في أعلى الرمة ، ومرة

(١) قال البكري : لما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف انضم الذليل منهم الى العزيز ، وحالف القليل منهم الكثير . معجم ما استجم : ٥٣٢ البكري .

(٢) تاريخ العرب : ١٤٥ جمادى علي .

(٣) الاشتقاء لابن دريد : ص ١١١ وستنقذ ، وانظر اللسان : ١/٣٨٨ .

(٤) بلوغ الأربع : الألوسي ٢٨٩/٢ ، نهاية الأربع للتوري : ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٥) معجم البلدان : ٤/٢٩٠ .

(٦) الموجع السابق : ٤/٢٩١ .

تحثير القبيلة نفسها في وسطه فالحدود معالماها باهتة في تلك الجزيرة الشاسعة ، ورجع ذلك الهجرات التي لا تنتهي حتى تبدأ من جديد في هجرة أخرى ، فكم من قبيلة خانها الغيث ونبأ بها الموضع فهجرته الى مساقط المطر ، ومنابت العشب وما هو المهداني يتحدث عن هجرة الأزد فيقول (وأقاموا بتهامة^(١) ما أقاموا حتى وقفت الفرق بينهم وبين كافة عشائر فساروا الى الحجاز فرقاً ، فصار كل فخذ منهم الى بلد ، فمنهم من نزل السروات ومنهم من تخلف بكة وما حولها ، ومنهم من خرج الى العراق) ...

وكا حديثنا عن هذا ياقوت والمهداني حدثنا عن ذلك أبو علي أحمد^(٢) بن رسته وأبو الحسن المسعودي^(٣) . وإذا كان الخلط في السكنى وفي أماكن القبائل قد لمح عند ياقوت ، فإنه يلمح كذلك عند مؤرخ جغرافي مشهور حيث ذكر أن « عسفان^(٤) » كانت تسكنها هذيل ، وكانت كذلك « تسكنها بنو المصطلق »^(٥) .

وهكذا نجد أنفسنا أمام قفازات رائعة صورتها لنا القبائل العربية فتارة تضرب الأرض بأقدامها منجدة ، وتارة تضرب بأقدامها متهمة ، ثم تلمح لها صورة أخاذة على أطراف الجزيرة جيابها ووديانها وغورها ونجدها . وفي الفقرة الآتية أحياول أن أرسم صورة سريعة لتفريق القبائل العربية في الجزيرة لنتعرف على مساكن كل قبيلة على سبيل التقرير ، لأن القبائل تتداخل مساكنها ثم هي دائبة التنقل والغر من هنا الى هناك ، فالحديث عن تفرق القبائل صعب عسير ولن يجد الباحث وطنًا ثابتاً محدداً لأي قبيلة من القبائل ، ولا يقع في شبه جزيرتهم - على تباعد أطرافها - اختصت بقوم منهم دون الآخرين فيحدثنا البكري (أنت بعض^(٦) بيشة لبني هلال ، وببعضها لسلول) أو أن « الوصيف^(٧) » أدناه لكتانة وشقه الآخر هذيل « أو » الضجن^(٨) - واد في بلاد هذيل بتهامة أسفله لكتانة ، أو أن « سعيا^(٩) » واد بتهامة

(١) صفة جزيرة العرب : المهداني ٢٠٩ .

(٢) الأخلاق النافضة : ٦٩

(٣) التنبيه والشراف : ٢٠٨ .

(٤) معجم ما استجمم : ٩٩٢/٣ .

(٥) المرجع السابق : ٩٤٢/٣ .

(٦) المرجع السابق : ٢٩٤/١ .

(٧) معجم قبائل العرب : كعالة ٩٩٧/٣ .

(٨) معجم البلدان : ياقوت مادة (ضجن) .

(٩) معجم قبائل العرب : ٩٩٧/٣ .

قرب مكة أسفله لكتنانة وأعلاه لهذيل ، أو أن «أدام»^(١) واد بتهمة أعلاه لهذيل وأسفله لكتنانة .

رأيت تداخل الحدود والتتحام السكنتى ؟ ثم هذا التحديد المبهم من أن الوادي شقته لقبيلة كذا وشقه الآخر لقبيلة كذا، إن هذه الحدود على الرغم من تحديدها باهنة لا تشفي غلة الباحث اللغوى الذى يريد أن يدرس لهجات هذه القبائل دراسة منهجية .
إليكم صورة مبسطة تبرز فيها الخطوط العريضة لهذا التنقل .

تنقلات القبائل :

حدثتنا كتب التاريخ أن العرب قسمان :

- ١ - العرب البايدة : وهم الذين نادوا ودرست آثارهم ، وانقطعت تفاصيل أخبارهم .
- ٢ - العرب الباقيه وهم قسمان :

القسم الأول :

العرب العاربة . وهم بنو قحطان بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ،
وهم عرب اليمن ، ومن أشهر قبائلهم :

جرهم : وكانت منازلهم أولاً باليمن ، ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه وأقاموا به^(٢) .

يعرب : ومن يعرب تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين وهما حمير ، وكهلان .

القبيلة الأولى : (حمير) وهم حمير بن سبا « وكانت بلادهم مشارف اليمن فظفار وما
حولها »^(٣) . وأشهر بطون حمير قضاعة المشهور من « قضاعة » الأحياء الآتية :

الحي الأول : « بلي » .

(١) معجم البلدان : ياقوت ١٥٥/١ .

(٢) صبح الأعشى : الفلقشندي ٣١٥/١ دار الكتب ١٣٤٠ - ١٩٢٢ م ، قلب جزيرة العرب : فؤاد
جزة ٢٢٥ ، العقد الفريد : مطبعة الاستقامة ط أولى سنة ١٩٤٠ ٣٥٣/٣ ، نهاية الأرب : ط أولى
القاهرة ١٩٥٩ تحقيق الأبياري .

(٣) صبح الأعشى : ٣١٥/١ .

الحي الثاني : « جهينة » .

الحي الثالث : « كلب » قال صاحب حمامة « وكان بنو كلب^(١) في العاھلية ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام » .

الحي الرابع : « بهراء » وقال في العبر « وكانت منازلهم^(٢) شعالي منازل « بلي » من البنبع إلى عقبة أيله » .

الحي الخامس : « بنو نهل » وكانت منازلهم^(٣) باليمن .

القبيلة الثانية : (كهلان) وأشهر بطون كهلان :

أولاً : (الأزد) قال أبو عبيد : ويقال بالسين بدل الزاي . قال الجوهري : بالزاي أفعص وقد قسم الجوهري الأزد إلى ثلاثة أقسام :

أ) « أزد شنوة » ، (ومنازلهم المرأة)^(٤) .

ب) « أزد السراة » ، وهو موضع بأطراف اليمن نزل به فرقه منهم فعرفوا به^(٥) .

ج) « أزد عمان » ، وعمان مدينة بالبحرين نزلها قوم منهم فعرفوا به^(٦) .

ثم الأزد بطون كثيرة منها : غسان ، قال في العبر « وببلادهم على القرب من بلاد اليمن ... ولغسان هؤلاء ملك العرب^(٧) بالشام » ، ومنها « الأوس والخزرج » ، وكانت منازلهم^(٨) بيترب .

(١) المرجع السابق : ٣١٦/١ ، معجم قبائل العرب ٩٩١/٣ .

(٢) صبح الأعشى : ٣١٧/١ ، معجم قبائل العرب : كحالة ١١٠/١ ، نهاية الأرب : القلقشندي ١٨٢ .

(٣) صبح الأعشى : ٣١٧/١ ، معجم قبائل العرب : ١١٩٧/٣ ، صفة جزيرة العرب : المهداني ١١٦ .

(٤) معجم ما استجم : البكري ٩٠/١ .

(٥) صبح الأعشى : ٣١٩/١ ، معجم قبائل العرب : كحالة ١٥/١ .

(٦) صبح الأعشى : ٣١٩/١ ، معجم قبائل العرب : كحالة ١٦/١ .

(٧) صبح الأعشى : ٣١٩/١ ، معجم قبائل العرب : كحالة ١٦/١ .

(٨) صبح الأعشى : ٣٢٠/١ ، نهاية الأرب : القلقشندي : ٩٤ ، صفة جزيرة العرب ٢١١ ، معجم قبائل العرب : كحالة ٥٠/١ .

ثانياً : « طيء » قال في العبر : وكانت منازهم^(١) باليمن فخرجوا منها على أثر خروج الأزد عند تفرقهم بسيل العرم، فنزلوا بنجد والهجاز على القرب من بني أسد ثم غلبوها بني أسد على جبلي « أجأ وسمى » من بلاد نجد .

ثالثاً : « مذحج » ، ومذحج بطون كثيرة منها :

- أ) « خولان » قال في العبر : « وببلاد خولان في بلاد اليمن من شرقه »^(٢) .
- ب) بنو الحارث بن كعب ، قال في العبر (وديارهم بنواحي ثجران^(٣) من اليمن وهم يجاورون لبني ذهل) .

رابعاً : (هدان) قال في العبر : « وكانت ديارهم باليمن من شرقه ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق منهم وبقي من بقي »^(٤) .

خامساً : (كندة) قال صاحب حماة : (وببلادهم اليمن قبلي حضرموت ، وكان لهم ملك بالهجاز واليمن^(٥) ويدرك الهمданى بأن « كندة^(٦) من أرض حضرموت » وأما ياقوت فيذكر أن « كندة اسم قبيلة ، ومخلاف كندة^(٧) باليمن » ويدرك الاستاذ « نكلسون » أن دولة^(٨) كندة كانت لتابعة اليمن ، كما كان اللخميون ملوك الفرس والشيء المهم في قيام دولتهم القصيرة العمر : أنها كانت أول محاولة في داخل بلاد

(١) صبح الأعشى : ٣٢٠/١ ، معجم قبائل العرب : كحالة ٦٨١/٢ ، جهرة أنساب العرب : ابن حزم ٣٧٥ تحقيق بروفنسال ، دار المعارف بصر ، معجم ما استعجم ٩٠/١ ، نهاية الأرب : القلقشندي : ٣٢٦ .

(٢) صبح الأعشى : ٣٢٧/١ ، معجم قبائل العرب : ٢٣١/١ ، صفة جزيرة العرب : ١١٦ ، نهاية الأرب ٤٩٠ القلقشندي .

(٣) صبح الأعشى : ٣٢٦/١ ، معجم قبائل العرب : ٣٦٦/١ ، صفة جزيرة العرب : ٥٣ .

(٤) صبح الأعشى : ٣٢٨/١ ، معجم قبائل العرب : ١٢٢٥/٣ ، صفة جزيرة العرب : ٨٥ .

(٥) صبح الأعشى : ٣٢٨/١ ، معجم قبائل العرب : ٩٩٨/٣ ، نهاية الأرب : ٤٠٩ ، المقدّس الغريب : ٣٤١/٣ ، قلب جزيرة العرب : ٢٣٤ ، فؤاد حزة .

(٦) صفة جزيرة العرب : الهمدانى : ٨٥ .

(٧) معجم البلدان : ٢٨٤/٧ .

(٨) تاريخ العرب : مبروك نافع ١٤٣ مطبعة وادي النيل .

العرب لتوطيد مجموعة من القبائل حول سلطة مركزية لها زعيم واحد ، ولم تنجح هذه المحاولة لأن التوحيد العام نجح على يد نبي الإسلام محمد عليه السلام^(١) .

سادساً : (مراد) قال صاحب حماة (وببلادهم إلى جانب زبيد من بلاد اليمن)^(٢) .

سابعاً : (أنمار) قال في العبر (وكانت بلادهم في سروات اليمن^(٣) والمحجاز إلى تبالة) .

ثامناً : (جذام) « ومساكنها بين مدين إلى تبوك ، فإلى أذرح^(٤) ، وقال الحمداني (ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض الأردن) »^(٥) .

تاسعاً : (لحم) ، (وكان لهم ملك بالخيرة من بلاد العراق)^(٦) .

عاشرأ : (الأشعريون) ، وهم من كهlan من القحطانية قال الحمداني (ديار الأشمريين^(٧) من حدود بني مجید بأرض الشقاق فإلى حيس فزبيد) ومن بلدانهم: القحمة « والخصيب »^(٨) وقدموا على النبي ﷺ فقال لهم : نعم الحمى^(٩) ، والأشعريون لا يفرون في قتال ولا يقولون هم مي وأنا منهم .

الحادي عشر : (عاملة) ، وقد ذكر الحمداني (أن يحيى عاملة من بلاد الشام^(١٠) منهم الجنم الغفير « وعاملة خرجت إلى الشام من سيل العرم^(١١) ، ونزلوا بالقرب من دمشق » وقد أضاف علماء الجغرافيا والتاريخ من المسلمين في وصف هجرات اليمنيين كأحد

(١) المرجع السابق : ١٤٧ .

(٢) صبح الأعشى : ٣٢٩/١ ، معجم قبائل العرب : ١٠٦٦/٣ .

(٣) صبح الأعشى : ٣٢٩/١ .

(٤) معجم قبائل العرب : ١٧٤/١ .

(٥) صفة جزيرة العرب : ١٢٩ .

(٦) صبح الأعشى : ٣٣٤/١ ، صفة جزيرة العرب : ١٢٩ ، نهاية الأرب : ٤١١ .

(٧) صفة جزيرة العرب : ١١٩ .

(٨) المرجع السابق : ٤٣ .

(٩) معجم قبائل العرب : ٣١/١ نقلاً عن (مشكاة المصايف) .

(١٠) صبح الأعشى : ٣٣٦/١ ، صفة جزيرة العرب : الحمداني ١٢٩ ، معجم قبائل العرب : ٧١٤/٢ ، جهرة أنساب العرب : ٣٩٤ .

(١١) خلاصة الكلام : ٧٥ غنيم ط أولى المطبعة الشرقية .

ابن رسته^(١) ، وأبي محمد الحسن من أحمد المداني اليمني^(٢) (٣٣٤ هـ) وأبي الحسن المسعودي^(٣) (٣٤٦ هـ) وياقوت بن عبدالله الجوي^(٤) (٥٧٢ - ٦٢٦ هـ) .

هذا وقد علل بعض مؤرخي العرب هجرة اليمنيين هذه الى الشمال «بأنهيار سد مأرب»^(٥) ، ويعطى الآخرون بالخطاط التجار في اليمن بين القرن الثالث والرابع ق م - اثر نشاط الرومان التجاري في البحر الأحمر - وقد سبب هذا النشاط الخطاطاً في المجتمع وتدهوراً فيه .

وأياً ما كان فتصدع السد لم يكن إلا السبب المباشر لمجموعة كبيرة من الأسباب التاريخية المختلفة : اقتصادية واجتماعية وسياسية ، خارجية وداخلية - أدت الى هذا التفكك في المجتمع ، ثم الى الهجرة بعد أن حللت بهم التكبات ، وفاجأتهم الكوارث . ويستنبط من هذا العرض أن عرب اليمن قد أنسوا في هجراتهم خارج بلادهم مالك عظيمة - كالفسانة في الشام ، والمناذرة في العراق - وجيمع هؤلاء من الأزد ، ثم مملكة كندة في نجد والهزاز^(٦) .

وتلك الصورة المبعثرة للقبائل أشبه ما تكون بتدخل الموج عندما تهب عليه الرياح السافيات ، فلم تكن نامحة فاصلة بين القبيلة والأخرى في هجرتها كما أنها لا نامحة الموجة تنتهي عندما تتصل بها موجة أخرى ، وهكذا كانت المجرات في اتصال وتدخل وتقلل .

القسم الثاني : العرب المستعربة :

وعرفت بالعدنانية ، ومن أولاد عدنان : معد ، وكان له أربعة أولاد: اياد ، نزار ، قنص ، أغمار ... ويقسم النسابون عدنان الى فرعين كبيرين (ربعة ومضر)^(١)

(١) الأعلان النفيسة : ٥٩ .

(٢) صفة جزيرة العرب : ٢٠٩ .

(٣) التنبيه والاشراف : ٢٠٨ .

(٤) معجم البلدان : ٣٥٦/٧ وما بعدها .

(٥) انظر : في خبر خراب سد مأرب : معجم البلدان : ٣٥٥/٧ .

(٦) لا زال المؤرخون على خلاف في أصل كندة وهل هي عدنانية أو قحطانية ؟ انظر في ذلك : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢١٨/٣ - ٢١٩ .

الأصل الأول : (ربعة) ،

ولربعة بطنان وهم : أسد وضبيعة ، وديارهم إلى الآن بالجزيرة الفراتية تعرف بدار ربعة ،
وقال الهمداني : « ديار ربعة من العروض ونجد » ^(٢) .

ومن أسد (بنو عزة) ، (وكانت ديارهم خير ^(٣) من ضواحي المدينة) ، « وتقى مناز لهم ^(٤) »
من نجد إلى الحجاز فوادي السرحان فالحاد فبادلة الشام » ومن أسد - جديلة ومن جديلة عبد
القيس قال في العبر : (وكانت ديارهم بتهامة حتى خرجوها إلى البحرين وزاحموها من بها من بكير
ابن وائل وتميم وقاسمون المواتن) ^(٥) ومن بكير بن وائل من ربعة بنو عجل - (وكانت
مناز لهم من اليامة ^(٦) إلى البصرة) .

ويرسم الوزير الفقيه عبد الله البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ صورة متحركة لتنقل
قبائل ربعة ، وذلك بسبب الفتن التي قامت بين قبائلها ، وأشهر القبائل التي فارقتها عبد القيس
وشن بن أنصى ومن معهم - فاختاروا البحرين وهجر ^(٧) ، واقتسموها بين قبائلهم .

ودخلت قبائل أخرى من ربعة ظواهر بلاد نجد والجذار وأطراف تهامة وما والاها ،
وانتشروا فيها ، فكالوا « بالذائب » ، و « واردات » و « الأحس » ^(٨) ... و蒂امت قبائل
آخرى من ربعة إلى بلاد اليمن فحالفت أهلها ، واستقرت بها ، وبقوا على أنسابهم - وكان منهم
أكلب بن ربعة بن نزار ، وقبيلة عز وتنسب إلى عبدالله بن وائل بن قاسط من بني أسد بن
ربعة ^(٩) .

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية : ١٤/١ .

(٢) صفة جزيرة العرب : ١٧١ الهمداني .

(٣) صبح الأعشى : ٣٣٧/١ ، نهاية الأربع : ٣٧٨ .

(٤) معجم قبائل العرب : ٨٤٦/٢ .

(٥) صبح الأعشى : ٣٣٧/١ ، معجم قبائل العرب : ٧٢٦/٢ .

(٦) صبح الأعشى : ٣٣٩/١ ، معجم قبائل العرب : ٧٥٧/٢ ، صفة جزيرة العرب : ١٦١ ، نهاية الأربع : ٣ القلقشلندي .

(٧) معجم ما استعجم : ٨٠/١ .

(٨) المرجع السابق : ٨٢/١ .

(٩) ٨٢/١ .

« ولم تزل الحروب والوقائع تتقلّهم من بلد الى بلد ، وتنفيهم من ارض الى ارض» وتقلب في كل ذلك ظاهرة على يكرا^(١) حق التقوا يوم (قضية) ^(٢) .

وكانت الدائرة في هذا اليوم لبكر على تقلب – فتبدل تقلب في البلاد « وانتشرت بذكر ابن وائل وعنزة ، وضبيعة ، باليامة فيما بينها وبين البحرين الى اطراف سواد العراق... وانحازت النمر وغفيلة ، الى اطراف الجزيرة وعاثات وما دونها الى بلاد بكر بن وائل وما خلفها من بلاد قضاة من مشارق الارض »^(٣) .

الأصل الثاني : (مصر) .

وقد تشعبت مصر شعبتين : قيس عيلان بن مصر ، والياس بن مصر . هذا ويعلل البكري في معجمه تفرق قبائل مصر في شتي أنحاء الجزيرة العربية الى تبيان قبائلهم ، وكثرة عددهم وقبائلهم ، حتى صارت بلادهم عنهم « فطلبوا المنسع والمعاش وتبعوا الكلأ والماء ، وتنافسوا في الحال والمنازل ، وبغي بعضهم على بعض فاقتتلوا »^(٤) .

وكانت مصر مقسمة وحدتها في تهامة – بعد خروج ربيعة منها ، حتى دب بينها التفرق ، ووسمت بين قبائلها البغضاء ، فرأينا قبيلة متهمة ، وأخرى منجدة ، فظلمت قيس من تهامة طالعين الى بلاد نجد ، إلا قبائل منهم ، فانحازت الى اطراف القور من تهامة^(٥) .

كان نزلت هوازن ما بين غور تهامة الى ما والى بيشة ، وبركا ، وناحية السراة ، والطائف ، وذا الحجاز وحنين وأوطاس وما صاقبها من البلاد ، ومن هوازن بنو سعد الذين كان رسول الله عليه السلام رضي الله عنهما فيهم . وقال في العبر : (وقد افترق بنو^(٦) سعد هؤلاء في الإسلام ولم يبق لهم حي فينطريق) . وكانوا قبل ذلك بنجدة شرقى مكة .

(١) المرجع السابق : ٨٥/١ .

(٢) قضية : من اليامة على ثلاثة ليال : معجم ما استجمم ٨٥/١ .

(٣) معجم ما استجمم : ٨٦/١ .

(٤) المرجع السابق : ٨٧/١ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) صبح الأعشى : ٣٤٠/١ ، معجم قبائل العرب : ٥١٣/٢ .

ومن هوازن « بنو عامر » بن صعصعة ، ومن بنى عامر « بنو كلاب » قال في العبر : (وكان ^(١) لهم في الإسلام دولة باليامنة ، وكانت ديارهم حمى ^(٢) ضرية . وهي حمى كلب وحمى الربنة في جهات المدينة المنورة وفديك والموالي ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام) ومن بنى عامر بن صعصعة « بنو هلال » (وكانوا ^(٣) يقطنون الحجاز ونجد حول مكة وفي بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان) وقال الأحمداني « ووادي جلزان منقلب إلى نجد في شرق الطائف يسكنه بنو هلال » ^(٤) .

ومن بنى عامر أيضاً « بنو عقيل » قال في العبر (وكانت مساكنهم ^(٥) البحرين في كثير من قبائل العرب ، وكان أعظم القبائل هناك بنو عقيل هؤلاء ، وبنو تغلب وبنو سليم وكان أظهرهم في الكثرة والغلب بنو تغلب ثم اجتمع بنو عقيل وبنو تغلب على بنو سليم فأخرجوهم من البحرين ، ثم اختلف بنو عقيل وبنو تغلب بعد مدة فغلب بنو تغلب على بنو عقيل فطردوهم من البحرين) ، ومن هوازن « بنو جشم قال في العبر (وكانت مساكنهم ^(٦) بالسرورات ، وهي تلال تفصل بين تهامة ونجد متصلة من البحرين إلى الشام) ، والسرورات على قرب من هذيل ، ومن بطون هوازن « ثقيف » قال في العبر : وثقيف ^(٧) بطن واسع ، وكانت منازلهم بالطائف ، وهي مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة . ومن قبائل قيس « باهلة » (وكانوا يقطنون اليامنة ^(٨)) ومن قبائل قيس « بنو غطفان » قال في العبر (وكانت منازلهم ^(٩) بمالي وادي

(١) صبح الأعشى : ٣٤٠/١ ، معجم قبائل العرب : ٩٨٩/٣ ، نهاية الأرب : الفلقشندي ٤٠٧ .

(٢) قال البكري : وكانت « ضرية » في الجاهلية من مياه ضباب . معجم ما استجم : ٨٦٥/٣ ، ثم قال : وقد دخل في حمى صرية حقوق لسبعين بطن من بنو كلاب ، وهم أكثر الناس أملاكاً في الماء . معجم ما استجم : ٨٦٦/٣ .

(٣) معجم قبائل العرب : ١٢٢٧/٣ .

(٤) صفة جزيرة العرب : المهداني ١٢١ .

(٥) صبح الأعشى : ٣٤٢/١ ، معجم كحالة : ٨٠١/٢ ، نهاية الأرب : ٣٦٦/١ ، جمهرة أنساب العرب ٢٧٣ .

(٦) صبح الأعشى : ٣٤٣/١ ، نهاية الأرب : ٣١٤ الفلقشندي .

(٧) صبح الأعشى : ٣٤٣/١ ، معجم قبائل العرب : ١٤٩/١ ، صفة جزيرة العرب : ١٢٠ ، معجم ما استجم للبكري : ٦٧/١ . ٧٩ ، ٧٧ ، ٦٧ .

(٨) معجم قبائل العرب : ٦٠/١ ، معجم ما استجم : ٩٠/١ البكري .

(٩) صبح الأعشى : ٣٤٤/١ ، معجم قبائل العرب : ٨٨٨/٢ .

القرى وجبل طيء : أجا وسلى) ، وقال البكري « من نزل بالحجاز غطفان »^(١) ولم يحل نزولهم الحجاز كان بعد الإسلام . وقال القلقشندى : ومنازل غطفان^(٢) بنجد ما يلى وادى القرى . ومن غطفان ذبيان ومن ذبيان « فزاره » قال في العبر : وكانت^(٣) فزاره بنجد ووادى القرى . وقال البكري : من نزل بالحجاز فزاره^(٤) ، ولغل نزولهم الحجاز كان بعد الإسلام .

ومن قبائل قيس أيضاً « بنو سليم » قال المدائى : وهم أكبر قبائل قيس ، قال في العبر (وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر^(٥)) ومن قبائل قيس (عدون) قال في العبر (وكانت منازلهم^(٦) بالطائف من أرض نجد) قال البكري « ومن نزل بالحجاز من العرب^(٧) عدون » ولعلهم نزلوا الحجاز بعد الإسلام .

الأصل الثالث : الياس بن مضر :

وكان لالياس بن مضر ثلاثة أولاد : قمعة^(٨) ، وطابخة ومدركة وقد تفرعت منهم بطوفن كثيرة . أما طابخة فقد خرجت من هامة إلى ظواهر نجد والحجاز . ومن قبائل طابخة تميم « وقد نزحت تميم وضبة وعكل بن أدم من الحجاز - إلى بلاد نجد وصحرائها فحلوا منازل بكر وتغلب التي كانوا يتذلونها في الحرب التي كانت بينهم ثم مدوا حتى خالطوا أطراف هجر وتذروا ما بين اليمامة وهجر »^(٩) كما نفذت بنو سعد بن زيد منها بن تميم إلى « يبرين » حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في بلادهم « قطر »^(١٠) .

(١) معجم ما استجم : ٩٠/١ البكري .

(٢) نهاية الأرب : ٣٨٨ القلقشندى .

(٣) صبح الأعشى : ٣٤٤/١ ، معجم قبائل العرب : ٩١٨/٣ .

(٤) معجم ما استجم : ٩٠/١ البكري .

(٥) صبح الأعشى : ٣٤٥/١ ، معجم قبائل العرب : ٥٤٣/٢ ، جهرة أنساب العرب : ٢٤٩ ، صفة جزيرة العزب : ١٣١ المدائى .

(٦) صبح الأعشى : ٣٤٦/١ ، معجم قبائل العرب : ٧٦٢/١ .

(٧) معجم ما استجم : ٩٠/١ .

(٨) نهاية الأرب في فنون الأدب : النويري السفر الثاني ص ٣٥٨ دار الكتب ١٣٤٢ - ١٩٢٤ م .

(٩) معجم ما استجم : ٨٨/١ .

(١٠) المرجع السابق .

الأصل الرابع : (مدركة) :

وله فرع واحد على حاشية عمود النسب (وهو هذيل) ، وهي قبيلة متسمة لها بطون كثيرة^(١) وكانت ديارهم بالسرورات ، وسراهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ، وكان لهم أماكن^(٢) ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة ، ثم تفرقوا بعد الإسلام ، « وكانوا ينزلون الحجاز عند مجيء الإسلام »^(٣) .

الأصل الخامس : (خزيمة) :

وله فرعان على حاشية عمود النسب وما « المهن وأسد » أما أسد فهم بطن كبير متسع قال في العبر (ومنازلهم^(٤) مما يلي الكربخ من أرض نجد في مجاورة طيء) . قال ويقال : إن بلاد طيء كانت لبني أسد ، فلما خرج بنو طيء من اليمن تغلبوا على أجاً وسلمي وتفرق بنو أسد ، « وقد كانوا ينزلون الحجاز^(٥) عند مجيء الإسلام » .

تعليق :

يلاحظ فيما سبق عند عرض القبائل العربية – أن ظهرت أسماء عديدة لها أسماء كأسماء الحيوانات والوحش والطيور . ونظرة واحدة إلى كتب الأنساب العربية مثل (كتاب صبح الأعشى : للقلقشندي^(٦) ، وبلوغ^(٧) الأربع : للألوسي ، ونهاية^(٨) الأربع : للقلقشندي ، ونهاية الأربع للتويري^(٩) ، والعقد الفريد^(١٠) لابن عبد ربه ، والمارف لابن قتيبة^(١١) ، ونسب

(١) صبح الأعشى : ٣٤٩/١ .

(٢) معجم كحالة : ١٢١٣/٣ .

(٣) معجم ما استجمم للبكري : ٩٠/١ .

(٤) صبح الأعشى : ٣٤٩/١ ، معجم كحالة : ٢١/١ ، نهاية الأربع : للقلقشندي ٣٧ .

(٥) معجم ما استجمم : ٩٠/١ .

(٦) ٣٠٨/١ صبح الأعشى للقلقشندي . وما بعدها .

(٧) ١٩٣/٣ .

(٨) انظر : الفهرست من ص ٤٦٧ - ٤٩١ .

(٩) السفر الثاني : ٣٠٨ ، وما بعدها .

(١٠) ٢٨٧/٣ ، وما بعدها .

(١١) ص ٢٩ ط الأول : ١٣٥٣ - ١٩٣٥ م المطبعة الرحمانية بصر .

عدنان وقحطان لأبي العباس المبرد^(١)) وغيرهما من كتب الأنساب ترينا كيف أن كثيراً من أسماء القبائل موافقة لأسماء الطيور والوحش ، وربما أن البدوي لطول الفه بالصحراء صار يرى في تلك الوحش - ما يؤمن به ويواخذه فركن إلىهَا وسكن وأصبحنا نسمع العربي يعلن الإلفة بينه وبين الذئب نفسه الذي جعله أقرب إلى الله من الإنسان .

عوى الذب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير

ولهذه القربي التي كانت بين الانسان والحيوان، رأينا أن هذا الحيوان كان مسؤولاً كالانسان تماماً إذا أحدث شيئاً في المصور القديمة، وفي سفر الخروج إذا نطح^(٢) ثور رجلاً أو امرأة وأفمض ذلك إلى موت النطيح، وجب رجم الثور وحرم أكل لحمه ولا تبعة على مالكه... فالصلة كانت وثيقة بينهم وبين الحيوان.

وأجل هذه الصلة التي كانت بين الإنسان والحيوان لا نعجب أن رأينا أسماء تلك القبائل العربية هي نفسها أسماء الحيوانات التي كانت حبيبة إليهم قال القلقشندي: « غالب أسماء العرب منقولة عما يدور في خزانة خيالهم مما يخالطونه ويخاورونه ، إما من الحيوانات كأسد وغر وإنما من النباتات كنبت وحنطلة » ، وإما من الزواحف كجية وحنش » ، وإما من أجزاء الأرض كفهر وصخر وهو ذلك ^{١٥} . وأرجع **« نولدكه »** سبب التسمية إلى نوع من الشعر الطبيعي **« Natural Poetry »** فكما أن البدوي راح ينزع من الطبيعة أخياته الشعرية ، كذلك مال

(١) لجنة التأليف والترجمة : ١٣٥٤ - ١٩٣٦ تحقيق اليمني .

(٤) المسئولة والجزاء : علي عبد الواحد وافي : من ١٤ الطبعة الثانية سنة ١٣٦٨ - ١٩٤٩ دار إحياء الكتب العربية .

(٢) النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب - المرحوم محمد محمود جمعة من ١٠٤ مطبعة السعادة بالقاهرة : سنة ١٩٤٩ .

(٤) انظر : المرجع السابق .

(١٥) نهاية الأرب : ٢٢ القلقشندي ، بلوغ الأرب : ١٩٣/٣ الأوليسي .

إليها يستلهمها أو يستثيرها أسماء الشخصية^(١) وعمل ابن فارس تسمية العربي بأسماء الحيوان « وأما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد ونمر وأسد – فذهب علماؤنا إلى أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر سماه بما يراه أو يسمعه مما يتفاوت به – فإن رأى حجراً تأول فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر – وإن رأى ذئباً – تأول فيه الفطنة والنكر والكسب »، وإن رأى حماراً تأول فيه طول العمر والوقاحة، وإن رأى كلباً تأول فيه الحرارة وبعده الصوت والإلتفاف^(٢).

ويرى القلقشندي أن العرب^(٣) تسمى أبناءها بـ«كلب الأسماء» وتسمي عبيدهم بـ«محبوب الأسماء» ولعل السبب في ذلك ما قاله الألوسي « حكى^(٤) أنه قيل لأبي الدقيق الكلابي : لم تسمون أبناءكم بــ«أبناء الأسماء» نحو كلب وذئب – وعبيدهم بأحسن الأسماء؟ فقال : « إنساناً سمي أبناءنا لأعدائنا وعبيداً لأنفسنا ».

ولهذا لا ننجو عندما يعدد لنا ابن عبد ربه بطون قضاة فيقول (كلب بن وبرة ، وذلك أن وبرة ولد له : كلب ، وأسد ، ونمر ، وذئب ، وتعلب ، وفهد ، وضبع ، ودب ، وسيد ، وسرحان)^(٥).

(١) النظم الاجتماعية والسياسية : ١١٤ .

(٢) الصاحبي : ابن فارس : ٦٢ ط السلفية .

(٣) نهاية الأربع : القلقشندي ٢٢ .

(٤) بلوغ الأربع : الألوسي ١٩٣/٣ ، صبح الأعشى : القلقشندي ٣١٢/١ .

(٥) العقد الفريد : ٣٢١/٣ .

(ب) مدى الاعتماد في دراسة اللهجات العربية على أماكن القبائل :

في الصفحات السابقة^(١) من الرسالة عرضت بياناً شاملاً لتنقلات القبائل العربية كما جاء في كتب المخترقيين العرب، ومن هذا البيان تحت الحركة الدائمة والنشاط الدائم في قلب الجزيرة من جميع أقطارها، والأفواج البشرية كالسيل الهادر لا ينقطع مده – صاعدة هابطة تتبع مواطن الكلأ ومجاري المياه، فلم يكن بين القبائل هذه الحدود القاسية، ولم يكن المجتمع العربي صليباً جامداً – بل كانت المناقذ عديدة بين القبائل، وكانت طرق القوافل التي تحدثت عنها تسهل تلك المنافذ وتقوى ذلك التقابل، وكان ذلك التقابل عن طريق الأسواق والمجتمعات وأيام العرب، ويدرك صاحب العقد الفريد عدداً كثيراً من هذه الأيام^(٢) التي تقابلت فيها القبائل وتجمعت فيها البطون المختلفة، وكما جمعت بينها أيام العرب جمعت بينها كذلك المناقرات التي كانت تقع بين القبائل، وكانت هذه المناقرات من الأمور العاديّة التي تقع كل يوم بين الأفراد والأسر والقبائل وبطونها، وقد ساق الألوسي عدداً وافراً من هذه المناقرات في كتابه^(٣)، وجميع هذه الأمور وغيرها تجعل الباحث يتمثل المجتمع العربي تثلاً صحيحاً قائماً على التقارب والانقاء عن طريق الأنساب والمصاهرة حيناً، وعن طريق الأحلاف تارة أخرى، قال البكري^(٤) (فـلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة... انضم الذليل منهم إلى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير...) وبالطبع كان ينزل الخليفة على حليفه في موطنه ليحتمي فيه، وكانت المصالح الخاصة هي الدافع لتلك الأحلاف، وتذكر كتب التاريخ والأدب أسماء لهذا التحالف^(٥)، ونتيجة لهذا كله يظهر أن المجتمع العربي لم يكن انطوائياً ولا منعزلاً، بل كان متغيراً كما متقلقاً تلقى تياراته متصلة – لدواعي ضرورات الحياة ومطالب العيش.

(١) الكتاب من ٣٦ - ٥٠ .

(٢) العقد الفريد : ٦/٦ - ١١١ .

(٣) بلوغ الأرب : الألوسي ١/٢٨٧ .

(٤) معجم ما استعجم : البكري ١/٥٣ .

(٥) بلوغ الأرب : الألوسي ٢/٢٨٩ ، الاشتقاد لابن دريد : ١١١ وستنداد .

وبع هذا أن القبائل كانت تتحرك كل ساعة وكل يوم فلا تلبث أن تستقر من أثر هجرة شاقنة حتى يناديها منادي الرحيل إلى مكان آخر ، قال البكري (لما ضاقت الديار بالعرب تفرقوا في الأرض طلباً للماء والكلأ)^(١) . وما أكثر ما تضيق بلادهم عنهم ، فيطلبون المتسيع ويتنافسون على الحال والمنازل ، ومن هنا نرى منازلهم تتداخل وتتعدد ، فالمكان الواحد تجد عدة قبائل تسكنه وتنزله ، والوادي تتقابل القبائل حوله فيستقرن جميعاً فيه^(٢) .

فإذا كان الأمر كذلك ، فأيها أجدى لدراسة اللهجات العربية ، أندرس كل لهجة متمثلين بأبعادها واتجاهاتها – طالت هذه الأبعاد أم تضاءلت سوءاً كانت هذه اللهجة لهجة قبيلة أو بطن أو فخذ مشهور أو مغور ، أم ندرس اللهجات العربية متصورين أن الجزيرة العربية كل ثابت ينقسم إلى قسمين غربي وشرقي ؟ ونتغاضى عن بقية القبائل المفورة الذكر ، وسنحول في الباب الآتي عرض آراء علماء العربية والمستشرقين في هذا الموضوع وموافقنا منه .

(١) معجم ما استجمم : ٥٣/١ البكري .

(٢) انظر : أمثلة لذلك في معجم ما استجمم للبكري : ٤٩٤/١ في معجم البلدان لياقوت : مادة : ضجن ١٥١٥ في معجم قبائل العرب كحالة ٣٩٧/٢ .

الباب الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

رأي المستشرقين وعلماء العربية في تقسيم اللهجات إلى الحجازية والتميمية

لقد رأى « فولز » Völler و سارو Sarauw^(١) إرجاع كل الفروق اللهجية إلى الخلاف بين الحجازية والتميمية ... كما رأى « رابن » أنه لا يعلم إلا قليلاً جداً عن سواها ، ولذلك لا يمكن من أخذ غيرها في الاعتبار ، فكأن دراسة اللهجات عندما تقوم على كلتا الكتلتين الشرقية والغربية مهملين ما عداها ، ولا يمكن أن أقرها على دراسة اللهجات عن طريق « الحجازية والتميمية » ، أو « الشرقية والغربية » لأسباب عده :

معارضة هذا التقسيم وأسباب ذلك :

- ١ - إن كلمة الشرق أو الغرب أو الحجاز وتميم - كلها أسماء مشوهة الحدود ، ووحدات ضخمة شاسعة ، فدراسة اللهجات على هذا النظام لا يرضي البحث الحديث .
- ٢ - أن الحجاز وتميم ، كلاماً من القبائل الضخمة ذات الفروع والبطون العديدة ، وكثيراً ما تجد لهجات هذه الفروع تختلف لهجات القبيلة الأم ، ثم إن بعض بطون هذه القبائل نفرت عنها وعاشت في أماكن عديدة - فدراسة اللهجات عن طريق تلك الوحدات الضخمة فيه خطورة ، وخروج على المنهج السليم .
- ٣ - إذا كنا سنوجه أنظارنا إلى الخلاف بين الكتلتين الحجازية والتميمية فقط فإن معنى هذا - أننا سننبع ما عداها من السمات اللهجية للقبائل المعمورة الذكر وستكون الدراسة اللهجية قاصرة ومحدودة ، ولا تمثل اللهجات في الجزيرة تثليلاً صحيحاً ، وتحت يسدي مصادر ترى الباحث أن اللهجات غير التميمية والجازية كثيرة جداً كثرة غامرة - فبترها يضيع نتائج حاسمة في دراسة اللهجات ، ويحررمنا من ثمرات بيئته لغوية ، نتيجة لإفلات كثيرة من

Rabin, Ancient, West Arabian. P. 1 London. (١)

كلام القبائل المعتد بها ، بعدهما ضاع كثيرون وذهب به أيام قال أبو عمرو بن العلاء « ما انتهى ^(١) إليك مما قالت العرب إلا أهلها ، ولو جاءكم وأفروا لجاءكم علم وشعر كثير » وقال ابن فارس « لغة العرب ^(٢) لم تنته إلينا بكليتها وإن الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير ، وإن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله » ، فإذا كان أكثر لغة العرب قد شردت وتأهت على الزمان بشهادة أئمة اللغة ، فلا معنى بأن تضييع الباللة الباقيه منها .

٤ - ان أخذ تميم والمحاذ في الاعتبار دون غيرها يضييع على الباحث لهجات المدن كمكة والمدينة والطائف ، ويضييع كذلك لهجات : العياز ، والبطون ، والأفخاذ والفصائل والأحياء « جمع حي ... » وهذا ما حدث فعلا ، فلم يتعرض *Vollers Sarauw* ولا غيرها ، لأنهم ساروا على خطة المستشرقين تماما - لم يتعرضوا للدراسة لهجات العربية عن طريق الوحدات الصغيرة ، بل كان شغفهم الشاغل تلك الوحدات الضخمة التي لا تعرف لها حدوداً مثل «الشرقية والغربية أو الحجازية أو التميمية » أو مثل اللهجات البارزة مثل طيء وهذيل ، أما ما عداها من اللهجات كحنظلة أو يربوع أو حنيفة ، أو عقيل ، أو غنى ، أو باهله ، أو سليم ، أو غطفان أو فزارة أو ثقيف إلى أكثر من مائة اسم - فقد أهملوا وتركوا كأن أهلهما لم يعيشوا على التربة العربية .

أسباب جغرافية تعارض منهج التقسيم :

ثم كيف تسنى للمستشرقين دراسة اللهجات على أساس الشرق والغرب ، وتقسيم الشرق والغرب في الجزيرة من الأمور الصعبة القاسية حتى على علماء الجغرافيا من العرب وليس أولى على ذلك من تداخل الحدود والمناطق مما جعل العلامة يضطربون في موقع البلدان وإليكم الدليل :

(أ) في مرآة الحرمن عندما تكلم مؤلفه * عن المدينة قال « وهي في صحراء مستوية ... مكشوفة من جهاتها الأربع » وقال مؤلف تقويم البلدان « المدينة النبوية ^(٣) من المحاذ ، وقيل من

(١) طبقات قحول الشعراء : ١٣ تحقيق شاكر .

(٢) الصاهي لайн فارس : ٣٤ ، وانظر : المزهر للسيوطى : ٦٦/١ ، ٤٧٣/٢ ، ٤٧٤ -

(٣) جغرافية شبه جزيرة العرب : كحالة ١٣٩ .

* المؤلف هو ابراهيم رفعت باشا ت ١٩٣٥ م

نجد » وقال عرام « حد الحجاز^{١١} من معدن النقرة الى المدينة»، فنصف المدينة حجازي ونصفها تهامي « أرأيت الى التخليلط ومیوحة التحدید؟

(ب) سبق أن تكلمت عن تحديد الحجاز ، وما سبق يظهر الاصرار و عدم الشبه^{١٢} .

(ج) كما سبق أن تكلمت عن إقليم نجد ، وأوردت تحديد علماء الجغرافيا من المسلمين له ، وفيه من التخليلط وعدم الضبط ما يكفي لاظطراب الحدود^{١٣} .

(د) في تقويم البلدان لأبي الفداء : أن اليامة من الحجاز ، وقيل من العروض وهو الأصح .

وفي صبح الأعشى : أن اليامة قطعة من جزيرة العرب والجاز^{١٤} ، وفي معجم البلدان ياقوت : « أن اليامة معدودة من نجد^{١٥} » أرأيت الى القلق الجغرافي ، والمیوحة في التحدید - إذا ثبت ذلك ، وقد ثبت فما معنی ذلك التحدید الجغرافي القاسي في دراسة الاهجات العربية الذي نادى به المستشرقون وأضرابهم . ولم تكن الفوضى في تحديد الأماكن فقط ، ولكن الفوضى بلغت أقصاها في احتكار القبائل ونزو لها مجتمعة حول بحاري المياه وفي مواطن الكلأ ، وقد حدثنا عن ذلك البكري وياقوت والمسعودي وغيرهم .

وعرفنا منهم أن « ربیعة » لما دارت الحرب بينها تفرق شیعاً في البلدان فبعضها نزل في ظواهر نجد ، وببعضها في الحجاز وأطراف تهامة « ولم تزل الحروب والواقع تتقلم من بلد الى بلد ، وتنتهي من أرض الى أرض^{١٦} » فبعضهم باليامة ، وآخرون بالبحرين ، وفرقة منهم الى أطراف سواد العراق^{١٧} .

ولما خرجت ربیعة من تهامة وتفرق شیعاً في الجزيرة حدث لضر ما حدث لربیعة ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ثم اقتتلوا وتفرقوا ونزلوا أماكن متعددة متهمين ومنجدين -

(١) كتاب أسماء جبال تهامة : عرام السلمي ص ٤٢ .

(٢) هذا الكتاب ص ٢٢ - ٢٦ .

(٣) هذا الكتاب ص ٢٨ - ٢٩ .

(٤) شبه جزيرة العرب : كحالة ٢١ .

(٥) معجم البلدان : ٥١٦/٨ .

(٦) معجم ما استعجم : ٨٥/١ .

(٧) المرجع السابق : ٨٦/١ .

شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، هذا أمرٌ في الجاهلية ، ولما جاء الإسلام ، وفي ضحاء رأينا أماكنهم تغير ، فالقبيلة التي كانت متهمة وجدناها في صبح الإسلام منبجدة^(١) ، وتمثال لنا شبه الجزيرة أشبه ما تكون بالموج المتداخل لا نامح له فاصلاً ، بل موج زاخر يفشاه موج .

فإذا كان الأمر كذلك من اضطراب تحديد الأماكن ، واضطراب نزول القبائل ، فما معنى فكررة التقسيم التي نادى بها المستشرقون جميعاً وما معنى عملية البتار الجغرافي في الجزيرة ، ألا يمكن أن يقع ذلك البتار على رأس قبيلة في قسمها نصفين ، فت تكون نصفاً مشرقة ونصفاً مغربية ، ثم بعد ذلك تكون الطامة الكبرى التي نفذها « رابين Rabin » مترسماً خطأ سابقيه وهي أن مثل هذه القبائل « مختلطة فهي غير شرقية وغير غربية وبالتالي — فلغتها منذ البداية وسط بين العربية الشرقية والערבية الغربية »^(٢) .

والحقيقة التي أراها أن تقسيمه للجزيرة وشطروه لها ، لما يسلم له وقابلته عقبات مثل قبائل « قيس » التي في وسط الجزيرة ، وثبتت أن بعض قبائلها وبطونها كانت تعيش في الحجاز ، وببعضها الآخر في نجد — راح يتخطى من جديد ويعلن أن هذه منطقة متوسطة « لا شرقية ولا غربية » ، ثم لا يزال يتخطى حتى يعلن « بأنه من المحتمل أن تكون لغتها منذ البداية وسطاً بين الغربية والشرقية » وكيف حكم على لغة المنطقة الوسطى منذ البداية مع أنه نفسه يعترف في صراحة^(٣) بأننا لا نستطيع بأي حال أن نعيد بناء مادة كاملة في لهجة من المهجات وكان مثل هذه المسائل الخطيرة عنده تثبت « بالاحتمال » ، « والظن » والظن لا يغفي من الحق شيئاً .

اهتمام القدماء بالكتلتين الشرقية والغربية دون غيرهما ، وأثر ذلك :

وما وقع فيه المستشرقون ، وقع فيه القدماء أنفسهم من أول سيبويه ، ونظرة واحدة إلى كتابه « الكتاب » ولا سيما شرح السيرافي تريث الكثرة الغامرة للمهجات الحجاز ونعم بينما باقي المهجات العربية الأخرى لا تزال منه اهتماماً ، ومن الرسم البياني في هذا الكتاب — لسان العرب ، وشرح المفصل لابن يعيش ، وخزانة البغدادي ، يتضح ذلك ، ومعنى هذا أن علماء العربية اقتدوا أثر سيبويه في إهماله العزو للمهجات البطوون المفورة .

(١) المرجع نفسه : ٩٠/١ .

(٢) رابين ٣ . P.

(٣) رابين ١٣ . P.

والحقيقة القاسية أن اهتمام اللغويين بالحجاز وتميم - ضياع علينا أكثر من نصف اللغة ، وما جاءنا من اللهجات العربية غير لغتي تميم والجهاز - أضاعوه وشردوه ، ثارة مهمل العزو ، وأخرى تحت الشذوذ ، وأحياناً باسم الندور أو «الندرة» . وطوراً بين المسموع الذي يسمع ولا يقاس عليه ! حتى جاءتنا بقية اللهجات العربية وليداً مشوه الحلقة مبتور اليدين والقدمين محروماً من النسب لأمه وأبيه ! ومصداق ذلك ما حكاه الصنفاني من أن في (هيئات)^(١) ستاً وثلاثين لغة ثم لا يعرو منها إلا صيغتين واحدة لتميم ، والأخرى للجهاز دون غيرها . والمسؤولية الكبيرة تقع على الرواة أحياناً ، وعلى جامعي اللغة حيناً آخر ، ذلك الجمجم المبتور الأشل ، لم يكن الخروج إلى البابا يه جمع اللغة ولهجاتها أمراً جاداً «ولا مقصوداً»^(٢) فيه إلى الجمع بعناء الذي يراد عندما يقصد استيعاب اللغة وجمع مادتها واستقراء أحواها - ولا يمكن جمع اللغة أن يتتحقق بفشل خرجات الأصبعي وما أفنى من قنینات مداده المعدودة » ثم أرى رابين معنى في تجاهله اللهجات الأخرى غير لهجات تميم واليمن والجهاز حيث يقول «وفيه عدا لهجات الجهاز^(٣) وتميم واليمن - فالمعلومات التي لدينا طفيفة جداً - تحملنا على أن نتجاهلها مؤمنين بأننا لا نعرف عنها شيئاً » .

والحق أنني عرفت عنها شيئاً كثيراً ، وتحت يدي احصائية أمينة لها . فإذا اضطراب الحدود ، وتدخل القبائل بعضها مع بعض في المرعى والماء ، « وعدم استقرارها في مكان واحد »^(٤) يجعلنا نميل إلى أن الحدود الجغرافية كما رأوها المستشرقون أمر لا سبيل إليه في الجزيرة العربية ، لأننا لا نستطيع أن نحدد جغرافية قبيلة واحدة ، إذ إنها في الصباح لها حدود ، وفي المساء لها حدود تختلف عن حدود الصباح ، لأن الحدود الحقيقة ترجع إلى اختلاف قوة القبيلة وقدرتها على عقد الأحلاف للاستعانة بغيرها لدفع الأذى عنها ، وإذا عجزنا عن تحديد قبيلة واحدة فكيف تقوم بتحديد جغرافي لهجي بين شرق الجزيرة وغربها .

ولكن (رابين) رأى دراسة اللهجات العربية في ضوء التقسيم الجغرافي : الشرقي والغربي ، أو الحجازي والتيممي (حيث عالج اللهجات الغربية - يقصد الجهازية - على أنها وحدة

(١) التصريح : ١٩٦/٢ - ٧ .

(٢) الاجتهاد في النحو العربي : أمين الحولي ، بحث قدم مؤتمر المستشرقين المنعقد بستانبول سبتمبر سنة ١٩٥١ خطوط .

(٣) رابين 16 . P.

(٤) تاريخ نجد : ٢١ الألوسي .

منفصلة تماماً^(١) و كان قبائل الجزيرة عنده كانت تعيش منعزلة منفصلة ملتزمة هذا التقسيم ، فلا يمكن لقبيلة غربية أن تسكن في حدود شرقية ، ولا تستطيع قبيلة شرقية أن تعيش على موارد المياه في أرض غربية ، هذه الانزعالية القاسية ما كانت تعرفها العرب ولا آمنت بها يوماً من أيامها ولا ساعة من ساعاتها .

أدلة لحجية تكشف عن مدى التشابه بين الكتلتين و تعارض منهج التقسيم : وبعد أن أقامت الدليل تاريخياً و اجتماعياً وجغرافياً على ما أردت ، أسوى أدلة لحجية تؤيد ذلك وتكشف عن :

- أولاً : تشابه بين الكتلتين الشرقية والغربية .
- ثانياً : اختلاف لجيبي بين قبائل الكتلة الشرقية .
- ثالثاً : اختلاف لجيبي بين قبائل الكتلة الغربية .
- رابعاً : خلافات لحجية في القبيلة الواحدة ، شرقية كانت أم غربية .

(١) دabin 2 . P.

أولاً : تشابه بين الكتلتين الشرقية والغربية

١ - في تخریج قوله تعالى : « إن هذان لساحران » وهي قراءة أبي جعفر وغيره - عرض أبو حیان لتجزیئ النحاة لها ، ثم قال : (والذي^(١) نختاره في تجزیئ هذه القراءة ، أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنی بالألف دائمًا وهي لغة لكتانة حکى ذلك أبو الخطاب ، ولبني الحارث بن كعب ، وخشم ، وزبید ، وأهل تلك الناحية حکى ذلك عن الكسانی ، ولبني العنبر وبني الهجیم ومراد وعدرة) . وأمّا السیوطی^(٢) : فقد نسب هذه الظاهرة إلى (كنانة ، وبني الحارث بن كعب ، وبني العنبر ، وبني الهجیم ، وبطون من ربیعة ، وبكر بن وائل ، وزبید ، وخشم ، وهمدان ، ومزادة ، وعدرة) .

كما نطق بها عدد من الشعراء - أذكر منهم المتمس^(٣) :

فأطرقَ إطرافَ الشجاعَ ولو يرى مساغاً لنبایته الشجاعَ لصُممَ

وأنشده بعض المتأخرین من النحویین « لنبایه » قال الأزھری : هكذا أنشد الغراء
- لنبایه - على اللغة القديمة لبعض العرب^(٤) .

وفي الأصمعیات : « لنبایه »^(٥) ، والمتمس هذا : ولد في أخواله من بني « يشكرا »^(٦)
وكانوا يسكنون اليامة .

ومن هذا العرض ، أرى ظاهرة إلزام المثنی الألف قد نسبت إلى « بني الحارث بن كعب ،

(١) البحر المحيط : ٢٥٥/٦ ، التهر المداد : ٢٥٠/٦ .

(٢) مع المقام للسیوطی : ٤٠/١ .

(٣) هو سعیر بن عبد المسیح من بني ضبیعة بن ربیعة بن نزار - ومسکث في أخواله « بني يشكرا » ويقال : إنه ولد فيهم - فنکث فيهم حتى کادوا يغلبون على نسبة .

(٤) الأصمعیات : ٢٨٧ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ، وشاکر : دار المعارف ٩٥٥ ، اللسان : ٢٣٩/١٥ .

(٥) الأصمعیات : ٢٨٧ .

(٦) معجم قبائل العرب : کحالة ١٢٦٥/٣ .

و^خشم ، وزيد ، ومراد ، وعدرة ، وكناة ، وهمدان ، ومزاده . وجميع هذه القبائل السابقة غربية ، يمنية . « فزيد »^(١) بطن من سعد العشيرة من القحطانية « و^خشم »^(٢) بطن من « أغار » من أراش من القحطانية . قال : « في العبر »^(٣) وببلاد خشم مع إخوتهم « من بحيلة » بسرورات اليمن والجaz إلى تبالة ، « وبنو عدرة »^(٤) بطن من قضاعة .

فالقبائل السابقة كلها من الجموعة الغربية ، ونسبهم إلى قحطان . ولكننا نجد أن قبائل من الشرق تشارك معهم في تملك الظاهرة . فقد عزيت الظاهرة إلى قبائل شرقية مثل « ربعة » ، وبكر بن وائل ، وبني العنبر^(٥) .

٢ - « جبرت » لغة بني تميم^(٦) ، وكثير من أهل الجاز يتكلم بها . وهذا اتفاق بين الشرق الذي تمثله تميم ، والغرب الذي يمثله الجاز .

٣ - قال كثير^(٧) :

إذا وصلتنا خلطة كي نزيلها
أبيئاً وقلنا الحاجبية أول
لها مهل لا يستطيع دراكه
سابقة ملتحب لا تحول^(٨)
وقال المغيرة بن حبناه^(٩) :
إني أمرؤ حنظلي حسين تنسبني
لا ملتعيتك ولا أخواي العوق^(١٠)

(١) نهاية الأرب : القلقشندي ٢٦٨ .

(٢) المرجع السابق : ٢٤٣ .

(٣) نهاية الأرب : ٢٤٣ .

(٤) المرجع السابق : ٣٥٩ .

(٥) دم من تميم : المرجع السابق ٦٨ .

(٦) المصباح المنير : ١٤١/١ .

(٧) هو من خزاعة وهي من الأزد . نهاية الأرب : ٢٤٤ .

(٨) الشعر والشعراء : ٢٠٢ تحقيق السقا .

(٩) من ربعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم : الشعر والشعراء : ١٥١ السقا .

(١٠) الشعر والشعراء : ١٥١ .

وقال أبو صخر المذلي :

كأنها ملائكة لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدها عصر^(١)
واستشهد صاحب التصريح يقول الشاعر ·
لقد ظفر الزوار أقفيه المدا بما جاوز الآمال ملائكة والقتل
فمحذفت النون على لغة زبيد وبني خشم من قبانل اليمن^(٢) .

فهذه الظاهرة اشتراك في بها اليمن مثلة في زبيد وخششم ، وشاركتها فيها تميم ، وشاعر من هذيل . فالمجموعة الغربية بها ملامح هجية تماماً كا في الشرقية .

٤ - «أفلطني» لغة في «أفلتني» - لغة تميمية قبيحة ، وقد استعمله ساعدة بن جويبة فقال :

بصدقَ بأسِي من خليل ثانية وأمضى إذا ما أفلطَتَ القائمَ اليدُ
أراد - أفلت - القائم اليد - فقلب^(٣) - فهذه لغة تميم وهي شرقية تكلم بها رجل من قبيلة غربية وهي هذيل ، ولا يمكن أن يكون قد استعملها لضرورة شعرية ، إذ الوزن لا يتتأثر بذلك .

٥ - اختارت تميم موافقة لغة الحجاز في قولهم «هذه حضار» بسبب الراء ، وذلك أن بني تميم يختارون الإمالة - وإذا ضموا الراء تقلت عليهم الإمالة ، وإذا كسروها خفت الإمالة أكثر من خفتها في غير الراء ، لأن الراء حرف مكرر والكسرة فيها مكررة كأنها كسر تان^(٤) ... ولأجل هذا « تركت تميم لفتها » ، ووافت لغة الحجاز في ذلك^(٥) .

وقال ابن سيده « قال أبو سعيد : أعلم أن بني تميم تركوا لغتهم في قولهم : هذه حضار وسفار ، وتبعوا اللغة أهل الحجاز بسبب الراء »^(٦) وفي النصوص السابقة نجد أن «تميم» تركت

(١) المجمع : ٢٠٨/١ ، الدرر الرواجع : ١٧٥ الشنقيطي ، وانظر : ديوان المذلين : ٤٠/١ .

(٢) التصريح على التوضيح : ٢٩/٢ .

(٣) اللسان : ٢٤٧/٩ ، ديوان المذلين : ٢٤٠/١ «بصدق بأس» .

(٤) كتاب السيرافي على سيبويه : ٤/٣٣٠ مخطوط بالليمورية ٥٢٨ نحو .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الفحسن : ٦٧/١٧ ، التصريح على التوضيح : ٢٢٥/٢ ، حاشية يسن : ٢٢٥/٢ .

لقتها وافتلت لغة الحجاز في لفتها ، فهذا إن دل فإنما يدل على الملامح القوية والاشتراك في السمات المهجية بين الشرق والغرب أو بين قيم والمجاز .

٦ - كما نجد أمثلة تتحقق فيها الحجاز المهزء - على غير لفتها ، لأن لفتها التخفيف قال سيبويه « وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز يتحققون : نبي وبريئة »^(١) مع أن الشائع أن الذي يهز هي قيم . وابن كثير وهو القاريء الملكي يتلزم تحقيق المهزء - مع أنه في بيته الحجاز التي تسهل ولكنه مال في قراءاته إلى تحقيق المهزء كتميم »^(٢) كما يرى ابن السكين أن تميمًا تقول في عظامه وعبادة وصلادة وسحابة - عظامية وعبادية وصلادية وسحابية^(٣) . فتميم هنا في الأمثلة السابقة لم تنطق بالهزء - والصفة التي اتصف بها هي المهزء^(٤) ولكنها لم تلتزم حدودها وطريقتها بالنسبة لظاهرة المهزء التي كان يجب عليها أن تتحققها ، والصفة التي اتصف بها اللغة الحجازية هي تسهيل المهزء^(٥) ولكنها لم تلتزم هذا التسهيل الذي كان يجب عليها أن تلتزمه ووجدناها تنطق بالهزء في مثل « نبي وبريئة »^(٦) ، والخاتمة والذرية » وهذا إن دل فإنما يدل على أن الفروق بين الكتلتين التمييزية والجازية لم تطرد في كل الكلمات ولا على جميع الألسنة في الكتلتين ، ويدل أيضاً على أن كلتا الكتلتين المتعارضتين كانتا تتوافق مع الكتلة الأخرى فالجازي الذي يسهل المهزء - نطقها بالتحقيق كتميم ، والتيممي الذي يتحققها - رأيناها يسهلها كالجازي .

٧ - وقرأ الحسن « وإن كان قميصه قد من دُبُرِي »^(٧) بسكون الباء ، وهي لغة الحجاز وأسد^(٨) . فانتفقت لغة الحجاز وهي غربية مع لغة أسد وهي شرقية .

٨ - يقرأ أبو عمرو بن العلاء والكسائي ومن يقنت^(٩) « يقنتون »^(١٠) « لا تقنطوا »^(١١)

(١) كتاب سيبويه : ١٧٠/٢ .

(٢) في المهجات العربية : ٦٦ ط ٢ .

(٣) لميدال ابن السكين : ٥٦ .

(٤) كتاب سيبويه : ١٦٩/٢ ، شرح شوادر شافية ابن الحاجب : ٢٣٥/٤ .

(٥) كتاب سيبويه ١٦٧ - ١٦٨ ، شرح الشافية : ٣١١ - ٣٠٩/٢ .

(٦) النهاية لابن الأثير : ١٢٠/٤ ، المخصص من : ١٥٣ - ١٥٢/١٧ .

(٧) سورة يوسف : آية ٢٦ .

(٨) المحاف فضلاء البشر : ٢٦٤ .

(٩) سورة الحجر : آية ٥٦ .

(١٠) سورة الروم : آية ٣٦ .

(١١) سورة الزمر : آية ٥٣ .

بكسر النون والباقيون بفتحها كعلم يعلم لغة فيه . والأول ، كضرب يضرب لغة أهل الحجاز وأسد وهي الأكثر^(١) .

فهنا اتحدت ظاهرة لهجية بين الحجاز التي تمثل الغرب وأسد التي هي من الشرق .

٩ - بلحارث^(٢) بن كعب وبعض ربيعة يحذفون نون اللدان واللثان في حالة الرفع؛ ويروى
بيت للأخطل وهو^(٣) :

(هما اللثنا لو ولدت تيم) أراد اللثان

فقبيلة بلحارث بن كعب وهي غربية يمنية تتفق في ظاهرة لهجية مع قبائل شرقية مماثلة في
ربيعة وتغلب .

١٠ - الوقف بالنقل^(٤) ظاهرة قيمية ، ووردت نصوص تشير إلى أن هذه الظاهرة أيضاً في
اليمن^(٥) . وتيم في الشرق واليمن في الغرب .

١١ - حذف الحركة أو اختلاسها في حالة الوصل - ظاهرة وجدت في أعراب عقيل
وكلاب^(٦) ، وقد أثبت أن الظاهرة نفسها وجدت في أزد الشراة^(٧) وعقيل وكلاب في الجانب
الشرقي ، وأزد الشراة في الجانب الغربي .

١٢ - نسب ابن خالويه قراءة قوله تعالى : « ما لكم من إله غيره »^(٨) بالنصب لتميم^(٩) بينما

(١) اتحاف فضلاء البشر : ٢٧٥ .

(٢) التصریح عل التوضیح : ١٣٢/١ ، خزانة الأدب ٥٠٣/٢ .

(٣) الأخطل تعلی : الشعر والشعراء : ١٨٩ تحقيق السقا .

(٤) انظر : الوقف بالنقل بالفصل الخامس من الباب الثالث من هذا الكتاب

(٥) كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : ١١٥ للشوان المجري ط بربيل .

(٦) انظر : الوقف بالحذف بالفصل الخامس من الباب الثالث من هذا الكتاب

(٧) البحر : ٢٢٦/٥ ، المحتسب : ٤٠١/١ تیمور .

(٨) سورة الأعراف : آية ٥٩ - ٦٥ .

(٩) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ، تحقيق برجشتراسر ٤٤ .

نسب الفراء هذه القراءة الى بعض بني أسد^(١) وقضاءاعة . وقد نقل رأي الفراء^(٢) صاحب التصريح أيضاً . كا نسبيها الجوهري الى شهل وقضاءاعة ، وبعض بني أسد ، عندما ذكر أن هذه القبائل تنصب (غير) إذا كان بمعنى (إلا) سواء تم الكلام قبله أم لا^(٣) . وشهل وقضاءاعة «قبائل قحطانية»^(٤) غربية كما أن تقيماً وبعض أسد قبائل شرقية .

١٣ - ان صاحب إتحاف البشر نسب قراءة «عليهم القتال» ، «يؤتيمهم الله» ، «وهم الأسباب» ، «وفي قلوبهم العجل» بضم الميم وكسر الهاء في ذلك كله «إلى لفحة بني أسد والحرمين»^(٥) ، والمقصود بلغة الحرمين مكة والمدينة وما من مدن الحجاز ، والظاهرة اللمجية السابقة قد اتحدثت في بني أسد وهي شرقية ، وبين أم القرى ويثرب وهما غربيتان .

١٤ - يرى صاحب التصريح أن أهل الحجاز تعمل «ما» بشروط ، وثيمات^(٦) تهملها ، وعلى ذلك سار جميع النحاة^(٧) . لكن يقف في سبيل ذلك ما جاء عن الفرزدق :

(فما أسد من قيس عيلان^(٨) فاخر) ...

وقوله أيضاً : (فما المرء منفوعاً^(٩) بتجريب واعظ) ...

والفرزدق تيمي شرقي – وكان عليه أن يتلزم الرفع ، ولو نطقها (فاخر ، منفوع) لأمكن ذلك من غير مساس بالوزن الشعري – ولعل السبب في اتجاهه هذا أن الظاهرة اللمجية قد شتركت فيها قبائل من الجزء الشرقي موافقة الجزء الغربي وما يؤكد هذا إشارة خافتة أوردها ابن هشام حيث يرى أن «ما» أعملها الحجازيون والتهاميون والتاجدوون عمل ليس^(١٠) .

(١) معاني القرآن : ٣٨٢ / ١ - ٣٨٣ الفراء : تحقيق الشيخ محمد النجار .

(٢) التصريح على التوضيح : ٣٦١ / ١ .

(٣) المصباح المنير : ٧٠٤ / ٤ .

(٤) نهاية الأربع : ٤٠٠ ، معجم كحالات : ٦١٨ / ٢ .

(٥) إتحاف فضلاء البشر : ١٢٤ .

(٦) شرح التصريح : ١٩٦ / ١ .

(٧) الكتاب : ٢٨ / ١ .

(٨) دلابين : ١٧٥ .

(٩) شرح ديوان الفرزدق : ٥٢ / ١ ، تحقيق الصاوي .

(١٠) مفتى الليبب : ٦ / ٢ .

فأضاف ابن هشام إلى الحجاز - نجداً - في إسالها ، وابن هشام حجة ، وتكتفينا فيه شهادة ابن خلدون حيث يقول عنه « ما زلنا ونحن بالغرب نسمع أنه ظهر بصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام - أخى من سينويه »^(١) .

فكأن نجداً - وهي شرقية قد اشتراك مع القبائل الغربية في الظاهرة . وما يؤكدهرأي ابن هشام هذا - أن بعض قبائل حجازية كانت تسكن نجداً ، وبعض قبائل نجدية كانت تسكن الحجاز ، مما يؤكد التداخل بين القبائل ، ومن العسير إقامة فصل جغرافي يترتب عليه فصل هجي بين الشرق والغرب ، مما يؤكدها أن عمر ابن أبي ربيعة نطق خبر (ما) مرفوعاً في قوله :

ما روضةٌ جَادَ الرَّبِيعَ لَهَا مُولِيَّةٌ^(٢) ما حَوْلَهَا جَدِيبٌ^(٣)
وَكُنَّا نَنْتَظِرُ مِنْهُ أَنْ يَنْصُبَ خَبْرَهَا ، لَأَنَّهُ حَجَازِيٌّ .

١٥ - ويقول عمرو بن قبيطة^(٤) :

فِيَنِي عَلَى طَيْرٍ سَنِيعٍ نَحْوَهُ وَأَشَامٌ طَيْرُ الزَّاجِرِينَ سَنِيعُهَا^(٥)
والمعروف أن العرب تختلف في العيافة . فمنهم من يتيم بالسانح ، ويتشارم بالبارح وهم أهل نجد ، ومنهم من يخالف ذلك وهم أهل الحجاز ، ولذلك نرى النافية - وهو نجدي - يتشارم بالبارح في قوله :

زَعْمَ الْبَوَارِحِ أَنْ رَحْلَتَنَا غَدَأْ وَبِذَاكَ تَعَابُ الْفَرَابِ الْأَسْوَدِ
وقال كثير - وهو حجازي من يتشارم بالسانح :
أَقُولُ إِذَا مَا طَيَّرَ مَرْتَ نَخِيفَةَ سَوَانِحَهَا تَجْرِي وَلَا أَسْتَثِيرُهَا^(٦)

(١) قطر الندى وبل الصدى : المقدمة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ .

(٢) مولية - بمطرة بفتح الراء

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٣٠ ط بيروت .

(٤) وهو من قيس بن ثعلبة من بني سعد بن مالك : الشعر والشعراء ٣٣٦/١ شاكر .

(٥) اللسان : مادة « سنج » ٣٢٠/٣ ، الشعر والشعراء : ٣٣٧/١ تحقيق شاكر .

(٦) اللسان : ٣٢٠/٣ .

والإشكال هنا في قول عمر بن قبيطة ذلك النجدي الذي كان يجب عليه أن يتيم بالسائح تبعاً للهجة قومه ، ولكننه تكلم بما يتتكلم به أهل الحجاز فتشائم بالسائح ، فهذا إن دل فإنما يدل على أن الحدود بين الشرق والغرب قد انهارت وخف الخلاف بينها حتى أصبحنا - ولا ضير - أن نسمع بجدياً كهذا الاعراض يهد نفسه طليقاً فيتكلم بما تكلم به أهل الحجاز ، وأعتقد أنه لو سار على هجة قومه لما أعياه ذلك ولما حدث للبيت أي تشويه عروضي وإلا فأي تشويه يحدث لو قال :

(وأمين طير الزاجرين سنصحها)

أو (وأحسن) على هجة قومه ، ولكنها العادات والتقاليد قد اختلطت وتوحدت بين الشرق والغرب ، وما اللغة إلا واحدة من هذه العادات ، وتلك التقاليد .

١٦ - طالعنا كتب اللغة والنحو أن أصحاب الإمالة هم تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد ، كما طالعنا السيوطي^(١) بذلك ، وابن يعيش^(٢) (٥٦٤٣) ، وأبو شامة الدمشقي (٥٦٦٥) يقول « الإمالة والفتح لفتان مشهورتان فاشيتان على السنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد »^(٣) كما يقول مثل ذلك ابن الجوزي^(٤) - ونتيجة هذه النصوص أن القسم الشرقي من الجزيرة يميل مثلاً في تميم وقيس وأسد ، وأن القسم الغربي يفتح مثلاً في الحجاز .

ولكن وجدنا حديثاً يغاير ما تقدم إذ قدم عزا السيوطي بعض الإمالة للحجاز^(٥) كما ثبت بالساع أن أهل الحجاز يميلون^(٦) الألف للكسرة .

ويقول ابن الأنباري (٥٧٧) « والإمالة تختص^(٧) بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بني

(١) مع المرامع للسيوطى : ٢٠٤/٢ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش : ٥٤/٩ .

(٣) إبراز الماني : لأبي شامة : ١٥٢ .

(٤) النشر : ٣٠/٢ مطبعة مصطفى محمد .

(٥) مع المرامع : ٢٠٠/٢ .

(٦) المرجع السابق : ٢٠١/٢ .

(٧) أسرار العربية : ٤٠٦ ابن الأنباري ط دمشق .

ثيم . ويطالعنا سيبويه في عدة أماكن من كتابه بنسبة بعض أحوال الإملة إلى الحجاز^(١) . ويظهر - والله أعلم - أن القضية المعروفة وهي نسبة الفتح للحجاز - لم تكن صحيحة تماماً، بل كان بعض الحجاز يميل - مثل ما كانت تميل ثيم . كما ثبت أن الميلين في شرق الجزيرة قد يفتحون^(٢) ، وهذا معنى قول سيبويه « أعلم أنه ليس كل من أمال الألف وافق غيره من العرب من يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه »، فينسب بعض ما يميل صاحبه ويميل بعض ما ينسب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لفته ، لا يوافق غيره من ينسب رل肯 أمره وأمر صاحبه كأمر الأول في الكسر ، فإذا رأيت عربياً كذلك فلا ترينـه خلط في لفته ، ولكن هذا من أمرهم^(٣) . كما حكى صاحب الفنية عن أبي بكر بن مقسم « أن بعض أهل نجد ، وأكثر أهل اليمن يميلون ألف « حق » ، لأن الإملة غالبة على ألسنتهم في أكثر الكلام »^(٤) . وفي هذا النص أجده ملائمـ بين اليمن ونجد ، والأولى غربية ، والثانية شرقية .

(١) الكتاب : ٢٦١/٢ .

(٢) انظر (الإملة) في الفصل الثاني من الباب الثالث من هذا الكتاب

(٣) شرح السيرافي : ٣٤١/٥ تيمور .

(٤) مع المراجع : ٢٠٤/٢ .

ثانياً : اختلاف لهجى بين قبائل الكتلة الشرقية

(أ) بين تميم ، وأسد ، وقيس :

١ -قرأ ابن كثير وغيره « وآخرون مرجئون لأمر الله »^{١١} بالهمز ، و « ترجى ، من تشاء »^{١٢} وهي لغة تميم ، والباقيون بغير همز لغة قيس وأسد^{١٣} . وكان المسلحون في (ترجى) راعوا تحريف المهمزة فيهم المكان « تقوى » إذا الآية « ترجى من تشاء منها وتقوى » وفي قوله تعالى « قالوا أرجوه وأخاه »^{١٤} وأرسل في المداشر حاشرين « قوله تعالى « ترجى من تشاء »^{١٥} قال الطبرى في تفسيره « الهمز من كلام بعض قيس ، وترك الهمز من لغة تميم وأسد »^{١٦} . فعلى نص صاحب « إتحاف البشر » يوحى بأن تميماً في جانب ، وقيساً وأسدًا في جانب آخر . وعلى نص الطبرى نرى قيساً في جانب وتميماً وأسدًا في جانب آخر .

(ب) بين تميم وقيس :

١ - قال أبو زيد : تميم تقول : سماه البيت ، وقيس تقول : بني سماوة البيت^{١٧} .
٢ - تقول قيس : الضبع - بضم الباء ، وبكسرها في لغة تميم^{١٨} .
٣ - لغة بني تميم يقولون : الرفة - بضم الراء والجمع رفاق - وبكسرها في لغة قيس ، والجمع : رفق^{١٩} . فالخلاف قائم بين تميم وقيس - في نفس الكلمة أولاثم في جمعها ثانياً .

(١) سورة التوبه : ١٠٦ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٥١ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر : ٥٩ .

(٤) سورة الأعراف : آية ١١١ .

(٥) سورة الأحزاب : آية ٥١ .

(٦) تفسير الطبرى : ٢١/١٢ تحقيق شاكر .

(٧) نوادر أبي زيد : كتاب مسائية : ٢٥٣ .

(٨) المصباح المنير : ٥٤٥/٢ ، الحزانة : ٣٦٩/٢ .

(٩) المصباح المنير : ٣٥٩/١ .

- ٤ - يقولون في لغة قيس : الصرع ، وتميم تقول : الصرع^(١) . قيس بالكسر ، وتميم بالفتح .
- ٥ - قيس تقول : ناقة عجلزة ، وتميم تقول : عجلزة^(٢) . قيس بكسر الحرف الأول ، وتميم بفتحه .
- ٦ - تقول تميم : المفزل والمصحف والمطرق . بكسر الحرف الأول ، وقيس تقول : المفزل والمطرق والمصحف^(٣) - بالضم .
- ٧ - الأضحا : يؤونث في لغة تميم ، ويذكر في لغة قيس^(٤) .
- ٨ - في قوله تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح^(٥) لهما » قرأ الأشہب العقيلي - فاجنح - بضم التون - وهي لغة قيس - والجمهور بفتحها - وهي لغة تميم^(٦) .
- ٩ - يقال لصق به يلتصق لصوقة - وهي لغة تميم^(٧) وقيس تقول : لسق - بالسين^(٨) .
- ١٠ - ما نقل عن أبي زيد من أن السدفة - في لغة تميم - الظلمة ، وفي لغة قيس الضوء^(٩) . وما نقل عن أبي عبيد من أن : السدفة - في لغة تميم - الضوء وفي لغة قيس : الظلمة^(١٠) . كما نقل صاحب اللسان عن أبي زيد من أن السدفة في لغة بني تميم - الظلمة ، وعنده قيس : الضوء^(١١) . كما نقل السيوطي مثل ذلك عن أبي عبيد القاسم في الغريب المصنف في باب الأضداد^(١٢) .

- (١) إصلاح المنطق: ٣١ ، المخصص: ٧٤/١٥ ، الغريب المصنف: ٢٢/٢٣ خطوط بدار الكتب رقم ١٢١ .
- (٢) إصلاح المنطق: ١٠٣ - ١٢٢ ، المخصص: ٨٤/١٥ ، اللسان: ٧/٢٤٠ .
- (٣) إصلاح المنطق: ١٢٠ ، المخصص: ٦٨/٤ ، اللسان: ٤/٢٠٤ .
- (٤) كتاب التذكرة والتائير للسجستاني: ص ٦ رقم ٢٦٤ لغة تميم .
- (٥) سورة الأنفال: آية ٦١ .
- (٦) البحر: ٤/١٤٥ ، شواذ القرآن: ابن خالويه: ٠٠ ، المحتسب: ابن جنى خطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير: ١/٣٥٠ .
- (٧) اللسان: ١٢/٥٢٠ .
- (٨) الأضداد للأصمي: ٣٥ تحقيق هنر ، الأضداد لابن السكريت: ١٨٩ هنر .
- (٩) المخصص: ابن سيده سفر ١/٤٩ .
- (١٠) اللسان: ١١/٤٦ وما بعدها .
- (١١) المزهر للسيوطى: ١/٣٩٠ - ٤٠١ .

- ١١ - ما نقل عن أبي زيد في الفريب المصنف من أن الافت - في كلام قيس الأحمق ، وفي كلام تميم : الأعسر^(١) .
- ١٢ - ما روي عن اللحياني من أن : تميماً تقول - خلا فلان على اللبن وعلى اللحم - إذا لم يأكل منه شيئاً ، ولا خلطه به . وقيس تقول : أخلي فلان على اللبن واللحم^(٢) .
- ١٣ - بعض قيس يقولون : وجع ياجع بينما تقول تميم : وجع يبجع^(٣) .

فهذه خلافات في الصيغ ، وفي دلالة الكلمات ، وفي الجموع بين تميم وقيس والمعلوم أن تميماً من القبائل الشرقية ، وأغلب عشائر وبطون قيس تقع كذلك في المنطقة الشرقية ، ومع ذلك فقد رأينا الخلاف الشاسع بينها مما يبرهن على أن التقسيم إلى شرقي وغربي لا يستقيم .

(ج) بين أسد وتميم :

- ١ - في حديث أنس « كان لا يقطع التذنب من البسر » والتذنب : الربط واحدته تذنوبية . وروي عن الفراء أنه يقول : جاءنا بتذنوب - بالضم - ونسبها لبني أسد ، والتميمي يقول : تذنوب^(٤) - بالفتح .
- ٢ - كما حدث خلاف في صيغة النداء « يافل » بين بني أسد ، وتميم ، فالجوهري يذكر أن بني أسد يوقعونها على الواحد والاثنين والجيمع والمؤنث - بلفظ واحد^(٥) . وقال ابن بزرج^(٦) : بعض بني أسد يقولون : يافل أقبل ، ويافل أقبلوا ، ويافل أقبلوا ، وقالوا للمرأة فيمن قال: يافل أقبل ، يا فلان أقبل . وبعض بني تميم يقول : يا فلانة أقبل ، وبعضهم يقول : يا فلانة أقبل^(٧) .
- ٣ - نسب في اللسان إلى تميم أنهم يقولون « البُلُولة » من بِلَّة الثرى . كما نسب إلى أسد أنهم^٨ يقول : البَلَّة^(٩) .

(١) المزهر : ٣٨١/١ .

(٢) اللسان : ٢٦١/١٨ .

(٣) ليس في كلام العرب : ١٥ تحقيق الشنطيقي ، خزانة الأدب : ٢٢٥/١ .

(٤) لسان العرب : ٣٧٦/١ .

(٥) اللسان : ٤٩/١٤ .

(٦) المرجع السابق : ٢٠٢/١٧ .

(٧) نفس المرجع : ٧٠/١٣ .

فالمخلاف واضح بين قبيلتين شرقيتين : أسد وتميم ، فالكتلة الشرقية بينها اختلاف في اللهجة لا يقل عن الاختلاف بين المحجازيين والتميميين .

٤ - قال أبو عمرو « الدمدم »^(١) الصليان الجبل في لغة أسد ، وهو بلغة تميم الدندن . فاسد وتميم كلاهما من الجموعة الشرقية ، وعلى الرغم من هذا وقع الخلاف بينها في الصيغتين بالمعنى عند أسد ، وبالنون عند تميم .

٥ - عزا أبو حيان في قوله تعالى « وليملأ الذي^(٢) عليه الحق » أن « أمل ، وأملن - لفتان - الأولى لأهل المحجاز وبني أسد ، والثانية^(٣) لتميم » .

(د) بين تميم وبكر :

وسأل أبو عدنان أبا عبيدة عن الماء العد - فقال له : الماء العد بلغة تميم - الحشيش ، قال : وهو بلغة بكر بن وائل : الماء القليل^(٤) ، وكل القبيلتين من الشرق .

(ه) بين نجد وأسد :

وصاحب الإتحاف يحذّرنا أن حفصاً وجزة والكساني وأبا جعفر وخلفاً يقررون « حسج البيت »^(٥) بكسر الحاء في لغة نجد ، وبعض القراء بالفتح لغة أهل العالية والمحجاز وأسد^(٦) . فالمخلاف غربية ولكنها وافتلت لغة أسد ، وهي من القسم الشرقي . بينما نرى منطقة نجد وهي شرقية تختلف مع شقيقتها أسد وهي تسكن المنطقة النجدية .

(١) الابدا لابن السكikt : ٢٢ ، اللسان : ٩٩/١٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٨٢ .

(٣) البحر المحيط : ٣٢/٢ .

(٤) اللسان : ٤/٢٧٦ ، المصباح المنير : ٦٠٥/٢ .

(٥) سورة آل عمران : آية ٩٧ .

(٦) إتحاف فضلاء البشر : ١٢٨ .

ثالثاً : اختلاف هجبي بين قبائل الكتلة الغربية

١ - حدثتنا كتب العربية أن المأول في الفصحي أن يفتح حرف المضارعة فتقول « تعلم » ، « نضرب » الخ ... وحدثتنا كذلك أن كسر حرف المضارعة من خصائص لغات المنطقة الشرقية ، وأما المنطقة الغربية ففتح حروف المضارعة فتقول « تعلم » ، بدليل ما رواه أبو حيyan حيث نسب (نستعين)^{١١} ، بالفتح إلى لغة الحجاز .

ودليلنا على ذلك ما رواه سيبويه في قوله « هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماه كـ كسرت ثاني الحرف حين قلت : فعل - وذلك في لغة جمـيع العرب سوى أهل الحجاز »^{١٢} ونقل مثل هذا الكلام صاحب شرح الشافية^{١٣} . ونسب ابن جنـى كسر حرف المضارعة ما ثانـى ماضـيه مـكسـور - إلى تمـيم^{١٤} . وعـزا السـيرـافـي فـتحـ حـرـفـ المـضـارـعـةـ إلـىـ الحـجازـ^{١٥} . ومـفـهـومـ هـذـهـ النـصـوصـ جـمـيعـاـ أـنـ فـتحـ حـرـفـ المـضـارـعـةـ مـنـ عـادـاتـ الـمنـطـقـةـ الـغـرـبـيـةـ مـثـلـةـ فـيـ الـحـجازـ ، وـأـنـ الـمنـطـقـةـ الـشـرـقـيـةـ مـثـلـةـ فـيـ تـمـيمـ تـؤـديـ عـلـيـةـ كـسـرـ حـرـفـ المـضـارـعـةـ فـإـذـاـ سـمعـنـاـ مـنـ عـمـرـ بـنـ أـبـيـ رـبـعـةـ قـوـلـهـ :

ما أقلـيـ كـأـنـهـ لـيـسـ مـنـ وـعـظـامـيـ أـخـالـ فـيـهـ فـتـتـرـاـ^{١٦}

لم نتعجب لأنـهـ حـجازـيـ ، وـالـحـجازـيـ يـفـتحـ ، فـعـلـيـ ذـلـكـ قـالـ (أـخـالـ) . وـإـنـاـ العـجـبـ يـأـخـذـنـاـ عـنـدـمـاـ نـرـىـ الـمـرـزـوقـ يـنـسـبـ الـكـسـرـ (إـخـالـ)^{١٧} إـلـىـ هـذـيـلـ ، وـكـذـلـكـ نـسـبـ الـطـوـسـيـ الـكـسـرـ فـيـ قـوـلـهـ (نـسـتـعـينـ)^{١٨} . كـاـذـكـ الـخـلـيلـ أـنـ لـغـةـ هـذـيـلـ فـيـ (تـعـرـجـ وـتـعـكـفـ)^{١٩} - تـعـرـجـ

(١) البحر العبيط : ٢٣/١ - ٢٤ .

(٢) الكتاب : ٢٥٦/٢ .

(٣) شافية ابن الحاجب : ١٤١/١ .

(٤) المحتسب : ١١/١ : خطوط بالティمورية .

(٥) شرح السيرافي على سيبويه : ١٦/٥ + خطوط بالتيمورية .

(٦) حامة المرزوقي : ١٨٤٥/٢ تحقيق عبد السلام هارون .

(٧) المرجع السابق .

(٨) البحر العبيط : ٢٣/١ - ٢٤ .

وتعكف لأنهم مولعون بالكسر^(١) وفي مكان آخر رسب المزروقي الكسر « إِخَالٌ »^(٢) إلى طيء ، وكذلك « نسبها التبريري في شرحه^(٣) على الحمامة » وعلوه أن « هذيلًا » من القبائل الغربية التي كان يجب أن تنطق بالفتح فتقول « أَخَالٌ » ولكن ماذا نصنع وقد عزى الكسر إليها ؟

وقبل أن يتركك العجب ترى رواية أخرى يسوقها إليك البغدادي ، وذلك حيث ينسب « أَخَالٌ » بالفتح لأسد^(٤) - وعلى هذه الرواية تكون « أَسَدٌ » وهي من القبائل الشرقية التي تكسر كتميم - قد اتخذت لها طريقاً آخر مما يجعل نظام التقسيم الجغرافي يحيطه المشكلات من كل جانب ، فكأن المجموعة الشرقية ذاتها انقسمت على نفسها ، كما انقسمت المجموعة الغربية على نفسها أيضاً .

٢ - في قوله تعالى « حتى إذا ساوي بين الصدفين »^(٥) يرى صاحب الإنحاف « أن الصدفين - بضمتين - لغة قريش ، والصدفين « بفتحتين » لغة الحجاز »^(٦) ومن المعروف أن قبيلة قريش - حجازية ، ومع ذلك لم ينفعها هذا من أن تختلف مع سمة لهجية منسوبة للحجاز ، فقبيلة حجازية قد اختلفت لهجياً مع لغة الحجاز .

(١) كتاب العين للحليل : ١٣١ طبع بغداد .

(٢) شرح الحمامة للمزروقي : ٢٨/١ .

(٣) شرح الحمامة للتبريري : ١/٢٤٢ تحقيق محيي الدين .

(٤) خزانة الأدب للبغدادي : ٤/١١ .

(٥) سورة الكهف : آية ٩٦ .

(٦) إنحاف فضلاء البشر : ٢٩٥ .

رابعاً : خلافات لهجية في القبيلة الواحدة

- ١ - قال أبو زيد - لاق الشيء : كتبه في لغة عقيل - وسائل قيس يقولون : لغة - حماه^{١١} .
ومنه قول بعض العرب - لقه بعد ما نقه - أي حماه بعد كتبه .
وقد ذكرت كتب الأنساب أن « عَقِيلًا - من قيس »^{١٢} ، ومع ذلك اختلفت قيس
القبيلة الأم مع بطن من بطونها .
- ٢ - يسوق السيرافي نصاً مضمونه « أن قوماً من ربيعة يقولون^{١٣} - منهم في منهم » ويمثل
سيبوه لذلـك فيقول « أتبعوها الكسرة ولم يكن المسكن حاجزاً حصيناً عندم »^{١٤} .
ويستفاد من هذا النص أن بعض ربيعة اختلفت على بعضها الآخر ، فمنهم من كسر ومنهم
من ضم .
- ٣ - يرى السيرافي أن ناساً^{١٥} من بكر بن وائل يكسرون السكاف من نحو « منكم وأحلامكم »
فبعضهم ضم وبعضهم كسر ، بدليل أن الظاهرة في (ناس) منهم .
- ٤ - وحکى أبو محمد البطليوسی في كتاب الفرق أن بني ضبة يقولون : فاظت نفسه بالضاء ،
وفي الغريب المصنف : أن ناساً من بني تميم يقولون : فاضت نفسه^{١٦} وتشير كتب الجغرافيا
والأنساب أن منازل ضبة « كانت في جوار بني تميم^{١٧} إخوتهم » فهم إخوتهم في النسب ،
وجيرانهم في عالم الجغرافيا - ومع هذا فكل قبيلة اتخذت لها بجرى لهجيـاً يخالف القبيلة
الأخرى .

(١) لسان العرب : ٢٠٨/١٢ .

(٢) معجم قبائل العرب : ٨٠١/٢ كحالة .

(٣) شرح السيرافي : ٦٢/٥ : عطوط بالتيمورية .

(٤) الكتاب : ٢٩٤/٢ .

(٥) شرح السيرافي : ٦٣/٥ : عطوط بالتيمورية ، الكتاب : ٢٩٤/٢ .

(٦) المزهو للسيرطي : ٥٦١/١ - ٥٦٢ .

(٧) معجم قبائل العرب : ٦٦١/٢ كحالة .

٥ - وسائل ابن السكikt أعرابيين فصيحين من بني كلاب عن (انفحة الجدي) فقال أحد هما لا أقول إلا انفحة ، وقال الآخر : لا أقول إلا منفحة ، ثم افترقا على أن يسأل عنها أشياخ بني كلاب فافتقت جماعة على قول ذا ، وجماعة على قول ذا^(١) .

٦ - تحدثنا كتب اللغة أن الفصحى تجمع «نافة» على «أينق» بينما طيب، تقول في جمعها «أونق» وذلك كما جاء عن ابن السكikt^(٢) ، وابن يعيش^(٣) ، وهذا معناه أنهم يفضلون حركة (أو) . وما يؤيد ذلك أن طيباً نفسها تقول في (حيث)^(٤) «حوث» أي بتفضيل حركة (أو) كما سبق ، ولكن على الرغم من ذلك وجدناهم يفضلون حركة (أي) على (أو) فيقولون : «محيت»^(٥) بدلاً من «محوت» كما أنهم قالوا «المياشق» في «المواشق» في قول عيساً بن أم درة الطائي :

(ولا نسأل الأقوام عهد المياشق)^(٦)

كما روى ذلك أحمد بن يحيى ثعلب مع تغيير «عهد» به «عقد» .

فالقبيلة الواحدة خللت بين الحركتين (أو) و (أي) ، مما يدل على أن اللغة إنسانية طيبة لا تخضع لهذا البتر الجغرافي .

تعليق :

ظهر من هذا العرض الموجز أن دراسة اللهجات العربية على أساس الكتلة الغربية والكتلة الشرقية لا يحل مشكلات اللهجات ، وأنه من الصعب ادعاء أن الكتلة الحجازية في جانب والكتلة التيممية في جانب آخر ، وأن كل كتلة منها شرقية أو غربية يمكن أن تعالج كل واحدة منها على أنها وحدة منفصلة تماماً ، وأفت في تقدير أدلة دامغة - تاريخية واجتماعية وجغرافية ، وأخيراً أدلة لهجية وكلها تعارض منهج المستشرقين في التقسيم ، كما بينت أن الجانب الغربي مؤثر في الجانب الشرقي ومتاثر به أيضاً وهذا فلا أستطيع فهم قول المستشرق Rabin عندما أراد

(١) لسان العرب : ٤٦٤/٣ ، إصلاح المنطق : ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) إصلاح المنطق : ابن السكikt : ١٤٤ دار المعرفة .

(٣) شرح المفصل : ١٢٩/٨ .

(٤) مجالس ثعلب : ٦٣٤/٢ ، المتنى : ١١٦/١ .

(٥) اللسان : ١٣٩/١٠ .

(٦) شرح الشافية : للرضي : ٢١٠/١ ، نوادر اللغة : لأبي زيد : ٦٤ - ٦٥ .

أن يتحدث عن اللهجات العربية « بأنها وحدة منفصلة تماماً »^(١) والذي أوقفه في ذلك هو التقسيم الجغرافي الشرقي والغربي ، وأرى أن هذا التقسيم لم يسع من وجود صلات لغوية قوية ربطت بين هذه اللغات في شقي الجزيرة في الزمن الأقدم ، كالذي حدث بين مجموعة اللغات الأكادية وبين اللغات العربية الجنوبيّة القديمة كالمعينية والحضرمية والقتبانية والأوسانية^(٢) ، كما ثبت أيضاً من الدراسات اللغوية المقارنة وجود ملامح مشابهة شديدة بين القسمين الشرقي والغربي متمثلة في اللغات الكنعانية والبابلية^(٣) وهذا التشابه لم يأت عفواً ، ولكنّه يشير إلى ماض مشترك ، وإلى مراحل تاريخية واحدة .

وأثبتنا كذلك أن هذا التقسيم لم يكن محدداً ثابتاً ، بل اختلف علماء الجغرافيا من المسلمين في بيان هذه الحدود كما أسلفنا القول في ذلك فجعل دراسة اللهجات العربية في ضوء هذا التقسيم قلقة مبهمة ، والحق أن الجزيرة لم تعيش منعزلة ملتزمة هذا التقسيم ، بل كانت القبائل في تنقل دائم ، وهذه الانهزامية القاسية ما كانت لتعرفها العرب .

وإنني لا أنكر أثر الفاصل الجغرافي بين القسم الشرقي والغربي ، ولكنني أعتقد كذلك أن العامل الجغرافي ليس كل شيء – بل هناك عوامل أخرى متباينة يأخذ بعضها برقاب بعض – يجب أن تكون محل الاعتبار الأول في الدراسات اللهجية ، كالعامل الإنساني والإجتماعي والتاريخي ، إذما أن الإنسان الذي كان يعيش في الشرق وفي الغرب من الجزيرة العربية هو إنسان واحد – وهو الإنسان العربي ، ويقول : Jespersen « ليس المهم في اختلاف اللهجات هو الفاصل الطبيعي الجغرافي »^(٤) . وعلى فرض أن العامل الجغرافي له أثره الكبير ، فيجب ألا ننسى أن الكتلة الشرقية الممثلة لنجد كانت تختلف اختلافاً عظيماً في ذات نفسها من حيث تكوين التربة وطبيعة التكوين الجغرافي والجيولوجي ويجب ألا ننسى الاختلاط في السكنى وموارد المياه والأسواق مما كان له الأثر الفعال في تآكل خشونة الاختلاف اللهجي بين الكتلة الشرقية وأختها الغربية ولقد قيل « إن إنشاء سوق سنوية في جبال روكيز » كان من نتائجه

(١) دارين : ٢ . P.

(٢) محاضرات الدكتور خليل نامي في كلية الآداب .

(٣) تاريخ اللغات السامية : ١٥٠ ولفسون .

(٤) اللغة بين المعيارية والوصفيّة : ص ١٨٦ الدكتور قام حسان .

أن أصبحت القبائل الهندية الماء من شرق هذه الجبال ومن غيرها يفهم بعضها بعضاً بعد أن كانت لا تستطيع التفاهم بسبب اختلاف لهجاتها اختلافاً كبيراً »^(١) .

ولهذا آثرت أن أدرس لهجات القبائل - لا عن طريق هذه الوحدات القبلية المنعزلة عن بعضها كلهجة المحاجز وهذيل، وقيس وفصل كل لهجة عن الأخرى في الدرس والبحث ، بدل درستها على مستوى الظواهر اللفيجية ، تلك التي تجمع بين قبائل عدة مما داموا يشترون في الظاهرة ، وهذا منهج يؤمن بالأخذ والعطاء والتأثير والتآثر بين القبائل أولاً ، ثم يؤمن بوحدة الجنس العربي في الجزيرة ثانياً .

ولهذا كان لي أن أتجه اتجاه آخر في الدرس - ما دامت طريقة المستشرقين قد عجزت عن حل المشكلات اللفيجية التي أورتها .

وفي الفصل القادم سأقدم اقتراحين جديدين لدراسة اللفجات في ضوئها . ثم أحاول أن أحال المشكلات اللفيجية السالفة .

(١) انظر : المرجع السابق .

الفصل الثاني

«منهج وتطبيق»

قدمت في الفصل السابق شاهد اجتماعية وجغرافية وطبجية ، وجميعها تعارض منهج المستشرقين في جعلهم دراسة اللهجات قائمة على المعكرين الحجازي والتيممي فقط . ووضحت خطورة ذلك – وفي هذا الفصل سأقدم منهجاً يتلخص في عرض اقتراحين يمكن أن تقوم دراسة اللهجات على أساسها ، ثم نقيم دراسة لبعض النصوص الـ طبجية في ضوء هذا المنهج .

أولاً: الاقتراح الأول

أن تدرس اللهجات على أساس أصغر وحدة قبلية ، ولأجل أن تمثل ذلك نسق ما ذكره علماء العرب في طبقات الأنساب .

يحدثنا القلقشندى^(١) أن الأنساب ست طبقات :

الطبقة الأولى : الشعب ، وهو النسب الأبعد كمدنان .

الطبقة الثانية : القبيلة ، وهي ما انقسم فيها الشعب : كربيلية ومضر .

الطبقة الثالثة : العمارنة ، وهي ما انقسم فيه أقسام القبيلة كقريش أو كنانة .

الطبقة الرابعة : البطن ، وهو ما انقسم فيه أقسام العمارنة كبني عبد مناف .

الطبقة الخامسة : الفخذ ، وهو ما انقسم فيه أقسام البطن كبني هاشم .

الطبقة السادسة : الفصيلة ، وهي ما انقسم فيه أقسام الفخذ ، كبني العباس .

ومن العلماء من زاد : «الأسرة»^(٢) ، ثم العنزة وبعضهم يزيد^(٣) الرهط ويقع في اعتبارهم

(١) نهاية الأربع : ١٣ القلقشندى .

(٢) بلوغ الأربع : ١٨٩/٣ الأوليسي .

(٣) نهاية الأربع للتويري السفر الثاني : من ٣٠٠ دار الكتب .

أشياء مرادفة لما تقدم كقولهم « حي » وبيت وعقيقة ، وأرومة ، وجرثومة^(١) الخ ... « وقد حدث خلاف في هذه الطبقات بالزيادة أحياناً وبالنقص أحياناً أخرى . وذلك لا يعنينا ، وإنما هدفنا أن نحدد أصغر وحدة اجتماعية في هذا النظام فماذا تكون ؟ أرجح أنها الرهط أو الحي أو الفصيلة وكلها تقريراً بمعنى واحد ، ويرى القلقشندي وحقاً ما رأى أن المراد « بالفصيلة » « العشيرة الأدنون »^(٢) بدليل قوله تعالى : « وفصيلته التي تزويه » أي تضمه إليها ولا يضم^(٣) الرجل إلا أقرب عشيرته « ولعل أصغر وحدة اجتماعية هي ما يطلق عليه علماء الاجتماع كلمة Family أي الأسرة . وأياماً ما كان فالأسرة أو الرهط أو الفصيلة كلها تمثل وحدة صغرى ، وعلى هذا تكون الوحدة الاجتماعية الصغرى مماثلة في الأسرة أو الفصيلة » والرهط - هي الأساس السليم الذي يجب أن تقوم على أساسه الدراسة اللهجية ، وذلك لأن الرابطة في تلك الوحدة الاجتماعية الصغرى كانت قوية حيث (كانوا يؤلفون^(٤)) من وجهة النظر الاجتماعية والقانونية ما يشبه الشخص الواحد ، حق إن ثروة الأسرة كانت ملكاً مشاعاً لجميع أفرادها « وإنما آثرت دراسة اللهجات على هذه الوحدة الصغرى الاجتماعية ، لأن السمات اللهجية ستكون منطبقة عليها دون غيرها ، وسيترتب على هذا أن غرق الكتل التيممية والمحجازية واليعربية والقياسية والأسدية وغيرها من الكتل حتى لا تضيع تلك الوحدة الاجتماعية الصغرى » وتبتلع سماتها اللهجية تلك الوحدات الكبرى ، وللأسف هذا ما حدث فعلاً ، حيث ضاعت الوحدة الاجتماعية الصغرى وأصبحنا لا نرى إلا وحدات ضخمة - كالعزو إلى قيم أو أسد أو ربعة أو مصر أو اليمن أو المحجاز أو نجد ، وكلها وحدات ضخمة مشوهة واسعة الحدود والبطوت ، وكلها بالطبع لا ترضي الباحث ولا تشفي غلته ، فإذا ما طالعنا العلماء بالعزو إلى قبيلة تميم مثلاً ، فماذا يقصد بتسميم هل كل بطنونها وعمايرها وفصالنها أو بعضها ؟ وإذا كان بعضها فلم سكتت المصادر عن تعين هذا البعض في كثير من الأحيان ، وإذا طالعونا بالنسبة إلى قبيلة كقيس - فماذا يقصد بها ؟ هل يريد القبيلة كلها مثلاً مع العلم أن قيساً من القبائل الضخمة ذات الشعب والفصائل المتفرقة في شرق الجزيرة وغربها ، لاشك أن مثل هذه الكتل الضخمة لا تؤدي إلى نتائج حاسمة عندما ندرس اللهجات في ضوئها ، إذ دراسة اللهجات في ضوئها يضيع

(١) بلغ الأربع : ١٨٩/٣ الأولي .

(٢) نهاية الأربع : ١٤ القلقشندي .

(٣) بلغ الأربع : ١٩٠/٢ الأولي .

(٤) الأسرة والمجتمع : ص ٩ الدكتور علي عبد الواحد وافي ، سنة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ ط الثانية دار إحياء الكتب العربية .

على الباحث لمجات العبار والبطون والقصائل ، وحقاً لقد ضاعت معالم لمعاتها ، ضاعت بين استعمال الشرقيه والغربيه أو التمييمية والمحجازية ، وكان مثل هذه البطون لم تستثن نسمات الجزيره العربيه يوماً ولا عاشت على تربتها ولا استظللت تحت سماها . وإلا فائي ضياع أكبر عندما نسمع عزواً إلى لغة نجد⁽¹¹⁾ تلك الكتلة الجغرافية المشوهه – وما أكثر ما نسمع ، مع أن المعروف أن تلك المنطقة وحدها تشمل تيماء بفروعها وبطونها ، وتشمل أسدأ وقبائل ربوعها وبطونها المتناثرة على موارد المياه وأطراف الصحراء ، فإذا يعنون بنجد ، وبنجد حوت في بطون صحرائها أسماء عمائر وقصائل وعقاليل وأرومات تساوى عدد حصاها .

وماذا يريدون بالحجاج ، والحجاج بلغت في تهائهما ونجودها ، وعلى موارد مياهها ، وأسياف خلجانها العدد العديد من القصائل .

وكاً أسفنا لنسبة اللهجات الى نجد ، نأسف كذلك لنسبتها الى المجاز^(٢) تلك الكتلة

الجغرافية الضخمة ، التي لا ترضي منهجنا في دراسة اللهجات ، والحق أنني قد جمعت لهجات أخرى سحرازية في كتب عدة ، ولكن حسبي بعض ما سجلته وكل ذلك لبعد الباحث أن هذه

النسبة أو هذا العزو إلى الكتل الكبرى ضيق علينا المهمات الصغرى ، والتي نسيها الرواية أو تناسواها لأغراض لهم خاصة ، ولهذا نرى أن العزو إلى الوحدات الصغرى بالمقارنة إلى الوحدات الكبرى يظهر فافهاً ضئيلاً ، ونظرة واحدة إلى الرسم البياني بين ذلك . يضاف إلى هذه الضالة قاعدة قليلة لا تتجاوز أصابع اليد نسبت إلى أفراد من البيئة العربية (أي نسبت إلى الوحدات الصغرى الاجتماعية) التي كنت أحب وأتمنى أن يكون عزو المهمات إليها حقاً فوضع يدنا على حقيقة المهمات في شبه جزيرة العرب ، ولقد كلفني البحث عنها جهداً وعنتاً . وهي :

- أ) لغة « العجاج »^(١) جاءتنا عن الأصمعي ، وجاءتنا أيضاً عن « ابن سلام »^(٢) .
- ب) لغة « يزيد بن مزيبد الشيباني » وجاءت عن ابن السكين^(٣) ، والقالي^(٤) .
- ج) ولغة « بشينة » جاءت عن « الليث »^(٥) وأهل بشينة هؤلاء كانوا يسكنون هضبة على طريق السفر بين البحرين والبصرة^(٦) .

= ٤٦٩ ، ٢١٣ ، ١٣٦ ، ١٣٥/٧ ، ٢٧٤ ، ٢٤٤ ، ٦٢/٦ ، ٢٧٦ ، ١٩٧ ، ١٨٥ ، ١١٧ ، ٧٣/٥ ،
 ، ١٨٧ ، ١٨٠ ، ٨٣ ، ٦١ ، ٣٧/٩ ، ٣٠٠ ، ٢٧٥ ، ١٩٥ ، ١٣٣ ، ٥٧ ، ٥٠/٨ ، ٣٠٥ ، ٢٨٥
 ، ٣٨ ، ١٩ ، ٩/١٢ ، ٣٠٣ ، ٢٨١/١١ ، ٣٥١ ، ٣٤٥ ، ٢٩٦ ، ٢٣١ ، ٩٢/١٠ ، ٤٠٩ ، ٣٣٤
 ، ٢٧٣ ، ١٧٥ ، ١٥٤/٦٤ ، ٤٤١ ، ٤١٤ ، ٣٥٣ ، ٣٣٦ ، ١٢٧/١٣ ، ٣١٢ ، ٢٢٢ ، ١٤٣
 ، ٧٤/٢٧ ، ٢٩٣ ، ١٧١ ، ١٢٣ ، ١٠٢ ، ٥٩/٦ ، ٤٢٨ ، ٣٩٤ ، ٣٩١ ، ٣٨٩ ، ٢٥٦/١٥
 ، ٤٤ ، ١٨/٢٠ ، ١٠٣ ، ٨٢ ، ٧٩ ، ١٧ ، ٥/١٩ ، ٣٠٨ ، ٢٧/١٨ ، ٣٠٧ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٧١
 ، ١٢٥ ، ١١٤ ، ٦٧ ، ٣٤١ ، ٢٨٣ ، ١٢٥ ، ١١٤ ، ٦٧ . الطبعة الأولى . نوادر يويس بن حبيب وردت لغة المجاز ٢٧ مرة .
 نوادر البزيدي : وردت لغة المجاز ست عشرة مرة من ص ٢٧٥ - ٢٧٧ - انظر المزهر للسيوطى . إصلاح النطق :
 ابن السكين : ٩٨ ، ٩٨ ، ١٢١ ، ١١٧ ، ١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٢١ ، المخصص لابن سعيد : السفر الأول / ٤٨ : ١٦٤ ، سفر
 ٦٤ ، ٦٤ ، ٢٢/٣ ، سفر ٥/٤٤ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٢٤٤ ، سفر ٨/١٦٥ ، سفر ١٦٢ ، سفر ١٢/٢٧ ، ٣١/٦٦ ، ٣٢٢ ،
 سفر ١٤/٨٧ ، ٢١٧ ، ٢١٤ ، سفر ١٥/٩٤ ، ١٣٧ ، سفر ١٤/١٧ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٢٤ ، سفر ١٤/١٧ .

(١) كتاب خلق الإنسان للأصمعي : ص ١٦٥ طبع مع كتاب القلب والإبدال لابن السكين باسم « الكنز اللغو » بيروت سنة ١٩٠٣ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ص ٦٥ ابن سلام ، تحقيق شاكر .

(٣) القلب والإبدال : ٥٤ .

(٤) أمالى القالى : ٩١/٢ ط الثانية دار الكتب : ١٩٢٦ .

(٥) اللسان : ٣١٨/١٨ .

(٦) انظر : التاج - ومعجم البلدان لياقوت .

- د) لغة «أبي حية التميري» جاءت عن ابن الجوزي^(١).
- هـ) لغة «أبي عون الحرمازي»^(٢).
- و) لغة «أبي الجراح العقيلي» جاءت عن اللطحياني^(٣).
- ز) لغة «أبي هريرة» : جلد ، فزد ، في جلد وفزت ، وقد عزّاها إليه الخطّار بن بونة^(٤).

فهذا العزو السابق يجعل الباحث يتأنّد من مواضع أقدامه حين يجد عزوًّا إلى «أصغر وحدة اجتماعية». ولنفرض مثلاً أن الرواية رقم (أ) جاءتنا عن «تميم» لأن العجاج تميمي، فهل تتساوى الروايات مثلاً حيث تكون النسبة «لغة العجاج» أو لغة «تميم»؟ ربما هذا يرضي بعض الباحثين ولكن الحق أن هذا لا يرضي دارس اللهجات ومع أن نسب العجاج يشول إلى «تميم»^(٥) إلا أن تميمًا هي قبيلته الكبرى أو هي (الأم) التي تجتمع فيها البطون والفصائل، ولكننا نريد أن نحدد لهجة العجاج فنرى أن ابن حزم ينسبه إلى «سعد بن مالك»^(٦) الذي يشول نسبة بعد سلسلة نسبة إلى تميم، فدارس اللهجات الحديث يرضى بأن تستبدل «سعد بن مالك» بتميم – وإن كانت نسبة «سعد» ستؤول إلى تميم، وإنما كان هذا لا يرضي لأن اللغة في انتقالها من الأم إلى العهائر والبطون والأحياء تصيبها بعض التغيرات الصوتية والدلالية والمعجمية في نظامها المموجي.

وما يقال عن «العجاج» يمكن أن يقال «عن أبي عون الحرمازي» فالحرماز «بطن من تميم»^(٧) فلو تسبّت اللهجة إلى تميم بدل «حرماز» لما كان هذا العزو دقيقاً، وإن كانت الحرماز من تميم. لأن اللغة كما قلنا آنفاً تتغير في انتقالها من السلف إلى الخلف.

- (١) النشر في القراءات العشر : ٣٣٨/٢ .
- (٢) طبقات فحول الشعراء : ٦٥ .
- (٣) اللسان : ٩٣/١٤ .
- (٤) ألفية ابن بونة : ٤٠٢ .
- (٥) الشعر والشعراء : ٢٣٠ ط السقا .
- (٦) جمهرة أنساب العرب : ٢٠٤ ابن حزم دار المعارف .
- (٧) نهاية الأرب : ١٢٣ .

وهذا الخلط توقعناه من القدامي «فأبو حنيفة الدينوري ثسب ما كان لغة لروبة بن العجاج -
نسبة إلى تميم»^(١) ولكن يظهر أن خالط الدينوري لم يعجب رجلاً كابن سلام الذي قال إن
هذه اللغة « وهي لغة نصب الجزاين بل يت هي لغة جماعة من تميم هم قوم رؤبة بن العجاج »^(٢).
والحق أن الدراسة العلمية لا تسمح بهذا التعميم ، ففرق بين قوم رؤبة بن العجاج ، وتميم .
وأرى أنه كما عزت الظاهرة إلى أصغر وحدة اجتماعية - استطاع الباحث أن تكون
دراسته للهجات دراسة منهجية مبنية على التخصيص والتحديد الذي يؤمن به العلم والعلماء .

(١) الدرر اللرامع : الشنقيطي : ١١٢/١ ; المزاجة : ٢٩١/٤ - ٢٩٤ .

(٢) المزاجة : ٢٩١/٤ - ٢٩٤ .

ثانياً : الاقتراح الثاني

أن تدرس اللهجات العربية على هدى اختلاف طبقات المجتمع العربي ، فاختلاف مظاهر الحياة الاجتماعية في البيئة يؤدي إلى التمييز في اللهجة ، ولا شك أن مظاهر الحياة الاجتماعية واسعة متداخلة فنها ما يرجع إلى البداءة والحضارة وما يتصل بذلك من الأنظمة الاقتصادية ، وشئون الحياة المادية ، ونظام السياسة والتشريع وحياة الأسرة ، فجميع هذه الأمور وما يتوالد منها له أثر فعال في اختلاف اللهجات في البيئة .

أثر المجتمعات في اللغة :

وقد لاحظ ابن فارس اختلاف مثل هذا في المجتمع الجاهلي والإسلامي حيث انقرضت كلمات جاهلية عندما أشرق فجر الإسلام ، ولا شك أن انقراض تلك الكلمات الجاهلية إنما كان سببه تغير المجتمع من نظام جاهيلي إلى آخر إسلامي فهو يقول « ومن الأسماء^(١) التي كانت فزالت بزوالي معانيها قولهم « الرابع » ، « والنسيطة » ، « والفضول » وقولهم للملك : « أبيت اللعن » ، وترك أيضاً تسمية من لم يحج (صرورة) وما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم « حجرأ مَخْجُوراً » .

وقد يكون للمجتمع أثره لا في انقراض الكلمات كما سبق ، بل له أثره أيضاً في تحصيص دلالة الكلمة حيناً وتوصيمها حيناً آخر أو تغيير مجال الدلالة ، كما قد يصيب مدلول الكلمة بالآخراف ، فيتحول معناها الأصلي ، ومن ذلك كلمات كانت عامة في مدلولها في المجتمع الجاهلي ثم لما جاء الإسلام خصص معانيها ، وقد لاحظ ذلك ابن فارس حيث يقول : كان العرب في جاهليتهم على إرث آباءهم في لغاتهم وأدابهم ونسائكم وقربانيهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت فعفى الآخر الأول^(٢) وهذا التطور لا يكون مقصوراً على المفردات والمدلولات فحسب ، وإنما يشمل كذلك التطور الصوتي والتفاعل بين الأصوات وانسجامها أو عدمه . وما يؤكد أثر المجتمع في اللغة ما

(١) الصاهي لابن فارس : ص ٥٨ - ٦١ .

(٢) المرجع السابق : ٤٤ .

لاحظه الأقدمون أنفسهم، فقد جاء عن أبي عدنان أسلوب عزاء إلى التمييعات^(١) دون التمييعين، وهذا شيء غريب حقاً، ولا أجد تفسيراً لذلك إلا لاستحکام حلقات الانفصال بين الجنسين في بيئة تمييم لأسباب اجتماعية أو دينية، ومن هنا اشتملت لهجة النساء التمييعيات على جمل وأساليب لا يستخدمها الرجال التمييعيون، ويلاحظ هذا في الشعوب البدائية، والتي لا شك في أن أكثر تمييم تمثلها. ولقد كان الاستاذ « هنري بر » على حق عندما رأى « أن المجتمع^(٢) من جهة كونه مجتمعاً، له حياته الخاصة التي تشمل حياة الأفراد - ينعكس على اللغة » وفي مكان آخر يقول أيضاً « واللغة تظل خاصة للحياة في تطورها الذي لا ينتهي^(٣) إلى حد ». .

طبقات المجتمع العربي :

والمجتمع العربي^(٤) الجاهلي بدء وحضر، أهل وبر وأهل مدر يتساوى في هذه الحال عرب الشهال وعرب الجنوب وعرب جميع أنحاء جزيرة العرب الأخرى، وأجزاء الجزيرة كلها تشتراك في صفي البداوة والحضارة فكلتا الصفتين تتخلل في كل مكانت من الجزيرة، فمناطق الحجاز وإن اتسمت بالحضارة فليس معنى هذا أنها لا تشتمل على البداوة، ومنطقة نجد وإن غلبت عليها البداوة فليس معنى هذا أنها لا تشتمل في بعض أجزائها على الحضارة، وليس معنى صفة البداوة - الثبات وعدم التطور فقد أثبت علم الاجتماع « أن الجماعة^(٥) البشرية لا يمكن أن تثبت على حال واحدة، وأن أكثر الجماعات جموداً ينالها التطور والتغيير باستمرار » وطبقة البدو يعيشون في الصحراء وهم كما وصفهم « سمنت »، « رعاء^(٦) » يحبون الحرب ويفيد بعضهم على بعض « يعكس طبقة الحضر الذين يعيشون في المدن كثافة والطائف وخيار والمدينة ومدن اليمن كثافة وصناعة - على حد الأرض والتجارة . فالعرب في جاهليتهم لم يكونوا مجتمعاً واحداً، بل كان مجتمعهم يمثل شطرين وقد نرى قبيلة واحدة يسكن جزء منها مستقرأ في الحضر بينما باقيها لا يزال على بدواته في أهل الوبر ، وهذا هو عرام بن الأصبع السلمي يحدثنا عن

(١) اللسان : ٢٥٩/٨ .

(٢) اللغة : فنديرس : ٨ تعریف الاستاذ الدوالي والدكتور القصاص . جنة البيان العربي : سنة ١٩٥٠ .

(٣) المرجع السابق : ٦ ، ٣ .

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٧ ص ٨ جرارد علي ; محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١ ص ١٦ . الشيخ محمد الخضرى .

(٥) النظم الاجتماعية والسياسية : ٦ المرسوم محمد جمعة .

(٦) تاريخ الإسلام السياسي : ٦٥/١ حسن إبراهيم حسن ط ١٩٤٨ دار النيل .

نهد فيقول « ويسكن ذراها^(١) وأحوالها نهـ وجهينة في الوبـ خاصة دون المدرـ وهم هناك يسار ظاهر^(٢) » .

ثم يقول في مكان آخر « والصفراء^(٣) » : قرية كثيرة التخلـ والمزارعـ وماـها عيونـ كلـهاـ وهي جـهـينةـ والـأـنـصارـ ولـبـنيـ فـهـرـ وـهـدـ وـنـرىـ منـ هـذـاـ النـصـ أـنـ بـعـضـ هـذـاـ كـانـواـ يـسـكـنـونـ الـوـبـ ، وبـعـضـهاـ الـأـخـرـ كـانـ يـسـكـنـ فيـ الـحـضـرـ فيـ قـرـيـةـ الصـفـراءـ .

ثم يـحدـثـناـ عنـ مـزـينـةـ فـيـقـولـ « وـلـمـ صـدـرـ^(٤) » مـنـ المـدـيـنـةـ مـصـدـداـ أـوـلـ جـبـلـ يـلـقاـهـ مـنـ عـلـىـ يـسـارـهـ (ورـقـانـ) وـهـوـ جـبـلـ أـسـوـدـ عـظـيمـ كـأـعـظـمـ مـاـيـكـوـنـ مـنـ الجـبـالـ ... سـكـانـ أـوـسـ مـنـ مـزـينـةـ ... (وـقـدـسـ) هـذـاـ جـبـلـ شـامـخـ ... وـالـقـدـسـانـ جـمـيعـاـ لـمـزـينـةـ ... وـيـقـابـلـهـاـ مـنـ غـيـرـ الـطـرـيـقـ الـمـصـدـعـ جـبـلـانـ يـقـالـ لـهـاـ (نـبـانـ) ... وـهـاـ لـمـزـينـةـ ... (وـالـفـرعـ) وـهـيـ قـرـيـةـ غـنـاءـ كـبـيرـةـ وـهـيـ لـقـرـيـشـ وـالـأـنـصارـ وـمـزـينـةـ ، وـيـؤـخـدـ مـنـ هـذـاـ النـصـ أـنـ مـزـينـةـ بـعـضـهاـ كـانـ يـسـكـنـ الـجـبـلـ أـيـ هـمـ فيـ طـبـقـةـ الـبـدـوـ ، وـبـعـضـ الـأـخـرـ كـانـ يـسـكـنـ الـحـضـرـ كـاـنـ فيـ بـلـدـةـ (الـفـرعـ) الـذـيـ وـصـفـهـ عـرـامـ بـقـوـلـهـ (قـرـيـةـ^(٥) غـنـاءـ كـبـيرـةـ) وـلـقـرـيـشـ فـلـانـهاـ وـانـ كـانـتـ قـبـيلـةـ وـاحـدـةـ ، إـلـاـ أـنـ بـعـضـهاـ كـانـ يـسـكـنـ الـبـادـيـةـ وـيـسـمـيـ قـرـيـشـ الـظـواـهـرـ ، وـبـعـضـهاـ يـسـكـنـ الـحـاضـرـ وـيـسـمـيـ قـرـيـشـ الـأـبـاطـحـ ، فـالـعـرـبـ فـيـهـمـ الـبـدـوـ أـهـلـ الـوـبـ الـذـيـ يـتـحـذـونـ حـيـاةـ الـخـيـاـمـ وـالـتـنـقـلـ حـوـلـ بـجـارـيـ الـمـيـاهـ ، وـمـنـهـمـ الـحـضـرـ الـذـيـ يـشـتـقـلـونـ بـالـزـرـاعـةـ ، وـهـمـ مـسـتـقـرـونـ فـيـ قـرـاهـمـ وـمـدـنـهـمـ ، وـلـذـلـكـ فـإـنـ بـعـضـ الـمـؤـرـخـينـ الـذـيـنـ نـظـرـوـاـ إـلـىـ الـعـصـرـ الـجـاهـلـيـ نـظـرـةـ وـاحـدـةـ وـوـصـوـهـ بـالـبـدـاـوـةـ - وـلـمـ يـرـاعـواـ تـلـكـ الفـروـقـ الشـاسـعـةـ فـيـ الـجـمـعـ - قـدـ جـانـبـواـ الـحـقـيقـةـ وـضـلـواـ فـيـ أـحـكـامـهـ .

وـلـاشـكـ أـنـ الـدـرـاسـاتـ الـلـهـجـيـةـ فـيـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ سـتـؤـمـنـ بـهـاتـينـ النـظـريـتـيـنـ فـيـ الـجـمـعـ المـقـسـمـ إـلـىـ طـبـقـتـيـنـ تـخـتـلـفـ إـلـدـاهـماـ عـنـ الـأـخـرـيـ اختـلـافـاـ كـبـيرـاـ إـذـ الـجـمـعـ الـبـدـوـ لـهـ مـنـ ظـرـوفـهـ فـيـ حـيـاتـهـ ماـيـدـفـعـهـ إـلـىـ التـطـوـرـ بـلـفـتـهـ ، وـكـذـلـكـ اـنـزـالـيـتـهـ وـتـعـصـبـهـ فـيـ خـصـائـصـ الـلـهـجـيـةـ وـشـدـةـ اـحـفـاظـهـ بـتـلـكـ السـمـاتـ - كـاـنـ دـوـرـانـهـ حـوـلـ مـسـاـيـلـ الـمـيـاهـ وـمـوـاطـنـ الـكـلـاـ ، وـتـلـكـ الـحـرـكـاتـ الـدـائـيـةـ - تـجـمـلـهـ يـتـجـهـ إـلـجـاهـاـ خـاصـاـ فـيـ كـيـفـيـةـ نـطـقـهـ وـتـحـدـدـ مـدـىـ تـأـثـرـ الـأـصـوـاتـ بـعـضـهاـ بـعـضـ مـنـ اـدـغـامـ لـيـلـهـ

(١) الضمير يعود على جبلي (رضوى وعزور) .

(٢) أسماء جبال تهامة : ٣٩٧ عـرـامـ بـنـ الأـصـبـحـ طـ أـوـلـ سـنـةـ ١٩٥٦ .

(٣) أسماء جبال تهامة : ص ٣٩٨ عـرـامـ بـنـ الأـصـبـحـ طـ أـوـلـ سـنـةـ ١٩٥٦ .

(٤) أسماء جبال تهامة : ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٥) المرجع السابق : ٤٠٤ .

إلى السرعة في الحديث، وإسقاطه بعض الحروف من الكلمة تخفيفاً كي يصل إلى غرضه من أقرب طريق وأيسره بعكس الحضري المستقر في كلامه وعيشه ، المطئن إلى بيته حيث يوفي نطق الأصوات دون إسقاط حرف منها ، وذلك لأن بيته تتطلب منه حسن الأداء وتخير الألفاظ ، ومن أجل هذا اتسمت اللهجات والبيئة البدوية بسمات صوتية وأدائية تجعلها تناير لهجات البيئات الحضرية ، يقول الاستاذ « شارل كوبينتز » (البدو^(١)) الرجل أبعد من غيرهم عن التأثر بلهجات سواهم ، لما في طبيعة البدوي من الاعتزاز وسكان الحواضر يأخذون ويعطون ، ولذلك كانوا أسرع في التأثر من البدو – يفيدون من اللغات المحيطة بهم) .

كما لاحظ الميداني فرقاً بين لغة سكان العراء وسكان المدن ، وللحاج ابن جنى هذا حين ساق مردداً لغة المدر والوبر^(٢) ، كما ساق الجاحظ صيفاً يرجع الاختلاف بينها إلى المجتمعات^(٣) ، كما فرق ابن خلدون^(٤) في مقدمته بين لغات الحواضر والأماكن ، وبين لغات البدية من الأعراب .

ولقد سبق أن أثرت نصوصاً لهجية تقف في وجه المستشرقين وتقسيمهم وقلت انه يجب أن نلتمس لدراسة اللهجات العربية نظاماً جديداً ، والآن أحب أن أعالج بعض تلك التصوص التي اعترضت بها على منهج المستشرقين ولم يجد منهاجم حلّ لها .

(١) مجلة مجتمع اللغة العربية بالقاهرة : ٣٨٦/٨ .

(٢) الخصائص : ٥/٢ .

(٣) البيان والتبيين : ١٨/١ - ١٩ .

(٤) مقدمة ابن خلدون : ٩١ - ٨٧ : ط مصطفى محمد بدون تاريخ ؛ وانظر حديثه عن لغات البدو والحضر .

ثالثاً : دراسة لهجية تقارنية في ضوء المنهج المقترن

١ - قال كثير^(١) :

إذا وصلتنا خلة كي تزيلها
أبیننا وقلنا الحاجبة أول
لما مهَلْ لا يستطيع دراكه
وسابقة ملتحب لا تحول

وقال المفيرة بن حبناه^(٢) :

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني لا ملئتيك ولا أخواي العوق

وقال أبو صخر الهذلي :

كأنها ملائكة لم يتغيرا وقد مر المداريين من بعدها عصر

واستشهد صاحب التصريح بقول الشاعر :

لقد ظفر الزوجان أقفيه العدة بما جاوز الآمال مُلاشر والقتل

فحذفت النون على لغة زبيد وبني خشم من قبائل اليمن ، وقد يعارض معترض بأن هذا الحذف لضرورة الشعر ولكن يرد ذلك بأنه ثبت في نثرهم مثل هذا حين قالوا «خرجت مدّار» «وحيث ملمسجد»^(٣) فهذه الظاهرة اشتهرت فيها اليمن ممثلاً في زبيد وخشم ، وشاركتها فيها قيم وشاعر هذلي - فالجموعة الغربية بها ملامح هجيبة تماماً كما في الشرقية .

وقد سبق^(٤) أن تعرضت لهذه الأبيات الشعرية ، فإذا سرنا على طريقة المستشرقين في الفصل بين الكتلة الغربية وبين الكتلة الشرقية وعاجلنا كلّاً منها على حدة ، وقفت في طريقهم تلك الأمثلة للهجية المتشابهة بين الكتلتين غير قطع تقسيمهم أمام عتبة هذا التشابه ، لكن إذا سرنا على منهجنا الجديد الذي نادينا به أمكن أن نجد الحل بين أيدينا وهو :

(١) هو من خزاعة وهي من الأزد : نهاية الأربع للقلقشندي : ٢٤٤ .

(٢) من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن قيم . الشعر والشعراء : ١٥١ .

(٣) ميزات لغات العرب : ٣٠ حفي ناصف ط الثانية .

(٤) انظر من هذا الكتاب ص ٦٠ - ٦١ .

من الملاحظ «أن القبائل البدوية تميل إلى السرعة في نطقها وتلمس أيسير السبل فتدغّم الأصوات بعضها في بعض»، وتسقط منها ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم^(١) السامع». ومعنى ذلك أن هذه القبائل لاسيما ما اتصف منها بإسقاط النون في (من) كانت بدوية، فتيم كان يغلب عليها البدوة، أو على الأقل ذلك الجزء الذي كان يحذف ويقتصر في الجهد العضلي ويسرع النطق كي يصل إلى غرضه من أيسير طريق وأقربه، وكذلك أرجح أن الذي نطق بهذه الظاهرة من هذيل تأثر بالبدو، لاسيما وأن المجتمع الهذيلي لم يكن حضريًا كله، بل بعضهم كانوا يعيشون على قدم الجبال ضاربين في البيداء، وتسنم لنا طريقتنا تلك التي تبني الفوارق اللهجية على أساس من تباين طبقات المجتمع العربي، بغض النظر عما إذا كان أصحاب هذه الظواهر بعضهم من الشرق وبعضهم من الغرب.

٢ - «أفلطني» لغة في «أفلتني» - لغة قيمية قبيحة وقد استعمله ساعدة بن جوؤة فقال :

بأصدقِي بأسِي من خليلِ ثينةِ وأمضِي إذا ما أفلطَ القائمَ اليدَ

أراد - أفلت - القائمُ اليدَ - فقلب^(٢). فنرى من هذا النص أن اللغة التيمية الشرقية تكلم بها رجل هذيلي - من الغرب، وعلى طريقة المستشرقين في فصل الكتلة الشرقية عن الغربية يقف في سبيلهم مثل هذا التشابه، ولكننا نجد مثل هذا حالاً على طريقتنا يتمثل فيما يأتي :

لا شك أن قيمياً يغلب عليها البدوة، «والبدو»^(٣) يملون في نطقهم إلى الحروف المفخمة - لأن لها رننة قوية في الآذان مما يلائم طباع البدو وخشونتهم ولا شك أن الطاء في مثالنا حرف مطبق نظيره التاء، فاختصت الحروف المطبقة بالسان البدوي وما يرجح ذلك أن سيبويه «ينسب صيغة»^(٤) فحصط برجلك، وحصط - يريد حصنت وفحصت - إلى تميم».

كما أرجح أن هذا الهذيلي وإن كان من القبائل الغربية التي يغلب عليها التحضر - متأنٍ بالبدوة، لاسيما وأن لهجات الهذيلين^(٥) متأثرة بمجموعة اللهجات الشرقية. وبين ابن جوؤة

(١) في اللهجات العربية : ١٢٠ الدكتور أنيس ط ٢ .

(٢) اللسان : ٢٤٧/٩؛ ديوان الهذيلين : ٢٤٠/١ والرواية «بأصدقِي بأسِي» .

(٣) في اللهجات العربية : ص ١١٥ دكتور ابراهيم أنيس الطبعة الثانية .

(٤) سيبويه : ٣١٤/٢ .

(٥) رابين : ٧٩ - ٨٠ .

السابق لا يمكن أن تخرجه على أن هناك ضرورة شعرية اقتضته أن ينطق بالطاء بدل التاء لأن الميزان الشعري قائم في كلا النطقيين بالتاء والطاء .

٣ - سقط حديثاً^(١) ملخصه : أن فتح حرف المضارعة من عادات المنطقة الغربية ممثلة في الججاز ، وأن المنطقة الشرقية ممثلة في تميم تكسر حروف المضارعة وقلنا ان المرزوقي نسب (إخال) بالكسر الى هذيل وفي مكان نسبها الى طيء ، والمعروف أن هذيلًا غربية ، وكان الواجب أن تتنطق (إخال) بالفتح كالبيئة الغربية ، ولكن النصوص جاءت بالكسر لها - فهذا إن دلّ فإنما يدل على أن التقسيم الجغرافي الى كتلتين شرقية وغربية والفصل بينهما يصيّب التشويه والتعقيد من أجل هذا التشابه بين تميم وبقية الكتلة الشرقية من جهة ، وبين طيء هذيل من الكتلة الغربية من جهة أخرى ، ولكن إذا نظرنا الى هذه المشكلات من وجهة منهجنا الذي نادينا به سابقاً - وجدنا أن هذه أمور يسيرة على الحل : فالمعروف أن المنطقة الشرقية يغلب عليها البداوة ، وأرجح أن البدوين منهم آثروا الكسر ، على حين أهل الحضر ممثلين في الججاز آثروا فتح حرف المضارعة ، فإذا وجدنا هذيلًا نسب إليها الكسر في (إخال) وكالقراءة المنسوبة إليهم في قوله تعالى « نِسْتَعِينُ » كا نسبها الطوسي^(٢) ، وهذيل غربية ، أرجح أن هذا القسم من هذيل الناطق بالكسر من بيته بدوية فإذا رأينا ابن منظور يمزو الفتح في (تعلم)^(٣) لبعض هذيل « كان معنى ذلك أن الذين يفتتحون من هذيل متاثرون بالججاز المتحضر وأن الذين يكسرؤن منهم متاثرون بالبدو من قيس وتميم وأسد وربيعة لأنهم يكسرؤن »^(٤) .

٤ - نسبت العَنْتَعَنَةَ الى تميم « وهي قلب الهمزة^(٥) عيناً » واستشهدوا لها بقول ذي الرمة :

أَعْنَ تَرَسَّمَتْ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزَلَةَ مَاءَ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِيكَ مَسْجُومَ

أراد الشاعر - لأن ترسمت . وساق التبريزى^(٦) في حاسته بيته روايته :

رَعَاكَ ضَمَانَ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَهُ عَنْ يَشْقِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعَ

(١) هذا الكتاب ص ٢٢ - ٢٣

(٢) البحر المحيط : ٢٤ - ٢٣/١

(٣) لسان العرب : ٢٨٣/٢٠

(٤) اللسان : ٢٨٣/٢٠

(٥) السيرافي على سيبويه : ٢٧٨/١ مخطوط بالtimoriyah ; شرح الشافية لابن الحاصل ٢٠١/٣ ; المزانة : ٤٩٥ - ٥٩٦ .

(٦) شرح الحاسة للتبريزى : ٢٧٠/٣ تحقيق محمد محى الدين .

وقال التبريزى يحتمل وجهين : أحدهما : عن أن يشقيق والثانى : أن تكون العين مبدلة من همزة (أن) ، لأن بعض العرب يفعل ذلك بكل همزة مفتوحة فينشدون قول ذى الرمة : أعن ترسمت ... ولقد حدد الجاحظ شاهد الحاسة بأنه من هذيل^(١) .

فهذه الظاهرة التي نسبت إلى قيم الشرقية نرى صداتها في هذيل الغربية ، وكما قلنا إن التشابه بين الكلتتين يقف في سبيل تقسم المستشرقين ، ولكن على منهجنا يكون الأمر سهلا « ذلك^(٢) لأن البيئة الصحراوية التي تنتشر فيها الأصوات إلى مسافات شاسعة لا يعوقها عائق - تتطلب الميل إلى توضيح الأصوات بطرق عده من بينها الجهر بالصوت » فقلب الهمزة عيناً هو ميل بالصوت إلى الجهر حتى يكون واضحاً ، وذلك « أن الهمزة صوت شديد^(٣) ، لا هو بالجهر ولا بالهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة - إغلاقاً تاماً » بينما العين « صوت مجهور عند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحر^(٤) الوترتين الصوتين » فعندما تقلب قيم الهمزة إلى العين فإنما تفعل ذلك حتى يصبح الصوت مجهوراً ، لأن الجهر من خصائص البدو ، يقول ابن دريد : « ان بني قيم عندما يتحققون الهمزة ، يجعلونها عيناً^(٥) ، فالهمزة حين يبالغ في تحقيقها تصبح عيناً . فإذا رأينا هذه الظاهرة لرجل هذيل غربي - فلا بد أنه من هذيل البدوية ، لا هذيل الحضارية ، لأن الحضر لا يميلون إلى الجهر بالصوت .

٥ - من ظواهر قبيلة طيء اللهجية (أنها تفتح قياساً^(٦) ما قبل الياء إذا تحركت الياء بفتحة غير اعرابية فتقلب الياء ألفاً) ومثل لها ابن الحاچب^(٧) بقوله في بقىي : بقىي ، وكذلك مثل لها السيرافي^(٨) . وعلل البغدادي هذه الظاهرة عند طيء فقال « لأنهم يكرهون

(١) الحيوان للجاحظ : ١٤٨/٧ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

(٢) في اللهجات العربية : ٩٦ .

(٣) الأصوات اللغوية : ٨٣ الدكتور أنيس .

(٤) المرجع السابق : ص ٨١ .

(٥) الجمهرة : ٢٣٧/١ .

(٦) شرح شوادر الشافية : ٤٨/٤ البغدادي .

(٧) شرح الشافية لابن الحاچب : ١٣٤/١ .

(٨) شرح السيرافي لسيرويه : ٥٩٥/١ .

مجيء^(١) الياء المتحرّكة بعد كسرة فيفتحون ما قبلها لتنقلب ألفاً ، وقد جمعت شواهد وردت للظاهرة في قبائل أخرى منها :

أ) ما قاله الشاعر :

« سقى السُّمْ مزوجاً بشَبَّ يانِي »

وعقاب أبو بكر عليه بقوله :

(سقى^(٢) في لغة طيبيه وغيرها بمعنى سقيي)

ب) ووردت كذلك تلك الصيغة في شعر كعب بن زهير في قوله :
ومن للقوافي^(٣) شأنها من يحوكها إذا ماتَوا كعب وفوز جرول
فأصل الفعل تَوَى - بمعنى مات - ولكنّه قال (تَوَى) .

ج) كما وردت صيغة (فنا) في شعر زهير بن أبي سلمي في قوله :
تربيع صارة^(٤) حق إذا ما فَنَّا الدُّحلان عنده والإضاء

د) وقد نسبت تلك الظاهرة أيضاً إلى رجل من بلغارث^(٥) بن كعب

هـ) كما وجدت مثل هذه الصيغة في شعر رجل تميمي هو علقة بن عبدة التميمي حيث يقول :
زَهَا الشَّوْقُ حَقْ ظَلٌ إِنْسَانٌ عَيْنَهُ يَفِيضُ بِفَمْوَرٍ مِّنَ الدَّمْعِ مَتَّافٍ^(٦)

وـ) كما وجدت مثل هذه الصيغة في شعر امرئ القيس وهي :

عارض^(٧) زوراه من نَسَمَ غَيْرِ بَانَةٍ عَلَى وَرَه^(٨)

(١) خزانة البغدادي : ١٤٩/٤

(٢) جهراً ابن دريد ١٣٢/١ وانظر صيغة أخرى في الجهرة : ١٤٣/٢ .

(٣) الشعر والشعراء : ١٠٣/١ شاكر؛ رفي ديوان كعب : ٥٩ (نوى) بالثاناء دار الكتب .

(٤) ديوان زهير : ٦٨ ؛ طبقات قحول الشعراء : ٢٩٠ .

(٥) اللسان : ٣٢٢/١٩ ؛ التوادر : ٥٨ .

(٦) البحر المحيط : ٢٣٩/١ ؛ ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٧) ديوان امرئ القيس : ١٢٣ دار المعرفة ؛ اللسان : ١٠٤/١٨ ؛ معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٢٧٦/٩ تحقيق عبد السلام هارون .

(٨) الباقي من القسي التي لصق وترها بكبدها ؛ وهي البايانة - طائبة ؛ ورجل بايانة - منحن على وتره عند الرسم : اللسان : ١٠٤/١٨ .

بـ) ورأينا صداتها في شعر طفيلي لـ ذيقول^(١) :
 فلما فتنا ما في الكتاب قارعوا بكل رقيق الشفتين مشطّب
 كما جاءت مثل هذه الصيغة في شعر المستوفر بن ربيعة بن كعب بن سعد حيث يقول^(٢) :
 هل ما بقى إلا كا قد فاتني يوم يرث وليلة تحدونا ؟

وقد أشهد ابن دريد بقول الشاعر :

وقد بـأعلى مسلحان^(٣) مكانه وقد سقي صوب السعاب ببربخا
 وفي (ل) سقى « بفتح القاف » أصح وهي لغة طيبٍ وأسد^(٤) .

والآن أقف وقفة في مناقشة تلك الظاهرة في ضوء النصوص السابقة فأقول :

١ - إن الظاهرة عزت إلى طيبٍ وإلى بلحارث بن كعب وكلامها من القبائل اليمنية .

٢ - وجدنا صداتها يتعدد عند زهير بن أبي سلمي ، وكعب بن زهير ، وكلامها من مزيينة مصر من العدنانية^(٥) ، وجيع هذه القبائل غربية .

ولكن وجدنا صداتها يتعدد في تميم ، حيث نطق بها علقمة بن عبدة وهو تميمي أي في الجانب الشرقي ، وعند أمرى القيس - وكان في كندة وهي تنتمي معظم بلاد نجد ، وعند المستوفر بن ربيعة بن كعب بن سعد ، وهو تميمي^(٦) ، ووجدناها عند طفيلي الفتني ، وهو من قيس بن عيلان « كانوا يسكنون نجداً »^(٧) كما وجدناها عند أسد - وهي شرقية كانص على ذلك ابن

(١) عبّت الوليد : ٢٣٢ ط الترقي ، وفي ديوان طفيلي : ١٣ .

فلا فنا ما في الكتاب ضاربوا على القرع من جلد المجن المقوب

(٢) الشعر والشعراء : ١٤٤ طبقات فحول الشعراء : ٢٩ تحقيق شاكر .

(٣) الجمرة لابن دريد : ٣٤٨/٣ - ٣٤٩ ; قال أبو بكر : (وقد بـأعلى مسلحان) : قبر المذدر ، وقد بـبربخ ، وهو قبر عمرو بن مامدة عم النعمان : الجمرة ٣٤٩/٣ .

(٤) جمورة ابن دريد : ٣٤٩/٣ .

(٥) الشعر والشعراء : ٩٠/١ تحقيق شاكر : ممجم قبائل العرب : ١٠٨٣/٣ كحالة .

(٦) طبقات فحول الشعراء : ٢٩ ; الشعر والشعراء : ١٤٤ تحقيق السقا .

(٧) ممجم قبائل العرب : ٨٩٥/٣ كحالة .

درید ، فالظاهره قسم بين الشرق والغرب وعلى أساس التقسيم والفصل بين الكتلتين لا نستطيع أن نفهم مثل هذا التشابه في الظاهره اللاحجه . وإنما إذا بحثناها لا على أساس الفصل الذي نادى به المستشرقون بين الجزرية - وإنما على أساس منهجنا الذي رسمناه آنذا - ينجلب الموقف وهو : أن الانسجام بين الأصوات سقنا له نصاً من كتاب شرح سيبويه للسيرافي يقول : « بأن تيما تكسر أول « فعيل » - إذا كان حلقي العين » ، فتقول في بغير^(١) : بغير . وفي قوله تعالى « بهيمة الأنعام »^(٢) - بهيمة الأنعام وعزرا أبو حيان الصيغة الثانية وهي التي حدث فيها الانسجام إلى تيم^(٣) .

فالانسجام من طبع البدوي ، لأنه يميل بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود عند نطقه ، فإذا نطق « بهيمة » بالكسر عمل اللسان من وجه واحد وهو الكسر ، بعكس « بهيمة » بالفتح فإن فيها مشقة ، لأن اللسان ينتقل من الفتح إلى الكسر .

وإذا ما حققنا البحث في القبائل التي نطقت بطريقة الانسجام في الظاهره التي معنا من قولهم في « بقي » وهي صيغة لم يحدث فيها الانسجام - إلى « بقي » وهي الصيغة التي حدث فيها الانسجام - وجدنا تلك القبائل كالتالي :

- ١ - قبيلة طيس ، وهي قبيلة بدوية يمنية الأصل .
- ٢ - قبيلة بلحارث بن كعب (وهي يمنية ، بطن من مذحج من القحطانية^(٤) وهي بدوية أيضاً) .
- ٣ - تيم - ويغلب عليها البداءة - أو على الأقل ما كان ينطق منها « بالانسجام » .
- ٤ - « غنى » وهي قبيلة بدوية نسبتها إلى قيس عيلان^(٥) ، وكانت تسكن « نجداً » .
- ٥ - « أسد » وهي قبيلة بدوية تسكن « نجداً » ، ف تكون تلك الظاهره - متسمة مع ظاهر « الانسجام » الذي هو من خصائص البدو . وسواء علينا أكان هؤلاء البدو من شرق

(١) شرح السيرافي : ١٣٦/٢ خطوط باليمورية رقم ٢٨ نحو .

(٢) سورة المائدة : آية ١ .

(٣) البحر الحيط : ٤٠٩/٣ .

(٤) معجم قبائل العرب ٢٣١/١ كعالة ، صبح الأعشى : الفلقشندی : ٣٢٦/١ ، صفة جزيرة العرب : المداني : ١١٦ .

(٥) معجم كعالة : ٨٩٥/٣ .

الجزيرة أم من غربها ، فهو أمر لا يعنينا كثيراً في دراسة المجرات يقدر ما يعنيه ذلك الأساس الذي أشرنا إليه سابقاً ، والذي رأينا أن الدراسة يجب أن تقوم عليه ، ولذلك رأينا هذه الظاهرة السابقة في الحجاز بدون انسجام - وهي بقى - ولعل السبب في ذلك أن الناطقين لها بدون انسجام متحضرون .

٦ - سقت فيما تقدم خلافاً لمجيئاً بين قيم وقيس ملخصه : أن تيماً تقول : الرقة بضم الراء ، وقيس تكسرها^(١) ، فالكتلة الشرقية اختلفت على نفسها وهذا يطعن في التقسيم ، ولكن يسهل فهم هذا الخلاف إذا عرفنا أنضم ييل إلى البدو ، لأنـه سمة من سمات الخشونة البدوية ، ويثلـهم قيم ، وأنـ الكسر يـجـنـحـ إـلـيـهـ الحـضـرـ ، لأنـه سـمـةـ منـ سـمـاتـ الرـفـقةـ . ولـهـذاـ أرجـعـ أـنـ الـذـينـ آـتـرـواـ الـكـسـرـ -ـ هـمـ الـقـبـائـلـ الـمـتـحـضـرـةـ مـنـ قـيـسـ ،ـ وـالـقـيـ كـانـتـ تـجـاـوـرـ الـحـجـازـ لـأـجـيـعـ قـيـسـ ،ـ لـأـنـ قـيـسـ مـنـ الـقـبـائـلـ الـكـبـرىـ ،ـ وـالـقـيـ يـنـضـوـيـ تـحـتـهـ شـعـرـاتـ مـنـ الـعـمـاـئـ وـالـبـطـونـ وـالـفـصـائـلـ ،ـ وـكـانـتـ جـيـعـهـاـ تـتـنـاثـرـ عـلـىـ صـفـحةـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـحـجـازـ وـنـجـدـ وـشـرـقـ الـجـزـيرـةـ وـغـرـبـهاـ .

(١) المصباح المنير : ٣٥٩/١ .

الباب الثاني

مقدمة المراجعتين

الفصل الأول

القرآن الكريم وقراءاته

القرآن هو المعجزة الكبرى الخالدة على الزمان ، جاء إلى الأرض ليكون للمسلمين نذيرًا ، فراع خيال العرب وأخذ أسماعهم بما فيه من آيات محكّمات ، ومعجزات على الزمان خالدات ، فكان الواحة التي يستظل بها الإنسان من حر الحياة اللافحة ، والنسمة الرطيبة التي تُسْحِج عن الإنسانية كدح الأيام ووعثاء الدهور .

(لا جرم ^(١) أن القرآن سرّ السباء – فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تندو ^(٢)) .

ولقد اندفع المسلمون كالسيل يدرسونه ويحفظونه ، متبعين متبعين تحقيقاً لقول الله ^{إِنَّا} نحن نزلنا الذكر وإِنَّا لَهُ حافظون ^(٣) ، ولما تكفل الله تعالى بحفظه خص به من شاء من بريته ، وأورثه من اصطفاه من خليقته قال تعالى ^{عَمِّ} أورثْنَا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ^(٤) . وكان الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور كما جاء في صفة أمّة الرسول ^{أَنَا جِيلُهُمْ} ^(٥) في صُدُورِهِمْ .

ولقد أحيط نص القرآن الكريم بالعناية الشديدة المنقطعة النظر ، فأقام الله له أئمة ثقات تجردوا للتصحيح ، وبذلوا أنفسهم في إتقانه ، وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً ، لم يهموا ^(٦) منه حركة ولا سكونا ولا إثباتاً ولا حذفًا ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم ، ولقد تلقاه أصحاب رسول الله منه على تلك الرعاية والأمانة حق كان يستمع إليهم وهم يقرءون عليه ،

(١) تاريخ آداب العرب للرازي : ١١/٢ مطبعة الاستفادة الطبعة الثانية .

(٢) سورة الحجرا آية ٩ .

(٣) سورة فاطر آية ٣٢ .

(٤) التفسير ابن الجوزي ١/٩ .

(٥) المرجع السابق .

فعن ابن مسعود قال : « قال لي رسول الله : اقرأ علي : ففتحت سورة النساء فلما بلغت « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجيئنا بك على هؤلاء شهيداً »^(١) رأيت عينيه تذرفان من الدموع فقال : « حسبك الآن »^(٢) ! وما روی من قول النبي ﷺ من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد »^(٣) ، وذلك حين قام ابن مسعود يصلي والنبي يسمع قراءته^(٤) وإنما سقت هذين النصين ليتبين من خلالهما توثيق النص القرآني ، لأن النبي ﷺ كان يستمع إلى قراءة أصحابه ، وهناك توثيق آخر لهذا النص الكريم ظهر فيما رواه عطاء بن يسار عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : لا تكتبوا^(٥) عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه » فالرسول وبالغة منه في شدة المخاوف على النص القرآني رأى إلا يكتب شيء عنه من كلامه حتى لا يختلط الأمر فيما بعد على المسلمين بين السنة والقرآن .

لذلك كان القرآن هو النص العربي الصحيح المتواتر الجميع على تلاوته بالطرق التي وصل إليها في الأداء والحركات والسكنات ، « فلم يتوفّر لنص ما توفر للقرآن الكريم من توادر روایاته ، وغمّة العلماء بضبطها وتحريّرها متناً وسندًا »^(٦) بل لم تعرف البشرية كتاباً أحصيّط بالعناية وأكتنّف بالرعاية فهو حفظ على تراكيبيه وكلماته وحروفه وحركاته ، وكيفية ترتيله بلهجاته مع إتقان متنها في التلقن والتلقين ، ودقة باللغة في الأخذ والأداء – مثل الكتاب العزيز^(٧) ، وهذا كان القرآن الكريم مع قراءاته الواردة إلينا عن الصحابة وقراء التابعين – وهم جميعاً من يحتاج بكلامهم العادي بل قراءاتهم التي تخرّروا ضبطها – حجة في اللغة لاسيما لهجات العرب الذين أبى لهم أن يقرءوه على لهجاتهم المختلفة فكانت قراءات القرآن موئلاً جاماً للهجات العربية قال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة « وكان من تيسير الله أن أمر نبيه ﷺ أن يقرئه كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ، فلهذه يقرأ « عن حين » يزيد (حق حين) لأنه هكذا يلفظ بهـا ويسمـها ، والأـسيـدي يقرأ (تـعـلـمـون) ، (وـتـعـلـمـ) ، (وـتـسـنـدـ وـجـوـهـ) ، (وـأـمـ إـعـنـدـ إـلـيـكـ) »

(١) سورة النساء : آية ٤١ .

(٢) تاريخ القرآن : للزمجاني ١٧ ، جلنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤ هـ .

(٣) المسند : ابن حنبل : ٢٦٥/١٠ ، ١٤٦/١ ، تحقيق أحد شاكر دار المعرفة سنة ١٩٤٩ - ١٣٦٥ م .

(٤) كتاب المصاحف ١٣٧ .

(٥) المصاحف – الصجستاني ٤ ط أولى المطبعة الرهانية تحقيق آور جلري .

(٦) في أصول النحو : الألثاني ٢٥ مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧ ط الثانية .

(٧) نظرة في النحو : مطب الراوي مجلة الجمع العلمي بدمشق مجلد ١٤ ج ٩ - ١٠ - ١٣٥٥ سنة ١٩٥٦ م .

والتعييمي يهز ، والقرشي لا يهز ، والأخر يقرأ « وإذا قيل » ، « وغرض » باشمام الضم الكسر ، « وبصاعتنا ردت إلينا » بإشمام الكسر مع الضم ، « ومالك لا تأمننا » بإشمام الضم مع الأدغام – وهذا ما لا يطوعه كل لسان ^(١) فالقرآن العظيم وإن نزل بلغة أدبية نموذجية ، إلا أنه أبيح في قراءاته أن يخرج عن تلك اللغة النموذجية – تيسيراً على العرب ، وجدها لكلتهم وكما يسر الله على الناس في الدين ^(٢) أجاز لهم على لسان رسوله الكريم عليه السلام أن يأخذوا باختلاف العلماء من أصحابه رضي الله عنهم في فرائضهم وأحكامهم وصلاتهم وزكائم وحجتهم وطلاقهم وعتقهم وسائر أمورهم ^(٣) يسر عليهم كذلك في قراءات القرآن حيث تقرؤه كل قبيلة بلهجتها . قال ابن قتيبة : « ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لفته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشياً وكملًا – لاشتد ذلك عليه وعظمت الحنة فيه » ^(٤) وذلك يتفق مع ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله عليه السلام قال « أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » ^(٥) .

وهذا الحديث مشهور في كتب القراءات والمصاحف والتفاسير ، كما ورد من طرق متعددة ، وبما وجه مختلف ^(٦) ، ولكنها مع ذلك متفقة في الفكرة ^(٧) ، وهي أن الرسول عليه السلام أدرك أن الأمة العربية لا تستطيع أن تقرأ كتاب الله إذا نزل بلغة واحدة ، لأن لغة العرب لهجات مختلفة « فلو كفروا العدول عن لغتهم والانتقال عن لغتهم لكان من التكليف بما لا يستطيع » ^(٨) فطلب الرسول من ربه التخفيف فنزل بلهجات عدة ، والدليل على ذلك ما ي قوله الإمام

(١) مشكل القرآن : ابن قتيبة ٢٢٢/١ الحنفي ، النشر : ابن الجوزي ٢٢/١ .

(٢) القرطين : ابن مطر الكتاني ٢٢٣/١ ط أولى مطبعة الحنفي .

(٣) النشر : ابن الجوزي : ٢٣/١ .

(٤) فتح الباري بشرح البخاري : ١٩/٩ لابن حجر المطبعة اليمانية سنة ١٣٤٨ ، وانظر النشر : لابن الجوزي .

(*) فقد روی عن جمٍع كثیر من الصحابة : كابي بن كعب ، وأنس ، وحديفة بن الیان ، وزيـد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسلیمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ؛ وعثـان بن عفان ؛ وعمر بن الخطاب ؛ وعمرو بن أبي سلة ؛ وعمر بن العاص ؛ ومعاذ بن جبل ؛ رهـشان بن حكـيم ؛ وأبي سعـید الخـدري . وقد وصل عدد الصحابة عند السيوطي في إحصائه لروايات هذا الحديث – واحداً وعشرين صحابياً (انظر : تفسير الطبرى ٩/١ ، الإنقان ٤٧/١ ، فتح الباري ١٩/٩ ، مقدمة في علوم القرآن ص ٢٠١) .

(٥) انظر : جامع البيان في تفسير القرآن : الطبرى ١٠/١ ط أولى .

(٦) النشر : ابن الجوزي : ٢٢/١ .

الدمشقي أبو شامة : ٦٦٥ - « القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب ، لأنه أنزل عليهم كافة » ، وأبيع لهم أن يقرءوه بلغتهم المختلفة ، فاختللت القراءات فيه لذلك »^(١) ، ويفهم من هذا أن الاختلاف في كثير من القراءات يرجع إلى اختلاف لهجات العرب ، فتكون القراءات القرآنية مصدرًا هامًا وينبئونا ثرًا في تعریفنا بلهجات القرآن ، لأن القرآن العظيم بلغتهم جميعاً نزل لا بلغة قبيل دون قبيل ، فقد جاء عن أبي عبيد أن القرآن « بعضه بلغة قريش » ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم - ثم قال : وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً »^(٢) ، وروى عن ابن عباس أنه قال « نزل القرآن على سبعة أحرف » خمسة منها للمعجز من هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف »^(٣) وقال ابن عطية في مقدمة تفسيره مبيناً لهجات القبائل في القرآن « وقاعدة هذه القبائل : قريش » ، ثم بنو سعد بن بكر ، لأن النبي ﷺ قرنبي ، واستعرض فيبني سعد ونشأ فيهم ، ثم تعرّفت وعفت تماّه وهو مخالط في اللسان : كنانة ، وهذيل ، وثقيف ، وخزاعة ، وأسداء ، وضبة وألفافها ، لقربهم من مكة وتكرارهم عليها ، ثم بعد هذه قبائل ، وقيسا ، ومن انصاف إليهم وسط جزيرة العرب »^(٤) ، كما روى السيوطي عن أبي بكر الواسطي في كتابه « الإرشاد في القراءات العشر » ذكر أن القرآن قد اشتمل من اللغات على خمسين لغة »^(٥) ، وعددتها ، ونظرها واحدة إلى النوع السابع والثلاثين في الإنقان تطااعنا بقائمة ضخمة لألفاظ قبائل وردت في القرآن - بعضها بلغة حمير »^(٦) ، وبعضها بلغة جرهم »^(٧) ، وخشم »^(٨) ، ومندرج »^(٩) ، وكندة »^(١٠) ، ولغة الأشعريين »^(١١) ... فالقرآن الكريم لم يتلزم لهجة واحدة - ولو كانت لهجة قريش كما تورّهم

(١) إبراز المعاني لأبي شامة : ٨٧ ، مطبعة الحلبي : ١٣٤٩ .

(٢) الكلمات الحسان : ٥٦ ، فتح الباري : ٢٢/٩ ، الإنقان : ٤٨/١ - ٤٩ ، لسان العرب : ٤٨٥/١٠ . ٣٨٦

(٣) مقدمتان في علوم القرآن : ٢١ ، الكلمات الحسان : ٥٦ ، التبيان : ٥١ ، الإنقان ٤٨/١ .

(٤) مقدمتان في علوم القرآن : ٢٦٩ .

(٥) الإنقان : ١/١٣٦ .

(٦) الإنقان : ١/١٣٥ .

(٧) المرجع السابق ، كتاب اللغات في القرآن : ٢٠ .

(٨) الإنقان : ١/١٣٦ .

(٩) كتاب اللغات في القرآن : ٥٠ .

(١٠) الإنقان : ١/١٣٦ .

(١١) الإنقان : ١/١٣٦ ، كتاب التيسير في علوم التفسير : ١٢٧ .

ذلك بعض الروايات^(١) ، وما يدفعها ما جاء عن ابن عبد البر (٤٦٣ـ٥) في التمهيد « إن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات »^(٢) كما يرى الشيخ جمال الدين بن مالك أن القرآن كما نزل بلغة الحجازيين نزل بلغة التميميين^(٣) ، فالقرآن كما فيه من لهجة قريش فيه من لهجة غيرها من القبائل العربية يوضح هذا ما روي عن عمر بن الخطاب ، وكان لا يفهم معنى قوله تعالى « أو يأخذهم على تَخْوِفٍ »^(٤) فوق به فتى فقال : إن أبي يتخطوّفي حقي فقال عمر : الله أكابر « أو يأخذهم على تخوّف » أي على تتفّص لهم^(٥) .

فهذه القصة إن دلت فإنما تدل على معنى واحد ، وهو أن القرآن كله لم ينزل بلغة قريش – بل فيه من لهجات العرب الأخرى ، وذلك أن عمر بن الخطاب قرشي ، ولو كانت هذه الكلمة التي جهلها بلغة قريش لعرفها ولكن جهلها بها – وهو القرشي دليل على أن هذه الكلمة لم تكن بلغة قريش ، وفي رواية ساقها القاضي البيضاوي في تفسيره ١٨٢/٣ : ان عمر سأله عن قوله تعالى « أو يأخذهم على تَخْوِفٍ » وهو على المنبر ، وقال ما تقولون فيها ؟ فسكتوا ، فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لفتنا . التخوّف : التتفّص ، فقال : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته :

تَخْوِفَ الرَّحْلَ مِنْهَا تَسَامِكَا قَرِيدًا كَمَا تَخْوِفُ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفَنِ

وقد أورد ابن قتيبة^(٦) هذا المعنى في قول طرفة – على إحدى الروايتين .

وَجَامِلٌ خَوْعٌ^(٧) مِنْ نَبْتَه زَجْرُ الْمَلْسَى أَصْلًا وَالْمَسْبَح

وذكر أن : (خواع) معناها : نقص ، وقد ذكر مثناها « خوف » : يعني نقص ، في رواية أخرى – وهي حديث تتفق والقرآن الكريم .

(١) ابن جرير الطبرى : ٢٢/١ ط أميرية ، فتح البارى : ١٦/٩ .

(٢) الإنegan : ١٣٦/١ .

(٣) الإنegan : ١٣٦/١ ، مقدمتان في علوم القرآن : ٢٦٩ .

(٤) سورة النحل : آية ٤٧ .

(٥) مقدمتان في علوم القرآن : ٣٧١ .

(٦) الميسر والقداح : ابن قتيبة : ٥٩ - ٦١ ط السلفية .

(٧) الجامل : اسم جمع غير مكسر ، ومعنى الجامل ، جماعة الإبل مسع رعايتها / هاشم الميسر والقداح : ٦٠
نقاً عن شرح ديوان طرفة : ١٣ - ١٤ ط قازان نشره : الشيخ الشنقطي .

وليست القراءة السبعية وحدها – مصدرأً من مصادر اللهجات العربية ، بل تشاركها القراءات الشاذة ، لأن لها سندأً من صحة الرواية ، وموافقتها وجهاً من وجوه العربية ، وهذا كان ابن جنی على حق عندما وثق الشاذ واحتاج له ، وأنه (نازع بالثقة الى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامة وورائه)^(١) . ثم حاول ابن جنی أن يعلن توئيقه للشاذ بقوله : « ولمله أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه ... والرواية تنبئه الى الرسول ﷺ والله تعالى يقول « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا »^(٢) ، وما القراءات الشاذة في نظرنا إلا صورة نابضة بالحياة لكتير من لهجات القبائل العربية – ولكن هذه القبائل – لم تدل نصيبياً من المجد والجاه – فبحکوا بشذوذ قراءاتهم التي هي صورة حية للهجاتهم ، وأرى أن القراءة وإن شدت – هي أقوى من تراث النثر والشعر على السواء يقول الفراء « والكتاب أعراب وأقوى في الحجة من الشعر »^(٣) ، ولهذا قامت حركة عالمية على امتداد التاريخ بالتأليف في القراءات الشاذة ، والدفاع عنها . وأشهر من ألف فيها :

- ١ - كتاب معاني القرآن ، لأبي علي محمد بن المستنير قطر (ت ٢٠٦ هـ) .
- ٢ - كتاب معاني القرآن ، لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) وقد طبع الجزء الأول منه عام ١٩٥٥ ، والثاني عام ١٩٦٦ .
- ٣ - كتاب اختلاف المصاحف ، لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) .
- ٤ - كتاب معاني القرآن للزجاج (ت ٣١١ هـ) .
- ٥ - كتاب المصاحف للحافظ أبي بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٣١٦ هـ) . وقد نشر هذا الكتاب وحققه الدكتور آثر جفري عام ١٩٣٦ م .
- ٦ - كتاب الشواذ ، لأبي بكر أحد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) .
- ٧ - كتاب البديع ، لأبن خالويه ت ٣٧٠ هـ ، وقد طبعت جمعية المستشرقين الألمانية ١٩٣٤ م مختصر كتاب البديع ، ونشره وحققه الاستاذ برجشتراسر .
- ٨ - كتاب الحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جنی

(١) الحتسب : ابن جنی : ١/٣ تيمور .

(٢) المرجع السابق : ٤/١ تيمور .

(٣) معاني القرآن : الفراء : ١٤٠ .

ت ٣٩٢ هـ، وقد نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة الجزء الأول من هذا الكتاب عام ١٣٨٦ هـ، كما نشر الجزء الثاني والأخير منه سنة ١٩٦٩ م.

١٠ - الواضح ، لأبي الفضل الرازى ت ٤٥٤ هـ ، وكتاب المبحج لسبط الحياط البغدادي ت ٥٤١ هـ .

١١ - كتاب شواذ القراءة واختلاف المصاحف محمد بن أبي نصر بن عبد الله الكرماني ، وقد عثر على خطوطه صديقنا الدكتور عبد الصبور شاهين بكتبة الأزهر برقم ٢٤٤ قراءات .

هذا ، ومن كان يقرأ بال Shawāz : الحسن البصري ت ١١٠ هـ ، ومحمد بن عبد الرحمن بن حميسن السهمي مقرئ مكة ت ١٢٣ هـ ، وسليمان بن مهران الأعمش ت ١٤٨ هـ ، ويحيى اليزيدي ت ٢٠٢ هـ ، وابن شنبوذ ت ٣٢٨ هـ ، وكان يرى جواز القراءة بما خالف الرسم مما دامت الرواية صحيحة النقل ، ولهذا عقد له مجلس بحضور الوزير أبي علي بن مقلة ، وجاءة من العلماء والقضاة ، وضرب في هذا المجلس سبع درر ، ولم يتركه الوزير حتى أعلن توبته عن القراءة بالشاذ (انظر طبقات القراء لابن الجزرى ٥٢/٢) .

ولقد أمدتنا المصاحف القديمة للقرآن بعدد لا ينقطع من سمات لهجات القبائل ، لأن اختلافها في الإملاء والرسم يوضح لنا اتساع العربية إبان نزول الوحي من جهة ومن جهة أخرى يشير إلى تمدد لهجات القبائل ، فحلول التاء المفتوحة محل المربوطة في (رحمت) في الموارض السبعة بالبقرة والأعراف وهود وأول مریم والروم والزخرف ، و (زعمت) في أحد عشر موضعًا من كتاب الله ، و (أمرأت) كا في سورة القصص والتحريم وآل عمران ، و (قرأت) بالقصص ، و (فطرت) بالروم ، و (شجرات) في سورة الدخان ، و (لعنت) بآل عمران والنور ، و (جنت نعيم) بالواقعة ، و (ابنت عمران) بالتحريم ، و (معصيت) بالجادلة ، و (كلمت ربك) بالأعراف^(١) - يشير إلى آثر القرشية في الإملاء القرآني ، كما نامح آثر القرشية أيضًا في قوله تعالى : « أَنْ أَقْذِفُهُ فِي التَّابُوت »^(٢) وقوله « أَنْ يَأْتِيكُمُ التَّابُوت »^(٣) ، وقد كتبت في

(١) الإنعام : ١٠٣ والمفعن للداري : ٧٧ وما بعدهما .

(٢) سورة طه : آية ٣٩ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٤٨ .

مصحف زيد بن ثابت (التابوت)^(١) ويفسر هذا ما روي عن زيد حين أراد أن يكتب (التابوت)^(٢) بالهاء على لغة الأنصار - فمنعوه من ذلك ، ورفعوه إلى عثمان رضي الله عنهم ، وأمرهم أن يكتبوا بالباء على لغة قريش^(٣) ، كما حللت مصاحف الصحابة والتابعين إشارات مفيدة كانت عمدتنا في هذا البحث^(٤) . كما أن قراءات القرآن قد صورت لهجات القبائل أيضاً « مصداق ذلك قول أبي حيان « والقراءات جاءت على لغة العرب^(٥) قياسها وشاذها » .

ولقد كان إسرائيل ولقنسون على حق عندما قال : « إن العربية يجب أن تبحث أحواها في ضوء القرآن أولاً »^(٦) .

وإذا ما قارنا بين ما ورد في القرآن الكريم من لهجات عربية ، وبين ما ورد في غيره من كتب العربية . كان القرآن أوفي منها جيئاً ، وهذا جمعت أسماء اللهجات التي وردت في كتاب البحر المحيط لأبي حيان كله بأجزائه التالية ، فوجدت أنه ذكر اللهجات الآتية وهي ما ورد في تفسيره للقرآن الكريم .

القبيلة	اللهجة	القبيلة	اللهجة
الحجاز	«	بلحارات بن كعب	«
تميم	«	بكر بن وائل	«
ربيعة	«	قيس	«
قريش	«	أسد	«
		هذيل	«

(١) مصحف زيد بن ثابت : ٢٢٥ جفري .

(٢) هذه الكلمة دخلت العربية عن طريق الحبشية « وأصلها من الآرامي اليهودي/اللغة العربية كائن حي» : ٣٦ هاشم .

(٣) حاشية عبادة على الشذور : ١/٧٤ . كتاب المصاحف : ١٩/لابن أبي داود . فضائل القرآن لابن كثير : ٣٥ .

(٤) انظر مصاحف ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وأم سلمة ، وطلحة بن مصطفى ، والأعش في كتاب تاريخ المصاحف بلغري .

(٥) البحر المحيط : ٤٩٣/٨ .

(٦) تاريخ اللغات السامية : ٢٠٦ وما بعدها ط أولى لجنة التأليف والترجمة .

القبيلة	اللهجة	القبيلة	اللهجة
كعب	‘	عَذْرَة	‘
مَمْدَان	‘	القَيْنِين	‘
أَزْد شَنْوَة	‘	سُلَيْمٌ	‘
مَكَّة	‘		
بَرَابِر مَكَّة	‘	فَقْعَسٌ	‘
عَقِيلٌ	‘	كَنَانَة	‘
غَمٌ	‘	دُبَيْرٌ	‘
الْمَدِينَة	‘	نَجْدٌ	‘
مَالِك (من بَنِي أَسْد)	‘	عَامِرٌ	‘
صَبَاحٌ	‘	تَهَامَة	‘
أَزْد عَمَان	‘	غَسَانٌ	‘
بَرْبُوعٌ	‘	السَّخَعٌ	‘
زَبِيدٌ	‘	خَنْثَمٌ	‘
طَيْبٌ، طَيْبَةٌ	‘	الصَّمْدَانٌ	‘
الْحَيْرَة	‘	الْيَمِنٌ	‘
الْعَالِيَة	‘	كَلَابٌ	‘
جَمِيرٌ	‘	أَكْلَوْنِي الْبَرَاغِيْث	‘
هَوَازِنٌ	‘	سَفْلِي مَضْرٌ	‘
لَحْمٌ	‘	ضَبَّةٌ	‘
فَزَّارَةٌ	‘	كَلَبٌ	‘
حَوْرَانٌ	‘	نَجْرَانٌ	‘
بَلْشَعْبَرٌ	‘	أَزْد السَّرَّاةٌ	‘
الْأَزْدٌ	‘	كِنْدَةٌ	‘
مَرَادٌ	‘	الْمُجَيْمِ	‘
جَذَامٌ	‘	حَنِيفَةٌ	‘
مَجَرٌ	‘	الْأَنْصَارٌ	‘
غَطْفَانٌ	‘	عَكْنَلٌ	‘
الْعَرَب الْمَارِبَة	‘	تَيْمٌ	‘

فإذا ما ذكرنا أسماء اللهجات التي وردت في كتاب ككتاب «شرح السيرافي على سيبويه»^(١) وهو يمثل أعظم كتب العربية - وجدنا أسماء اللهجات التي وردت في أجزاءه الستة كالتالي :

القبيلة	اللهمجة	القبيلة	اللهمجة
تميم	‘	طبيه	‘
المدينه	‘	الحجاز	‘
مكة	‘	العراق	‘
خمير	‘	بكر بن وائل	‘
أسد	‘	النصير	‘
بغداد	‘	كعب	‘
قيس	‘	تعلب	‘
الكوفه	‘	البصرة	‘
أزد الشترة	‘	الموصل	‘
هذيل	‘	خثعم	‘
اليمن	‘	سعد	‘
فَزَّارة	‘	بنو عدي	‘
		بنو ربيعة	‘

وإذا أخذنا إحصائية لكتاب سيبويه^(٢) ، وجدنا أسماء اللهجات وردت فيه كالتالي :

القبيلة	اللهمجة	القبيلة	اللهمجة
الحجاز	‘	خثعم	‘
طبيه	‘	تميم	‘
كعب	‘	سليم	‘
بكر بن وائل	‘	أسد	‘
		غبني	‘

(١) اعتمدت في هذه الإحصائية على نسخة خططرطة بالنيورية رقم ٥٢٨ نمو.

(٢) اعتمدت في هذه الإحصائية على نسخة بولاق المطبوعة.

القبيلة	النهاية	القبيلة	النهاية
عدي (من تميم)		قيس	,
بنو سعد	,	فزاره	,
هذيل ، العلوين ،	«	ربيعة	,

فإذا أردنا أن نقارن بين هذه الكتب القرآنية وال نحوية يتبيّن أن أسماء القبائل في « البحر المحيط » لأبي حيان أربع وستون قبيلة ، على حين بلغت في شرح « السيرافي على كتاب سيبويه » خمساً وعشرين ، وفي كتاب سيبويه ست عشرة قبيلة^(١) .

وفي كتاب « اللغات في القرآن » المسند لابن عباس ، وهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا عن لغات القرآن ، بعد أن فقدت جميع كتب لغات القرآن الأخرى بلغت أسماء القبائل فيه – ستة وثلاثين^(*) . فيكون القرآن الكريم وقراءاته – مصدراً أو في من غيره في دراسة اللهجات العربية القديمة . بل هو الحقل الخصيب الذي ينطوي على تاريخ العربية وأصول منابعها الثرة ، وإذا طمعنا في كتابة تاريخ لغتنا عليه سمة علمية – يجب أن نقتصر عن قراءات القرآن أولًا ، ولذلك يصيّبني القلق العلمي عندما تعرض المستشرق Rabin إلى دراسة قسط من اللهجات العربية من غير أن يقتصر عن كتاب (كالبحر المحيط) – كما صرّح بذلك في آخر كتابه المشهور: « Ancient West Arabian » في قسم الإضافات الملحقة بكتابه المذكور^(٢) .

(١) مطبعة الرسالة سنة ١٩٤٦ تحقيق صلاح الدين المنجد .

(*) وقد ذهب محقق الكتاب إلى أنها تسع وعشرون (انظر إحصاؤه ص ٦ كتاب اللغات في القرآن – لابن عباس تحقيق د. صلاح الدين المنجد) ولكنني أضفت بعض القبائل إلى إحسانه وهي : همدان ، الأرس ، اليمن ، عذرة ، المزرج ، تَقْلِب ، المجاز .

(٢) في إضافات الكتاب ٢١١ P. رابين .

ويشمل :

أولاً : الروايات الواردة في كتب العربية :

لا شك أن الروايات التي جاءت عن العرب وامتلأت بها كتب اللغة وال نحو والأدب والتاريخ والسير - تقدنا بروافد عديدة في موضوع اللهجات العربية، وذلك أن العلماء عندما قرروا جمع اللغة أخذوها عن العرب الذين لم تفسدم الحضارة؛ وفي ذلك يقول أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى « بالألفاظ والمحروف »، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وفهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس، وقيم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ و معظمهم وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالمجمل فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري من كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من - لهم ولا من جذام - فلأنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إيد - فلأنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ولا الشمر فلأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من يكر لأنهم كانوا مجاورين للنبيط والفرس ولا من عبد القيس، لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عمان، لأنهم كانوا مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلاً مخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليamente، ولا من ثقيف وسكان الطائف مخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ولا من حاضرة المحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدءوا ينتقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم^(١).

وليس المهم الآن أن أناقش هذا النص - لأنني أعارض منهج اللغويين فيه، لأنهم عزلوا عن مجال الاستشهاد معظم القبائل العربية، وإذا كانوا قد عزلوا كل هذا - فما الذي يبقى لهم من

(١) الاقتراح : للسيوطى ١٩ - ٢٠ ط المند الثانية ، المزهو للسيوطى ٢١١/١ - ٢١٢

اللغة ! وإنما أريد أن أقول الآن إنهم عندما أرادوا جمع اللغة نظروا إلى اللغة العربية ككل ، فكانوا يجمعون من هذه القبيلة ومن تلك بدون أن يميزوا بين قبيلة وأخرى ، بل كانوا يجمعون شيئاً تلقى ، فجاءات اللغة خليطاً من هنا ومن هناك ، خليطاً من اللغة الفصحى المنسجمة في خصائصها وخليطاً من اللهجات العربية ذات الصفات الخاصة بكل قبيلة عربية – وما أكثر هذه القبائل ! – ثم بنوا قواعدهم من هذا الخلط المتأثر المتشاخصن ، ومن هنا كان الاضطراب في النحو الذي نشاهده حق طالعتنا الكتب بقوائم عدة جمع الكلمة الواحدة « فاجل أجلام إجمالاً ثم جاماً ثم جالة ثم جالات »^(١) .

وقالوا كذلك ثقة « ثم جمعوها : ثاقات وثوفاً وثناً وأياثق وثياثق وأينقاً وأنفقاً »^(٢) . كما نرى كثرة المصادر لل فعل الواحد فتفاصل يأتي مصدرها على التفاعل بضم المعين والتفاعل بفتحها ، والتفاعل بكسرها كما قالوا « تفاوت : تفاوتاً وتفاوتاً »^(٣) وكما قالوا في مصدر « لقي » زيداً فقد قالوا فيه « لقاء ولقاء ولقياً ولقياً ولقياناً ولقياناً »^(٤) .

وإنما كثرت هذه الخلافات في المصادر وفي الجموع وصيغ الأفعال وغيرها لأن جمع اللغة كان خليطاً من اللهجات الخاصة بكل قبيلة – مع الفصحى النموذجية الموحدة ولم يلحظ الجامعون للغة هذا الملاحظ^(٥) ولو أن الرواة وقفوا في استنباط قواعدهم عند اللغة الأدبية التي جاءتهم موحدة وممثلة في الأدب الجاهلي والقرآن الكريم لجنبوا أنفسهم الكثير من المهاارات والجدل حول ما يجوز وما لا يجوز ، ولكنهم حاولوا اقحام تلك الصفات الخاصة للهجرات العربية – فبدت لنا القواعد اللغوية مضطربة متعددة الوجوه^(٦) ونظرة واحدة إلى كتاب « أدب الكاتب لابن قتيبة » ، أو « إصلاح المنطق لابن السكينة » ، أو « فصيح ثعلب » أو « الاقتضاب لابن السيد البطليوسى » أو « درة الفواص للحريري » وشرحها للخفاجي ، تفتئ على بحر زخار من الأوجه المختلفة ، والأبنية الكثيرة في الأسماء والأفعال والمصادر .

نخلص من هذا إلى أننا حتى سجد روایات عن اللهجات العربية في كتب العربية على

(١) ليس في كلام العرب : ابن خالويه ٢٠ ط أولى سنة ١٣٢٧ هـ مطبعة السعادة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق : ص ٦ ، وانظر : أدب الكاتب لابن قتيبة : ص ١٠ هـ مطبعة السعادة الطبعة الثالثة : ١٩٥٨

(٤) ليس في كلام العرب : ص ٦ .

(٥) في اللهجات العربية : ص ١ ، الدكتور إبراهيم أنيس الطبعة الثانية .

اختلاف محلها واتجاهاتها - نجد هذه الروايات مختلطة اختلاطاً من العسير على الباحث أن يميزه - من اللغة الفصحى ، وقليلًا ما نجد إشارة إلى هذه اللهجات في تلك الروايات ، ولعل السبب يرجع إلى أن علماء العربية كانوا يعتقدون أن لغة قريش أفضل من غيرها من اللهجات العربية الأخرى - فاكتفوا بتسجيل القرشية وأهملوا ما عداها ، ولا شك أنها نظرة خاطئة « لأن اللغة ظاهرة اجتماعية يتميز بها كل مجتمع إنساني » ، واللغة تطورت بتطور الإنسان ذاته ، ونمط بنمو حضاراته ، فليس هناك من مبرر للمقاصلة بين لهجة وأخرى ^(١) واللغة الجيدة هي التي تقوم بوظيفتها في الفهم والإفهام ، وفي التعبير عن دواعي الناس بدون اجهاد ، وأعتقد أن جميع اللهجات العربية كانت تقوم بذلك خير قام .

كما كان علماء العربية ينظرون إلى اللهجات على أنها نوع من الانحطاط اللغوي ، وغاب عنهم أن ما يسمونه « الانحطاط » هو في الحقيقة تطور لغوي ^(٢) وهذا ابن حزم ينكر تفضيل لهجة على لهجة أخرى « وقد قوم في لفتهم أنها أفضل اللغات ... وهذا لا معنى له ... لأن وجوده الفضل معروفة ... وإنما هي بعمل أو اختصاص ، ولا عمل للغة ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة ... وقد غلط في ذلك جالينوس فقال : إن لغة اليونانيين أفضل اللغات ، لأن سائر اللغات إنما تشبه إما نباح الكلاب وإما نقيق الضفادع » ^(٣) .

فلأنهم كانوا يحترمون لهجة قريش لمكان النبي ﷺ منها ، جمعوا لهجتها وتركوا ما سواها ، فإن أخرفوا عن طريقتهم وسجلوا لهجة غير قرشية طالعتك قوائم أو صافهم لهذه اللهجات من مثل قولهم : « لغة ردية ^(٤) أو لغة شنعام ^(٥) أو « هذلية شاذة » ^(٦) أو لغة « ضعيفة وردية » ^(٧) أو قليلة ^(٨) ، أو « خبيثة » ^(٩) .

وربما كان من أسباب إهانة اللهجات العربية وعدم تسجيلها « أن المملكة العربية حينها

(١) نحو عربية ميسرة : ٥٧٣ . فريحه .

(٢) مشكلات حياتنا اللغوية : ٦٤ - ٦٣ . انطولي .

(٣) أماي الشجري : ١/٣٨١ .

(٤) اللسان : ٤٢٧/٤ - ١٤٩/٣ .

(٥) اللسان : ٤٨٠/١٣ .

(٦) اللسان : ٢٧١ ، ١٣٩/٢٠ .

(٧) كتاب سيبويه : ٢٩٦/٢ .

(٨) الشافية : ٢٤٧/٢ .

اتسعت – كان لا بد لضمان وحدتها ، والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات العربية من العناية ما قد يزيد من عصبية القبائل ويباعد بينها – فأهل أمرها^(١) وعلى ذلك فقد جاءتنا هذه اللهجات العربية مسوخة حيناً ، ومبورة السند مشوهة المتن أحياناً أو مهملة العزو .

(أ) فن إهمال العزو :

١ – يقال : اطمأن يطمئن اطمئنان ، واطمأن يطئن اطمئنان^(٢) . فأبو الطيب اللغوي يهمل عزو هذه الخلافات البدالية بين الميم والباء بينما بالتحقيق وجد أن صيغة « الباء » معزوة لبني أسد^(٣) .

٢ – كما يهمل العزو الأصمعي في (المفاير والمفافير)^(٤) ، والتحقيق أثبت أن الأولى لأسد^(٥) .

٣ – ما يذكره صاحب المصباح من أن « المدى » ما يهدى إلى الحرم من النعم يشتمل وينتفع^(٦) فيهمل العزو في التخفيف والتثليل ، وأثبتت أن المدى – مخففاً لغة الحجاز ، ومثلاً لغة تميم وسفلى قيس^(٧) .

٤ – ما ذكروه من أن « الأكاف » للحجار ، معروف ... والواكاف : على البدل لغة جارية^(٨) . واكتفى صاحب المصباح بكتونها لغة فقط . ولكن عند التحقيق نجد أن البزيدي في نوادره ينسب إلى أهل الحجاز صيغة الروا ويعزو إلى تميم صيغة الألف وهي : الإكاف^(٩) .

(ب) وأحياناً يتشكّكون في الصيغة هل هي طبقة ، أو هي واقمة على الابدال فن ذلك :

١ – في حديث القبائل : سئل عن مصر . فقال تميم برثتها وجرثتها – قال الخطابي : إنما هو

(١) في اللهجات العربية : ٤٠ الدكتور إبراهيم أنيس .

(٢) الابدال لأبي الطيب اللغوي : ٥٣/١ .

(٣) الابدال لابن السكريت : ١٣ .

(٤) الابدال لأبي الطيب : ١٨٦/١ .

(٥) إبدال ابن السكريت : ٣٥ .

(٦) المصباح المنير : ٩٨٤ .

(٧) اللسان : ٢٣٤/٢٠ .

(٨) المصباح المنير : ٣٠/١ .

(٩) المزهر للسيوطى : ٢٧٧/٢ .

برثتها بالنون - فيجوز أن تكون الميم لغة وأن تكون بدلاً لازدواج الكلام في الجرثومة كما قال الغدايا والعشايا^(١) .

٢ - ما روي عن النبي ﷺ أنه أبدى يده إلى الأرض عند انكشاف المسلمين يوم حنين فأخذ منها قبضة من تراب فحذاها في وجوه المشركين - فما زال أحدهم كليلاً . قال ابن الأثير : أي « حنى » على الإبدال ، أو ما لفستان^(٢) .

(ج) وقد يتحيزون في الصيغة الواردة وهي لغة أم لغة مثل :

١ - والعاذر : لغة في العاذل ، أو لثنة ، ولقيت منه عاذوراً : أي شرعاً ، لغة في العائز ، أو لثنة^(٣) .

١ - ما قاله الشعالي من أنه استظرف قول الليث عن الخليل : الدعاوى كالزعاوى سمعنا ذلك من بعضهم ، وما ندرى : لغة أم لثنة^(٤) ؟ ونقل مثل ذلك ابن سيده^(٥) .

(د) وقد يكتفون بأن الصيغة وردت « في بعض اللغات » مثل :

١ - ما ذكره ابن دريد من أن « ماغت السنور » مثل : (مائة) قوغر مواغا - إذا صوت في بعض اللغات^(٦) .

٢ - الفضاض « بالفين المجمعمة » في بعض اللغات - العرنين وما والاه من الوجه^(٧) .

٣ - الخندع - عيب يعاب به الرجل - وأحببه القليل الفيرة على أهله - سمعته في بعض اللغات^(٨) .

(١) اللسان : ١٩٥/١٦٠ .

(٢) اللسان : ١٨٧/١٨ .

(٣) الجاسوس : للشدياق : ٣٤٦ ط القدسية ١٢٩٩ هـ الجواب .

(٤) المزهر : ٥٥٦/١ .

(٥) المحسن : ابن سيده / السفر ٩ ص ١٣٦ ، كتاب العين للخليل : ٧١ بغداد .

(٦) المهرة لابن دريد : ١٥٢/٣ .

(٧) المزهر السيوطي : ٣٦٧/٢ .

(٨) المهرة لابن دريد : ٢٠٣/٢ .

٤ - ما قاله ابن دريد من أن « الصهوة في بعض اللغات - مطمئن من الأرض تلجم إلية ضوال الأبل »^(١) و قال السيوطي بأن « الصوة » في بعض اللغات الأرض ذات الحجارة^(٢) .

(٥) وأحياناً تكتفي الرواية بأن الكلمة أو الصيغة « لغة لبعض العرب » مثل :

١ - ما ذكره الفراء من أن « المنجنيق - أثني ، وبعض العرب يسميه : منجنوق وقال الفراء بعد ذكر الصيغة السابقة « أحكىت لي ولم أسمها من العرب »^(٣) .

٢ - قرأ الحسن : « من كان يريده^(٤) الحياة الدنيا وزينتها نواف إليهم أعمالهم فيها » ، « بالياء بعد الفاء » نوافي - فاحتفل أن يكون مجزوماً بحذف الحركة المقدرة على لغة من قال « ألم يأتيك » وهي لغة لبعض العرب^(٥) .

(٦) أو تتشكل الرواية في الصيغة ، فتارة تحمل وجهاً من الصيغة على المصدر ، والوجه الآخر على الاسم - مثل :

١ - ما ذكره الفراء في قوله تعالى « إن يَمْسَكُمْ قَرْحٌ^(٦) فقد من القوم قرحة مثله » من أن « قرحة قد قرر بها - وأكثر القراء على فتح القاف - وكأن القرح : ألم الجراحات ، وكأن القرح : الجراح بأعينها »^(٧) هكذا جاءت الصيغة في حالتها مهمة العزو والتحقيق يثبت أن الفتح لغة الحجاز ، والضم لغة تم^(٨) .

٢ - ما ذكره صاحب البحر في قوله تعالى « إلا من اغترف غرفة^(٩) بيده » . فقرأ الحرميان

(١) المرجع السابق ٩١/٣ .

(٢) المزهر للسيوطى : ٢١٧/١ .

(٣) المذكر المؤقت للقراء : ٢٩ ط أولى - حلب .

(٤) سورة هود : آية ١٥ .

(٥) البحر المحيط : ٢٠١/٥ .

(٦) سورة آل عمران : آية ١٤٠ .

(٧) معاني القرآن للقراء : ٢٣٤/١ دار الكتب ، الحججة : ابن خالويه ورقة ٢٧ مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب .

(٨) كتاب اللغات في القرآن : ٢٣ مطبعة الرسالة .

(٩) سورة البقرة : آية ٢٤٩ .

وأبو عمرو غرفة – بفتح الغين ، والباقيون بضمها – فقيل هما بمعنى المصدر ، وقيل هما بمعنى المفروض ، وقيل : الغرفة بالفتح : المرة وبالضم ما تحمله اليدي^(١) . ومكذا تكون الصيغة غير معزولة في كلتا الحالتين . والتحقيق يثبت أن الضم للجهاز ، وبالفتح لتميم ، وإنما قلنا ذلك ، لأن قبيلة تميم تميل إلى انسجام الأصوات ففتح الغين مع فتح الفاء يجعل اللسان يعمل في طريق منسجم ، بعكس الجهاز وهي التي لا تميل إلى الانسجام ولذلك قرأتها بالضم لأن اللسان ينتقل من الضم إلى الفتح ، وما يثبت أن الفتح لتميم ، أن أبو عمرو ابن العلاء قرأها غرفة – بالفتح وهو تميمي .

(ز) أو حينما آخر تطالعنا كتب اللغويين والتحاة باضطراب في عزو الملة ويشير ذلك في :

١ - ما رواه ابن دريد من أن « الرنخة » والجمع « الرمنخ » وقالوا الرمنخ وهو البلع لغة يمانية^(٢) . وفي نسخة أخرى من الجمهرة قال بأنها لغة طائية^(٣) .

٢ - في قوله تعالى « أو الطّفل الذين لم يظروا على عورات النساء »^(٤)قرأ الجمhour (عورات) بسكون الواو ، وهي لغة أكثر العرب ، لا يحرّكون الواو والياء في نحو هذا الجممع . والمشهور في كتب النحو تحريك الواو والياء في مثل هذا الجممع – وهي لغة هذيل بن مدركة ، وقال الفراء : العرب على تخفيض ذلك إلا هذيلًا فتشغل ما كان من هذا النوع من ذوات الياء والواو وأنسداني بعضهم :

أَخْوَيَّيَضَاتِ رَائِحٍ مَتَوَّبٍ رَفِيقٍ بَسْحِ الْمُكَبِّنِ سَبُوح^(٥)

فكأن ظاهرة فتح هذا الجماع منسوبة بالإجماع إلى هذيل . والدليل على ذلك أن سيبويه يرى هذا ، ورضي الدين^(٦) صاحب الشافية ، والبغدادي شارح^(٧) الشواهد ، والسيرافي على شرح

(١) البحر الحيط : ٢٦٥/٢ .

(٢) الجمهرة : ٢١٤/٢ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) سورة النور : آية ٣١ .

(٥) البحر الحيط : ٤٤٩/٦ .

(٦) شرح الشافية : ١١٣/٢ .

(٧) شرح شوامد الشافية : ١٣٢/٤ .

كتاب سيبويه^(١) ، والبغدادي في خزانته^(٢) ، ولكن نقل ابن خالويه في كتابه شواذ القرآن : أن بني تميم يقولون رؤضات وجوزات وعورات – يعني بتحريك الواو بالفتح ، وسائر العرب بالإسكان^(٣) ، فالاضطراب باد في آراء العلماء بخصوص تلك الظاهرة – فبعضهم ينسبها إلى هذيل^(٤) ، وبعضهم ينسبها إلى تميم^(٥) .

٣ – الوذيلة هي المرأة – طائية . قال أبو عمرو ، قال المذلي : الوذيلة المرأة في لفتنا^(٦) . ثم ساق ابن منظور شاهداً من قول أبي كثير المذلي على ذلك وهو :

وبياض وجه لم تحمل أسراره مثل الوذيلة أو كثينف الأنضر^(٧)

فالنصول هنا متعارضة ، كما أوردها ابن منظور بين هذيل ثارة ، وطبيه ، ثارة أخرى .

هذه أمثلة يسيرة مما حوته الروايات الأوبية واللغوية عن اللهجات العربية وقد سقت أمثلة عنها لا تبلغ معشار ما فيها – من الخلط والتشويه ، وإنما هذا العزو المضطرب لصيغة واحدة يختلف فيها النسايون إلى هذا الحد ، فمرة تنسب إلى اليمن ، وأخرى إلى طينه أو تنسب حيناً إلى هذيل ، وحياناً آخر إلى تميم ، ثم يختلفون أحياناً في وصف الظاهرة كالكشكشة والكسكة إلى حد يجعل الباحث أسيفاً إلى مصير تلك الدراسات اللغوية ، والبحث الذي نالها على أيدي الرواة وعلماء اللغة . هذا إذا وصلت اللهجة معزوة وهو قل من كثر – أما الكثرة الغالبة ، « فروایات^(٨) مهللة العزو » – كقولهم هي « لغة »^(٩) أو لغة معروفة مشهورة^(١٠) « أو لغة

(١) شرح السيرافي على سيبويه : ٦٦/٥ خطوط بالتيمورية ٢٨ خطو .

(٢) الخزانة : للبغدادي ٣/٤٢٧ - ٤٢٩ .

(٣) الدر الأقیط : ٤٤٩/١ ، وانظر عنصر شواذ القرآن : ابن خالويه ١٠٣ نشرة برجشتراس ١٩٣٤ القاهرة .

(٤) البحر المحيط : ٤٧٢/٦ ، النهر الماد من البحر ٤٧١/٦ .

(٥) مختصر شواذ القرآن : ١٠٣ .

(٦) اللسان : ٢٤٩/١٤ .

(٧) المرجع السابق ، وفي ديوان المذلين : ١٠٢/٢ « كسيف » .

(٨) حيث ذكر ابن الشجيري طبعت « حيث » لم ينسب صيغة « حوث » أمال الشجري ٢/٢٦٢ ، وكذلك أهل أبو زيد العزو في « أللهم يألكم أللهم ، ولا ته يلتئم ليتا » التوادر في اللغة لأبي زيد ١٩٧ ، بينما نسبت الصيغة الأولى لتميم والثانية للحجاج . انظر : المزهر للسيوطى : ٢٧٦/٢ .

(٩) حامة المزروقي : ١٤٣٨/٣ تحقيق الاستاذ هارون : ١٣٥٩/٣ ، ٧٣٠/٢ ، حامة التبريزى : ٢٥٠/٢ تحقيق محيي الدين مطبعة حجازي ، المخصص لابن سيده سفر ٤/١٣٣ ، المصباح المنير ١/٢١ .

(١٠) المخصص لابن سيده سفر ١٧/١٩ .

قوم^(١) ، أو لغة بعضهم^(٢) ، أو لا ندرى لغة^(٣) أم لثفـة^(٤) ، أو لغة قليلة^(٥) ، أو رديئة^(٦) ، أو شعاء^(٧) ، أو لغة علـاء^(٨) ، أو قصة الرجل الذي ظـحي بضـي^(٩) فالسيوطـي يخبرـ أنه رـجل ، ولا نـعلم عنـه إلاـ أنه رـجلـ أماـ من هوـ الرجلـ ، وـتعـين قـبيلـته لـنـعـرـف خـصـائـصـهاـ فـتـسـكـتـ المـاصـادـرـ الـعـربـيـةـ وـتـصـمـ آذـانـهاـ ، أو قـولـ الروـاةـ أـحـيـاـماـ إـنـ هذهـ الـكلـامـ (ـ فيـ بـعـضـ الـلـفـاتـ)^(١٠) بـعـنىـ كـذـاـ هـكـذاـ مـبـهـمـةـ قـلـقةـ .

ثانياً : الأمثال :

لا شك أن المثل صورة حية من حياة الشعب ، يعبر عن آماله ، وألامه التي تحيط به في ماضيه وحاضرـه ومستقبلـهـ إذـ هوـ بوـتقـهـ تـصـهـرـ الأـحوالـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـاقـتصـادـيـةـ وـالـلـغـوـيـةـ فـيـهاـ ، فـتـلـاـ ماـ كـانـتـ قـرـيـشـ مـنـ القـبـائلـ التـجـارـيـةـ وـجـدـنـاـ فـيـ أـمـثـالـهـ ماـ يـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ كـفـولـهـمـ دـلـاـ فـيـ العـيرـ وـلـاـ فـيـ التـفـيرـ ،^(١١) كـاـنـ الـحـالـةـ الـاـقـتصـادـيـةـ مـاـ كـانـتـ فـيـ ضـيقـ وـعـسـرـ كـانـ الـأـمـثـالـ الـعـربـيـةـ مـرـأـةـ لـتـلـكـ الـأـحـوالـ فـيـ تـصـورـ ذـلـكـ تـصـوـرـاـ دـقـقاـ . وـلـيـسـ هـذـاـ الـكـلـامـ مـقـصـورـاـ عـلـىـ الـأـمـثـالـ الـأـدـبـيـةـ فـقـطـ ، وـلـكـنـهـ أـكـثـرـ اـنـطـبـاقـاـ فـيـاـ يـخـصـ الـأـمـثـالـ الـعـامـيـةـ ، إـذـ هـيـ خـيـرـ أـنـوـذـجـ حـيـ يـنـطـبـقـ عـلـىـ الـحـيـاةـ وـلـذـلـكـ فـهـيـ أـصـدـقـ مـثـالـ عـلـىـ لـغـةـ الـقـومـ ، وـلـذـلـكـ يـخـرـصـ جـامـعـ الـأـمـثـالـ الـشـعـبـيـةـ عـلـىـ كـتـابـتـهاـ كـتـابـةـ مـطـابـقـةـ تـامـاـ لـنـطـقـهـاـ ، حـتـىـ تـكـوـنـ ذاتـ جـدـوـيـ أـكـثـرـ مـنـ نـاحـيـةـ الدـلـالـةـ الـلـغـوـيـةـ^(١٢) .

(١) النواودـ فيـ اللـغـةـ : لأـيـ زـيدـ : ٤٠ ، الـكـاملـ المـبرـدـ ١٨٦/١ ، طـ التـجـارـيـةـ ١٣٦٥ ، الجـاسـوسـ عـلـىـ الـأـمـالـ : للـشـدـيـاقـ ٤٨ ، سـرـ صـنـاعـةـ الـأـعـرـابـ : ابنـ جـنـيـ ١١١/١ الـحـلـيـ .

(٢) أـمـالـ الشـجـريـ : ٣٤/٢ ، ٣٠٢/٢ ، الـكـاملـ المـبرـدـ : ١٩٥/٢ ، الـخـصـصـ لـابـنـ سـيـدـهـ سـفـرـ ١٤/١٢ .

(٣) الـخـصـصـ سـفـرـ ١٣٦/٩ .

(٤) سـيـوـيـهـ ٢٩٦/٢ .

(٥) أـمـالـ الشـجـريـ : ٣٤/٢ .

(٦) الـلـسـانـ ١٤٩/٣ ، ٢٢٧/٤ ، ١٤٩/٣ .

(٧) أـمـالـ الشـجـريـ ٣٠٤/٢ ، ٣٠٥/٢ ، أـلـغـةـ عـلـيـاءـ : اـنـظـرـ أـمـالـ الشـجـريـ : ٧٩/٢ - ٨٠ . أـلـغـةـ الـمـالـيـةـ انـظـرـ : الـصـبـاجـ ٥٧١ .

(٨) الـمـزـهـرـ لـلـسـيـوطـيـ : ٥٦٣/١ .

(٩) مـثـلـ مـاـ ذـكـرـهـ اـبـنـ سـيـدـهـ مـنـ أـنـ «ـ الـقـطـاهـ هـيـ الـمـجـوزـ فـيـ بـعـضـ الـلـفـاتـ »ـ الـخـصـصـ لـابـنـ سـيـدـهـ السـفـرـ الـأـولـ مـنـ ٥٢ ، الـمـزـهـرـ لـلـسـيـوطـيـ ٣٦٧/٢ .

(١٠) فـجـرـ الـإـسـلـامـ : أـحـدـ أـمـيـنـ : ٧٦ طـ الـثـالـثـةـ .

(١١) الـأـمـالـ الـعـامـيـةـ فـيـ نـجـدـ : ٧ الـقـسـمـ الـأـوـلـ طـ أـوـلـ ١٩٥٩ـ ١٣٧٩ مـ .

والحق أن المثل يفوق الشعر، ذلك لأن الشعر له طبقة خاصة تنطق به فهو أرقى من مستوى العامة، أما المثل فعام تنطبع فيه أسرار الحياة كلها، وتشترك فيه جميع الطبقات، قال أبو هلال العسكري في كتابه « جهرة الأمثال » في شرح (بِعِينَ مَا أَرَيْتُكَ) أن معناه « أَعْجَلُ » وهو من الكلام الذي قد عرف معناه سمعاً من غير أن يدل عليه لفظه، وهذا يدل على أن لغة العرب لم ترد إلينا بـ كاكاها^(١)، فالمثال دلالتها على اللهجات أصدق من الشعر في ذلك: لأن الشعر له نظامه وجرسه وحدوده، يعكس المثل الذي ينطق به الإنسان في سهولة ويسر لقربه من النفس وشدة إلفه بالحياة قال ابن المقفع « إِذَا جَعَلَ الْكَلَامَ مَثْلًا - كَانَ أَوْضَعَ لِلنَّطِيقِ، وَأَنْقَلَ لِلْسَّمْعِ »^(٢)، وأوسع لشعوب الحديث^(٣)، ومن أجل هذا عبر بعضه عن الأمثال بأنها « صوت للشعب »^(٤)، ويكتفيها أن الاستعمال قد حفظها، فشاعت على الألسنة لأنها مركز للحياة في كل خطوة من خطواتها وحركة من حركاتها، وهي إما أمثال قديمة أو حديثة.

أ - الأمثال القديمة ودلالتها على اللهجات :

- ١ - قوله « أتى عليهم ذو أتى »^(٥) فـ « ذا » مثل من كلام طيب، وـ « ذو » في لغتهم تكون بمعنى الذي يقولون « نحن ذو فعلنا كذا » أي نحن الذين فعلنا كذا، و « هو ذو فـ » كذا بـ كذا، وـ « مـ معنى المثل » « أتى عليهم الذي أتى على الخلق » .
- ٢ - قوله « أثقل من شمام »^(٦) ، « وهو مبني على الكسر عند الحجازيين »^(٧) .
- ٣ - كما قالوا « هو أثقل »^(٨) من الزاورق وهو اسم للزئبق في لغة أهل المدينة .
- ٤ - وقولهم : « جزاء سنار »^(٩) والسنار في لغة هذيل - اللص، وذلك أنهن يقولون الذي لا ينام الليل سناراً، فسمى اللص به لقلة نومه .

(١) فجر الإسلام : أحمد أمين ٧٥ ط الثالثة .

(٢) بـ جمع الأمثال ٦/١ مطبعة السنة الحمدية ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م .

(٣) فجر الإسلام : أحمد أمين ٧٥/١ .

(٤) بـ جمع الأمثال ٦/١ ، وانظر : المزهر للسيوطى ٤٣٨/٢ ، ٣٠٨ .

(٥) بـ جمع الأمثال : ١٥٥/١ .

(٦) شرح السيرافي على سيبويه : ٤/٣٤٨ خطوط بالتيمورية ، خزانة الأدب للبغدادي ٣٤٩/١ ، ١٥٧/٢ ، ٤١٤ ، ٤٨٠ .

(٧) بـ جمع الأمثال للميداني ١٥٦/١ .

(٨) المرجع السابق : ١٧٧/١ .

٥ - وقالوا «حب الى عبد مكده»^(١) المحكده : الأصل ، وهي لغة عقيل ، وأما كلاب فيقولون «مقد» يضرب لمن يحرض على ما يشينه .

٦ - وقولهم «ليت^(٢) القسى كلها أربلا» يضرب للمتنى حالاً ، لأنها لما كانت أعلى القسى أطول من أسافلها ، ونوتركت الأسفل على غلظ الأعلى مع قصرها لم توات النازع فيها ، ولتخلفت عن الأعلى وخدلتها .

والعلوم أن ليت - تنصب الاسم وترفع الخبر إلا في لغة تمي فلأنها تنصبها « كما حكس ذلك ابن سلام^(٣) - وزعم أنها لغة رؤبة^(٤) وقومه ، وزعم أبو حنيفة الدینوری في كتاب النسبات « أن النصب « بليت » - لغة تمي » ، ولذلك فأرجح أن الذي نطق مثل هكذا - أي بنصب الجزأين - من قوم رؤبة .

٧ - وقالوا « لأضنتك ضم الشتائر »^(٥) . قال أهل اللغة : هي لغة يانية - وهي الأصابع - وذو شتائر : ملك من ملوك اليمن ، وقال حميري منهم يرثي^(٦) امرأةأكلها الذئب
أيا جحمنتا بسکي على أم واهب أكيلة قلوب ببعض المذاشر
فلم يبق منها غير شط عجانها وشتراته منها وإحدى الدوائر

٨ - كاروي ابن فارس^(٧) أن الأصابع في لغة حمير هي الشتائر . وأن القلوب في البيت الأول هو الذئب بلغة حمير^(٨) .

٩ - ما روی عن عبدالله بن مسعود أنه قال « ما على الأرض^(٩) شيء أحلى بطول سجن من

(١) المرجع السابق : ٢٠٠/١ .

(٢) المرجع نفسه : ١٨٧/٢ .

(٣) خزانة الأدب : ٢٩١/٤ - ٢٩٤ .

(٤) رؤبة : من تمي : الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٢٣٠ تصحيح السقا .

(٥) بجمع الأمثال للبيهاني ١٨٩/٢ .

(٦) اللسان : ٩٩/٦ .

(٧) الصافي لابن فارس : ٠٢٦ .

(٨) المرجع السابق .

(٩) بجمع الأمثال للبيهاني ٢٦٠/٢ .

لسان » والمثل روي بمنصب « أحق » وبرفعها . ولا شك أن الذي نطق بالمنصب حجازي ، وأن الذي نطقه بالرفع تميمي ، لأن الحجاز تنصب خبرها^(١) ، وتماماً تهملاً^(٢) ومثلاً « مكره أخوك لا بطل » أمثال الميداني ٣١٨/٢ فقد ورد المثل أيضاً بالألف « أخاك » العربية ص ١٠٦ يوهان فك .

ب - الأمثال العامية الحديثة ودلالتها على اللهجات العربية القديمة :

وإذا كانت الأمثال العربية القديمة مصدراً من مصادر اللهجات العربية ، فإن الأمثال العامية الحديثة تعتبر معيناً صافياً للهجات العربية القديمة أيضاً ، وذلك لأن العلاقة بين لهجاتنا الحديثة ولهجاتها العربية القديمة قوية . بل هناك بعض الظواهر لهجوية القديمة والتي لا يمكن تفسيرها - أمكن تفسيرها الآن في ضوء اللهجات العربية العامية ، لأن اللهجات القديمة بقيت تنتقل على ألسنة الناس في الأجيال الذهابية حق وصلتنا ، وتلك الظواهر العامية في اللهجات الحديثة - هي في الواقع عريقة في القدم متعددة جذورها في حياة الأمة العربية - ومن هنا نجد أن خصائص لغتنا العامية قد عاشت على أرض التربة العربية الأولى - عندما كانت تسير على ألسنة القبائل العربية القديمة ، ولذلك كان على الباحث أن يتمسّ خصائص اللهجات العربية القديمة - في أمثالنا العامية ، وأحاديثنا العادية لأنها جميعاً تحمل بذوراً للهجات القديمة .

وكانت دالة الأمثال العامية - على اللهجات العربية القديمة - طبيعية لا تكلف فيها ولا التواه ، وسأكفي في هذا المقام بالحديث عن ظاهرة واحدة ، في الأمثال العامية ، وأما باقية الأمثال فستدرس في خلال لهجات القبائل .

وردت عدة أمثال يستنبط منها ظاهرة لهجية واحدة وتلك الأمثال هي :

أ) « الحير تكفيه الاشارة »^(٣) .

ب) « قصيرة تقطع طويلة »^(٤) .

(١) الخزانة للبغدادي ١٣٠/٢ - ١٣٥ .

(٢) الكتاب لمسيبويه ٢٨/١ ٦٢ ، ٧٤ ، ٣٦ ، ٤٠ . وانظر شرح السيراني لكتاب مسيبويه ٤٠٢ - ٤٠٤ خطوط بالليمورية .

(٣) الأمثال العامية في نجد ٧١/١ رقم ١٨٣ قسم ١

(٤) المرجع السابق ٢٢٠/١ رقم ٥٥٦ .

ج) «خُلِدَ الحَقْنِيَّ مِنَ الْعِيَّةِ الْعَقْنِيَّةِ»^(١).

د) «الخيل تضمر لأجل ساعه»^(٢).

هـ) «الدنيا ما تغنى عن الآخره»^(٣).

وأريد أن أبين أن هذه الأمثال العامية النجدية تهدينا إلى شيء واحد مهم – وهو أن نجد أً كانت محطة للإمالة – لاسيما إمالة ما قبل هاء التأنيث كأي في الأمثال السابقة ، وكان الكسائي يميل^(٤) ما قبل هاء التأنيث ، وكذلك كان القاريء عاصم ١٢٧ هـ – وما كوفيان – والكوفة تزهار رجال من قبيلة أسد وتميم ، وقد اشتهرتا بالإمالة ، «بَلَّ الْكَسَانِيَّ نَفْسَهُ كَانَ مَوْلَى بْنِي أَسْدٍ»^(٥) كما يذكر السيوطي أن الإمالة في تميم وأسد وقيس وعامة أهل نجد^(٦) وصاحب التصريح يعزّوا الإمالة إلى «تميم وقيس وأسد وعامة نجد»^(٧) – فإذا كان الأمر كذلك تكون الأمثال السابقة – وهي كلها في عامية نجد الحديثة – قد أمدتنا بتأييد لميل تلك القبائل التي حدثنا الرواة عنها أنهم يميلون .

وأما السبب في إمالة ما قبل هاء التأنيث – في الأمثال الخمسة السابقة في عامية نجد^(٨) فيرجع إلى أن الألف يمال ما قبلها ، والهاء شبيهة بالألف ، فأمليت ما قبل الهاء كذلك ، لاسيما وأن الألف والهاء تحمل إحداهما مكان الأخرى ، من ذلك ما ذكره ابن خالويه في قوله تعالى «أَنَا أَحَنِي وَأَمِيتُ»^(٩) – من أن (أنا) فيها أربع لغات : أنا فعملت ، أنـ فعلت ، أـ فـ عملت ، آـ نـ فـ عملت ، فالألف قرينة الهاء – فإذا ما أمليت الألف – أمليت كذلك الهاء ، وهذا معنى قول سيبويه «شـبـهـ الـهـاءـ بـالـأـلـفـ ، فـأـمـالـ ماـ قـبـلـهاـ كـاـيـمـلـ ماـ قـبـلـ الـأـلـفـ»^(١٠) .

(١) المرجع السابق ٨١/١ رقم ٢٠٩ ويضرب في اغتنام القليل من البخيل .

(٢) المرجع السابق ٨٨/١ رقم ٢٣٦ .

(٣) الأمثال العامية في نجد ٩٤/١ رقم ٢٥٥ .

(٤) إبراز المعاني : أبو شامة ١٧٦ ، النشر لابن الجوزي ٨٢/٢ ، ولقد قيل للكسائي : إنك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال : هذا طباع العربية . النشر : ٨٢/٢ مطبعة مصطفى محمد .

(٥) طبقات القراء : ابن الجوزي ١٦٩/١ ، ٣٥/١ ، النشر لابن الجوزي ١٦٩/١ .

(٦) مع المرامع للسيوطى ٢٠٤/٢ مطبعة السعادة .

(٧) التصريح على التوضيح : خالد الأزهرى ٣٥/٢ .

(٨) سورة البقرة : آية ٢٥٨ .

(٩) الحجۃ في قرارات الأئمة السبعة ورقة ٢٠ ابن خالويه مخطوطۃ بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ بـ .

(١٠) الكتاب لسيبویه : ٢٧٠/٢ ، وانظر النشر لابن الجوزي ٨٧/٢ .

ثالثاً : اللهجات العربية الحديثة :

وهي مصدر أصيل ينتهي به إلى معرفة اللهجات العربية القديمة ، وذلك أن الجزيرة العربية قديماً كانت قبائل ، وبطوناً ، وقلك القبائل وهذه البطون تختلف لهجاتها فيما بينها اختلافاً مرده إلى الفردية والمغارة حيناً ، أو الكسل والشذوذ أحياناً ، كما أن هذا الاختلاف قد يرجع إلى احتكاك القبائل بعضها ببعض مع اختلاف الظروف الاجتماعية إلى غير ذلك من العوامل التي أفضى فيها علماء اللغة والاجتماع ، وكما وجدت في المجتمع العربي القديم تلك العوامل التي تساعده على اختلاف اللهجات بين القبائل ، وتشييع الفرق بين البطون ، وجدت كذلك في هذا المجتمع نفسه عوامل قد ترجع إلى روابط سياسية أو اجتماعية – كما ظهر ذلك في الأحلاف^(١) ، والاتحادات الكبرى كالاتحاد كندة^(٢) حيث حاولت أن تكون مجموعة من القبائل حول سلطة مركزية – هذه العوامل هي التي تمثل بالمجتمع كي يحافظ على الطابع المميز للهجهة ، وتمر كل من العوامل التي تساعده على اختلاف لغته ، ولا يزال الأمر بين عوامل انتقال ، وعوامل اتصال – هذه تباعد بين اللهجات وتلك تقرب بينها^(٣) حتى يكون النصر في النهاية لعوامل الانفصال ، وعندئذ تتباين اللهجات ، ويبقى لها كيانها وهذا معنى قوله « إن في كل لغة حية قوتين متضادتين » الأولى : تدفع بالفرد عن المركز ، والأخرى : تشد به نحو المركز^(٤) .

ونرى مظاهر اختلاف هذه اللهجات : في المشترك^(٥) ، وفي التضاد^(٦) ، وفي الترافق^(٧) ، والقلب^(٨) ، وفيما سمع عن العرب من أشياء قاطعة في اختلاف اللهجات مثل ما ذكره ابن خالويه في شرح الفصيح ، وما جاء عن الأصمعي من قوله : « اختلف رجلان في الصقر ، فقال أحدهما :

(١) تاريخ العرب : ٣٥٢/١ جواد علي ، معجم ما استجمم ٥٣/١ البكري (تحقيق السقا) .

(٢) تاريخ العرب : ١٤٧ مبروك ناقع .

(٣) في اللهجات العربية : ١٩ الطبعة الثانية دكتور إبراهيم أنيس .

(٤) نحو عربية ميسرة : ١٠٥ أنيس فريحة .

(٥) المزهر للسيوطى : ٣٦٩/١ وما بعدها .

(٦) المزهر : ٣٨٧/١ ، القرطين : ٢٨/١ ابن مطر الكتاني ، اللسان : ٤٤٣/٤ ، ١٠١/٥ ، البحر العبيط ١٥٤/٦ .

(٧) المزهر : للسيوطى : ٤٠٢/١ وما بعدها .

(٨) مع المرام للسيوطى : ٢٥٥/٢ .

الصقر - بالصاد ، وقال الآخر : السقر - بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما فحكي له ما لها فيه فقال : لا أقول كما قلنا - إنما هو - الزقر ^(١) .

ثم شاء الله أن تنزع العربية مع الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً حيث اتصلت هناك لغات الفاتحين بلغات غيرهم ، وقام الصراع بين لغة الدخيل ، ولغة الأصيل ، ولغة الغزاة الفاتحين ، ولغة المغلوبين المنزهين ، وفي نزوح العربية من ديارها حدثت لها هزات واضطرابات ، ونالها بعض التغيير والتبدل ، وشاء الله أن تنتشر هذه العربية في تلك المساحات من البلاد المفتوحة قربها وبعدها ، ومن المقرر أن اللغة المقحورة تركت في اللغة الفالبسة آثاراً كثيرة في مختلف المظاهر ^(٢) ، وكان هذا الصراع مع اللغات الآرامية في سوريا والعراق ولبنان ، ومع القبطية في مصر ، ومع البربرية في شمال إفريقيا ، ومع الفارسية بإيران ، ومع التركية ببلاد المغول ، وتقضي نواميس اللغات أنه مقى انتشار اللغة في مناطق واسعة من الأرض ، وتتكلم بها طوائف مختلفة من الناس - استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ^(٣) .

وهكذا كان لا بد لهذا المبدأ أن ينطبق على اللغة العربية ، عند انتشارها ، فقد انتشرت إلى لهجات - وانتخذت كل لهجة منهجاً خاصاً بها تحت تأثير ظروفها الخاصة بها « فلهجة العراق أو لهجة المغرب - في العصر الحاضر - لا يفهمها المصري إلا بخصوصية وفي صورة تقريبية » ^(٤) ، لكن لما كانت العربية الفصحى - هي لغة الكتابة ولغة الدين في هذه الأماكن - كان من الضروري أن تخفي أوجه الخلاف بين تلك اللهجات العامية ، ذلك لأن العربية الفصحى كما يقول يوهان فلك : « ظلت في الأدب الملكة المتوجة التي أقسم لها يمين الطاعة كل من أدعى إلى الثقافة بسبب أو نسبة » ^(٥) فأصبح مكان الفصحى ثابتاً مشيخاً للبناء - نظراً لبقاء وحدة الثقافة في تلك الدول من جهة ، ومن جهة أخرى أن هذه اللغة هي لغة الدين الجديد نفسه وأداته الأولى ، فكان الإسلام بمثابة الطائر الذي حملها على جناحيه حتى نشرت ألويتها في تلك المناطق واقترن في أرواح المؤمنين بهالة من التقديس والتعظيم ، وإنما بلغ انتشار العربية مداه الواسع في تلك المناطق لأنها تتشابه مع بلاد العرب في طبيعتها وخصائصها وبيئتها - ولذلك علل انتشار

(١) الخصائص : ٣٧٨/١ ، الاقتراح : ٢٦ للسيوطى ، حيدر أباد ط الثانية .

(٢) فقه اللغة : ١٢٥ الدكتور عبد الواحد وافي الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٠ .

(٣) فقه اللغة : ١٤٢ وافي .

(٤) المرجع السابق ١٤٣ وافي .

(٥) العربية : ص ١٤٣ يوهان فلك ترجمة الدكتور عبد الحليم التجار ط دار الكتاب العربي سنة ١٩٥١ .

العربية سريعاً في مصر ، لأن بيتها موصولة بالبيئة العربية ، وجغرافيتها كذلك ، وما يقال في مصر يقال في غيرها : كالعراق ، لأنها موصولة الطبيعية بالجزيرة العربية ، وشمال إفريقيا ، فهي بلاد متشابهة في مظاهرها وفي صحرائها وصخورها وتلالها ، ثم انتشرت هذه اللغة العربية إلى لهجات عامة ، لأنها انتشرت في مناطق شاسعة من الأرض ، وقد قسم المحدثون هذه اللهجات العامة إلى خمس مجموعات^(١) .

- أ) مجموعة اللهجات المجازية (وتشمل اللهجات الحجاز ونجد واليمن) .
- ب) مجموعة اللهجات السورية (وتشمل جميع اللهجات العربية في سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) .
- ج) مجموعة اللهجات العراقية .
- د) مجموعة اللهجات المصرية (وتشمل جميع اللهجات العربية في مصر والسودان) .
- هـ) مجموعة اللهجات المغربية (وتشمل جميع اللهجات العربية في شمال إفريقيا) .

ولهذا وجدنا أن كل قطر من الأقطار العربية تختلف فيه اللهجات العامة عن غيره في مدلول اللفظ الواحد ، وفي صيغة الجموع . ففي مصر يقولون^(٢) « طقطوقة » للإنسان الذي يطرح فيه رماد اللقانف ويطلقون « الطقطوقة » على الأغنية البدوية ، بينما الشامي لا يعرفها تطلق إلا على الأغنية فقط .

وفي الشام : يحμون سيكارات ، وفي لبنان : على سواكي ، وفي مصر على سكايـر .

وفي مثل ذلك يقول المستشرق موريينو « لقد تعلمت العربية في إيطاليا ، ثم أقت زماناً في ليبيا وفي مصر والسودان وال العراق ، فواجهتني مشقة اختلاف اللهجات ، وصعوبة التفاهم بها ، إذا قلت لعربي في بنغازى : أعطوني شراباً ، ثم قلت لعربي في طرابلس ، أعطاني أحدهما مشروباً ، وأعطاني الآخر جورباً »^(٣) .

(١) فقه اللغة : ١٥٩ وافي .

(٢) من مقال الاستاذ محمد كرد علي بـ « مجلة مجمع اللغة العربية » ٧ .

(٣) جريدة الأهرام في ١١/١١/١٩٦١ من مقال لـ بنت الشاطئ .

فالعامية قد انحرفت في هذه الأقطار عن الفصحي، وهذا الانحراف ناشئ في أغلب الأحيان من القصد إلى التخفيف في النطق ، ويحدث التحريف^(١) :

- ١ - إما بزيادة حرف كا هو الحال في راجل بدلاً من رجل ، ودواية في دواة .
- ٢ - وأما بتخفيف المهمزة مثل بير بدلاً من بئر .
- ٣ - وقد يكون باتباع حركة أول الكلمة للحرف اللين الذي في وسطها مثل : بيت بدلاً من بيتت « ومولده » بدلاً من مولد .
- ٤ - وإنما بإبدال بعض الحروف بأخرى - أسهل في النطق مثل : « بختار » في بعثر . اتّاوب بدلاً من تثائب .
- ٥ - أو تخفيف النطق بإبدال الحرف المضعف - ياء مثل : مدّيت - حطّيت - فكّيت
- ٦ - أو يكون التخفيف^(٢) ناشئاً عن النحت مثل أيش بده - أي شيء بودك . أو منسين ، وأصلها من أين .
- ٧ - أو يكون التخفيف ناشئاً عن القلب مثل : الزحالف للزلائف - أي السلاحف والمملكة يعني الملقة .
- ٨ - أو من الإبدال : مثل : يلهط الطعام يعني يرهط . واشتّرت الدابة يعني اجترت . دِحْك يعني دِسْحَك .
- ٩ - أو من النقصان من عطوني - في أعطوني ، ومثل : مرت فلان ، أي أمرأته ، ونهار الحد . أي الأحد ، وقولنا : عَ الرف ، مِ السوق .
- ١٠ - أو التصحيف : مثل اخْدِيف الشَّيْء : أي احذفه ، واتّين في اثنين ، أو تمر في ثَرَ .

وهكذا شاء الله للعامية العربية أن تسير مع الزمن، وتتنطلق في ركب التطور: من الصعب

(١) انظر مجلة جمع اللغة العربية ج ٧ من مقال في « موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحي » للأستاذ محمد فريد أبو حديد .

(٢) انظر : في هذا مجلة جمع فؤاد الأول ج ٤ في مقالة « اللهجة العامية في لبنان وسوريا » للأستاذ المعرف .

الى السهل ، ومن الخشن الى الناعم ، ومن المعدن الى الميسر ، ومن المزخرف الى البسيط ، ولهذا فإن الفروق التي تشاهد بين الفصحى واللهجات العامية – إنما تنتج من حاجة الناس الى التعبير عن أفكارهم بسهولة وبساطة ووضوح ، ومن نزوعهم الى الاقتصاد في الكلام .^(١)

وهذا التخفيف الذي سارت عليه العامية العربية ، والذي مثلنا له سابقاً يرجع الى قرب مخارج الحروف حيناً ، والى لهجات القبائل أحياناً ، وما يعرض من التصرف في اللفظ والسمع ، فالكثرة من الألفاظ العربية أصلية من لهجة قريش أو غيرها من القبائل القيسية والأسدية ، والتيمانية ، والمذلبية والطائية واليمنية وغيرها ، ذلك لأن القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة الى آفاق الأرض الرحيبة – كانت من أصول مختلفة ، لذلك اختلفت اللهجات العامية العربية في تلك الأصقاع تبعاً لأصولها ، ويكتننا لذلك أن نقول بأن العامية العربية الحديثة أقدم من الفصحى على الزمن – فهي موصولة النسب بهـا عاشت معها في أرضها وتحت سمائها – أم تكون عاميتنا لهجات مختلف القبائل والبطون والمشائخ ؟ فسبقت بذلك اللغة الفصحى وتقدمت عليها – ثم جرت عليها سنة الزمن في التطور ، وعجب أن يصفها قوم بالفساد لأنها تطورت ، وما الفساد إلا أن تتجدد في مكانها – وتتكلل ، بل تتحجر أسلوبها ومعانها ، أم تكون عاميتنا من صنع مجتمع عربي أصيل ؟ فليست ظواهره العامية بنت اليوم أو الأمس بل هي قديمة قدم التاريخ ، موصولة النسب بفصحانا ، قوية الوشائج بلغة القرآن وأدب العرب ، وإذا كان التطور قد أصاب هذه اللهجات فلقد أصاب الفصحى هذا التطور وذلك التصرف . فحرى بعد هذا أن يجد الباحث علاقتين قويتين بين هذه العاميات العربية ، وبين لهجات القبائل في جزيرة العرب . وسيجد الباحثون مقدار ما احتفظت به هذه اللهجات الحديثة من صفات لهجية قبلية قديمة ، وفي ذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس^(٢) « فاللهجات الحديثة وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطوراً مستقلاً باعده بيتهـا ، وصيغها بصيغة محلية في بعض ظواهرها – قد استنسخت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة » .

وإذا كانت العامية الحديثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللهجات العربية القديمة فإنها ترتبط كذلك بالفصحي ، فمن هذا الارتباط بين العامية والفصحي :

ما ذكره صاحب اللسان في مادة^(٣) (زنا) – (زنا) عليه تزنة – ضيق واستشهد ببيت العفيف العبدي :

(١) نحو عربية ميسرة : ١١٥ ، فريحة .

(٢) في اللهجات العربية : ٢٦ الطبعة الثانية .

(٣) اللسان : « زنا » .

لَا هُمْ إِنَّ الْمَراثَ بْنَ جَبَلَهُ زَنَّا عَلَى أَبِيهِ ثُمَّ قَتَلَهُ

قال : وأصله : زَنَّا - بالهمزة ، وفي الحديث أنه كان (أي النبي عليه السلام) لا يحب من الدنيا إلا زنأها - أي أضيقها . وفي اللسان أيضاً : زَنَّا الظل يزنأ - فلص . وقال صاحب القاموس^(١) (زَنَّا - لزق بالأرض ، وزنأ بوله - احتقن ، وأزنأه - ألجأه ، وزنأ عليه ترنثة - ضيق .

هذا معنى الكلمة في معاجم اللغة .

فإذا انتقلنا إلى اللسان العامي في مصر نجد أننا نقول (زَنَّا) فلات على نفسه أو أولاده) يعني ضيق بخلأ (وانزنت فلان في كذا) إذا أضاف عليه أمر ، أو حزبته شدة (وفلان انزنت بالبول ، أو انزنت بوله) يعني احتبس (وزنت التفير للص في الحائط) ألجأه إليها .

ونقول (فلان ما يعرفش ربته إلا وقت الزَّنْقة) أي وقت الضيق - وبالمقارنة ظهر أن هذه المادة مستعملة في اللسان العامي كما في العربية الفصحى وما يؤكّد هذا ما جاء عن أبي عمرو : الأفزن . الوثبة بالمجلة ، والقفز : الوثب^(٢) ، وكذلك أبدلت القاف هزة في اللغة البوانية ، وفي شمال مراكش ، كما وجدت الظاهرة في لهجة مالطة^(٣) .

وإذا كانت العلاقة بين عاميتنا والفصحي على تلك الحال ، فأمرها مع لهجات العربية القدية أكثر اتصالاً ، وأقوى رابطة ، واكتفي هنا بكلمة واحدة حتى يحين الوقت لعرضها مع دراستنا عن لهجات القبائل .

روي عن تميم أنهما تقلب الألف للتطرف هزة فيقولون في حرف النفي « لا » ، « لأ »^(٤) والدليل على ذلك ما ثبت من أن بعضهم يقلب الألف في المقصور هزة فيقول : « الهدأ »^(٥) في

(١) القاموس : (زَنَّا) .

(٢) إيدال أبي الطيب : ٦٢/٢ . وأشب وقشب يعني خلط .

(٣) حروف الحلق : دكتور خليل نامي .

(٤) ميزات لغات العرب : ص ٢٧ ، مجلة الجمع للغة العربية ج ١٣ من مقال العامية ... الفصحى للأستاذ محمود تيمور .

(٥) ميزات لغات العرب : ٢٧ حفني ناصف .

« لا هُمْ : أي الهم »

المدى ، وروى السيرافي « أن بعض ^(١) العرب يقلب الألف همزة نحو « رأيت رجلاً » فإذا ملنا إلى هجتنا المصرية لنتعرف منها ما يساوي هذه اللهجات نراها تقول في حرف النفي (لا) - « لاً » بالهمز ، فليس في مصر من ينطق بها إلا مهموازة ، إلا أهل الصعيد فإنهم يقولون فيها (لع) بقلب الممزة عيناً - مبالغة منهم في الوضوح والبيان ، وقلب الممزة عيناً من سمات ^(٢) تميم ، وهذا يؤكد أن في النازلين الأولين في صعيد مصر من العرب قوماً من بني تميم .

(١) شرح السيرافي على سيبويه : ٤٣١/٥ - ٤٣٣ مخطوط بالティمورية .

(٢) خزانة الأدب البنديادي : ٤٩٥/٤ - ٥٩٦ .

الفصل الثالث

«تراث اللهجي»

أولاً: تصنيف هذا التراث:

١ - التأليف في لغات القبائل في القرآن^(*) :

يظهر أن هذا النوع من التأليف «كان من أول الفنون اللغوية ظهوراً»⁽¹¹⁾، لأنـ يتصـ بالقرآن الكريم مباشرة ، ولا شكـ أنـ كلـ تأليفـ يتـصلـ بالـقرآنـ الـكـريمـ نـالـ منـ القـومـ عـنـيـةـ ظـاهـرـةـ ، إـذـ كـانـتـ لـهـ قـدـمةـ عـلـىـ غـرـبـهـ ، وـتـفـضـلـ عـلـىـ مـاـ سـوـاـهـ .

^{١٤٧}) فقد ألف هشام الكلبي (٢٠٤ هـ) كتاب « لغات القرآن »^(٢) كا في الفهرست : ص ١٤٧ وقد أشار إليه في كتاب الأصنام الحق أحمد زكي ص ٧٣ .

ب) وألف الفراء (٢٠٧ هـ) كتاب « لغات القرآن » كما أشار إليه أبو حيان في تفسيره^(٣) ، والشيخ عبادة في حاشيته على شذور^(٤) الذهب ، كما ساق صاحب التصريح نصوصاً من « لغات القرآن » للفراء^(٥) .

^{٦١}) كألف الأصمعي (٥٢١٣) كتاب «اللغات» في القرآن».

(*) انظر مقالتنا «نوصوص من تراث لغوي مفقود» بمجلة المجمع اللغوي بالقاهرة ج ٢٦ .

(١) المجمع العربي : ٧٣/١ دكتور نصار مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٧٥ / ٥ ١٩٥٦ .

(٢) الفهرست : ابن النديم : ٥٩

١٩٣/٣) البحرين المحيط :

١٤٨/١ الشذور عل عبادة حاشية)

(٤) التصريح على التوضيح : ١٢٨/١ ، ١٣٨/١ .

(٦) الفهرست : ابن النديم : ٥٩

د) وقفى على أثره أبو زيد الانصاري (٢١٥ هـ) فألف مثل ذلك وأشار إلى ذلك التأليف صاحب «البغية»^(١)، وابن النديم^(٢).

هـ) كألف في لغات القرآن - الهيثم بن عدي^(٣).

و) وذكر ابن دريد (٤٣٢١ هـ) في الجهرة أنه ألف كتاب اللغات^(٤) في القرآن كما ذكره صاحب الفهرست، وقال: بأنه لم يتمه^(٥).

ز) ونسب ابن النديم مؤلفاً باسم «لغات القرآن» إلى محمد بن يحيى القطبي^(٦).

ح) وذكر السيوطي في ترجمة أحمد بن علي بن محمد البهقي (٥٤٤ هـ) أنه صنف (المحيط بلغات القرآن)^(٧).

ط) ووجدت نسخة في مكتبة المرحوم أحمد تيمور بدار الكتب بعنوان (لغات القرآن - مختصرة من مفردات الراغب) لا يعلم^(٨) مؤلفها والنسخة بدون خطبة، وهو يتعرض لمفردات القرآن على ترتيب حروف المعاء، فيقدم حرف الألف مثل «الأب، الأبد، أباق» ... ثم باب الباء: البت البت - البت ... والكتاب لا ينساب أي لفظ من القرآن إلى قبيلتها ولذلك أرجح أن الكتاب «أقرب إلى غريب القرآن» منه إلى لغات القرآن».

ي) كما رأيت نسخة أخرى في التيمورية بعنوان^(٩) «لغات القرآن» لأبي حيان (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ)، وبقراءتي لهذا الكتاب لم أجده به أثراً من لغات القبائل في القرآن - إلا كلمة واحدة في القرآن نسبها إلى قبيلتها: قال «أَفْلَمْ يَتَشَتَّسُوا» معناه: بلغة التخشّع «يعلم

(١) بغية الرعاة السيوطي: ٢٥٥ مطبعة السعادة.

(٢) الفهرست: ٥٩.

(٣) الفهرست: ٥٩.

(٤) جهرة: ابن دريد ٤٠٠/٢ والفهرست: ٥٩.

(٥) الفهرست: ٥٩.

(٦) الفهرست: ٥٩.

(٧) بغية الرعاة: ١٥١.

(٨) رقم ٣٧٧ مخطوط بالتيمورية لغة.

(٩) رقم ٧٤ لغة مخطوط بالتيمورية.

ويتبين ، والله أعلم^(١) بالصواب » . والكتاب يرتب مفردات القرآن حسب الحروف المجائية ، ولقد أهل أبو حيان عزو مفردات القرآن إلى لفاتها ، ولذلك أشك كثيراً في اسم هذا الكتاب ، لاسيما وأن السيوطي في ترجمته له في بقية الوعاء ذكر مؤلفاته » . ولم يذكر منها هذا الكتاب ، بل ذكر له كتاباً آخر باسم « إنتحاف الأريب بما في القرآن^(٢) من الغريب » ، وما يؤيد ظني أن الكتاب الذي نسبه له السيوطي ، قد طبع في « حماة » سنة ١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٦ م بطبعية الإخلاص ، وبمقارنتي « كتاب تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب » بكتابه الذي أتكلم عنه وهو « لغات القرآن » وجدت أن مادة الكتابين واحدة ، مما يدل على أن مفهوس مكتبة المرحوم تيمور قد أخطأ في عنوان الكتاب ،

ك) وعثرت في الخزانة التيمورية على تأليف سمي (رسالة غريب القرآن على لغات القبائل^(٣)) أله أبو حيان (٦٥٤ - ٧٤٥ م) ، وهذه الرسالة المنسوبة إلى أبي حيان النحوي تسير على نظام سور القرآن ، فيستخرج لهجات القبائل من كل سورة على حدتها مبتدئاً بسورة البقرة ، فآل عمران ...

ل) وهناك رسالة تحت عنوان (كتاب اللغات^(٤) في القرآن) ، أخبر به إسماعيل بن عمرو المقرىء عن عبدالله بن الحسين بن حسنون المقرىء بإسناده إلى ابن عباس ، وقام بنشرها الدكتور صلاح الدين المنجد ، وهذا الكتاب منسوب لابن عباس ويسير على ترتيب المصحف ، إذ يذكر اللهجات واللغات من كل سورة ، وليس فيه أي شاهد على هذه اللهجات ، وهو ما يؤكّد أنه مختصر من كتاب أكبر منه وقد طبع هذا الكتاب على هامش « كتاب التيسير في علوم التفسير » لعبد العزيز بن أحمد الدميري الشهير بالدربي^(٥) من أول صفحة ١٠٩ وما بعدها ، كما طبع الكتاب مرة أخرى على هامش تفسير الجلالين بصر ١٣٥٦ هـ وقد نسب الكتاب في الطبعتين الأخيرتين معزواً فيها « للإمام أبي القاسم^(٦) » بن

(١) لغات القرآن : أبو حيان : ٣٣ خطوط بالتيمورية رقم ٧٤ لفة .

(٢) بقية الوعاء : السيوطي ص ١٢٢ .

(٣) خطوط بالتيمورية رقم ١٤٠ حديث ،

(٤) مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٩٤٦ م .

(٥) مطبعة التقدم بصر ١٣١٠ م .

(٦) كتاب التيسير في علوم التفسير : الدميري ١٠٩ .

سلام » ، كما أكده برو كلمان نسبته إلى أبي عبيد القاسم بن سلام^(١) معتمداً على ما ورد في كتاب التيسير وغيره .

ولكتني أشك في نسبة هذا الكتاب أو تلك الرسالة إلى أبي عبيد القاسم بن سلام للأسباب الآتية :

١ - بالبحث في كتب اللغويين ورجال الطبقات لم أجده من نسب كتاباً كهذا إلى أبي عبيد القاسم ، فابن النديم^(٢) مثلاً يذكر له « كتاب غريب القرآن » ، « وكتاب معاني القرآن » . وأبو بكر الزيدي في طبقاته لا ينسب له رسالة باسم « ما ورد في القرآن من لغات القبائل » ولا ما يشبه هذا^(٣) ، وكذلك صاحب مراتب التحويين لا يذكر له إلا كتابه « غريب القرآن » وذكر أنه متزع من كتاب أبي^(٤) عبيدة ، ومثله السيوطي^(٥) في بغيته لم يعز له رسالة في لغات القرآن .

٢ - في هامش كتاب التيسير يقول المؤلف « هذه^(٦) رسالة جليلة لبعض الأفاضل تتضمن ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل » وأظنها للإمام أبي القاسم بن سلام ، فصاحب الكتاب وإن نسب الرسالة إلى أبي عبيد ، فإن قوله « وأظنها » يشير إلى أنه غير متأكد من نسبتها إليه ، ثم إنه لم يذكر اسمه صراحة .

٣ - أن رواة الرسالة ليس منهم اسم أبي عبيد القاسم بن سلام ، بدل رواتها اسماعيل بن عمرو المقرئ عن عبدالله بن الحسين بن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس^(٧) .

٤ - أن برو كلمان في كتابه يذكر أن رسالة أبي عبيد القاسم التي تتحدث عنها مأخوذة من كتابه المفقود في غريب^(٨) القرآن - وإذا كان الأصل مفقوداً فكيف ساعده أن يدعى

(١) تاريخ الأدب العربي : ١٥٩/٢ نشره المرحوم الدكتور النجار .

(٢) الفهرست : ابن النديم : ١١٢ .

(٣) طبقات التحويين واللغويين : ٢١٧ وما بعدها تحقيق أبو الفضل .

(٤) مراتب التحويين : أبو الطيب اللخوي : ٩٣ مطبعة هبة مصر تحقيق أبي الفضل .

(٥) بقية الوعاة : السيوطي : ٣٧٦ .

(٦) كتاب التيسير في علوم التفسير : ١٠٩ .

(٧) كتاب اللغات في القرآن : ج ١ / ١١٧ .

(٨) برو كلمان : تاريخ الأدب العربي : ١٥٩/٢

بأن رسالتنا مأخوذة من أصل مفقود ، ويربط بين الرسالة هذه ، وبين أصلها الذي لا نعرف عنه شيئاً .

لهذا ، أشك في نسبة هذه الرسالة إلى أبي عبيد القاسم بن سلام ، وكما شككت في نسبة هذه الرسالة أشك في نسبة «رسالة غريب القرآن»^(١) على لغات القبائل ، لأبي حيان (٦٥٤ - ٧٤٥) وهي التي تحدثت عنها آنفًا وعلة ذلك :

- ١ - بمقارنتي نصوص هذه الرسالة ، على النصوص الواردة في (كتاب اللغات في القرآن) المعزو إلى ابن عباس ، وجدت نصوص الرسالتين لا تختلف عن بعضها ، فعزو المهمجات يسأد يكون متفقاً .
- ٢ - في مقدمة رسالة أبي حيان المخطوطة يدلي المؤلف برواية عن شرف الدين أبي الحسن علي بن المفضل ابن علي المقطسي إجازة ، قال : أخبرنا الشيخان الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي : ... عن إسماعيل بن عمرو المقرئ إلى ابن عباس ، في تتفق رواية «كتاب اللغات في القرآن» المسند إلى ابن عباس لهذا شككت في نسبة (رسالة غريب القرآن على لغات القبائل) إلى أبي حيان .
- ٣ - إن السيوطي مثلًا لم يعز لأبي حيان^(٢) هذا الكتاب — عندما ترجم له واعتقد أن نسبة لأبي حيان جاءت خطأ من مفهرس مكتبة المرحوم أحمد تيمور كذلك .

فقد كتب اللغات في القرآن :

وهذه الكتب السابقة والتي تحدثت عن أسمائها في «لغات القرآن» تعد مفقودة حتى الآن ما يحدث فراغاً ضخماً في الدراسات القرآنية اللهجوية ، وصلة ذلك من الناحية التاريخية بلهجات القبائل العربية فيه — باستثناء الكتب السالفة التي وصلتنا عن المكتبة التيمورية ، والتي أقيمت ظلاً من الشك عليها آنفًا من ناحية أسمائها ، ومتتها .

فتكون الرسالة الباقية في أيدينا حق الآن من هذا العدد الضخم الذي جاء في كتب التراجم والطبقات — هي ممثلة في (كتاب اللغات في القرآن) وهو ثرة لغرس ابن عباس ظهر إلى

(١) غنطرطة بالتيمورية رقم ١٤٠ حديث

(٢) بقية الرعاة : السيوطي : ١٢٢ . وانظر مقالنا بمجلة بجمع اللغة العربية الجزء ٢٦ ربيع الأول ١٣٩٠ م مايو ١٩٧٠ م .

الوجود من دار الكتب الظاهرية ، ونشرتها مطبعة الرسالة^(١) . ومن المفيد أن نشير إلى أن السيوطي قد نقل في إتقانه « النوع السابع والثلاثون » من كتاب سماه « تأليفاً مفرداً » نصوصاً في موضوع (لغات القرآن) .

وهذه النصوص التي نقلها السيوطي تتفق إلى حد كبير مع ما تضمنه (كتاب اللغات في القرآن) المعزو إلى ابن عباس ، لكن تأليفه هذا مختلف عن كتاب اللغات في القرآن السابق بشيئين :

أولهما : أن السيوطي حذف ما جاء في القرآن بلغة قريش والهجاء اختصاراً – وهو بهذا العمل بقدر جزءاً كبيراً من لغات القرآن – إذ أن قريشاً لها القسط الراfter من هجاءه .

ثانيهما : أنه رتب هذه اللغات ترتيباً يغاير نظام الكتاب الأصلي ، فترتيبه حسب اللهجات الواردة ، لا السور كافياً في الرسالة . فيبدأ ما ورد بلغة كنانة ثم هذيل

نقد كتاب اللغات في القرآن :

قارنت هذا الكتاب المسند إلى ابن عباس ، بالرسالة المعزوة للإمام أبي القاسم بن سلام والمنشورة على هامش كتاب (التيسير في علوم التفسير) للدميري^(٢) ظهر لي اضطراب في عزو اللغات واللهجات القرآنية أقرره فيما يلي :

١- في قوله تعالى « لولا اجتَبَيْتَهَا » أتى بها ، بلغة ثقيف . هذا ما ورد في الرسالة على هامش كتاب « الدميري »^(٣) ، « وفي كتاب اللغات في القرآن » أنها بلغة قريش^(٤) .

٢- في قوله تعالى « وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا سِبْقَا »^(٥) بكسر السين بلغة قريش وهي لغة النبي ﷺ ، وبفتح السين بلغة تميم ، هذا عزو كتاب اللغات في^(٦) القرآن ، وفي هامش الدميري : أن فتح السين لغة^(٧) جرم .

(١) القاهرة : ١٣٦٥ - ١٩٤٦ م .

(٢) مطبعة التقدم : ١٣١٠ م .

(٣) كتاب التيسير في علوم التفسير : ١١٩ .

(٤) اللغات في القرآن : ٢٨ .

(٥) الأنفال : آية ٥٩ .

(٦) اللغات في القرآن : ٢٩ .

(٧) التيسير في علوم التفسير : ١٢٠ .

٣ - وفي قوله تعالى «إِلَّا تَفْرُوا»^(١) يعني تفزوا ، بلغة كنامة عن كتاب اللغات ، وعلى هامش الدميري أنها بلغة هذيل^(٢) .

٤ - في قوله تعالى «فَلَا تَبْتَثِّسْ»^(٣) يعني تحزن ، بلغة كندة ، كما في هامش الدميري^(٤) كما عزيت إلى سدوس في كتاب^(٥) اللغات ، وعزها السيوطي في الإتقان إلى قبيلة كندة^(٦) !

٥ - وفي قوله تعالى «لَا حَتَّكْنَ ذَرِيْتَه»^(٧) يعني لاستأصلن بلغة قريش كما في لغات القرآن^(٨) ، بينما عزيت في رسالة القاسم بن سلام إلى لغة الأشعريين^(٩) ، وعزها السيوطي إلى الأشعريين كذلك^(١٠) ، وقد سجلت هذه المتناقضات بين الرسائلتين حق بلفت أكثر من خمسة وعشرين خلافاً بين النسختين ، مما يجعلني أقول في اطمئنان بأن هذا الفن قد دخله التعريف والاضطراب في النسخة الوحيدة التي وصلتنا من مؤلفاته القيمة ، والتي ضاعت جميعها في ثابا التاريخ .

واكتفى بهذا في (كتب لغات القرآن) وتاريخها وعرضها ، مع ملاحظة أن تلك الرسالة التي بأيدينا الآن لا تحصر حدتها إلا في المفردات القرآنية تسردها سرداً مضطرباً كما رأيت من الأمثلة السابقة ، وكنا نود أن تكون الرسالة أو غيرها في تاريخ اللهجات وتميزها على الوجه التاريخي وأدواره الاجتماعية ، ولكن مثل هذا ضمن به التاريخ كما ضمن علينا به القدامي .

ولقد عزّ على ضياع الكتب السالفة في لغات القرآن ، ومن ثم ضياع ثروة كبيرة من تاريخ كتابنا المقدس اللغوي ، فتعمقت كتب العربية على اختلاف نحليها على أضع بيدي على نوع من

(١) التوبية : آية ٣٩ .

(٢) التيسير : ١٢١ .

(٣) سورة هود : آية ٣٦ .

(٤) التيسير : ١٢٢ .

(٥) كتاب اللغات : ٣٢ .

(٦) الإتقان : السيوطي : ١٣٦/١ .

(٧) سورة الاسراء : آية ٦٢ .

(٨) اللغات : ٣٤ .

(٩) هامش التيسير : ١٢٧ .

(١٠) الإتقان : ١٣٦/١ .

تلك المادة التي احتوتها الكتب الضائعة فعثرت على عدة نصوص من كتب (لغات القرآن) المفقودة ، أنقل أمثلة بسيرة منها :

نصوص من كتب لغات القرآن المفقودة ومنهجها :

- ١ - عندما ذكر ابن هشام أن « هؤلاء » باللغة الحجازين^(١) ، وبها جاء القرآن وبالقصر لغة تميم - علق صاحب الحاشية بقوله (في لغة تميم وقيس وأسد وربيعة - ذكر ذلك الفراء في كتابه « لغات القرآن » ولم يخصه بتريم^(٢) . كما ساق صاحب التصريح^(٣) هذا النص السابق وعزاه إلى الفراء في كتابه « لغات القرآن » .
- ٢ - وقال الفراء في (لغات القرآن) وربما قالوا : هذان ذو اتعرف ، وهؤلاء ذو تعرف^(٤) .
- ٣ - وقال الفراء في (لغات القرآن)^(٥) بمعناه أعرابياً من طيء يسأل ويقول : (بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله به) فبني « ذات علىضم » ، ونقل حركة الماء الأخيرة إلى ما قبلها وحذف الألف ، فسكنت الماء .
- ٤ - وعندما كان ابن دريد يتحدث عن (الذي والذ والذان والذون) - قال : « وقد استقصيناها في كتاب القرآن » ، وعلق مصحح الجمهرة على ذلك بقوله (كذا في الأصول - ولعله كتاب لغات القرآن)^(٦) كما ذكر ابن دريد « كتاب اللغات في القرآن » مرة أخرى في جمهورته^(٧) وفي كتابه « الاستئناف »^(٨) حيث قال : وهذا يستقصى في لغات القرآن . ولا شك أن هذه النقول من تلك الكتب توضح على الأقل المنهج الذي سارت عليه ، ويظهر أنها تتجه إلى الناحية اللغوية وال نحوية والصرفية - على العكس من الرسالة المعروفة إلى ابن عباس في مفردات القرآن وألفاظه ، وقد ضربت أمثلة سالفة لها .

(١) شذور الذهب : ١٤٧/١ ط دار إحياء الكتب العربية .

(٢) حاشية عبادة على الشذور : ١٤٨/١ .

(٣) التصريح على التوضيح : ١٢٨/١ .

(٤) التصريح على التوضيح : ١٣٨/١ .

(٥) التصريح على التوضيح : ١٣٨/١ .

(٦) جمهرة ابن دريد : ٢٤٧/٣ .

(٧) الجمهرة : ٠٤٠٠/٢ .

(٨) الاستئناف : ٨٠ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

وأيًّا ما كان فيه النقول من تلك الكتب المفقودة – يجب أن تحفز الدارسين إلى جمعها من جديد من كتب العربية على اختلاف نحتمها ومشاربها ، وفي ضوء هذا تتبين منهاجها والطريقة التي سارت عليها – ومن هنا يمكن أن تقوم دراسة تاريخية مقارنة لهذه اللهجات .

٢ - المؤلفات تحت اسم «كتب اللغات» :

لا شك أن القدماء من علماء العربية ما كانوا ليعرفوا كلمة (لهجات) بل كانوا يستبدلون بها (لغات) يتضح هذا عندما أشار صاحب الأ Kami إلى قوله تعالى : « والشفع^(١) والوتر » فقال : – الفتح لغة أهل الحجاز ، والكسر لغة تميم وأسد^(٢) وقيس . كما ذكر أحمد بن فارس اختلاف لهجات العرب فقال « اختلاف لغات العرب من وجوه^(٣) ... » وعقد ابن جنبي باباً في خصائصه « باب اختلاف اللغات وكلها^(٤) حجنة » كما ذكر السيوطي في مزهره « باب الضعيف^(٥) من اللغات » فاللغة عندهم كانت مرادفة للهجة عندنا ، ولكن البحث الحديث يفرق بين اللهجات واللغات أو بين اللهجة واللغة^(٦) .

ولهذا يمكن أن نستقرئ ما ترك لنا القدماء من تواليفهم في اللهجات العربية تحت اسم « اللغات أو كتب اللغات » فيما يأتي :

- أ) يونس بن حبيب البصري (١٨٢ م) ذكر له ابن النديم تأليفاً باسم « كتاب اللغات »^(٧) .
- ب) أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢٠٦ م) ذكر القسطي أن له من التأليف « كتاب اللغات »^(٨) كما أرجح أن كتاب اللغات هذا هو كتاب الجيم أو كتاب الحروف الذي أله أبو عمرو ، لأنه جمع فيه الحوشى ولم يقصد المستعمل^(٩) .

(١) سورة الفجر : آية ٣ .

(٢) Kami القالى : ١٣/١ دار الكتب ١٩٢٦ .

(٣) الصافي : ١٩ .

(٤) الخصائص : ١٠/٢ .

(٥) المزهر : ٢١٤/١ .

(٦) انظر في اللهجات العربية : ١٣ ، مجلة الأزهر : المجلد الثالث والعشرون سنة ١٩٥٢ ص ٥٤ .

(٧) الفهرس : ٦٩ ط الاستقامة .

(٨) إنباء الرؤاة : ٢٢٧/١ .

(٩) إنباء الرؤاة : ٢٢٦/١ .

وَمَا يُؤكِّد هذَا مَا جَاءَ عَنِ السِّيُوطِيِّ « وَلِهِ كِتَابُ الْلُّغَاتِ - وَهُوَ الْمُرْوُفُ بِالْجِيمِ »، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِكِتَابٍ^(١) الْحُرُوفِ، وَأَرَى أَنَّ الْعَلَاقَةَ وَثِيقَةٌ بَيْنَ مَعْنَى الْحُرُوفِ وَمَعْنَى الْلُّغَاتِ، يَفْسِرُهَا مَا جَاءَ فِي مَسْنَدِ الْحَافِظِ أَبِي يَعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ كُلُّهَا شَافٌ^(٢) كَافٌ »، فَقَدْ ذَهَبَ أَبُو عَبِيدٍ وَثَلْبُ الْزَّهْرِيِّ إِلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ فِي الْحَدِيثِ سَبْعَ لُغَاتٍ مِّنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ^(٣).

وَيُظَهِّرُ أَنَّ كِتَابَ الْلُّغَاتِ هَذَا قَدْ ضَنَّ بِهِ أَبُو عُمَرٍ عَلَى تَلَامِيذهِ، جَاءَ فِي مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ: « وَأَمَّا كِتَابُ الْجِيمِ « الْلُّغَاتِ » فَلَا رَوَايَةَ لَهُ، لَأَنَّ أَبَا عُمَرٍ بَخْلَ بِهِ عَلَى النَّاسِ فَلَمْ يَقْرَأْ عَلَيْهِ^(٤) أَحَدٌ »، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ فَعْلَةِ أَبِي عُمَرٍ هَذِهِ - فَقَدْ ذَكَرَ بِرُوكَلَمَانَ أَنَّ نُسْخَةً فَرِيدَةً مِّنْ كِتَابِهِ^(٥) هَذَا مَحْفُوظَةً بِمَكْتَبَةِ الْأَسْكُورِيَّالِ بِإِسْبَانِيَا^(٦).

وَأَيْضًا مَا كَانَ فِي كِتَابِ الْجِيمِ هَذَا يُعْتَبَرُ ذِخِيرَةً لِلْمَهْجَاتِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ - تِلْكَ الِّي اهْتَمَ الشَّيْبَانِيُّ بِأشْعَارِهِ، « إِذَا خَذَ عَنْهُ دُواوِينَ أَشْعَارِ الْقَبَائِلِ^(٧) كُلُّهَا »، يَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْمَوْهَسَاتِ الْثَّانِيِّ مِنْ كِتَابِ الْجِيمِ إِذَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ: الْأَكْوَعِيُّ وَالسَّعْدِيُّ، وَالطَّبَانِيُّ، وَالْعَبَانِيُّ، وَالْعَقْوِيُّ، وَالْأَشْعَرِيُّ، وَالْوَالَّاَيِّ، وَالْكَلَابِيُّ، وَالْكَلَبِيُّ، وَالْزَّهَرِيُّ، وَالْبَكْرِيُّ، وَالْعَدْرِيُّ، وَالْتَّمِيرِيُّ، وَالْفَنْوِيُّ، وَالْسَّيَّانِيُّ، وَالْتَّفْلِيُّ، وَالسَّلَّيِّ^(٨)... كَمَا أَنَّ عَنْيَاتَهُ بِالْرِجْزِ وَإِرَادَهُ لَهُ بِكَثِيرَةٍ غَامِرَةٍ فِي كِتَابِ الْجِيمِ - يُشَيرُ إِلَى اهْتَامِهِ بِأُمُّ الْمَهْجَاتِ، لَأَنَّ الرِّجْزَ هُوَ الْمَهْجَةُ الشَّعْبِيَّةُ لِلْقَبِيلَةِ يَأْتِي عَفْوًا لَا مَوْنَةَ فِيهِ وَلَا كَلْفَةَ، وَهَذَا يَعْكِسُ السَّمَاتَ الْلَّمْجَيَّةَ وَيَصُومُهَا كَمَا هِيَ.

وَيَذَكُرُ السِّيُوطِيُّ فِي الْبَيِّنَاتِ صَ ٢٦٦ فِي تَرْجِمَةِ أَبِي عُمَرٍ شَمْرَ بْنِ حَمْدَوِيِّ الْمَرْوِيِّ (٢٥٥ - ٨٦٩ م) بِأَنَّهُ أَلْفَ كِتَابَ الْجِيمِ

(١) الْبَيِّنَاتِ: ١٩٢.

(٢) الْإِتْقَانُ: ٤٧/١.

(٣) فَتْحُ الْبَارِيِّ: ٢٢/٩، الْإِتْقَانُ: ٤٨/١.

(٤) مَرَاتِبُ النَّحْوِيِّينَ: ٩٢.

(٥) بِرَقْمِ أَسْكُورِيَّالِ ثَانِي ٧٢ تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ: ٢٠٣/٢ بِرُوكَلَمَانَ: التَّرْجِمَةُ الْعَرَبِيَّةُ.

(٦) عَلِتَ أَنَّ مَعْهَدَ الْخَطْرَوَطَاتِ بِجَامِعَةِ الْمَوْلَى الْعَرَبِيَّةِ قدْ أَخْذَ مِنْهَا صُورَةً وَأَعْطَاهَا لِلْمَسْتَشْرِقِ « شَارِلْ كُوِينِتْزَ » لِدِرَاسَتِهِ إِخْرَاجَهَا، فَقَابَلَتْ سَيَادَتَهُ وَطلَبَتْ رَؤْيَا النَّسْخَةِ الْمُصَوَّرَةَ، وَلَكِنَّهُ تَأْسَفَ لِسَفَرِهِ سَاعَتَهُ لَأُورُبا

(٧) الْفَهْرَسُ: ١٠٧.

(٨) الْمَعْجَمُ الْعَرَبِيُّ: ٨١/١ دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ.

ج) يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) وقد عزا له ابن النديم مؤلفاً باسم «كتاب اللغات»^(١) وكذلك عزاه له السيوطي في بغيته^(٢)، ومزهره^(٣) كما عزى إلى الفراء مصنف باسم «كتاب الجمع واللغات»، وذلك في كتابه «المذكر والمؤنث»^(٤).

د) أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ - ٢١٠هـ) وقد عزا له صاحب الفهرست^(٥) وياقوت^(٦) والسيوطى في بغيته^(٧)، ومزهره^(٨) مؤلفاً باسم «كتاب اللغات».

هـ) أبو زيد الأنصاري : (٢١٤هـ) ، وقد عزى له في الفهرست^(٩) ، والبغية^(١٠) ، ومزهر السيوطى^(١١) كتاب باسم «كتاب اللغات» . وقال برو كلام عن أبي زيد بأنه «كان شديد العناية بجمع اللغات^(١٢) والهجات» .

و) عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٦هـ) ، وقد عزا له ابن النديم^(١٣) ، والقططي^(١٤) والسيوطى^(١٥) وابن خلkan مؤلفاً باسم «كتاب اللغات» أيضاً .

ز) عمر بن شيبة بن عبيدة بن ربيطة البصري التميري : (٢٦٢هـ) وقد مات بسر من رأى ،

- (١) الفهرست : ١٠٦ .

(٢) البنية : ٤١١ .

(٣) المزهر : ٩٦/١ .

(٤) المذكر والمؤنث : ٣٠ ط حلب .

(٥) الفهرست : ٨٦ .

(٦) معجم الأدباء : ١٦١/١٩ .

(٧) البنية : ٣٩٥ .

(٨) المزهر : ٩٦/١ ، انظر : نوادر الخطوطات رقم ٧ ط أولى تحقيق عبد السلام هارون .

(٩) ص ٨٢ .

(١٠) ص ٢٥٥ .

(١١) ٩٦/١ .

(١٢) تاريخ الأدب العربي : ٤٥/٢ ، الترجمة العربية .

(١٣) الفهرست : ٨٨ .

(١٤) إنباء الرواة : ٢٠٣/٢ .

(١٥) البنية : ٣١٤ .

وعزى له في كتاب الفهرست^(١) ، ومعجم الأدباء^(٢) والبغية^(٣) مصنف باسم « الاستعانة بالشعر وما جاء في اللغات » .

ح) أبو بكر بن دريد (٤٣٢١هـ) ، وقد عد ابن النديم^(٤) ، وصاحب إنباه الرواة^(٥) ، وابن خلkan^(٦) : من تصانيفه (كتاب اللغات) .

ط) عمر بن جعفر بن محمد الزعفراني (توفي في القرن الرابع الهجري) وقد ذكر كل من صاحب الفهرست^(٧) وصاحب معجم الأدباء^(٨) ، وصاحب البغية^(٩) أن من مصنفاته « كتاب اللغات » .
ي) أبو نصر الفارابي (٤٣٩هـ) - وقد عزى له (كتاب في اللغات) انظر الفارابي ص ٤٠ عباس محمود . ط دار إحياء الكتب العربية .

ك) عزيز بن الفضل الاهنلي (القرن الرابع الهجري) وقد عزا له الأزهري في مقدمة تهذيبه^(١٠) ، ويأقوت في معجمه^(١١) ، والسيوططي في البغية^(١٢) - مؤلفاً باسم « كتاب لغات هذيل » .

ل) حسين بن مهذب المصري الملغوي (٤٥٠هـ) وقد ذكر السيوططي أنت من كتبه « كتاب السبب في حصر لغات العرب »^(١٣) كما ورد هذا المؤلف أيضًا في تاريخ آداب العرب للرافعي^(١٤) .

(١) ١٧٠ .

(٢) ٦١/١٦ دار المأمون .

(٣) ٣٦١ .

(٤) الفهرست : ٩٨ .

(٥) إنباه الرواة : ٩٧/٣ .

(٦) وفيات الأعيان : ٤٤٩/٣ .

(٧) ١٣٠ .

(٨) ٥٩/١٦ .

(٩) ٣٦٠ .

(١٠) ٧٨ .

(١١) معجم الأدباء : ١٦٨/١٢ .

(١٢) ٣٢٤ .

(١٣) البغية : ٢٣٦ .

(١٤) ١٣٦/١ ط الاستقامة .

م) علي بن الحسن الهنائي المصري ، وقد عزى له ابن النديم مؤلفاً باسم (كتاب في غريب كلام العرب ولغاتها^(١)) ، ولعل الكتاب يهدف إلى حصر ما يسمى باللغات من نحو : المصنوع والضعف ، والمنكر ، والمتروك ، والرديء والمذموم والخوسي والنواودر – وذلك نفس ما تواضعوا عليه من معنى اللغات .

ن) الحسن بن محمد الصنفاني (٦٥٠ھ) وقد ذكر السيوطي في البيهية أن له مصنفاً باسم « الشوارد في اللغات »^(٢) ، وقد عثرت على هذا الكتاب بدار الكتب المصرية برقم ٤١٨ لغة ، ومعنون باسم « ما تفرد به بعض أئمة اللغة » وهي نفسها كتاب « الشوارد في اللغات » وسأ تعرض للهجات فيه – عندما أتناول دراسة الناحية المتحجية في تلك الكتب .

س) أبو عبدالله اليمني – ألف رسالة (في اللغات النادرة) وهي مصورة بمحمد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٣٨ ، وأبو عبدالله اليمني هذا – ذكره صاحب الخزانة فيما ألف في طبقات النحوين^(٣) .

فقد المؤلفات في كتب اللغات :

وهذه الكتب السابقة والمؤلفة في لغات القبائل تعد مفقودة – فلم يصلنا من هذا العدد السابق إلا كتاب « الجسيم » للشيباني ، وكتاب « الشوارد في اللغات » للصنفاني ، ورسالة « اللغات النادرة » لأبي عبدالله اليمني .

نصوص من هذه الكتب تبين منهجها :

وعلى الرغم من فقد هذه الكتب التي تعد أصولاً للهجات القبائل العربية فإنني حاولت أن أعرّ على نقول من بعضها – تبين منهجها في تناول لغات القبائل فمن ذلك :

١ - « كتاب اللغات » الذي ألفه أبو زيد الأنصاري (٢١٤ھ) والذي يعد مفقوداً حقاً، وردت منه نقول في جهرة ابن دريد معنونة باسم « باب من اللغات عن أبي زيد » في مكانين مختلفين من الجمهرة^(٤) ، ومنهجها يظهر عندما تناول ابن دريد في الباب الأول حاكياً عن

(١) المهرست : ١٣٠ .

(٢) بنية الرعاة : ٢٢٧ .

(٣) خزانة البغدادي : ١٤/١ تحقيق عزيز الدين .

(٤) الجمهرة : ٤٨٤ ، ٤٧٢/٣ .

أبي زيد صيفاً وردت بالتشديد والتخفيف كقولهم « هو هدى لبيت الله »، وهدى لبيت الله^(١) هكذا بدون عزو، إلا أن اليزيدي عزا المخفة إلى لغة أهل الحجاز والمشددة إلى قيم^(٢). كما تناول اختلاف صيغ الماضي مع المضارع، واختلاف حركات العين في الأسماء كقوله، وقد قرئ « والذي **خَبِثَ** لا يَخْرُجُ إلَى نَكَدَا » ونَكَدَا ونَكَدَا – يكسر العين وفتحها وإسكانها، وينظر لذلك بقوله « مثل سِيط وسِبط وسِبط » بكسر العين وفتحها وإسكانها، ثم تناول أمثلة بألفع ثارة والتسهيل أخرى كقولهم « رأف الرجل وراف »، كما تناول أمثلة أخرى ظهر فيها الإبدال كقولهم « انتقع لونه وامتقع واهتقع»^(٣).

ثم تناول أبو بكر بن دريد باباً آخر من اللغات عن أبي زيد تعرض فيه للألفاظ الثنائية للأب والأخ والدم والفهم – على النقصان وال تمام ، واستشهد بالشعر في لغات الأب والفهم كقول الفرزدق في حالة التمام :

« هُنَا نَسَّفَشَا فِي فِي مِنْ فِوْهِهَا » .

كما وأشار زيادة الميم في بعض الألفاظ مثل « ابنم » فزادوا فيه الميم كما زادوا في « الفم » وإنما هو فاء وفوه وفيه ، وهي في التنزيل « بآفواهِهِمْ » ولم يقل « بآفَامِهِمْ » وكما تزداد الميم في ابن فيقال « ابنم » تزداد في الاثنين ، ومن ذلك :

(منها ضرار وابناء وحاجب) .

وقد تأتي في حالة الخفض كقول القائل :

أَتَظْلَمُ جَارِيَكَ عَقَالْ بَكْرٍ وَقَدْ أُوتِيتِ مَالًا وَابْنِيْنِيْنِا^(٤)

كما وأشار إلى تداخل اللغات بقوله « ويقولون : مت ومت » ودمت ودمت « بالكسر والضم » فن قال : مت « بالكسر » قال : ميات ، واستدل لها بقول الراجز :

(عيشي ولا يومي بـأن تـأـقـي)^(٥)

(١) الجهرة : ٤٧٢/٣ .

(٢) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٣) الجهرة : ٤٧٣/٣ .

(٤) الجهرة : ٤٨٥/٣ - ٤٨٦ .

(٥) الجهرة : ٤٨٥/٣ ، وفي المصنص ٣٨٦/١ ط الملال « عيشي ولا يؤمن أن تـأـقـي » ، وفي الصحاح « عيشي ولا تـأـقـي بـأن تـأـقـي » .

ونادرًا ما يعزو أبو زيد إلى بعض القبائل، كقوله في الصيغة السابقة « وأكثر ما يتكلم به طيبٌ »^(١) كما يشير إلى التصحيف والإعلال في قوله « وتقول العرب : استجابة واستجوب »^(٢) وأحياناً يشير إلى تطور الدلالة كقوله : تقول العرب « زكأت إلى فلان – في معنى جلات »^(٣) ويستشهد لها ، كما يشير إلى المشترك كقوله : والعرب تقول « هلال السماء وهلال الصيد ، وهلال النعل ، وهلال الإصبع »^(٤) كما تناول المعاقبة في قوله « والعرب تقول قلوات اللحم ، وقلبته ، وقلوات الرجل في البغض وقلبته »^(٥) وقد يصدر أبو زيد على بعض اللغات أحكاماً منهجية كقوله : « وهي اللغة العالية »^(٦) أو حكمه على لفظ بقوله « وهو أعلى »^(٧) .

ويلاحظ على هذه اللغات أنها وردت مهمة العزو إلى أصحابها كقوله : « حوث تعلم »^(٨) مع أن اللسان عزّاها إلى قيم^(٩) . وكمثال المعاقبة السابق فقد ورد مهل العزو عن أبي زيد إلا أن اليزيدي عزاه في نوادره^(١٠) وكما هي عزو بعض الصيغ المشدة^(١١) والخففة ، مع أن اليزيدي عزّاها في نوادره^(١٢) .

إلا أنني أرجح أن إهمال العزو في أبواب اللغات – التي نقلها ابن دريد عن أبي زيد – إنما كان من ابن دريد نفسه ، لا من أبي زيد ، لأن أبي زيد كما يرى بروكلمان « كان شديد العنفية يجمع اللغات واللغات »^(١٣) وهذا الحكم لا يتفق وهذه الأبواب التي نقلها ابن دريد عن أبي زيد معنونة باسم « أبواب من اللغات عن أبي زيد » وقد وردت الصيغ والتراكيب مهمة العزو إلى

(١) الجهرة : ٤٨٥/٣ .

(٢) الجهرة : ٤٨٨/٣ .

(٣) الجهرة : ٤٨٦/٧ .

(٤) الجهرة : ٤٨٧/٣ .

(٥) الجهرة : ٤٨٧/٣ ، قارن هنا بما ورد في مزهر السيوطي : ٢٧٧/٢ .

(٦) الجهرة : ٤٨٧/٣ .

(٧) الجهرة : ٤٨٤/٣ .

(٨) الجهرة : ٤٨٨/٣ .

(٩) اللسان : ٤٤٦/٢ .

(١٠) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(١١) الجهرة : ٤٧٢/٣ .

(١٢) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(١٣) تاريخ الأدب العربي : ١٤٥/٢ .

لهجات القبائل العربية ، لهذا أرجح أن ابن دريد قد اختصر هذه الأبواب - وحذف منها ،
وما يؤيد هذا ما جاء في هذه الأبواب عن ابن دريد قال : قال أبو زيد « هداوي وهدايا »^(١)
ولما رجعت إلى اللسان وجدته يقول « الهدية جمعها هدايا ، وهداوى - وهي لغة أهل المدينة » ،
وعن أبي زيد : الهداوى لغة عليا معد ، وسلافها : الهدايا^(٢) فنقل اللسان عن أبي زيد يشير
إلى اهتمامه بالعزو إلى القبائل ، بعكس نقل ابن دريد عن أبي زيد في الكلمة نفسها ، إذ جاءت
مهملة العزو عنده .

٢ - كذلك أمكنني العثور على نص من كتاب الفراء المسمى « كتاب الجمجم واللغات » حيث
يقول فيه : « كل جمع كانت واحدته بالهاء وجمعه بطرح الهاء فإن أهل الحجاز يؤثونه ،
وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون ذلك ، وربما أثروا والأغلب
عليهم التذكير »^(٣) ويمكن أن نستنتج منهج الفراء في هذا الكتاب من هذا المثال ، فهو
يعقده للمقارنة بين لهجات القبائل في صيغ المجموع كما سبق .

٣ - أما كتاب الحسن الصتخاني - فقد سبق الحديث عنه ، ويعني الآن عرض بعض نصوصه
لتبين منهجه ، واللهجات فيه ، وأحب أن أشير إلى أن الكتاب أربعة أنواع .

النوع الأول : فيما قرئ في الشواد من القراءات ، ومنهجه يتضح من أمثلته كقوله :

- أ) يحيط : (بفتح الباء) لغة في يحيط (بكسرها) .
- ب) الكسالي : (بكسر الكاف) لغة في الكسالي والكسالي (بفتحها وضمها) .
- ج) التايوه : بالهاء لغة الأنصار .

ويلاحظ على هذا القسم أنه يأتي بالآلية ثم يبين القراءة فيها ، ونادرًا ما يعزز القراءة الشاذة
إلى قبيلة معينة .

النوع الثاني : فيما تفرد به أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصري ، وقد عزا فيه بعض
الصيغ إلى بعض القبائل مثل تميم ك قوله : يسمى في الهداية (بكسر الميم) لغة تميم في يسمى

(١) المهرة : ٤٧٢/٣ .

(٢) اللسان : ٢٣٣/٢٠ .

(٣) المذكر والمؤثر للقراء : ٣٠ ط حلب .

(بضمها) ، أو هذيل : كقوله : أجويت القدر وهذيل تقول : أجييتها^(١) . كما عزا إلى العالية وأهل نجد .

النوع الثالث : فيما تفرد به أبو حاتم السجستاني .

ويلاحظ على هذا القسم إهمال عزو اللهجات كقوله : النقاوة والنقاء لفتان في النقاوة (بضم النون) والنقاوة ، ولم يعز إلى القبائل العربية إلا مرة واحدة عزا فيها إلى لغة تم ، كما خلا هذا القسم من الشواهد الشعرية .

النوع الرابع ، مجموعة من سائر كتب اللغة وشرح شوارد الأشعار . وقد عزا فيه بعض اللغات إلى بني أسد ، وتم ، وأهل المدينة ، وكلب ، وطبي ، ووردت بعض الصيغ مهمة العزو كقوله « حاد يحود لغة في يحيد » ، كما يلاحظ أنه يشرح في هذا القسم بعض الألفاظ الفريبة كقوله « اجرأشت الإبل : سمنت وامتلأت بطونها فهي مجرأة بفتح المزءة - ثم علل غرابتها بقوله : « وإنما أدخل هذه اللفظة في الشوارد افتتاح هزة مجرأة - لامتنها » . وكان ابن خالویه كان يرى غرابتها ، ولذلك يقول : « وجدت هذه اللفظة بعد سبعين سنة »^(٤) .

٣ - التأليف في نوادر اللغات وشواردها :

والنوادر من ندر الشيء يندر ندوراً : سقط وشد ، وقد نجح أحكاماً للقويين على بعض الألفاظ كقولهم : « غالباً » و « كثيراً » و « نادراً » و « قليلاً » و « مطرداً » ، فالمطرد - لا يتختلف ، والغالب : أكثر الأشياء ، ولكنها يتختلف والكثير دونه ، والقليل دون الكثير ، والنادر : أقل من القليل^(٢) .

وإليك ثبت بين ألف تحث هذا الاسم من علماء العربية :

أ) أبو عمرو بن العلاء (١٥٧ھ) ، فقد عزا له صاحب الفهرست مؤلفاً باسم « كتاب النوادر »^(٣) .

(١) يعني غالقتها .

(٢) وانظر حديثاً مفصلاً حول المؤلفات في كتب اللغات ومنهجها وروايتها ونصوصها وتقديماً متناً وسندأً في مقالانا (من الآثار الفريدة المقفردة في ضوء المترجم الوصفي) وذلك بمجلة الجمع الخواي بالقاهرة ج ٢٧ .

(٣) المهرست : ١٣٦ .

(٤) المهرست : ٢٣٤/١ .

- ب) القاسم بن معن (١٧٥هـ) وقد نسب إليه السيوطي مصنفاً باسم «كتاب التوادر»^(١).
- ج) يونس بن حبيب (١٨٢هـ) وله «كتاب التوادر» كما جاء في الفهرست^(٢).
- د) أبو مالك عمرو بن كركرة : مولىبني سعد . ذكر له أبو الطيب^(٣) ، وابن دريد^(٤) كتاب التوادر .
- ه) الكسائي (١٨٩هـ) له «كتاب التوادر» ذكره ابن النديم^(٥) ، والسيوطى^(٦) وذكر له القبطي : كتاب التوادر الأوسط ، وكتاب التوادر الكبير^(٧) . وزاد ياقوت له : كتاب التوادر الأصغر^(٨) .
- و) أبو شبل العقيلي (١٩٣هـ) : له «كتاب التوادر» ، ذكره ابن النديم^(٩) .
- ز) أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (٢٠٢هـ) عزاله الأزهري^(١٠) ، وابن النديم^(١١) ، والسيوطى^(١٢) ، مصنفاً باسم «كتاب التوادر» .
- ح) قطربي (محمد بن المستير ٢٠٦هـ) «كتاب التوادر» ذكره: ابن النديم^(١٣) ، وياقوت^(١٤) ، والقطبي^(١٥) ، والسيوطى^(١٦) .

- (١) البغية : ٣٨١ .
- (٢) ٦٩ .
- (٣) مراتب النحوين : ٤٠ .
- (٤) الجمهرة : ٤٥٥/٣ .
- (٥) الفهرست : ١٣٦ ، ١٠٤ .
- (٦) المزهر : ٩٦/١ .
- (٧) إنباء الرواة : ٢٧١/٢ .
- (٨) معجم الأدباء : ٢٠٣/١٢ .
- (٩) الفهرست : ٧٤ .
- (١٠) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٨ .
- (١١) الفهرست : ١٣٦ .
- (١٢) البغية : ٤١٥ .
- (١٣) الفهرست : ٨٤ .
- (١٤) معجم الأدباء : ٥٣/١٩ .
- (١٥) إنباء الرواة : ٢٢٠/٣ .
- (١٦) البغية : ١٠٤ .

- أبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) له «كتاب النوادر» ذكره؛ أبو الطيب^(١)، والازهري^(٢)، وابن النديم^(٣)، والسيوطى^(٤).
- الفراء (٢٠٧هـ) عزاله الأزهري^(٥)، وصاحب الفهرست^(٦)، وصاحب^(٧) البغية مؤلفاً باسم «كتاب النوادر».
- أبو عبيدة (٢١٠هـ) «كتاب النوادر» ذكر في مقدمة تهذيب^(٨) اللغة للأزهري.
- الأصمي (٢١٦هـ) «كتاب النوادر» ذكره الأزهري^(٩)، وابن النديم^(١٠)، والسيوطى^(١١)، كما عزاله صاحب البغية^(١٢) مؤلفاً باسم «نوادر الأعراب».
- أبو زيد الكلابي (٢١٥هـ) - ذكر له ابن النديم «كتاب النوادر»^(١٣).
- أبو زيد الأنصاري (٢١٥هـ) له «كتاب النوادر» ذكره الأزهري في مقدمة تهذيبه^(١٤)، والسيوطى^(١٥) في مزهره.
- الأخفش سعيد بن سعدة (٢١٥هـ) عزاله الأزهري كتاباً في «النوادر»^(١٦).

- (١) مراتب الشعوبين : ١٩ .
- (٢) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٨ .
- (٣) الفهرست : ١٣٦ .
- (٤) المزهر : ٩٦/١ .
- (٥) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٨ .
- (٦) ١٣٦ .
- (٧) ٤١١ .
- (٨) ٧٧ .
- (٩) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٧ .
- (١٠) الفهرست : ١٣٦ .
- (١١) البغية : ٣١٤ .
- (١٢) ٣١٤ .
- (١٣) الفهرست : ٧٣ .
- (١٤) ٧٨ .
- (١٥) ٩٦/١ .
- (١٦) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٨ .

- ع) أبو مسحيل (القرن الثالث) ذكر له ابن النديم «كتاب التوادر»^(١).
- ف) اللعياني (القرن الثالث) وقد عزا له صاحب الفهرست^(٢)، ومعجم الأدباء^(٣)، «القططي»^(٤) والبغية^(٥)، مصنفًا في «التوادر». وقال عنه القراء «هو أحافظ الناس للتوادر»^(٦).
- ص) عبدالله بن سعيد الأموي (القرن الثالث) ذكر له ابن النديم^(٧)، والقططي^(٨) والسيوطى^(٩) كتاب التوادر.
- ق) ابن الأعرابى (٢٣١هـ) عزا له الأزهري كتاباً في التوادر^(١٠)، وذكر له صاحب^(١١) الفهرست، ومعجم الأدباء^(١٢)، وإنباء الرواة^(١٣) مصنفًا باسم «توادر بنى فقعن» كألف في «توادر^(١٤) الزبيريين».
- د) ابن السكikt (٢٤٤هـ) ذكر له الأزهري في مقدمة التهذيب^(١٥)، وابن النديم^(١٦) في الفهرست كتاب التوادر.
- ش) ابن دريد (٣٢١هـ) أنسد إليه في المجزءة^(١٧)، والفهرست^(١٨) «كتاب التوادر».

- (١) الفهرست : ٧٥ . وقد طبعه أخيراً الجمع العلمي بدمشق ط الترقى ١٩٦١ .
- (٢) ٧٨ .
- (٣) ١٠٧/١٤ .
- (٤) ٢٥٥/٢ .
- (٥) ٣٤٦ .
- (٦) ٢٥٥/٢ .
- (٧) ١٣٦ .
- (٨) ١٢٠/٢ .
- (٩) ٤١٠/٢ .
- (١٠) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٨ .
- (١١) ابن النديم : ١٣٦ .
- (١٢) ١٩٦/١٨ .
- (١٣) ١٣١/٣ .
- (١٤) معجم الأدباء : ١٩٦/١٨ .
- (١٥) ٧٨ .
- (١٦) ١٣٦ .
- (١٧) ٤٤٩/٣ .
- (١٨) ١٣٦ .

نصوص من كتب النوادر تبين منهجها ، وصلاتها باللهجات :

وخل هذه الكتب السالفة تعد مفقودة ، ولا نعرف عنها إلا أسماء مؤلفيها ، ولما كان المهم في دراستنا الوقوف على طريقة تأليفها أو منهجها في معالجة اللغات ، فقد حاولت البحث عن بعض نقول منها في كتب العربية فعثرت على كثير من هذه النقول ، أكتفي منها بما يأتي :

١ - ما ذكره السيوطي في المزهر من اقتباسات من نوادر يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) والتي تعد مفقودة - ويعينا في الحديث عنها ما يخص "اللهجات" فهو يبدواها بوازنة بين لفحة الحجاز وتميم في الألفاظ والصيغ ، ويكون أن خطط لها منهجاً على مستويات :

أ) كالمستوى الصوتي كقوله « أهل الحجاز يقولون خمس عشرة خفيفة لا يحر كون الشين ، وتميم تنقل وتكسر الشين ، ومنهم من يفتحها »^(١) .

ب) والمستوى الصرفي كقوله : أهل الحجاز يبسطش (بكسر الطاء) وتميم يبسطش (بضمها)^(٢) . وكقوله « أهل الحجاز جوية ، وتميم : جؤنة بالهمز »^(٣) .

كما يضرب أمثلة لظواهر أخرى كالمماقبة كقوله « أهل الحجاز الفنية ، وتميم القنوة »^(٤) . أو فعل وأفعال « أهل الحجاز لاته عن وجهه ، وتميم ألاته »^(٥) .

ويلاحظ على منهج يونس في دراسة اللهجات في كتابه النوادر - كاقبس منه السيوطي - أنه لم يشر للمستوى الإعرابي ، ولا المستوى الدلالي أو المعنوي ، كما أنه لم يستشهد على صيغة اللهجات بشواهد شعرية ، بل يذكر الصيغة مجردة عند الحجاز ، ثم يناظر لها بصيغة عند تميم كما تقدم ، كما أن تعرضه للهجات كان في دائرة الحجاز وتميم ، فلم يتناول الظواهر الـلهجية في القبائل العربية الأخرى ، كما يلاحظ على هذه الاقتباسات اللهجية أنها مهمة التحقيق حيث يقول « أهل الحجاز الحصاد ، وتميم الحصاد »^(٦) بدون إشارة لضبط الحروف ، مع أن « الكسر للحجاز ،

(١) المزهر : ٢٧٥/٢ .

(٢) المزهر : ٢٧٥/٢ .

(٣) المرجع السابق : ٢٧٦/٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المزهر : ٢٧٦/٢ .

(٦) المرجع السابق .

والفتح لنجد^{١٠}، وتميم^{١١} . وبلغت المقابلات بين الحجاز وتميم في الصيغ سبعاً وعشرين مرة . أغلبها يدور على اختلاف الحركات .

٢ - كما وردت عدة اقتباسات من « نوادر » أبي محمد اليزيدي (٢٠٢) أشار إليها السيوطي ، والمحاجات التي تعرض لها اليزيدي تسير في المستويات والمنهج التي سارت عليه نوادر يونس السابقة ، فهي تتعرض المصيغ بين الحجاز وتميم دون غيرهما من قبائل العرب ، وتتعرض للخلافات :

أ) الحركية في الأسماء كقوله « أهل الحجاز : الشفيع والوتر (بفتح الواو) وتميم بكسرها »^{١٢} .

ب) والأفعال كقوله « أهل الحجاز : برأت من المرض ، وتميم : برئت »^{١٣} .

ج) القلب كقوله « أهل الحجاز : لعمري ، وتميم^{١٤} رعملي » .

د) والتذكير والتأنيث كقوله « أهل الحجاز : هي التمر وهي البر ، وهي الشعير ، وهي الذهب ، وهي البسر ، وتميم تذكر هذا كله »^{١٥} .

ويلاحظ على موازنات اليزيدي أنه يهتم بالضبط في الصيغ أحياناً عندما يتول : وتميم تكسر الجيغ ، أو أهل الحجاز تقوله « بالفتح »^{١٦} بما لا نجد نظيره في نوادر يونس ، وأحياناً أخرى يهمل في ضبط الصيغ كقوله : « أهل الحجاز : غرفت الماء غرفة ، وتميم غرفة » هكذا مهمة الضبط ، وجريرة هذا تقع على المؤلف والحقق على السواء ، وأرى أنها بفتح الغين المعجمة لتميم ، لأن أبو عمرو بن العلاء^{١٧} قرأ بها وهو تميمي ، ثم هي بالفتح أميل إلى الانسجام – الأمر الذي تهدف إليه قبائل تميم ، كما يلاحظ أن حديثه عن تلك الصيغ التي بين الحجاز وتميم – قد خلا من الشواهد ، إذ يسردها سرداً ، وقد بلغت الخلافات المموجية عنده بين الحجاز وتميم ستة عشر أكثرها يدور حول اختلاف الجانب الحركي .

(١) البحر : ٤/٤٣٤ .

(٢) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٣) المزهر : ٢٧٦/٢ .

(٤) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٥) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٦) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٧) النشر : ٢٣٠/٢ .

٣ - ويحدر في أن أشير إلى كتاب أبي زيد (في النوادر)^(١) وهو مطبوع ، ولا يهمني فيه إلا تناوله الصيغة اللهجية للقبائل ، وأرجح أن اللهجات الواردة في «النوادر» سمعها أبو زيد بنفسه عن العرب لقوله «ما كان فيه من قصيدة أو لغات فهو سعاعي^(٢) من العرب» فلاحظة أبي زيد للغات العرب - كانت ملاحظة مباشرة ، موثقة بالسماع والضبط ، وبالكتاب ستة أبواب للنوادر ، ويتناول في هذه الأبواب صيفاً وأنماطاً من الألفاظ لا تسير في فلك اللغة الفصحى^(٣) ، ثم لا رابط بين هذه الصيغة التي تتوالى في أبواب النوادر وكتاب أبي زيد هذا وإن سماه كتاب النوادر إلا أن لهجات القبائل بربت فيه بروزاً ملوساً ، وهذا قلت برسم لوحات إحصائية تبين لهجات القبائل فيه^(٤) وهي تشير إلى النتائج التالية :

٤ - أن أبي زيد كان شديداً الاهتمام بعرو ل لهجات إلى قبائلها ، حتى أن ابن دريد في جهرته نقل بابين من اللغات عن أبي زيد^(٥) .

٥ - شدة الصلة بين كتب النوادر ، وبين كتب اللغات ، مما يشير إلى وحدة المنهج بين الفئتين ، وما يرجح هذه الصلة أن الذين ألفوا في كتب النوادر - هم أنفسهم ألفوا في كتب اللغات ، كيونس ، والفراء ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد ، والأصمي ، وابن دريد ، وأبي عمرو الشيباني ، فإذا أضفنا إلى هذا تلك النقول التي جاءتنا عن كتب النوادر السابقة - وكلها تشير إلى تردد أسماء القبائل ولهجاتها أزدانا يقيناً بتشابك التأليف وتقارب المنهج بين كتب اللغات ، وكتب النوادر ، حتى وجدنا مولانا كالفراء يجمع بين الفئتين ، ويولف مصنفاً باسم «كتاب النوادر^(٦) واللغات» على أن جمل هذه الكتب - وان فقدت - وهي المصادر الأولى ، إلا أنها تركت ظلالها في التراث العربي الذي بين أيدينا ، والذي يعتبر مصدرأً ثانوياً للهجات القبائل .

(١) بالطبعية الكاثوليكية في بيروت : ١٨٩٤ م .

(٢) نوادر أبي زيد : ٢ .

(٣) انظر ٨١ وما بعدها ، ١٦٩ وما بعدها .

(٤) انظر الورقة الإحصائية رقم (١) بعد ص

(٥) المهرة : ٢٧٢/٣ ، ٤٨٤ .

(٦) الزهر : ٩٦/١ .

٤ - المؤلفات تحت اسم «دواوين القبائل وأشعارها» أو كتب القبائل :

وأشهر من جمع دواوين القبائل أبو عمرو الشيداني ، وفي إنباه الرواية ٢٢١/١ «أنه جمع شعر نيف وثمانين قبيلة»، وساق ابن النديم في الفهرست ص ٢٣٢ أسماء ستة وعشرين ديواناً من دواوين القبائل ، كما ذكر الأدمي في المولتف والمختلف ستين ديواناً لستين قبيلة (انظر مصادر الشعر الجاهلي ٥٤٩ ناصر الأسد) . ويظهر أن دواوين القبائل وكتابها كانت سجلاً حافلاً بأخبار القبيلة ونسبها وحروبها ولغاتها ، يقول بشر بن أبي خازم :

«ووجدنا في كتاب بني تميم ...» (المفضليات ٣٣٤ ط الثالثة) وقد حللت هذه الكتب وتلك الدواوين بذوراً لهجية مثل :

١ - جاء في المخصوص ص ١٦ ص ١٥٣ يقال : امرأة جبان ، وجبانة والجمع جباء ، وقد جاء في (شعر هذيل) أجبان .

٢ - حثك القوم على مياهم حشكما بفتح الشين - اجتمعوا ، عن ثعلب ، وخص بذلك بني سليم ، كأنه إنما فسر بذلك شعراً من (أشعارهم) اللسان ٢٩٤/١٢ .

٣ - وجاء في الفهرست ص ١٢٣ أن أبا سعيد السكري عمل أشعار جماعة من الفحول ، وقطعة من القبائل منها (أشعار اللصوص) وقد حاولت العثور على نقل خارجي من «كتاب أخبار اللصوص وأشعارها» ، فوجدت أن أبا زكريا التبريزى في شرح ديوان المعاشرة ج ١ ص ٢١٢ روى عن السكري أخباراً تتصل باللصوص وأشعارها جاء فيها «فتنتحس عنها» أي : نبحث ، وهي لغة طائية .

وكذلك حمل الأثر الباقى من دواوين القبائل - بعد أن عصفت بها الأعاصير - سمات لهجية كبيرة ، كديوان الهذيلين ، إلا أن شراح الديوان قد جلوا وانحرفو عن المنهج السديد :

أ) فحملوا بعض الكلمات حملأ وأكرهوها إكراماً على أن تكون لهجة المقابلة ، فقد رأوا أن (أطريقا) في قول أبي ذؤيب :

على أطريقا ماليات الماء م إلا الماء إلا العصى

جمع طريق في لغة هذيل . الديوان ٦٥/١ ، لكنني أرجح أن الكلمة لا شأن لها بل هي لغة هذيل ، وأنها كما جاء في اللسان (أطريق) اسم موضع ، وفي التهذيب اسم مكان ، وفي

معجم ما استعجم (أطرقا) موضع بالحجاز ، وما يوكل ذلك ما جاء في معجم البلدان (٢٨٦/١ ط السعادة) من قول عبدالله بن أمية المخزومي :

ولاني زعيم أن تسيروا وتهربوا وأن تتركوا الظهران تموي ثعالبة
وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا وأن تسلكوا أي الأراك أطالية
فالظهران والأراك اسمان ، واقتaran (أطرقا) بها يوكل أنها اسم مكان أيضاً .

ب) كما اضطربت الدلالة بين أيديهم ، لأن شراح ديوان هذيل لم يستشيروا رجال القبيلة أنفسهم ،
قول أبي ذؤيب في الديوان : ٧٩/١

تدلى عليهم سبّ وخيطة يحرداء مثل الوكف يكتبونها
(ديوان الأدب ورقة ٣١٣ ، المهر ١/٢٥١ ، اللسان ٤٤١/١ ، الجمهرة ٢٢٣/٢) يشير
إلى أن : الخيطه - الوتد بلغة هذيل ، والسبّ بلغة هذيل - الحبل .
وذكر أبو عبيدة ما يخالف هذا في بيت الهذلي ، وفسر الخيطه - بالحبل ، والسبّ -
بالوتد (الجمهرة ٣٢/١) .

ج) كما وقع الخلاف بينهم في تفسير اللهجة : (فالضّحاص) بلغة هذيل - الكثير ولا يعرفها
غيرهم (اللسان (ضحاص) والمخصص س ٩ ص ١٣١ ، والجمهرة ٣/١٥١) .

والعجب أنها وردت في ديوان الهذلين ٤٨/١ في شعر أبي ذؤيب وفسّرت على أنها
(جماعة إبل قليلة) !

د) ان أكثر شعر القبيلة جاءنا عن رواة أغلبهم من غير هذيل ، ولهذا أصابه التحرير
والتبديل :

جاء في الديوان ٦٠/١ في قول أبي ذؤيب :

بأسفل ذات الدَّبْر أفرد خشْفُها فقد ولهت يومين فهيَ خلوج

وفي رواية (جحشها) مكان (خشْفها) ، والجحش في لغة هذيل بمعنى (الخسف)
وهو ولد الطبيعة إذا قوي ، وفي اللسان (جحش) : والجحش أيضاً الصبي بلغة هذيل .
فرة (الخسف) وأخرى : الجحشن ، وثالثة: الجحش في لغة هذيل بمعنى الخسف ، ورابعة :
الجحش : الصبي بلغة هذيل ! وانظر مقالتنا بجملة بجمع اللغة العربية بالقاهرة (ج ٢٨) .

٥ - لغة الاحصاء :

ولقد قمت بعمل لوحات إحصائية في بعض التصانيف الثانوية العربية لأرى الى أي حد يتعدد صدى أسماء القبائل العربية تلك التي عزّيت لها لهجات خاصة بها . وقد اخترت من هذه المصنفات ما يمثل الفنون المختلفة فاخترت من كتب النحو : كتابين :

أولها : شرح مفصل الزمخشري (٥٣٨ هـ) لابن يعيش^(١) (٦٤٣ هـ) .

ثانيها : خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب - لعبد القادر البغدادي (١٠٩٣ هـ)^(٢) .

كما اخترت من كتب اللغة كتابين أيضاً :

أولها : إصلاح المنطق لابن السكيت^(٣) (٢٤٦ هـ) ، وثانيها : لسان العرب لابن منظور^(٤) (٦٨٠ هـ) .

واختارت من كتب القراءات صنفين :

أولاً : القراءات الشاذة : وينتشرها :

١ - (كتاب شواذ القرآن) لابن خالويه^(٥) .

٢ - (كتاب المحتسب في شواذ القراءات) لابن جني^(٦) .

ثانياً : القراءات السبعية : وينتشرها : (كتاب إبراز المعاني من حرز الألماني) لأبي شامة^(٧) . (٦٦٥ هـ) .

ويلاحظ على الإحصائيات في كتب القراءات ما يلي :

١ - أن ابن خالويه قد فاته أن يصرح بأسماء بعض اللهجات العربية: كهنديل، وعقيل، والهزار،

(١) انظر اللوحة الإحصائية رقم (ب)

(٢) انظر اللوحة الإحصائية رقم (ج)

(٣) انظر اللوحة الإحصائية رقم (د) .

(٤) انظر اللوحة الإحصائية رقم (ه) .

(٥) انظر اللوحة الإحصائية رقم (و) .

(٦) انظر اللوحة الإحصائية رقم (ز) .

(٧) انظر اللوحة الإحصائية رقم (ح)

وأزد السراة ، وضبة ، وقيس ، وَهُبَيل (فخذ من النجع) بينما ذكر هذه المهجات صاحب المحتسب .

٢ - كأن ابن جنى في محتسبة قد أهل لهجات لم يصرح فيها بأسماء بعض القبائل العربية كلهجة : المدينة ، وبكر بن وايل ، وبني عامر ، ونجران ، وربيعة ، واليمن ، وعكل ، وقضاء ، وكلاب ، وكلب . بينما ابن خالويه قد صرح بأسمائها .

٣ - وبفحص كتب القراءات الشاذة رأيت أنها كثيراً ما كانت تهمل عزو القراءات القرآنية إلى قبائلها ، أو لهجاتها ، ويظهر هذا من فحص الكتابين السابقين في قراءات الشواذ :

أ) وفي قوله تعالى « وَتَحْسِنُرُه يوْم القيمة أعمى »^(١) قرئت بجزم الراء والماء^(٢) - بينما أثبتتها لغةبني كلاب وعقيل^(٣) .

ب) كما قرئ « هذه بضاعتنا ردت إلينا »^(٤) بكسر الراء^(٥) ، بينما التحقيق أثبتها لغة لضبة^(٦) .

ج) وقرىء قوله تعالى « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ »^(٧) أية ان مرسماها ، بكسر الميم^(٨) ، والتحقيق أثبت أنها لغة سليم^(٩) ، وما يؤكد هذا^(١٠) أن قارئاً منهم قرأ بها .

(١) سورة طه : آية ١٢٤ .

(٢) شواذ ابن خالويه : ٩٠ .

(٣) البحر : ٢٨٧/٦ .

(٤) سورة يوسف : آية ٦٥ .

(٥) شواذ ابن خالويه : ٦٤ .

(٦) البحر : ٣٢٣/٥ .

(٧) سورة الأعراف : ١٨٧ .

(٨) شواذ ابن خالويه : ٤٨ .

(٩) البحر : ٤٣٤/٤ .

(١٠) البحر : ٤١٩/٤ .

د) كما قررنا قوله تعالى «أَفَعَيْنَا^(١) بِالْخَلْقِ الْأُولَى، بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ^(٢) الْأُولَى، وَأَثَبْتَ أَنَّهَا لِغَةٌ لِبَعْضِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ^(٣) .

فهذه القراءات السابقة - وغيرها كثيرة كثيرة من فحصي لهذا الكتاب - قد أهل ابن خالويه عزوهما إلى أصولها أو قبائلها ، وما وقع فيه ابن خالويه ، ترد فيه ابن جنني ، إذ كثيراً ما يقول في محتسبه : وبعض العرب^(٤) ، ومن العرب^(٥) ، وهي لغة^(٦) ، أو لغات^(٧) ، وأحياناً يحكم على اللهجة كقوله : لغة مرذولة^(٨) ، أو لغة فاشية^(٩) ، أو أقوى اللغات^(١٠) ، ولكنه مع هذا لا يعزوهما إلى قبيلها .

٤ - إن دراسة القراءات القرآنية تمثل بحق الحقل البكر الذي تكن في لهجات العربية ، لأنها مصدر حي أصيل نابع من دقة التلقين والتلقي ، وحسن الضبط وإتقان الرواية .

وانتقت من كتب الأدب العامة : الأمالي (لأبي علي القالي^(١١) : ٥٣٥٦) . كما اختارت من كتب شروح الأشعار (شرح ديوان المماة للمرزوقي^(١٢) (٥٤٢١) .

وقد آثرت في تلك الإحصائية أن أححرص على تسجيل عدد ورود لهجات القبائل في كل من تلك الكتب .

- (١) سورة ق : ١٥ .
- (٢) شراذ ابن خالويه : ١٤٤ .
- (٣) البحر : ١٩٤/٨ .
- (٤) المحتسب : ٦٥/١ .
- (٥) المحتسب : ٦٨ ، ٦٧/١ .
- (٦) المحتسب : ١٩٧ ، ٧٧/١ .
- (٧) ٣٢ ، ٧٧/١ .
- (٨) ١١٠/١ .
- (٩) ٤٢٩/١ .
- (١٠) ٤٢٩/١ .
- (١١) انظر اللوحة الإحصائية رقم (٤) .
- (١٢) انظر الإحصائية (٤) .

فإذا أدرنا هذه الإحصائيات على ناحية أخرى - وهي أنها لا تزيد منها تسعين عدد لهجات القبائل المختلفة كما تقدم، ولكننا نزيد منها إحصاء الرواة الذين كانوا مصدراً لرواية هذه اللهجات المعزوة والمسندة إلى قبائلها - حتى يمكن أن نستشف منها أن من الرواة كان مكتراً في عزو لهجات إلى قبائلها، ومن منهم كان مقلداً

وقد اخترت لهذا كتابي : الخصص لابن سيده^(١) (٤٥٨ هـ) وهو الموسوعة شرح جمع الجواب للسيوطى^(٢) (٩١١) .

ويستنتج من إحصائية الخصص والممع ما يلى :

١ - أنها نستطيع أن نستشف من هذين المصادرتين (الخصص والممع) ظلاً لصنفات مؤلهم الرواة - المفقودة - في لغات القرآن ، ولغات القبائل .

٢ - أن رواة اللهجات في هذين الكتابين لم يكونوا من مدرسة واحدة ، بل منهم البصريون النحويون كأبي زيد ، والخليل ، وسيوطى ، وابن جني ، ويونس ، وأبي حاتم ، والسيرافي ، وقطرب ، وأبي الخطاب ، وأبي العباس المبرد .

والبصريون النحويون : كابن دريد ، والأصمي .

كما كان منهم الكوفيون النحويون : كالفراء .

والكوفيون اللغويون : كأبي عبد الله ، وابن السكري ، والعياني ، والفضل الضبي .

كما كان من روات اللهجات - من خلط بين مذهب البصريين والكوفيين : كأبي حنيفة^(٣) ، وابن مالك^(٤) .

(١) انظر الورقة الإحصائية رقم (ك)

(٢) انظر الورقة الإحصائية رقم (ل)

(٣) قال عنه ابن النديم (وهو من خلط المذهبين : الفهرست : ١٢٢ ، وابن الرواية : ٤١/١) .

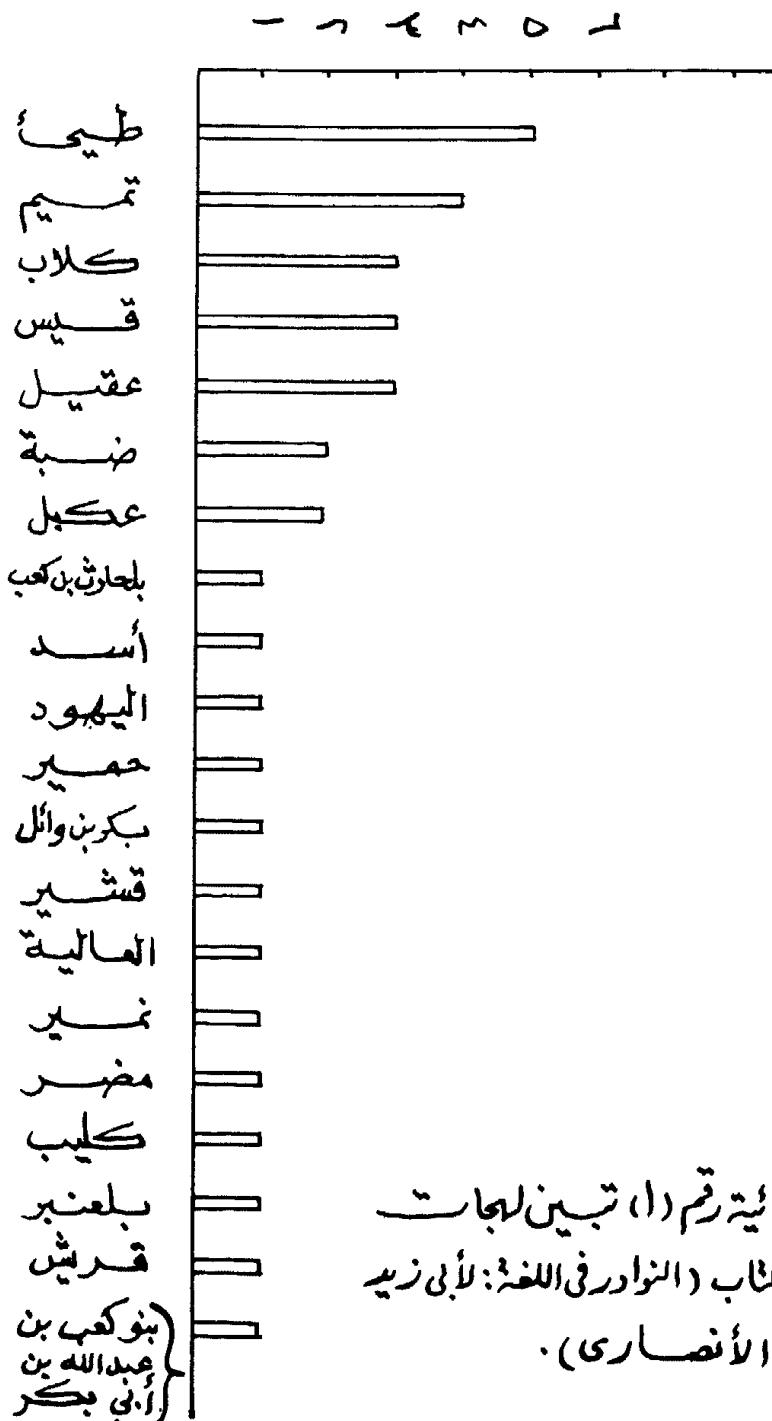
(٤) قال عنه السيوطى (وقد سلك طريقاً وسطاً بين البصريين والكوفيين : الاقتراح : ٨٦) .

كما كان من رواة اللهجات أيضاً قراء كوفيون : كالكسائي ، وأبي بكر بن مقدم^(١) . وقراء
بصرىون : كأبي عمرو بن العلاء .

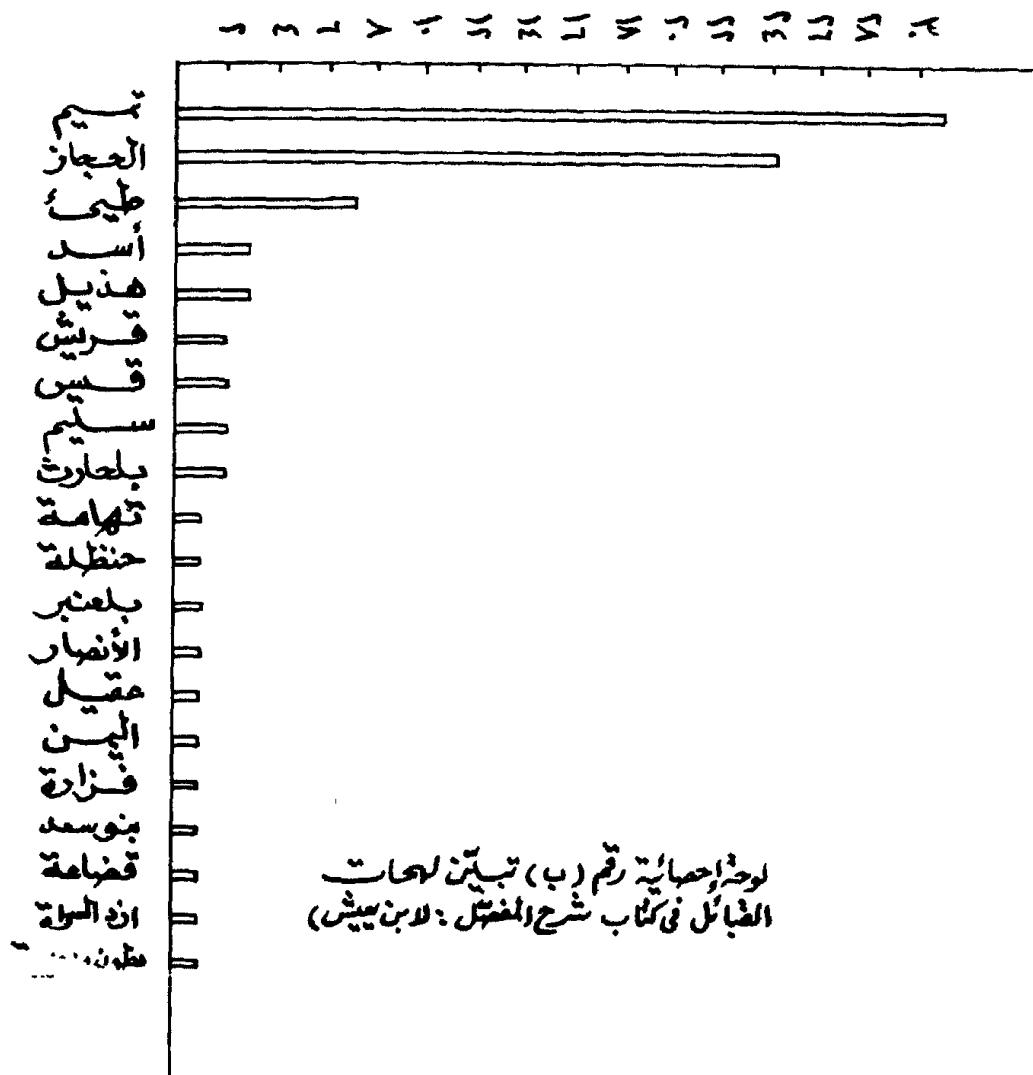
ولم يكن الأمر مقصوراً على رواية اللهجات من المغاربة ، بل شاركهم في ذلك المغاربة .

٣ - بمقارنة أسماء هؤلاء الرواة في المرجعين السابقين - نجد أن أسماءهم تتفق مع أسماء الذين
ألفوا في لغات القرآن ، ولغات القبائل ، وكتب التوادر تقريرياً - مما يؤكد بأن جميع هذه
المؤلفات كانت تدور في فلك واحد ، بل يكاد منهاجها أيضاً يكون واحداً - وقد سبقت
نقول منها تشير إلى ذلك .

(١) قال عنه ابن النديم « أحد القراء بمدينة السلام توفي سنة ٣٦٢هـ الفهرست : ٥٥ » ، وقال عنه السيوطي
« وكان أحقرظهم ل نحو الكوفيين : البينة : ٣٦ » .



لوحة إحصائية رقم (١) تبين لجاجات
القبائل في كتاب (النواور في اللغة: لأبي زيد
الأنصاري).



5. 11 12 13 14 15 16 17 18

لوجو احصائية رقم (٤٧) تهيئة لجأات
القبال في كتاب رغباته الأدب: لميغادوري

- > < = = =

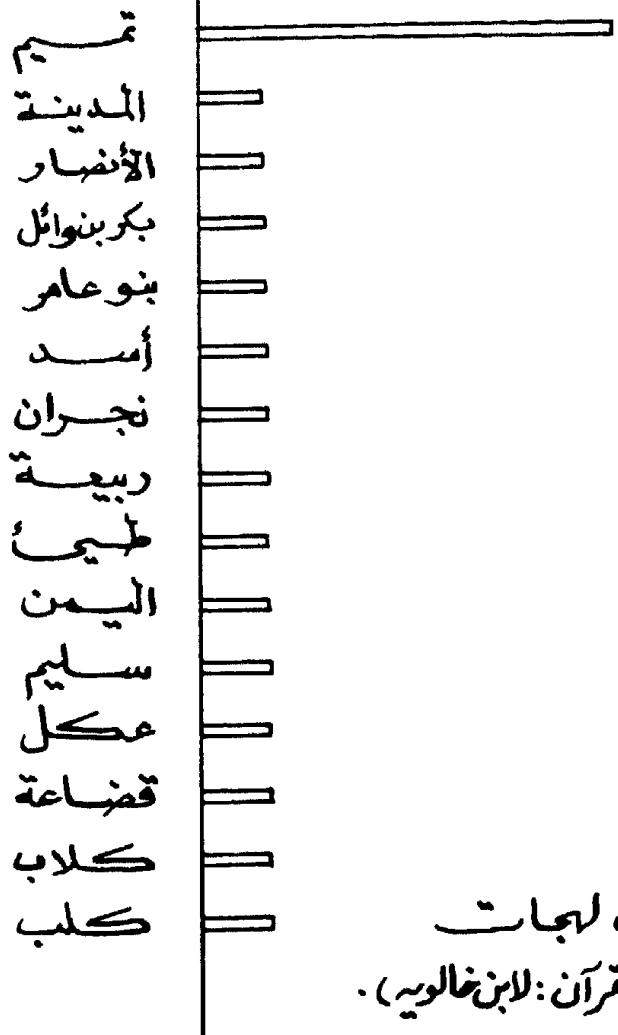
تميم
العجاز
قيس
العالية
بنواسد
كلاب
نجد
طين
الماء
حمير
عقيل
كلب
بنو العنبر
مكة
أذشنة
قنان
بنو عامر
هذيل
الزباب

لوحة إحصائية رقم (٤) تبين لهجات
القبائل في كتاب (إصلاح المنطق: لابن السكيت).

لوحة احصائية رقم (٩) تبيان لجات
القبائل في مجمع لسان العرب: لابن منظور

انظر لهجات قبائل أخرى وردت في (السان العربي) في قسم (الأطهاف المكية) **بالكتاب صحفة** ((تنمية))

- - - ٣٥١ -



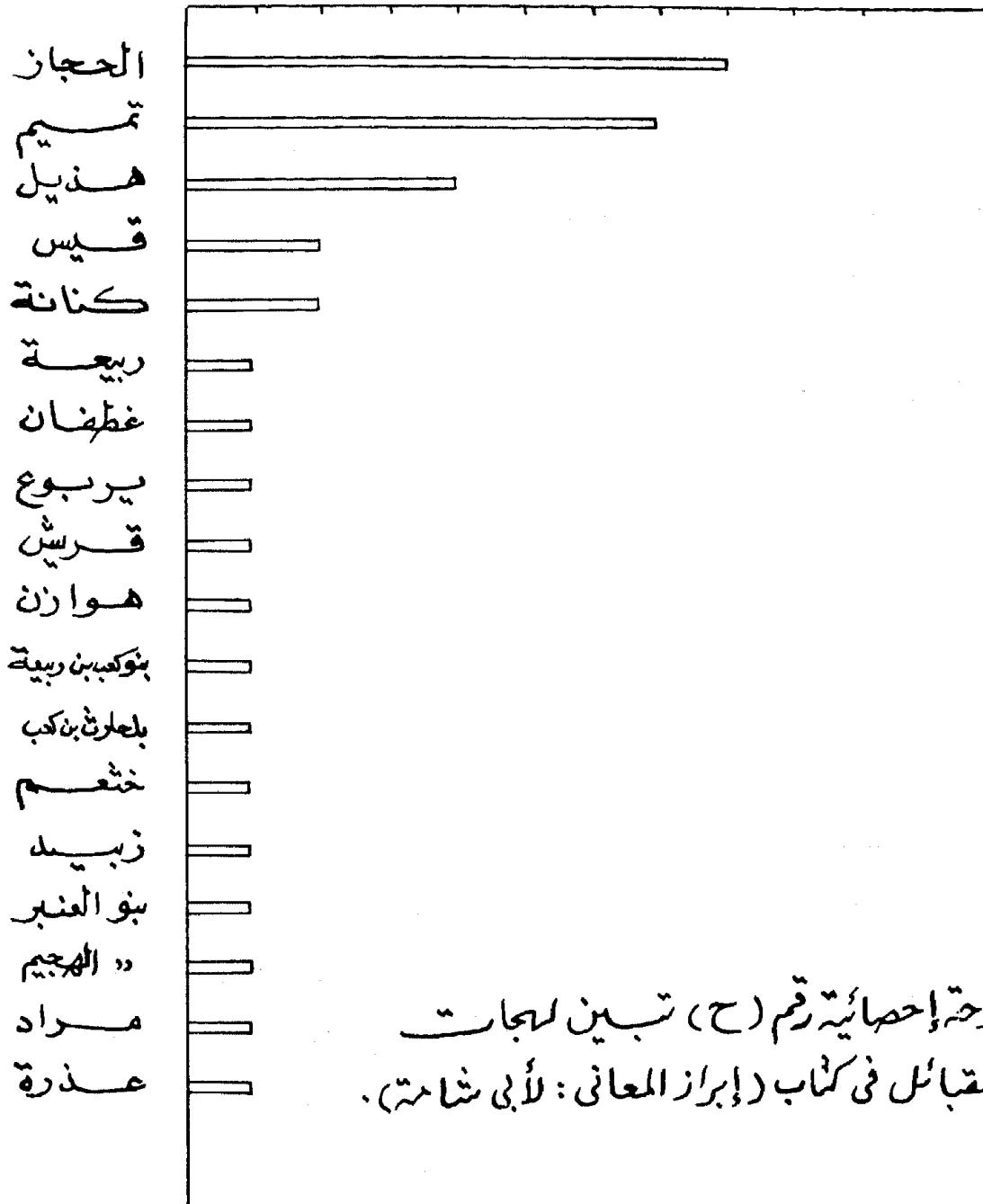
لوحة إحصائية رقم (و) تبين لجاجات
القبائل في كتاب (خنسير شواذ القرآن: لابن خالويه).

- - ٢ ٣ ٥ - < > = =



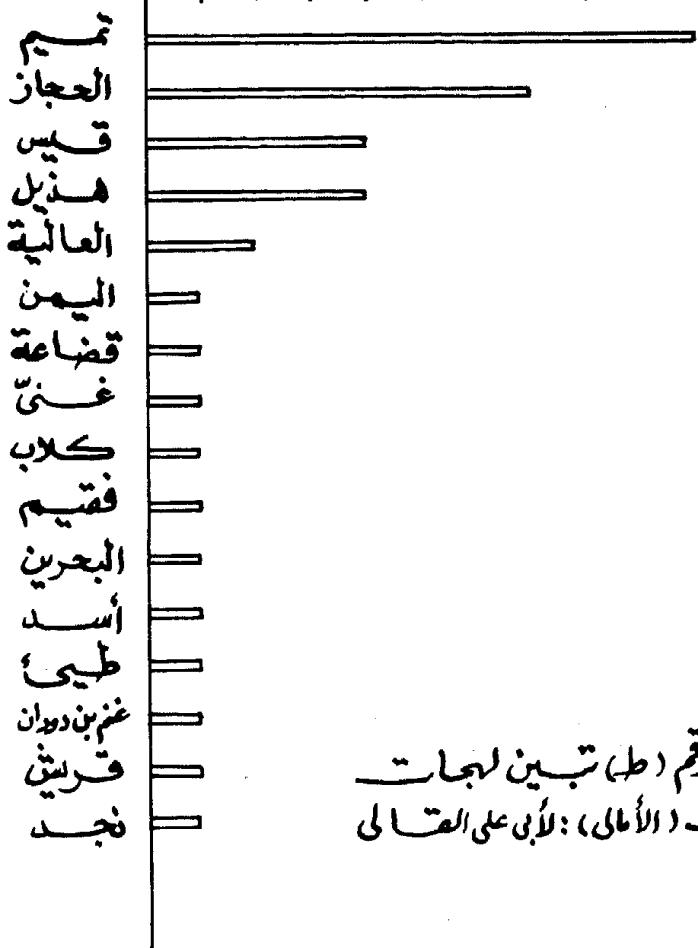
لوحة احصائية رقم (ن) تبين لجاجات
القبائل في كتاب دلمحتسب في شواذ القراءات:
لابن جنّي).

— — ٢ ٣ ٥ — < > ٦

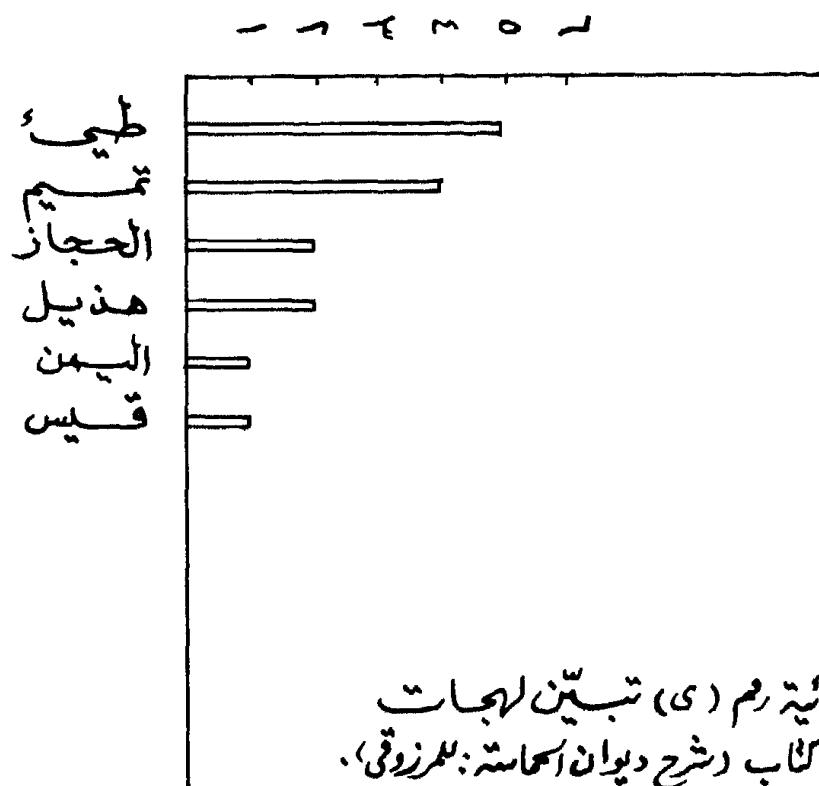


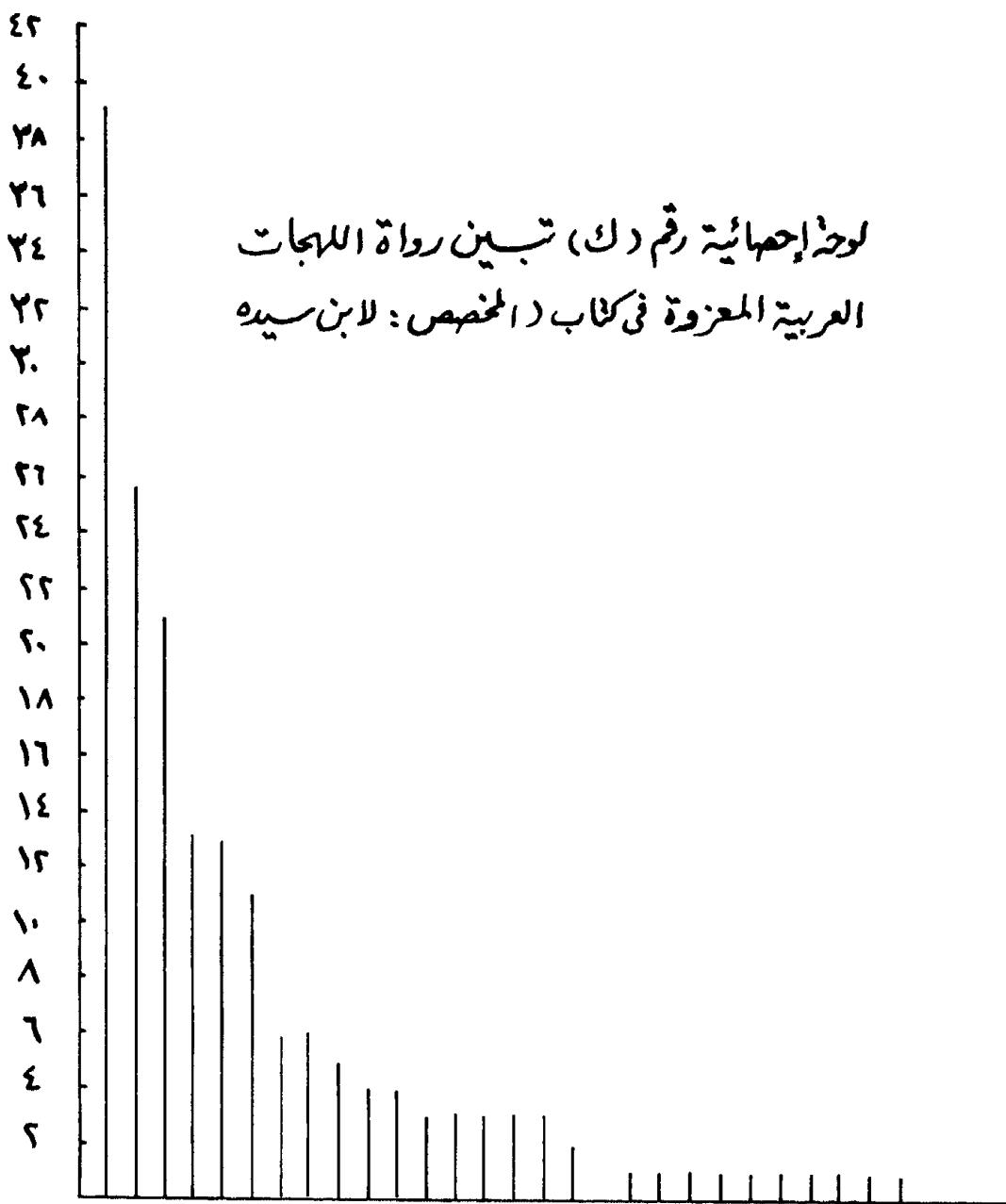
لوحة احصائية رقم (ج) تبين لهجات
القبائل في كتاب (إبراز المعاني: لأبي شامة).

- - < > < > =



لوحة إحصائية رقم (٤) تبين لهجات
القبائل في كتاب (الأمازي)، لأبي على العتالي





وَالْمُكَبِّرُ لِلْأَعْسَانِ الْمُكَبِّرُ لِلْأَعْسَانِ

- - ٤ ٨ ٥ - -



لوحة إحصائية رقم (ل) تبين رواة المراجات
العربية المعروفة في كتاب (الربيع : للسيوطى).

ملاحظات ونقد :

وتشمل ملاحظات على المصنفات العربية السابقة والموضحة باللوحات الإحصائية في كتب النحو واللغة والقراءات ، وكتب الأدب العامة ، وكتب شروح الأشعار ، وهي :

١ - أن هذه المصنفات تعزو لهجات القبائل الى بيئات جغرافية شاسعة : كاليمن ، والجاز ، واليامة ، ونجد ، والعالية ، وأحياناً كانت تتشكل الرقعة الجغرافية حتى تتعدد معالمها كالعزو الى عالية تميم^(١) ، أو سفلى قيس^(٢) ، أو عليا مضر وسفلاها ، أو لغة أهل الفور^(٣) ، أو لغة أهل الجوف^(٤) .

٢ - كما تعزوها حيناً الى بجموعات قبلية وأحلاف مثل : الباب ، فقد كانوا حلفاً يشتمل على خمس قبائل وهي : ضبة ونور وعكل وتميم وعدى - وسموا جميعاً باسم الباب^(٥) ، لأنهم أدخلوا أيديهم في رب وتحالفوا عليه^(٦) . وهو اذن الذي يرجح أنها كانت في الأصل حلفاً ضم جملة قبائل^(٧) .

وكما عزت لهجات الى الباب وهو اذن عزيت كذلك الى «خشعم» وقد ذهب (اليفي ديلاً فيداً) في المعلمة الإسلامية الى أن خشمماً ليست قبيلة في الأصل وإنما هي حلف تألف من قبائل متعددة تجمعها مصالح مشتركة^(٨) .

٣ - كما كان العزو يشمل حيناً آخر أكبر وحدة سياسية في اصطلاح النسبين كالعزو الى مضر أو عدنان ، وأحياناً أخرى يشمل أصغر وحدة سياسية كالعزو للهجات البطون والفروع والأحياء : كل هجات بني الهجم ، وزبيد ، وحيدان وكلب وهما بطنان من قضاة ، ونبهان وهي بطان من طيء ، وكعب بن ربيعة وهي بطان من عامر بن صعصعة .

(١) عالية تميم : فيها بنو عمرو بن تميم ، وهم بنو المجم والعنبر ومازن : اللسان : ٣٢٦/١٩ .

(٢) سفلى قيس : هم بطونها المتفرعة منها والتي تسكن نجدأً مجاورة لتميم : كعيل وغنى .

(٣) انظر : الفائق للزغشري : ١٩٨/٣ - ١٩٩ .

(٤) الجهرة : ٣٠٢/٣ .

(٥) معجم كحالة : ٤١٥/٢ .

(٦) اللسان : ٣٨٨/١ .

(٧) تاريخ العرب : ٣٢١/٤ جواد علي .

(٨) المربع السابق : ٢٦٢/٤ .

٤ - وقد وجدت بعض هذه الكتب يعزى لهجات القبائل إلى الخواضر - كلهجة مكة ، والمدينة ، والطائف وخمير والعراق .

٥ - كما شاهدنا بعض المصادر قد تفرد بأسماء لهجات عربية لم تشاركها فيها مصادر أخرى ، فإن دريد قد تفرد بذكر « لغة زهران »^(١) وهم بطون من شوهة^(٢) ، ولغة الشري^(٣) ، وهم بطون من زهران بن كعب^(٤) ، كما تفرد أبو حيأن بلغة بنى الصستدات^(٥) ، والفراء بلغة (بنى إنسان) في معانيه ١٠٧ وهي قبيلة عربية . انظر (نهاية الأرب ص ٨٨) .

وتفرد ابن السكري بنقله عن الفراء لغة القناني^(٦) - وهو منسوب إلى قناف بطن من بلحارات بن كعب^(٧) ، كما تفرد الخليل بذكر لهجة الحفاجيين^(٨) ، والحفاجيون من بنى عقيل^(٩) ، كما تفرد ابن منظور بذكر لهجة أهل بشينة^(١٠) ، وكانوا يسكنون هضبة على طريق السفر بين البحرين والبصرة^(١١) .

٦ - يكثُر عدد اللهجات كثرة غامرة - إذا عزيت إلى القبائل المشهورة كالهزار وقيم ، بينما تخبو وتضعف إذا عزيت إلى القبائل المغمورة .

٧ - كما لوحظ أن بعض أجزاء الجزيرة العربية كان مستودعاً للنشر لهجات من نوع خاص ، ويظهر ذلك في كثرة ما جاء عن أهل المدينة والطائف من مفردات لهجية وافرة اختصت بها النخل والكرم ، وعللت هذا باشتهر هذين المكانين بهذين النوعين ، ولهذا رأينا صورة النخلة على عملتهم النقدية (تاريخ العرب ١٨٥/٨ جواد علي) . كما سجل القرآن ذلك في

(١) اشتقاق ابن دريد : ٢٩٧ وستنفرد .

(٢) معجم كحالات : ٤٨٢/٢ ، نهاية الأرب للقلقشندی : ٢٧٤ .

(٣) اشتقاق ابن دريد : ٣٩٩ وستنفرد .

(٤) معجم كحالات : ٥٩٠/٢ .

(٥) البحر المحيط : ٢٢٥ ، ٢١٨/١ .

(٦) إصلاح المنطق : ٨٩ .

(٧) اللسان : ٢٢٩/١٧ ، معجم كحالات : ٩٦٦/٣ .

(٨) العين للخليل : ١١٦ بنداء .

(٩) نهاية الأرب للقلقشندی : ٢٤٦ .

(١٠) اللسان : ٣١٨/١٨ .

(١١) انظر معجم البلدان ، والتاج في تلك المادة .

قوله تعالى « ما قطعتم من لينة أو تركتموها » [الحشر آية ٥] وهي النخلة بلغة الأوس (كتاب اللفات في القرآن ص ٤٨) . كما لوحظ أن هذه المفردات لما هاجرت من أماكنها الأصلية أصابها الخراق صوتي ودلالي ؛ لأنها انتقلت إلى بيئة جديدة . انظر : اللسان ٩٨/١٩ . كتاب النخل للأصمعي ٦٥ - ٧١ . وكتاب الكرم للأصمعي ٧٥ - ٧٦ .

٨ - يلاحظ على ديوان الحماسة شرح المرزوق أن لهجات طيبة قد زادت عن غيرها بل فاقت الحجاز وقيم وذلك حديث عجيب ، وأعمل هذا بأن أبا تمام قد اختار أكثر شعراء الحماسة من طيبة ، وهذا كانت لهجاتها أكثر من غيرها من القبائل .

٩ - على أن الرقمة الجغرافية والمناخ الفكري كثيراً ما يحددان اللهجات كما وكيفاً ، ومن ذلك أن لهجات اليمن بلغ عددها ٣١ لهجة ، وحيث ١١ لهجة وذلك في كتاب « منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ... » الذي ألفه نشوان الميري . على حين لم يسجل للهجاز إلا لهجة واحدة ، كما لم يسجل لقبيلة تميم شيئاً ، على الرغم من المكانة السامية لكل من الحجاز وقيم ، والسبب أن المؤلف يمني حميري متاثر بالعاطفة القبلية ، وما قيل عن نشوان الميري يقال عن : المداني في : إكليله ، وابن دريد في : جهرته ، حيث فاقت لهجات اليمن عندما غيرها من اللهجات ؛ لأنها من اليمن أيضاً .

١٠ - لغات القبائل والأماكن الآتية إلى الرسم البياني في (السان العرب)

وهي :

لغات : نجران — هجر (السان ١١/٧٩) . أهل السّواد (سودانية) . عُمانية . بنو مُضري (السان ١/٧٦) . عَمَان . دبیر (الدبیريون) . لغة أهل الغرب . وادي القرى . خفاجة . بحرانية (البحرينيون) . حوران . يربوع . الصّمان . الجوف . مدین . النَّبَّع . اليهود (السان ٤١/١٧) . البصرة . الكوفة . الشام . بغداد .

هذا : ولم تذكر في الأحصاء كثيراً من لغات المدن الأخرى .

كلغة مصر التي وردت (بالسان ٣/٤٩٠ ، ٣٨/١٥ ، ٣٨/١٧ ، ٢٢٤/١٧ ، ٣٤٧) ولغة إفريقية (السان ١٥/١٦٠) . أو لغة النبط (السان ١٥/٣٧٥) واللغات غير العربية كلغات : القبط (السان ٢٢٠/١٧) أو لغات اليونان (السان ٨١/٨) . أو اللغات العبرانية (السان ١٠٨/٨) . وهرة (السان ٣٦١/٨) . والبربر (السان ٤٣١/٦) . وخراسان (السان ٤/٧) . وحوران . لأن مثل هذا يحتاج إلى دراسة خاصة . نرجو أن نقوم بها إن شاء الله .

ثانياً : نظرية علماء العربية إلى اللهجات من خلال مؤلفاتهم ورواياتهم

أولاً : اللهجات بين البصريين والковيين :

نقل السيوطي عن أبي نصر الفارابي ما يفيد أن الرواية لم يأخذوا في الاعتبار لهجات قبائل كثيرة ثم أخذ يعدد هذه القبائل فيقول « وبالجملة^(١) فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري من كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ :

- ١ - لا من خم ولا من جدام ، لأنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط .
- ٢ - ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد ، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام ، وأكثربن نصارى يقرءون في صلاتهم بغير العربية .
- ٣ - ولا من تغلب ولا النمر ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية .
- ٤ - ولا من بكر ، لأنهم كانوا مجاورين للنبيط والفرس .
- ٥ - ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس .
- ٦ - ولا من أزد عمان لأنهم كانوا مخالطين للهند والفرس .
- ٧ - ولا من أهل اليمن أصلاً مخالطتهم للهند والحبشة .
- ٨ - ولا من بني حنيفة وسكان اليامة .
- ٩ - ولا من ثقيف وسكان الطائف مخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندم .
- ١٠ - ولا من حاضرة الحجاز ...

وبهذا يكون علماء العربية قد ضيقوا المنافذ حين حصروا أخذ اللغة عن « قيس ونئم وأسد »

(١) الاقتراح : ١٩ - ٢٠ ، المزهر : ٢١١ - ٢١٢ .

فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر مما أخذ و معظمهم ، و عليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ^(١) . وهذه القبائل التي اعتمد عليها في الأخذ هي قل من كثر وغيب من فيض ، وهي لا تثلل العربية تقليلاً كاملاً ، وإن فائن هي من العرب المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية ؟ قد تكون حجتهم الحرس الشديد على سلامة اللغة وخوفهم من تسرب اللحن إليها ولكن يقف في سبيل ذلك أن اللحن وجد بين قبائل العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ^{ثم} إننا إذا اعتبرنا كل تعبير لهجي عن اللغة المتكلمة لها – فما كان أكثر اللحن الذي دخل على العربية الفصحى قبل الإسلام وبعده ، لأن العرب ، وإن كان لهم قبيل الإسلام لغة أدبية موحدة – فقد كانت لهم لهجات للتباخاطب ، ومن العبث أن يظن أن الفصحى ظلت بعيدة عن آثار هذه اللهجات ، فهي مختلطة بها ، مؤثرة ومتأثرة آخذة منها ومعطية ، وهذا خانهم التوفيق عندما بثروا هذه اللهجات بحججة أنها لهجات سوقية ، مع أنها كثيراً ما تفيدنا في حل مشكلات الفصحى وتساعدنا في فهم العربية ، وعندما حددوا الأخذ عن قبائل معينة ، كان استقرارهم محصوراً في نطاق ضيق ، ولاحظتهم في فهم العربية محدودة ، ولو أنهم وسعوا الأخذ عن القبائل العربية – لتفتحت أمامنا طرق جديدة في تاريخ عريبتنا ولكان منهجهم منهجاً تسجيلياً يسجل الظواهر اللهجية المختلفة .

وإذا كان أحد أئمة العربية ^(٢) يعترف في صراحة بأننا لم يصلنا من العربية إلا النذر اليسير « ما انتهى إليكم ما قالوا العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وأفراجاءكم علم وشعر كثير » ^(٣) فإذا بقى من هذه العربية إذن بعد ما عزلوا وبثروا جميع القبائل التي رفضوا الأخذ عنها .

قد تكون حجتهم أن اللهجات تلك القبائل غير فصيحة ، لأنهم كانوا يحاورون الأمم حولهم ، فهم مختلفون بالأجنب . ولكن يقف في سبيلهم أيضاً أنهم اعتبروا أن قريشاً « أجود العرب انتقاداً للألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسماً ، وأبينها إبانة بما في النفس » ^(٤) كما يرى ابن فارس « أن قريشاً أفصل العرب ألسنة وأصفاهم لغة » ^(٥) مع أن قريشاً هذه كانت لها جولات خارجية اتصلت فيها بالقبائل المختلفة ، وبالأمم الأجنبية ، يدل

(١) الاقتراح : ١٩ .

(٢) هو أبو عمرو بن العلاء المازني التميمي : أحد القراء السبعة : توفي ١٥٤ هـ : طبقات القراء : ٢٨٨/١ .

(٣) الاقتراح : ٢٢ .

(٤) المزهر : ٢١١/١ ، الاقتراح : ١٩ .

(٥) الصاحبي : ٤٣ ، المزهر : ٢١٠/١ .

ثانيها : أن بعضًا من أئمة العربية قد استشهد بلهجات هذه القبائل ، ومنهم ابن مالك حيث اعتمد على لغات لخم ومخزاعة وقضاء (١٣) .

- (١) كتاب اللغات في القرآن الصفعات : ٢٧ ، ٤٨ ، ٣١ ، ٢٨ ، وانظر الإتقان ١٣٦/١

(٢) كتاب اللغات : ٤٢ .

(٣) كتاب اللغات ٢٥ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٤٠ ، وانظر الإتقان : ١٣٦/١

(٤) كتاب اللغات : ٤١ ، ٢٤ ، ٢٤ ، وانظر الإتقان : ١٣٦/١

(٥) كتاب اللغات : ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٤ ، وانظر الإتقان : ١٣٦/١

(٦) الإتقان : ٤٨/١ ، كتاب اللغات : ٢٨ .

(٧) المزهر : ٢١١/١ .

(٨) إتقان : ١٣٦/١ .

(٩) إتقان : ٤٩/١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، المزهر : ٢١١/١ .

(١٠) إتقان : ٥٠/١ .

(١١) إتقان : ١٣٦/١ .

(١٢) إتقان : ١٣٦/١ .

(١٣) اقتراح : ٢٠ .

وقد يكون اعتقاد علماء العربية على القبائل التي أخذوا عنها - أنها بدوية وهم دائمًا يربطون بين الفصاحة والبداءة . ولكنني أرى أن بداوة اللهجـة لا يعني أنها هي الفصحـى دون غيرها ، لأن سمة الفصاحة لم يستأثر بها البدو وحدهم فقد قرر ابن بسام أنه كثـيراً ما سمع من الاعـراب الألفاظاً مستـكرـهـة قبيحة^(١) .

كما ان النـظرـةـ تـغيرـتـ كـثـيرـاًـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ لـغـةـ الـبـدـوـ «ـ حـيـثـ لـمـ تـعـدـ تـحـوـطـ الـبـدـاوـةـ بـذـلـكـ الإـطـارـ الـبـديـعـ مـنـ الـكـلـفـ وـالـشـفـ^(٢)ـ .ـ

والدليل على ذلك ما رواه ابن جنـىـ «ـ وـقـدـ كـانـ طـرـأـ عـلـيـنـاـ أـحـدـ مـنـ يـدـعـيـ الفـصـاحـةـ الـبـدـوـيـةـ »ـ ...ـ فـتـلـقـيـنـاـ أـكـثـرـ كـلـامـهـ بـالـقـبـولـ لـهـ ،ـ وـمـيـزـنـاهـ تـمـيـزـآـ حـسـنـ فـيـ النـفـوسـ مـوـقـعـهـ إـلـىـ أـنـ أـنـشـدـنـيـ يـوـمـاـ شـعـراـ لـنـفـسـهـ يـقـولـ فـيـ بـعـضـ قـوـافـيـهـ «ـ أـشـتـوـهـاـ وـأـدـأـوـهـاـ بـرـزـنـ أـشـعـمـهـاـ وـأـدـعـمـهـاـ فـجـمـعـ بـيـنـ الـهـمـزـتـيـنـ كـمـاـ تـرـىـ »ـ وـيـعـقـبـ اـبـنـ جـنـىـ عـلـىـ رـوـاـيـةـ هـذـاـ الـأـعـرـابـيـ الـبـدـوـيـ بـقـوـلـهـ «ـ وـهـذـاـ مـاـ لـاـ يـبـيـعـهـ قـيـاسـ »ـ وـلـاـ وـرـدـ بـيـثـلـهـ سـمـاعـ »ـ (٣)ـ فـعـمـ أـنـ هـذـاـ الرـجـلـ أـعـرـابـيـ بـدـوـيـ ،ـ إـلـاـ أـنـ هـذـاـ لـمـ يـشـفـعـ لـهـ حـيـثـ اـمـتـنـعـ اـبـنـ جـنـىـ عـنـ التـلـقـيـ عـنـهـ ،ـ بـعـدـ أـنـ تـالـ مـنـ فـصـاحـتـهـ ،ـ فـالـفـصـاحـةـ إـذـنـ لـيـسـ مـقـصـورـةـ عـلـىـ الـبـدـوـ وـحـدـهـ بـدـلـيلـ قولـ اـبـنـ جـنـىـ وـلـوـ عـلـمـ أـهـلـ مـدـيـنـةـ باـقـونـ عـلـىـ فـصـاحـتـهـ ،ـ وـلـمـ يـعـتـرـضـ شـيـءـ مـنـ الـفـسـادـ لـفـتـهـمـ -ـ لـوـجـبـ الـأـخـذـ عـنـهـمـ كـمـاـ يـؤـخـذـ عـنـ أـهـلـ الـوـبـرـ »ـ (٤)ـ فـالـقـوـلـ بـأـنـ لـغـةـ الـبـدـوـ أـفـصـحـ مـنـ غـيـرـهـاـ مـنـ لـمـجـاتـ الـحـضـرـ قولـ يـنـقـصـهـ الـبـرـهـانـ ،ـ وـلـاـ يـثـبـتـ أـمـامـ الـوـاقـعـ «ـ وـمـنـ الـعـبـثـ أـنـ نـبـحـثـ عـنـ الـمـثـلـ الـأـعـلـىـ لـلـكـالـ الـلـفـوـيـ فـيـ تـوـعـ مـنـ الـلـفـاتـ دـوـنـ سـوـاـهـ ،ـ فـيـاـ قـصـرـتـ لـغـةـ عـنـ خـدـمـةـ مـنـ لـدـيـهـ فـكـرـةـ يـرـيدـ التـعـبـيرـ عـنـهـ »ـ (٥)ـ .ـ

ومقياس الفصاحة كما أراه لا يتصل بالبداءة والحضارة ، لأننارأينا فيها تقدم بداؤاً فسدت لهجاتهم ، وإنما يجب أن يكون المقياس هو الوثوق من سلامـةـ لـغـةـ المـحـتـجـ بـهـ بـدـوـيـاًـ كـانـ أـمـ حـضـرـيـاًـ ،ـ وـإـذـ كـانـ اـبـنـ جـنـىـ أـجـازـ الـأـخـذـ عـنـ الـعـرـبـ لـوـ انـفـرـدـ بـشـيـءـ لـاـ تـعـرـفـهـ قـبـيلـتـهـ وـلـاـ غـيـرـهـ مـاـ دـامـ غـيـرـ

(١) العربية : ١٦٣ فوك .

(٢) العربية : ١٦٣ فوك .

(٣) المتصانص : ٦/٢ دار الكتب .

(٤) المتصانص : ٦/٢ دار الكتب ، الاقتراح ٢٤ .

(٥) دلالة الألفاظ : ١٥ دكتور مراد كامل .

مثهم فلنا أن نقبله منه « لأنه إما أن يكون شيئاً أخذه من ينطق بلغة قديمة لم يشارك في سماع ذلك منه ... وإنما أن يكون شيئاً ارتجله »^(١).

فما بالملك بلهجة قبيلة يأسراها أو جمع من القبائل ، ولو قد سمعوا ما يراه ابن جنى من حديثه عن « اختلاف اللغات وكلها حجة »^(٢) أو قوله « وكيف تصرفت الحال » فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء »^(٣) وهناك أبي حيأن « كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليه »^(٤) – لسجلوا لهجات القبائل جميعها حفاظاً على تاريخ أمة ، ومحمد شعب ، ومستودع حضارة .

وربما كان اختيارهم لتلك القائمة التي احتجوها بكلامها على أساس أنها القبائل الفصيحة ، أو الأدخل في الفصاحة ، أو التي بنيت عليها الفصحى ، ولكنني ألح خلافاً عريضاً قد حدث بين الرواة بشأن أي القبائل أفصح ، ومن ذلك :

- ١ - أن « جرماً » فصحاء العرب^(٥) . وقد ساق لها المبرد قصة تؤيد أنها أفصح الناس^(٦) .
- ٢ - وعن الخليل : أفصح العرب نصر قعين أو قعين نصر^(٧) .
- ٣ - ما رواه أبو عمرو « من أن أفصح الشعراء ألسنا وأعربيهم – أهل السروات » ، وهن ثلاثة وهي الجبال المطلة على تهامة مالي اليمين ، فأولها : هذيل ... ثم سراة الأزد – أزد شنوة^(٨) .
- ٤ - أفصح الناس علياً تم وسفلى قيس^(٩) .

(١) المصائق : ٢٤/٢ دار الكتب .

(٢) المصائق : ١٠/٢ دار الكتب ، الاقتراح : ٢٤ .

(٣) المصائق : ١٢/٢ دار الكتب ، الاقتراح : ٧٨ .

(٤) المزهر : ٢٥٨/١ .

(٥) الفائق للزمخشري : ٤٥٩/٢ .

(٦) كمل المبرد : ١/٣٧١ ، مفصل الزمخشري : ٣٣٣ ، شرح السيرافي : ٤٦٨ ، وقارن بما ورد في المزانة : ٤/٥٩٥ - ٥٩٦ ، ودرة الغواص : ١١٤ ط الجواب .

(٧) كتاب العين : ٨٨ ط بغداد ، اللسان : ٣٦٠/١٧ .

(٨) المزهر : ٤٨٣/٢ .

(٩) المزهر : ٤٨٣/٢ .

- ٥ - أفحص الناس سافلة العالية ، وعالية السافلة ، يعني عجز هوازن^(١) .
- ٦ - ثقيف ، وذلك لما سمع من عمر بن الخطاب « لا يملئن في مصاحفنا إلا غلامان قريش وثقيف »^(٢) .
- ٧ - وخزاعة أعراب الناس^(٣) .
- ٨ - وهذيل - حيث يرى المقدسي أن هذيلًا^(٤) أفحص لغات العرب .

ومثل هذا الخلاف الشديد في أي اللهجات أفحص - لا يطمئننا على قائمة الفارابي لأنها تتعارض مع هذه الروايات ، على أن قائمة الفارابي تحمل في ثناياها تعصباً للقبائل المشهورة ذاتعة الصيت في المجتمع العربي ، بدليل أن القبائل المعمورة والتي لم ترزق حظاً من الشهرة لم يأخذوا عنها ، والدنيا إذا أقبلت على قوم أعطتهم حماسن غيرهم .

وأرجح أن علماء البصرة كانت عندهم حساسية لغير قائمة الفارابي ، وتلك الحساسية تجلت واضحة في عقول البصريين عندما رأت بعض الدوائر العلمية الممثلة في رجال الكوفة أن توسع في الأخذ فادخلت قبائل استنكشفت الدوائر البصرية أن تأخذ عنها ، فقد أورد ابن النديم في أخبار الرياشي البصري أنه قال « إنما أخذنا اللغة من حرثة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهو لاء (يقصد الكوفيين) أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميغ والشواريز»^(٥) كما وجدنا تلك الحساسية تظهر بوضوح وتحول إلى هجوم عنيف في وجه الكسائي زعيم المدرسة الكوفية ، فقد ذكر محمد بن يزيد عن المازني عن أبي زيد قوله « قدم الكسائي البصرة » ، فأخذ عن أبي عمرو ويونس وعيسى بن عمر غالباً كثيراً صحيحاً ثم خرج إلى بغداد فقدم أعراب الحطمة فأخذ عنهم شيئاً فاسداً فخلط هذا بذلك فأفسده^(٦) وهذه التسمم التي يوجهها البصريون إلى علماء الكوفة لاسيما الكسائي لا دليل عليها ، لأن الكسائي رأى أن تلك القبائل لا يصح إغناها ، لأن أصحابها عرب

(١) المزهر : ٤٨٣/٢ .

(٢) الصاحبي : ٢٨ .

(٣) اللسان : ١٠٤/١٢ .

(٤) أحسن التقاسيم : ٩٧/١ .

(٥) الفهرست : ٩٢ ، أخبار النحوين البصريين : ٦٨ (الكامنح : أدم يوكل لتشبيه الطعام والشواريز جمع شرار وهو ابن الرائب) .

(٦) أخبار النحوين البصريين : ٤٤ ترجمة أبي زيد ، معجم الأدباء : ترجمة الكسائي .

يعيشون على أرض عربية ، ويتكلمون لغة عربية ، والله در ابن منظور حيث قال « كل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها ، فهم عرب ينهم ومعدهم »^(١) وقد ثبت أن الكسائي لم يقصر جمعه على تلك القبائل ، بل جاء في البغية أنه « خرج إلى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقة ... ثم قال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أتته خمس عشرة قتيبة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ، فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات وفي موضعه يونس فجربت ببنها مسائل أقر لها فيها يونس وصدره في موضعه »^(٢) ويقول أبو زيد الأنصاري « ما جربت على الكسائي كذبة قط »^(٣) وهذه الحاسية السديدة والتهم الموجهة إلى رجال الكوفة من علماء البصرة منشؤها العصبية – فاتلها الله ! فإننا نعمي البصائر وتعصب الأنوار .

والحق أن الكوفيين أشد احتراماً لما ورد عن لهجات القبائل فلم يهملوا شيئاً ، ولهذا كان رجال الكوفة لما حاين لطبيعة اللغة وفهمها فهماً أصيلاً ، لأن كل لهجة تمثل حقلان لغوياً لا يصح إهادره أو الحيف عليه ، ولا شك أن أي لهجة من تلك اللهجات المعمورة قد أدمت الفصحى بروافد غنية أضافت إلى متنها إضافات في الدلالة والمستوى الصرفي والصوتى ، ولهذا انتصر الكسائي على سيبويه في المناظرة التي وقعت بينها وشامت قبائل العرب الكسائي ، لأن الكوفيين وعلى رأسهم زعيم مدرستهم قد توسعوا في الأخذ عن مصادر أسطقها البصريون . يوضح هذا ما جاء عن الأزهرى من أن « الغالب على الكسائي اللغات »^(٤) كما وصف الكسائي بأنه « أعلم من أبي زيد بكثير – بالعربية واللغات »^(٥) ولن يضير هذه القبائل التي لم يأخذ عنها البصريون مخالفة لهجاتها للهجة قريش ، لأن « الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير خطئ »^(٦) ولهذا أرجح أن أخذ العربية عن تلك القبائل التي استحقها العرب أولى من تلك الزيادات التي زيدت في لغة العرب وحملت عليها حلاً – وهي منها براءة^(٧) .

(١) اللسان : ٧٧/٢ .

(٢) البغية : ٣٣٦ .

(٣) ضحي الإسلام : ٣٠٧/٢ .

(٤) مقدمة تهذيب اللغة : ٥٢ .

(٥) معجم الأدباء : ١٨٩/١٢ .

(٦) الخصائص : ١٢/٤ .

(٧) انظر : صيناً في كتاب « الأيام والليالي والشهر » للفراه : ١٠ ، ٣ .

والحق أن موقف الكوفيين هذا قد دفعهم إلى الاعتداد بالقراءات ، لأن القراءات ما هي إلا وجوه من الخلاف بين لهجات القبائل ، يعكس البصريين الذين أخضعاها لأصولهم ، وصنعتهم ، حق رموا كثيراً منها بالشذوذ والغلط واللحن « بل ربما حكوا على القراءة بالوهى » ، وعلى القارئ « بالوهم »^(١) .

هذا وقد ظهرت معارضات النعجة البصريين للهجات القبائل في عدة أضرب منها :

١ - طعنهم في القراءات القرآنية - والتي تتمثل لهجات عربية :

أ) ففي قوله تعالى « ما أنا بصرخكم وما أنت بصرخني إني كفرت بما أشركتموني من قبل »^(٢) قرأ حزة بكسر الياء ، ووافقه الأعشش كأجازها الفراء ، وأبو عمرو بن العلاء^(٣) ، وهي لغةبني يربوع^(٤) ، إذ الكسر عندم مطرد في الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم في حالة الوصل ، وقد قال القاسم بن معن عن هذه القراءة (إنها صواب)^(٥) ، (وكان من هذه ثقة بصيراً)^(٦) ، وقال عنها الأخفش « ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من التحويين »^(٧) ، كما وصفها الزجاج بأنها « عند جميع التحويين مرذلة »^(٨) ، وأنكرها كذلك أبو حاتم ، ورماها الزمخشري بالضعف^(٩) ، وزاد في إضعافها وتوهينها بأن الشاهد الشعري عليها لرجل مجهول ، والحق أن الشاهدالأغلب . المجلن ورأه أبو شامة في أول ديوانه^(١٠) ، ويرى المعري (إجماع أصحاب العربية على كراهة هذه القراءة)^(١١) ، كما يرى أن أبا عمرو ما أجاز هذه

(١) الإنصاف : المسألة : ٦٠ .

(٢) إبراهيم : آية ٢٢ .

(٣) النشر : ٢٩٨/٢ ، الإتحاف : ٢٧٢ .

(٤) المزانة : ٢٥٨/٢ .

(٥) النشر : ٢٩٩/٢ .

(٦) إبراز المعاني : ٣٦٩ .

(٧) اليعز : ٤١٩/٥ .

(٨) المزانة : ٢٥٩/٢ ، إبراز المعاني : ٣٦٩ ، البحر : ٤١٩/٥ .

(٩) البحر : ٤٢٠/٥ ، الدر اللقيط : ٤١٩/٥ .

(١٠) المزانة : ٢٥٩/٢ .

(١١) حاشية زين الدين على التصريح : ٦٠/٢ .

(١٢) التصريح : ٦٠/٢ .

القراءة إلا متهزئاً^(١)، وكأنه يشير بذلك إلى ما جاء عن أبي عمرو عندما سئل «إن أصحاب النحو يلعنوننا فيها»، فقال: «هي جائزة»^(٢).

وأستنبط من هذا العرض أن البصريين أنكروا هذه القراءة، إذ أنت الأخشن والزجاج، وأبا حاتم والمبرد، والزنخشري على مذهب البصريين، أما القاسم بن معن فهو من رؤساء النحويين الكوفيين^(٣)، ولهذا أجاز القراءة بها، كما أجازها أبو عمرو بن العلاء، لأنه إمام في القراءة، والجيزون على حق لأن هذه القراءة صحت سماعاً، كما أنها صحت قياساً، إذ الياء كسرت اتباعاً للكسرة التي بعدها في (بصري خيّاني) والسان فيها يعمل من موضع واحد، ووجه واحد، ففيها الانسجام وتقرير الأصوات بعضها من بعض، وذلك ما يميل إليه البدو أمثال بني يربوع.

ب) كما قرأ أبو جعفر يزيد بن القمعان وغيره قوله تعالى «إذ قلنا للملائكة استجعوا»^(٤) بضم التاء - (وحكى أنها لغة أزد شنوة)^(٥). وقال عنها الزجاج «هذا غلط من أبي جعفر»^(٦) كما خطأها الفارسي^(٧)، ولم يجزها الزنخشري^(٨) لأن حركة الإعراب عنده لا يصح أن تستهلك لحركة الاتباع^(٩). ولكن أرجح أن العربية تحرص على الانسجام الصوتي والإتباع حرصها على الإعراب، ولهذا «رواه الكسائي»^(١٠) ووجهها أن التاء ضمت إتباعاً لحركة الجيم، ولو لم يتبعوا الخرج اللسان من كسر إلى ضم، والمرجح تكره ذلك.

وأرى من ذلك أن الزجاج، والفارسي، والزنخشري وكلهم بصريون - قد غلطوا أبا جعفر - أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضاً عن عبدالله بن عباس، ثم هو شيخ نافع

(١) الفهران للمعري دار المعرف : ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) إبراز المانى : ٣٧٠ .

(٣) البحر : ٤٢٠/٥ .

(٤) سورة البقرة : آية ٣٤ .

(٥) التشر : ٢١٠/٢ - ٢١١ .

(٦) البحر : ١٥٢/١ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) التشر : ٢١١/٢ .

(٩) البحر : ١٥٢/١ .

(١٠) التشر : ٢١١/٢ .

ابن أبي نعيم أحد القراء السبعة ، ثم هو لم ينفرد بهذه القراءة ، بل قرأ بها غيره ، وشاركه فيها الكسائي الكوفي ، وإذا ثبتت لهجة عربية فلا ينبغي أن يخطأ القارئ بها أو يغلط .

وما يتصل بحركة الانسجام هذه قراءة الحسن (الحمد لله) بكسر الدال واللام ، وقراءة ابن أبي عبلة (الحمد لله) بضم الدال واللام^(١) ، وها قراءتان لأهل البدو^(٢) ، وقد عزت القراءة الأولى لتميم وبعض غطفان^(٣) ، كما عزت الثانية لربيعة^(٤) وقد ذهب البصريون إلى أنها قراءتان شاذتان في الاستعمال ضعيفتان في القياس^(٥) كما سمعها الزجاج (البصري) بقوله « ولا يلتفت إلى هذه اللغة ولا يعبأ بها »^(٦) .

كما حكى الصفار عن علي بن سليمان (الأخفش) أنه عقب على تلك القراءة بقوله « لا يجوز من هذين شيء عند البصريين » يقصد « الحمد لله » و « الحمد لله »^(٧) .

والحق أن هذه الحركات المنسجمة وان تعارضت مع الإعراب في حالة كسر الدال إلا أن لها وجهاً مقبولاً ، إذ إن هذا التركيب لما كثرتداوله عند العرب جعل هذا التركيب مثل الكلمة الواحدة ، ولا شك أن الكلمة الواحدة يستثنى فيها الانتقال من حمة يتلوها كسرة أو العكس ، فآثروا الكسرتين حيناً ، مع أن الحمد مبتدأ مرفوع ، كما ضموا اللام إتباعاً للدال في القراءة الثانية .

وقد اجتهد الكوفيون في توثيق هاتين القراءتين ، لاسيما وقد نسبتا لهجة لبعض القبائل .

ج) وردت عدة قراءات لآيات كريمة ، وكلها تفيد التقاء الساكنين على غير حدّه ، منها :

١ - « أَمْتَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى »^(٨) .

(١) الانصاف مسألة : ١٠٧ .

(٢) معاني القرآن : للقراءة : ٣/١ دار الكتب .

(٣) الاتحاف : ٢٢ .

(٤) ترجمة الألباء : ٣٦٤ .

(٥) المحتب : ١٠/١ تيمور ، الانصاف : ٣٣٨/٢ .

(٦) اللسان : ١٣٣/٤ .

(٧) ترجمة الألباء : ٣٦٤ .

(٨) سورة يوں : آية ٣٥ .

٢ - «إِنَّ اللَّهَ يُعْلَمُ بِمَا يَصْنَعُكُمْ بِهِ»^(١١).

٣ - «إِنَّمَا تُبَدِّلُ الصَّدَقَاتِ فَمِنْعِمَّا هِيَ»^(١٢).

٤ - «تَأْخُذُمْ وَهُمْ يَخْصُمُونَ»^(١٣).

٥ - «لَا تَمْدُوا فِي السَّبَّتِ»^(١٤).

٦ - كما ورد في الأثر «نعمًا المال الصالح»^(١٥).

فقد قرأ أهل المدينة «يتسكنن الهاه وتشديد الدال، فجمعوا بين ساكنين» في الآية الأولى^(١٦)، كما ذكر الشعس بن الجوزي أن العراقيين والشريقيين قد رروا الإسكان ؛ أي إسكان^(١٧) العين مع تشديد الميم في الآيتين الثانية والثالثة والأثر، وبهذا قرأ أبو جعفر وشيبة، ونافع وعاصم، وأبو عمرو^(١٨)، كما قرأ أبو جعفر أيضًا في الآية الرابعة بإسكان الهاه وتشديد الصاد^(١٩)، وبإسكان العين مع تشديد الدال^(٢٠) في الآية الخامسة.

ولقد ساق أبو شامة ما يفيد بأن التقاء الساكنين في مثل ذلك إنما هو لغة النبي ﷺ^(٢١)، كما أيد ذلك صاحب البحر^(٢٢). «والتقاء الساكنين على غير حده أجازه الكوفيون»^(٢٣) ومن

(١) سورة النساء : آية ٥٨ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٧١ .

(٣) سورة يس : آية ٤٩ .

(٤) سورة النساء : آية ١٥٤ .

(٥) اللسان : ٦٧/١٦ ، الاتحاف : ٢٧ ، النشر : ٢٣٦/٢ .

(٦) تفسير الطبرى : ٨٧/١٥ .

(٧) النشر : ٢٣٦/٢ .

(٨) اللسان : ٦٧/١٦ .

(٩) الاتحاف : ٣٦٥ .

(١٠) النشر : ٢٥٣/٢ .

(١١) إيراز المعانى : ٢٦٢ .

(١٢) البحر : ٣٢٤/٢ .

(١٣) القراءات والتحجات : ١٧٦ .

الواضح أن تلك القراءات التي ثبتت التقاء الساكنين إنما وردت عن طريق القراء موصولة بسندتها ، فإذا نظرنا إلى جانب النحاة البصريين فسنرى اتهامات شنيعة لتلك القراءة منها .

١ - ما ساقه ابن منظور من أن الزجاج اتهم القراءة مرة بقوله « ليست بضبوطة »^(١) وأخرى بأنها « شاذة »^(٢) ، وقال عنها قائلة بأنها رديئة^(٣) .

٢ - وعقب أبو علي على من قرأ بها بقوله « بأن قوله لم يكن مستقيماً عند النحوين ، لأن جمع بين ساكنين ، الأول منها ليس بـ دليل »^(٤) .

٣ - كما وصف محمد بن يزيد أحد مؤيداتها بقوله « وهو من عجيب اختياراته »^(٥) وجيب هؤلاء الطاععين فيها من نحوي « البصرة » ، أما الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام فقد أيدتها^(٦) . وهو كوفي ، كما أيدتها القراء ومنهم الداني بقوله « إن الإخفاء أقيس ، والإسكان آخر »^(٧) .

إنما آثرت لهجة النبي عليه السلام وقرىش التقاء الساكنين ، لأن التقاءها دليل على الأداء الكامل ، وإعطاء الصوت حقه دون أن يطفي عليه مجاوره بالحذف أو التأثير وتلك صفة من صفات الخضر الممثلين في قريش .

والحق أن تتبع كتب القراءات^(٨) توقفنا على كثير من القراءات القرآنية – التي تمثل لهجات عربية – تلك التي تجهم لها البصريون ، ووقفوا منها موقف المعارضة لأنها خالفت أصولهم وقواعدهم ، فحاولوا تأويلها أو رفضها ، وهذا كان استقراراً لهم ناقصاً حين اعتمدوا في الأخذ عن القبائل المشهورة فقط واصطدمت قواعدهم بقراءات القرآن تلك التي تمثل لهجات عربية مشهورة ومفمورة . وموقف البصريين هذا الموقف من القراءات – وهي تستند على ما بين اللهجات من

(١) اللسان : ٦٧/١٦ .

(٢) اللسان : ٢٣٠/٢٠ .

(٣) البحر : ٣٢٤/٢ .

(٤) إبراز المعاني : ٢٦٢ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المرجع السابق نفسه .

(٧) الإتحاد : ١٩٦ ، النشر : ٢٥٣/٢ .

(٨) اقتصر في ذلك البحر : ٤٩٥/٧ ، حاشية الخضرى على ابن عقيل : ٢٢/١ ، إبراز المعاني : ٤٢١ ، الخصائص : ٧٥/١ ط الملال ، البحر : ٢٠٦/١ ، شرح درة الفوادن : ٦٤ ، البحر : ٤٩٩/٢ ، وانظر هذا الكتاب « باب الوقف » ، وكذلك باب « الإعراب في الأفعال » .

خلاف - الخراف عن المنهج السليم ، لأنهم ضيّعوا علينا كثيراً من الدراسات في الجانب اللغوي ، وبحبروا واسعاً وضيقوا ، وماذا عليهم لو جعلوا قواعدهم مرنة تقبل المأثور المروى من القراءات ، أو عدلوها واتخذوا شواهد لها من القراءات ، على أثر إجماع النحاة البصريين ليس حجة - مع مخالفة القراء لهم ، لأن من القراء جماعة من أكبر النحويين ، ثم ولو قدر أن القراء ليس فيهم نحوى ، فإنهم ناقلون هذه اللغة ، وهم مشاركون للنحويين في نقل اللغة ، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم ، والقراء أولى ، لأن القراءة متواترة وما نقله النحويون آحاداً^(١) .

وكان أبو حيان على حق عندما أعلن كلامه ثائراً « ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ! »^(٢) ، « وإن لسان العرب ليس مخصوصاً فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه »^(٣) ، بل « القراءة سنة متتبعة »^(٤) ولا مدخل للقياس فيها . وعلى عكس هذا نجد مدرسة الكوفة ، فقد اعتبرت القراءات مصدراً للتشريع اللغوي ، إذ عنيت الكوفة منذ تصديرها برواية القراءات ، لأنها كانت مهبط القراء ، ودراساتهم تعتمد على النقل ، وتعتز بالرواية والتلقين ، وكان بعض الأئمة يرى أن اختلاف القراءات يبني على ما بين همجات القبائل من خلاف فرأى أن كلاً من القراء « قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبًا من مذاهب العربية لا يدفع ، وقد من القياس وجهًا لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكمة » طریقی
النقل والرواية^(٥) .

٢ - إنكارهم روایات تمثل همجات عربية :

أ) فقد أنكر الأصمعي (البصري) أوقف الدار والدابة بالألف ، وذكر أن الكلام (وقفت)
بغير ألف ، وما أنكره لهجة قيمية^٦ ، كما أنكر (أفتن) ، مع أنها جاءت في قراءة
قرآنية ، وشاهد للأعشى ، وأنها لهجة قيمية^٧ أيضاً ، كما رفض (أباع) مع ورودها

(١) الإنحاف : ٢٧ .

(٢) البحر الحبيط : ١٥٩/٣ .

(٣) البحر : ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٤) إبراز المعاني : ٣٨٣ .

(٥) الحجۃ في قراءات الأئمة السبعة لابن خالریه : ورقة رقم ١ غلطون .

(٦) المصباح : ١٠٣٨/٢ .

(٧) اللسان : ١٩٤/١٧ .

لهمجة جماعة من جرم فصحاء^١. ورفض (زوجة) وقال هي زوج^٢، وما أنكره لمجرة
تميمية^٣. كما أنكر صيفاً لمجرة كثيرة^٤، وقد يرجع هذا التزمر والتشدد إلى فقره في
حياته من جهة ، ومن جهة أخرى أنه كان من المضيقين في الأخذ عن القبائل فمحجر
واسعاً ، وهذا كثيراً ما نسمع صيفاً لمجرة يعقب عليها بقولهم «لم يعرفها الأصمي»^٥
ولو أن البصريين كانت عندهم حاسة علمية تاريخية ، فجمعوا لمجرات القبائل كلها – ولم
يسيروا الأخذ عن لمجرات القبائل مع صحة عربيتها وثبوت روایتها – لوقفنا على الخطوط
الكبيرى ، والمعلم البارزة في نشأة المجرات وتاريخها من جهة ، ولما غلطوا العرب^٦ في
قولهم من جهة أخرى ، وغاب عنهم أن للعربي مذاهب كثيرة في القول .

ب) وحکى الكسائي^٧ والفراء^٨ (وها كوفيان) لمجترين لمعب القيس في المصحف (أردة)
وفي غيره (اسل زيدا) مع أن أحداً من البصريين^٩ لم يمح عنهم ذلك .

ج) كما حکى الفراء عن الكسائي أن بني يربوع وبني عقيل يقولون : حل مصووغ ، ومسك
مدورف ، ونوب مصوون ، وفرس مقود ، وقول مقوول – وأما البصريون فلا يعرفون
هذا^{١٠} .

د) ورفض الحريري (البصري) قوله «فلان يستأهل الإكرام ، وهو مستأهل للإنعام» ثم
عقب على الرفض بقوله «ولم تسمع هاتان اللقطتان في كلام العرب ، ولا صوب التلفظ بها

(١) المهرة : ٤٣٦/٣ .

(٢) الحصائق : ٢٩٥/٣ .

(٣) كتاب التذكرة والتأنيث للسبستاني : خط تيمور .

(٤) الاقتضاب : ٤٣ ، معجم مقاييس الله : ٢٢٢/١ وما بعدها .

(٥) الحصن : ٥٨/١٥ .

(٦) انظر : الحصائق : ٢٧٣/٣ .

(٧) التصریح : ٤٠١/٢ .

(٨) ليس في كلام العرب : ١٢ .

(٩) التصریح : ٤٠١/٢ .

(١٠) الاقتضاب : ٢٧٥ ابن السيد .

أحد من أعلام الأدب^١ لكن جاء في اللسان عن الأزهري أنه سمع ما أنكره الحريري من أغراض فصيح من أسد^٢.

كما خطأ كلمة (أرياح) وصوابها عنده (هبت الأرواح) ^٣ لكن حكاها الاعياني (وهو كوفي) ، كما عزّاها السهيلي لغة لبني أسد ^٤ .

وكثيراً ما كان يرفض الحريري (البصري) كثيراً من لهجات القبائل لزعمته ولهذا رد الخفاجي كثيراً من خططه الحريري.

فقد خطأ وحن (فلان أشر من فلان) والصواب (شرّ)، مع أن (أشر) وردت في الكلام الفصيح، وفي صحيح البخاري^٦، وجاءت عليها قراءة قرآنية^٧، كما حكى (أي الصيغة المروضة عند الحريري) لغة بنى عامر^٨.

هـ) وقد يقف في سبيلنا أن الكسائي (الكوفي) قد خطأ وحن صيفاً وردت في كتابه « ما تلعن فيه المقام »^٩ ، وهذه الصيغة التي رماها باللعنة تمثل لفات قبائل عربية، وأسوق من كتابه السابق بعض الأمثلة :

١- يرى الكسائي أن «عجزت عن الشيء»، بفتح الجيم،^{١٠} هي الاستعمال اللغوی الصحيح. لكن حکی ابن القطاع الصقلي (٥١٠هـ) أن الفراء عزاماً بكسر الجيم لغة لبعض قييس.^{١١}

- (١) درة الفرمان : ٧٠
 - (٢) اللسان : ٣٠/١٣٠
 - (٣) الدرة : ٤٣٠
 - (٤) شرح الدرة : ٦٦٠
 - (٥) الدرة : ٤٣٠
 - (٦) شرح الدرة : ٦٤٠
 - (٧) شواذ القرآن لابن خالويه : ١٤٧٠
 - (٨) المصباح : ٢٨٦/١

(٩) ومنها نسختان مخطوطتان : الأولى في برلين ونشرها بروكلمان . والثانية في خزانة جامع بومباي نشرها عبد العزير اليماني الراجلجوري الأفري المندى وطبعت بالسلفية : ١٣٤٤ .

(١٠) ما تلعن فيه العوام : ٢٤

١١) كتاب الأفعال : ٣٤٠/٢

٢ - كا يرى الكسائي أيضاً أن الصواب « غصصت بالطعام » بكسر الصاد ^١ ، بينما ثبت الفتح لغة في الرباب ^٢ .

٣ - ويرى الصواب أن « تقول : عندي هنا دهن ومنوان وأمناء ^٣ كثيرة » ويقول ابن سيده « ويقال : مَنْ ^٤ والجمع أمنان قمية » ^٥ وفي اللسان « وبينو نيم يقولون : هو مَنْ ^٦ ومنتان وأمنان » ^٧ .

٤ - ويرى الصواب أن يقال : « على ثياب جدد بضم الدال » ^٨ مع أنها وردت بالفتح لغة لبعض نيم وكلب ^٩ ، وعلل الأشموني للفتح فقال « واستثنى بعض التمييin والكلبيين ضم عين فعل في المضارع وجعلوا مكانها فتحة فقالوا : جدد وذلل ^{١٠} . وقد سمع أبي زيد صيغ الفتح من ضبة ^{١١} . ولا أدرى كيف لخنا الكسائي مع أن أبا السمال قرأ بها ^{١٢} .

نها سبق يتضح أن الكوفيين كانوا يتجمرون للهجات القبائل العربية كالبصريين وهذا يخالف ما نسير عليه ويقف في سينينا ، ولكن تزول هذه الشبهة سريعاً عندما يظهر أن (كتاب ما تلحن فيه العام المنسوب للكسائي) ذلك الذي سقط منه موقف الكسائي من اللهجات لم تصح نسبته إليه ، لأن ما في الكتاب لا يلائم ما رواه اللغويون عن الكسائي في معاجم اللغة ، ولهذا أثار الأستاذ الميمني شكلاً في نسبة هذا الكتاب إلى الكسائي ^{١٣} .

فإذا أضفنا إلى ما تقدم ما جاء عن الأزهرى من أن « الغالب على الكسائي اللغات » ^{١٤} وأنه

(١) ما تلحن فيه العام : ٢٨ .

(٢) أفعال ابن القطاع : ٤٣٣/٢ .

(٣) ما تلحن فيه العام : ٤٦ .

(٤) المensus : ١٧٤/١٥ .

(٥) اللسان : ١٦٧/٢٠ .

(٦) ما تلحن فيه العام : ٤٤ .

(٧) البحر : ٣٥٩/٧ .

(٨) الأشموني : ١٣٠/٤ .

(٩) فوادر أبي زيد مسائية : ٢٤٠ .

(١٠) البحر : ٣٥٩/٧ .

(١١) مقدمة الميمني لكتاب الكسائي : ٢٢ .

(١٢) مقدمة تهذيب اللغة للأزهرى : ٥٢ .

« أعلم من أبي زيد بكثير - بالعربية واللغات »^١ ازدداً يقيناً بأنه لا يتوجه للهجات القبائل ، ولا يقف منها هذا الموقف .

٣ - تصنیف للأحكام التي يصدر عنها على المهمجات :

- (١) معجم الأدباء : ١٨٩/١٢ .
 - (٢) المجمع : ٥٩/١ .
 - (٣) شرح التصریح : ٤٠٢/٢ .
 - (٤) الكتاب : ٤٠٧/٢ .
 - (٥) الكتاب : ٤١٢/٢ .
 - (٦) الكتاب : ٤٢٩/٢ .
 - (٧) اللسان : ٢٧٦/٥ .
 - (٨) العربية يومان فلک : ٥١ .
 - (٩) شرح الشافية : ٢٤٧/٢ .
 - (١٠) شرح الشافية : ٢٤٦/٢ .
 - (١١) المحتب : ١١٠/١ خط تیمور .
 - (١٢) المخزنة : ٢٣٥/١ .

سوءٌ^١، أو تيمية قبيحة^٢، أو لا خير فيها^٣.

ويصف الحمداني (٥٣٤) بعض اللهجات - عند حديثه عن العلاقات اللغوية في جنوب الجزيرة العربية ، كلهجة « عدن » ، بأنها مولدة رديئة ، وفي بعضهم نوّك وحافة^٤ ، كما يصف بعض أصحاب اللهجات بأنهم غم يشاركون المجم^٥ . وأحياناً يصف اللهجة بأن فيها تعقداً ، أو قحة متقدة^٦ . كما يصف المقطري (٥٣٧٥) لسان الأحقاف بأنه (وحش)^٧ ويسم عربية العراق بأنها حسنة فاسدة^٨ ، أو أن لسان هرارة لا يصلح إلا للكفيق^٩ ، كما يصف اللهجة أحياناً بأن فيها انفلاقاً^{١٠} ، أو لسانهم فيه حلاوة أو عجلة^{١١} ، أو في كلامهم طنين^{١٢} .

كما أن الحريري (٥١٦) يسم أسلوباً يمثل لهجة عربية بقوله « وهو ما لا يعبأ به ولا يقاس عليه »^{١٣} .

كما أن أبي شامة (٦٦٥) يقول معتبراً على إحدى اللغات « لا تتعجبني تلك اللغة ، لأنها ليست لغة أهل الحجاز^{١٤} » كما نجد بعض المحدثين يصف لهجة يمنية صحيحة بقوله « وهذه لغة لا ينبغي أن يلتفت إليها ، فإن اللغة اليمنية فيها أشياء منكرة خارجة عن المقاييس »^{١٥} .

(١) المزهر : ٢٢٥/١ .

(٢) المزهر : ٢٢٤/١ .

(٣) المزهر : ٢٢٥/١ .

(٤) صفة جزيرة العرب : للحمداني : ١٣٤ تحقيق بلعيد النجاشي .

(٥) صفة جزيرة العرب : ١٣٥ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) أحسن التقاليم للمقطري : ٩٧ .

(٨) المرجع السابق : ١٢٨ .

(٩) المرجع السابق : ٣٣٥/٢ .

(١٠) المرجع السابق .

(١١) المرجع السابق : ٣٦٨/٢ .

(١٢) المرجع السابق : ٤١٨/٢ .

(١٣) الدرة : ٣٥ .

(١٤) إبراز المعانى : ٤٨٨ .

(١٥) ما تلحن فيه العامة للكسانى : ٣٥ هامش .

ونظرية هؤلاء الضيقة لاسيما رجال البصرة منهم، جعلتهم يقيسون هذه اللهجات التي وصفوها بقياس اللغة الفصحى، وهذا حكموا عليها بهذه الأحكام القاسية ونعتوها بتلك الأوصاف، وغاب عنهم أن كل لهجة عربية لها مقاييسها الخاصة، ومنطقها الخاص، كما أن الأصل في اللهجات هو الرواية والنقل، لا القياس والعقل، ولكنهم بدوا في القياس، واتباع التأويلات البعيدة، والتوجيهات المتكلفة، وفي هذا يقول دي بور « ولهذا سُمِّيَ نحاة البصرة « أهل المنطق » تمييزاً لهم عن نحاة الكوفة »^١.

على أننا نرفض الأحكام القاسية السابقة تلك التي أصدرها النحاة على اللهجات، ولعل السبب في خلع الأوصاف السابقة اللاذعة على اللهجات أن النحاة – وهم أصحاب هذه الأوصاف – كانوا أصحاب معايير ومقاييس، حاولوا إخضاع اللهجات مع اختلاف مشاربها ومنازعها لها، فلما فلتت هذه اللهجات من أحكامهم وموازينهم وتقنياتهم، رموها بما سبق من رداءة، وسوء، وخبث، وقحة.

والمفروض أن أصحاب كل لهجة عربية كانوا يراعون مستوى صوابيتها اجتماعياً عندما يتكلمون، وهذا المستوى يختلف باختلاف المجتمعات، وعلى أساس هذا المستوى يكون الحكم بالصحة والخطأ، والمجتمع وحده هو الذي يصدر مثل هذه الأحكام، أو يخلع هذه الصفات على أفراده، وهذا المستوى الصوابي « فكرة لا تتصل باللغة فحسب »، وإنما تتناول كل ناحية من نواحي النشاط الاجتماعي^٢.

وكان الأولون من علماء العربية عندما يثيرون أمثلة يسيرة من اللهجات يخلعون عليها أو صافاً وأحكاماً لا تخضع لقياس اجتماعي – بل لمجموعة من القوانين الموضوعة والنظم.

والسبب في اضطراب مقياس الخطأ والصواب في أيدي النحاة يرجع إلى الاختلاف في تحديد هذا المقياس، ففي الأخذ عن القبائل مثلاً أخذ البصريون عن قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائين فقط، لكن الكوفيون وسعوا الدائرة وأخذوا عن قبائل لم يرض البصريون أن يأخذوا عنها – وهذا اختلف المقياس في يدهم وخالف الحكم لهذا بالصحة والخطأ، ورأينا البصريين يسمون لهجات عربية بالضعف والشذوذ، بينما الكوفيون ارتكبوا توسيعاً في قبول كثير مما أنكروه غيرهم، حتى رأيناه فريقين – فريق متشدد متخصص، وفريق موسع غير

(١) تاريخ الفلسفة في الإسلام : ٣٨ ترجمة أبي ريدة.

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٥٧ ، دكتور ثان حستان.

مضيقي ، وهذا لمجد إنكار كثير من البصريين للهجات العربية كالأصمعي ^١ فإنه كارن يتشدد ، ويفسر مثل هذا قول الجواليقي في صدر التكملة : « واعتمدت الفصيح من اللغات دون غيره » فإن ورد شيء مما منعه في بعض النواادر فمطرح لقلته ورداته » ^٢ ، والجواليقي في مذهبه هذا كالحريري البصري المتزمت ، حيث كان ينقد ما خرج عن الفصاحة ويصفه باللحن - مع أن له وجهاً من الصواب والصحة ، وأنه لغة جاءة من العرب .

وكما أهل البصريون الاعتداد بلهجات القبائل العربية كما سبق سار على نهجهم أكثر علماء العربية من خلط بين المذهبين البصري والكتوفي ، وسأشير الآن إلى شيء من ذلك .

ثانياً : مدى ظهور لهجات القبائل في مؤلفات البغداديين :

وسأتناول بالبحث عالمين من علماء العربية من خلط بين المذهبين الكوفي والمصري و موقفها من لهجات القبائل .

أولها : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) .

وثانيها : أحمد بن فارس (٥٣٩٥) .

أما الأول وهو ابن قتيبة فقد كان من خلط بين المذهبين كما رأى ابن النديم ^٣ ، ويرى المستشرق هاول Howell في كتابه التحوّل العربي أن ابن قتيبة هو الذي حلّ عبء مزج المذهبين وإنشاء المدرسة البغدادية ^٤ . وقد كان متشددًا متزمتاً في اللغة وما يؤكّد ذلك أنه احتضن مذهب الأصمعي المتطرف في تتقية اللغة ^٥ . بل جعل نفسه مدافعاً عن هذا المذهب ، وكان يؤرّقه ما يسمعه من انحرافات لغوية في المجتمع العربي - ولهذا ألف كتابه (أدب الساكت) ليقوم الألسنة ، ويعيد العربية إلى سالف عهدها . وهذا النهج يفرض عليه أن يهمل لهجات القبائل في كتابه السالف إذ إن لهجات القبائل - وهي طرق منحرفة عن الفصحي يحبّ عليه أن يتحاشاها ، لأنها تتعارض مع غرضه وهدفه ، ولهذا رأيناه يلعن صيفاً ، ويحسم عليها بالعامية ، بينما هي لهجات لقبائل عربية :

(١) الأخطاء اللغوية : ٧/١ .

(٢) تكملة إصلاح ما تخلط فيه العama : ٥ .

(٣) المهرست : ١٢١ .

(٤) ابن قتيبة : ١٦٩ في أعلام العرب : ٢٢ .

(٥) يومان ذلك : ٩١ .

١ - فلكلة المغزل - بفتح الفاء « لا غير » وال العامة تكسر ذلك ^١ ، لكن ورد الكسر في نوادر يonus وأنه لغة الحجاز ^٢ .

٢ - ما جاء في باب (ما لا يهمز والعوام همزة) ، « وتدت الود أتده ^٣ وتدأ » ، بينما ورد عن ابن دريد أن الصيغة السابقة لتميم ، وما أنكره وهو : « أتده ايتادأ » لهجة لأهل الحجاز ^٤ !

٣ - كما أنكر صيغة كثيرة ورماها باللحن ، وما أنكر استعماله وارد صحيح ^٥ .

كأنراه كثيراً ما يهمل عزو الصيغ إلى قبائلها ، ومن ذلك :

١ - عرضت له الفول تعرض عرضاً - (بوزن علم يعلم) ، وغيرها عرض يعرض عرضاً (بوزن ضرب يضرب) ^٦ بينما التحقيق أثبت أن الصيغة الأولى للحجاز ، والثانية لتميم ^٧ .

٢ - « إسوة وأسوة » ، ومرية ومرية ، وغلظة وغلظة - بالكسر والضم ^٨ ، والتحقيق أثبت أن الكسر للحجاز ، والضم لتميم ^٩ .

٣ - « أتيته وأتوه أتيا وأتوا » ^{١٠} والتحقيق أثبت أن الواوية لهذيل ^{١١} .

(١) أدب الكاتب : ٣٠٠ .

(٢) الاقتضاب : ٢٠٥ .

(٣) أدب الكاتب : ٢٨٨ .

(٤) الاشتقاد : ٦٨ ط مستند .

(٥) انظر أدب الكاتب : ٢٩٣ وقارنه بالاقتضاب : ١٩٨ - ١٩٧ ، أدب الكاتب : ٢٩٣ ، وقارنه بالاقتضاب : ١٩٧ .

(٦) أدب الكاتب : ٢٦٢ .

(٧) المزهر : ٢٧٦/٢ ، الاقتضاب : ١٨١ .

(٨) أدب الكاتب : ٤٢٤ .

(٩) المزهر : ٢٧٧ - ٢٧٦/٢ .

(١٠) أدب الكاتب : ٣٦٤ .

(١١) ديوان المذليين : ١٦٥/١ .

٤ - « عدوة الوادي وعدوته بالكسر والضم »^١ والتحقيق أنضم لقریش والكسر لقیس^٢ .

وفي كل باب من أبواب كتابه نجد إهمال العزو في كل صفحة من صفحاته بل في كل كلمة من كلماته^٣ .

أما الثاني فهو أحد بن فارس (متوفي ٣٩٥ھ) وهو من خلط المذهبين^٤ كسابقه ، ولم يعن بهجات القبائل أيضاً ، و مما يؤكّد ذلك أنه أهل عزو الصيغ إلى قبائلها ، فمن ذلك :

١ - « الفففاني : القصاب »^٥ . والتحقيق أثبت أنها لغة هذيل^٦ .

٢ - المدى والمدى - بالتحفيف والتشديد - ما أهدى من النعم إلى الحرم^٧ . والتحقيق أنت التشديد لغة تميم^٨ ، والتحفيف لغة قریش^٩ .

٣ - تفكبون ، وتفكرون^{١٠} والتحقيق أنه بالهاء لغة أزد شنوة ، وبالنون لبني قم^{١١} .

٤ - ذوى العود يذوى . . . وربما قالوا ذأى يذأى^{١٢} . والتحقيق أثبت أن الأولى لأهل نجد

(١) أدب الكتاب : ٤٣٤ .

(٢) المصباح : ٦٠٧/٢ .

(٣) انظر أدب الكتاب : ٣٣٥ ، ٤٦٤ ، ٤١٩ ، ٣٧٦ ، وانظر باب البدل من هذا الكتاب

(٤) الفهرست : ١٢٥ .

(٥) معجم مقاييس اللغة : ٤٤١/٤ .

(٦) كتاب العين : ٣٢ ، الجهرة : ١٥٩/١ ، اللسان : ١٢٦/١٠ وفي هذه المصادر وردت بالعين لا بالغين المجمعـة ، وفي ديوان المذلبـين : ٥/٢ وردت « الفـعـفـعـيـ » في شـعـرـ صـخـرـ الغـيـ ، وـمعـناـهاـ : الـحـقـيفـ - وـهـذـاـ مـثـالـ لـأـصـابـ الـلـهـجـاتـ مـنـ تـصـحـيفـ وـتـشـويـهـ .

(٧) معجم مقاييس اللغة : ٤٣٦ .

(٨) البحر : ٦٠/٢ .

(٩) البحر : ٩٨/٨ .

(١٠) المقاييس : ٤٤٦/٤ .

(١١) إيدال أبي الطيب : ٤٠٩/٢ .

(١٢) المقاييس : ٣٦٣/٢ .

والثانية لغة الحجاز^١ ، كما أهل العزو في كتابه الصاحبي أيضاً^٢ وقد ظهرت معارضته للهجات القبائل في صور منها :

١ - الشك في كثير منها^٣ .

٢ - رميه ابن دريد بالتدليس عندما يعزو لليمن ، قوله يسخر من ذلك : « ولا نقول لأنثنتنا إلا جيلاً »^٤ .

٣ - وقد يسم بعض الهجات العربية قارة بالقبح^٥ ، وأخرى بأنها شيء لا يعول^٦ عليه ، أو يشير حول اللهجة جواً من الشك كقوله « على أنهم يقولون « الصنارة بلغة اليمن : الأذن »^٧ ، أو « الشخص : الخشونة » ، وليس هو بشيء^٨ ، على أن الكلمة وردت في الجهرة منسوبة لهجة^٩ لليمن^٩ ، أو قوله بعد أن ذكر المعجمة « فهذا لا وجه للشفل به ، وما لا يدرى ما هو »^{١٠} وقوله بعد أن ذكر الفميفية أيضاً « إن هذه الحكايات لا تكاد يكون لها قياس »^{١١} .

وهكذا نرى علماء بغداد يتبعهمون للهجات القبائل حق إن الأزهري (٣٧٠ - ٢٨٢) أنكر لهجة هذلية ، وطعن في نصر بن سيار^{١٢} ، ووسعه بأنه ليس حجة^{١٣} لأنه رواها.

وقد يعلل موقف الأزهري هذا بأنه لما وقع أسيراً لبث أكثر من خمس عشرة سنة في قبيلة هوازن ، وفيها جماعة من أسد وتميم - أخذ خلاطا اللغة من أفواه العرب الأقحاح .

(١) المزهر : ٢١٥/١ .

(٢) انظر الصاحبي : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٠٠ ، ٨٠٠ ، ١٧٢ .

(٣) المقاييس : ٢٨٥/٢ .

(٤) المقاييس : ٣٠٧/٤ .

(٥) المقاييس : ٥١/١ .

(٦) المقاييس : ٣٥٣/١ .

(٧) المقاييس : ٣١٣/٣ .

(٨) المقاييس : ٢٤١/٣ .

(٩) الجهرة : ٢٩١/١ .

(١٠) المقاييس : ٢٩/٤ .

(١١) المقاييس : ٢٧٨/٤ .

(١٢) اللسان : ٤٠٠/١ .

(١٣) كتاب المساع والقياس لأحمد تيمور : ٤٣ .

وإذا كنا قد أشرنا إلى موقف بعض علماء العربية من لهجات القبائل في المشرق ، فاجدر بنا أن نتوجه إلى المغرب الإسلامي – لنرى موقف علمائه منها .

ثالثاً : نظرة علماء العربية في المغرب الإسلامي إلى لهجات القبائل :

وسأشير إلى موقف رجلين في دواوين الأندلس :

أولهما : جمال الدين أبو عبدالله الطائي الجياني الأندلسي (٦٠٠ - ٦٧٢) ^١ ويقول عنه السيوطي « وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل عربها والاطلاع على وحشيتها ... وأما النحو والتصريف فكان فيها بحراً لا يحاري ، وحبراً لا يباري » وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو – فكانت الأئمة الأعلام يت Hwyرون فيه ويت Hwyرون من أين يأتي بها » ^٢ وسألناول من مؤلفاته الكثيرة التي عددها له العلماء مؤلفاً واحداً أبين فيه مدى ظهور لهجات القبائل ، والمنهج الذي اختره لذلك ، والممؤلف مخطوط منظوم يسمى :

الكافية الشافية – وتقع في ثلاثة وسبعين وسبعينة وألفي بيت من بحر الرّجز وقد حشد ابن مالك فيها إشارات لمجيبة هامة ، كما آخر غالباً أن يذكر اسم القبيلة مع ذكر السمة المميزة لها – على الرغم من صعوبة ذلك في النظم وقد تتبع إحصائياً ما ورد فيها من لهجات القبائل» ويتبيّن أنه قد عزا لهذيل قوله :

وما كبيضة وجوزة فعن هذيل افتح ولغيرهم سكن ^٣

وإلى سليم قوله :

والقول مطلقاً كظن علا عند سليم وعلى ذا حلا ^٤

وإلى طيء قوله :

بنحو راضي وبنت في راضي وبنيت لطفي تراضي ^٥

(١) البيعة : ٥٣ .

(٢) البيعة : ٥٣ .

(٣) الكافية : ورقة ١١٦ مخطوط بدار الكتب ٢٣٩ نحو .

(٤) الكافية ورقة : ٣٨ .

(٥) الكافية ورقة : ١٥٠ .

وإلى خضم كقوله :

عن خضم فدو ذات صرفا في عرفهم كبعض ذي يوم ^١ قفا

وإلى قيس وفقيس كقوله :

وأعربت قيس لدن وفقيس اعراب حيث ^٢ عنهم مقتبس

وإلى ربيعة والأزد كقوله :

كذا لدى ربيعة التوت ^٣ في نصب أو في غيره يسكن
والأزد مداً تبدل التنوين من جنس التحرك الذي به قرن ^٤

كاعزا إلى الحجاز ^٥ وقيم ^٦ وتجد ^٧ . وإلى لحم كقوله :

وصح وقف لحم بالنقل إلى محرك وغيرها لن ينقا ^٨

ويظهر منهجه من أنه كثيراً ما يحدد اسم القبيلة كسابق ، وأحياناً أخرى لا يذكرها بـ
يستعوض عنها بما يأتي :

أ) «ببعض الفصحاء» كقوله :

وواوا أو هزا أو اليام من ألف أبدل بعض الفصحاء إذ يقف ^٩

ب) أو بالندرة كقوله :

ونادر ثليلت ميم مغزل ^{١٠}

ج) أو بعض العرب كقوله :

(١) الكافية ورقة : ٣٨ .

(٢) الكافية ورقة : ٥٤ .

(٣) المرجع السابق : ١٣٧ .

(٤) انظر الكافية ورقة : ١٢ . ١٠٥ ، ٨٩ ، ٧٣ ، ٥٧ ، ٤٠ ، ٢٠ ، ١٢ .

(٥) الكافية ورقة : ١٠٩ .

(٦) المرجع السابق : ١٣٨ .

(٧) المرجع السابق : ١٣٧ .

(٨) المرجع السابق : ١٦٢ .

وَكَيْفَ كَيْ صَارَتْ لَدِي بَعْضُ الْمَرْبُّ وَالْفَعْلُ بَعْدَهَا ارْتِقَاعَهُ وَجَبْ^١

د) أو يكتفي بشاهد يوضح لهجة القبيلة كقوله :

وَبِإِنَّ الَّذِينَ مِنْ عَبَادَ أَمْثَالَكُمْ تَلْفِي لَذَا اعْتِصَادًا^٢

فإنه يشير إلى ما جاء في المحتسب من قراءة سعيد بن جبير « إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم » بنصب عباداً، حيث عملت إن - النافية عمل ليس في لغة أهل العالية^٣.

ه) أو يذكر كلمة (لغة) كقوله :

وَقَدْ تَسْلَى عَلَمَةُ كَمْسُورٍ فِي لِغَةِ كَانْطَلِقُوا بِنُو السَّرِّيٍّ^٤

ويبدو أن ابن مالك كان يتسع أيضاً في الأخذ عن القبائل، لاسيما تلك التي رفض البصريون أن يأخذوا عنها، فقد اعتمد على لغات لهم وجذام وغسان^٥. وهذه القبائل لم يأخذ عنها البصريون بينما أخذ الكوفيون بلهجاتهم، وهذا ما يجعل ابن مالك يسير في ركاب الكوفيين، إذ أن لغات القبائل عندم كلها حجة، وما دامت هذه القبائل عربية فهي حجة في الاستشهاد والأخذ بلهجاتها، وما يؤكّد نظرة ابن مالك السابقة، أنه كان يأخذ بالقراءات ويبحث بها ولها فقد جوز تشديد النون من « اللدان واللتان » كاجوز التشديد مع الياء أيضاً حيث قال « والنون إن تشدد فلا ملامه »^٦.

والتشديد مذهب الكوفيين بينما رفضه البصريون^٧، وابن مالك يرتكز على جواز ذلك بقراءة « ربنا أرنا الدين » بتشدد النون وقد ورد التشديد لهجة تميم وقيس^٨. وكان ابن مالك،

(١) المرجع السابق : ٩٣ .

(٢) الكافية ورقة : ٢٠ .

(٣) المع : ١٢٤/١ وما بعدها .

(٤) الكافية ورقة : ٣٨ .

(٥) الاقتراح : ٠ ٢٤ .

(٦) الألتبية : باب الموصول .

(٧) البحر المحيط : ١٩٥/٧ .

(٨) التصریح : ١٣٢/١ .

في أخذه بالقراءات التي تثلّل لهجات عربية ، يؤمن بأن المهجات تثلّل حقلًا خصيًّا – لا يمكن إغفاله ما دام ينبع بالحركة والحياة ، يوضح هذا ما جاء في البغية من أنه « كان إماماً في القراءات وعللها »^١ ، كارد على النحوين المتقدمين الذين يعيرون على حمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية^٢ . ووثق بعض اللهجات العربية – بما جاء في الحديث كلهجة طيء وأزد شنوة حيث ألحقتا بالفعل علامه التثنية والجمع مع ذكر الفاعل الظاهر بعده ، فعوضها ابن مالك بقوله عليه السلام « يتبعون فيكم ملائكة »^٣ وكان ابن مالك على حق أيضًا عندما استشهد بالحديث على الرغم من معارضته كثير من رجال العربية في ذلك^٤ . ومثل كافية ابن مالك تجد ألفية أخرى في النحو للمختار ابن بونة (ط أولى الحسينية المصرية ١٣٢٧هـ) كمل بها ألفية ابن مالك ، وابن بونة يمثل المغرب الإسلامي (موريتاني) ، وقد ظهرت لهجات القبائل في ألفيتها ظهوراً غامراً ، ومنهجه في إبرادها يتضح فيما يلي :

١ - أحياناً يذكر اسم القبيلة كقوله ص ٣٦٥ :

وإن ترنسَ التمييونا فمدة الروى يثبتونا

٢ - وأحياناً يذكر لهجة القبيلة ثم يمثل لها كقوله ص ٨١ :

ل فعلها عند تيم تيم ترك في نحو ليس الطيب إلا المسك^٥

٣ - وقد لا يذكر اسم القبيلة صراحة ، لكنه يستعير عنها بإشارة :

أ) كقوله (بعضهم) ص ٣٩٨ وهي إشارة إلى لهجة تيم ، أو إلى لهجة الحجاز ص ٣٦٣ .

ب) أو (نادرًا) ص ٣٨٨ .

ج) أو (عند بعض العرب) ص ٣٩٣ .

د) أو (فيه وجهاً) ص ٣٢٤ ، أو (وقد يقال) ص ٣٠٣ ، أو (ربما) ص ٤٦ ، أو (وقد روى) ص ٤١ .

(١) البغية : ٥٣ .

(٢) الاقتراب : ٧ .

(٣) شوامد التوضيح والتصحيح لشكلاًت الجامع الصريح : ١٩٢ .

(٤) انظر خزانة الأدب : المقدمة .

٤ - أو يحدد اللهجة عن طريق وضعها من غير تصريح بها ، كإشارته إلى لفجع الكلب وعدة وكمب ص ٤٠٢ ، وهذيل ص ٣٨٢ ، وسلبيتم ص ٢٨٩ ، ويربوع ص ١٩٦ ، وعقيل وكلاب ص ٢٥ .

٥ - أو يعبر أحياناً عن اللهجة بالضرورة والاختيار ص ٢٨ .

ثانيهما : الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الفرناطي (٦٥٤ - ٧٤٥) نحو عصره ، ولغويه ومفسره ومحضه ومقرئه ومؤرخه وأديبه ، وقد عدد له السيوطي كتاباً كثيرة^١ اخترت منها كتاباً واحداً لاستشف منه موقفه من اللهجات ومنهجه فيه وهو « البحر الحيط » وقد آثرت عقد موازنة ثلاثة بين كتاب البحر الحيط لأبي حيان ، وكتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن لحمد بن جرير الطبرى - وهذه الكتب الثلاثة تتحد في الموضوع وهي أنها تدور في فلك تفسير القرآن الكريم ، وكتب التفسير مثل مصادر أولى للهجرات القبائل ، ومكان الموازنة في هذه الكتب تشمل سورة فاتحة الكتاب والبقرة إلى قوله تعالى « تلك الرسل » وإليك عرض هذه الموازنة :

(١) البقية : ١٢٢ .

السورة	آية	نوع اللهجة	جامع البيان للطبرى	الكتاف	العربي المبسط
الناتحة	٤ آية	الضبط الحرفي	مالك يوم الدين	لم ينسبها ٩/١	عزاما الى بكر بن وائل ٢٠/١
	٥ آية	،	٥٣/١	١٠/١	بفتح النون للهجاز، وبكسرها لمنة قيس وتنيم وأسد وريمة وهذيل ٢٤ - ٢٣/١
	٦ آية	لغة قريش	٥٧/١	١٢/١	الصراط المستقيم اختلاف الحروف الصاد لغة قريش وإشمامها زايا لغة قيس - والزاي لغة عدرا وكمب وبني القين ٢٥/١
	،	لغة قريش	٥٧/١	،	أهل الحجاز يؤثرون الصراط، وبنو تميم يذكرون : ٢٥/١
البقرة	٢ آية	التدكير والتائית	٥٧/١	لم ينسبها ١٢/١	بنو أسد يؤثرون هدى للمتقين
البقرة	لا ريب فيه	الذكر والمحذف	،	لم ينسبها ٢٨/١	حذف الخبر كثير إذا علم خبر « لا » عند أهل الحجاز لم تلفظ به بنو تميم، وكثير حذفه عند الحجاز ٣٧/١
البقرة	٦ آية / آية ٦	سواء عليهم التس晁 والهمزة	٨٦/١	٣٦/١	تحقيق المءمة وجعلها واوا لغة الحجاز : ٤٥/١ تميم تحفف المءمةتين، أهل الحجاز

اسم السورة	الآية	نوع المجة	جامع البيان للطبرى	الكتشاف	البعر الغيط
البقرة	آية ٨	الزيادة والحدف	لما هم بمؤمنين	لم ينسبها ٤٢/١	لا يجمعون بينهما للخفيف ٤٧/١ ، فيدخلون ألفاً بين المهزتين ثم يلينون الثانية
البقرة	آية ١١	اختلاف الحروف	إذا قيل لهم	لم ينسبها ٩٧/١	قيل - لغة قريش وجاوريهم من بني كنانة . قول - لغة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد . قول - لغة هذيل وبني دُبَيْر :
البقرة	آية ١٤	الضبط الحركي	إنا مُمْكِن	لم ينسبها ١٠١/١	مع تسكينها قبل حركة لغة ربيعة وإنما قلت مع الرجل أو مع ابنه ، فالفتح لغة عامة العرب . والكسر لغة ربيعة :

السورة	آية	الآلية	نوع المهمة	جامع البيان المطيري	الكتشاف	النحو	النحو	النحو	النحو	النحو	النحو
البقرة	١٦	أولئك الذين اشتروا الضلاله باهدى . آية ١٦	الإمالة والفتح	٥٢/١	١٠٦/١	«	٥٢/١	١٠٦/١	«	٦٩/١	البحر ، النهر الماء .
البقرة	١٩	أو كصيّب من السماء . آية ١٩	التدكير والتأنيث	٥٩/١	١١٤/١	«	٥٩/١	١١٤/١	«	٧١/١	الجنس الذي ميز واحده بناء يؤثره النجازيون ويدركه التميميون وأهل نجد .
البقرة	٢٠	يعلمون أصابعهم التأنيث والتدكير في آذانهم	التأنيث والتدكير	٦١/١	١١٩/١	«	٦١/١	١١٩/١	«	٨٤/١	بعض بني أسد يقولون «هذا إيهام» والتأنيث أجود .
البقرة	١٩	من الصوابق .	التقديم والتأخير	٦٤/١	١١٩/١	«	٦٤/١	١١٩/١	«	٨٦ - ٨٤/١	الصاقعة - لغة بني تميم : ٨٦ - ٨٤/١
البقرة	٢٠	يَكَادُ البرق ينطفأ أبصارهم	الضبط الحركي	٦٥/١	١٢٣/١	«	٦٥/١	١٢٣/١	«	٩٠ - ٨٩/١	الكسر في طاء الماضي لغة قريش ، وقرأ بعض أهل المدينة يخطف .
البقرة	٢١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ	الضبط الحركي	٦٨/١	١٢٤/١	«	٦٨/١	١٢٤/١	«	٩٣/١	ضم الماء لغة بني مالك من بني أسد .
البقرة	٢١	لعلكم تتقون .	الإعراب	٧٠/١	١٢٥/١	لم ينسبها	٧٠/١	١٢٥/١	لم ينسبها	٩٣/١	الجر « بعل » لغة عقيل : ٩٣/١

اسم السورة	آية	النهاية	نوع المهمة	جامع البيان للطبرى	الكتشاف	البعر المحيط
البقرة	٢٥ آية	وبشر الذين آمنوا.	التشديد والتخفيض	٧٨/١ ، ١٣٢/١	١٣٦/١ ، ٨٢/١	التشديد وهي اللغة العليا ، ولغة أهل تهامة التخفيض ١٠٩/١
البقرة	٢٥ آية	ولهم فيها أزواج . التذكير والتأنيث	الحدف والزيادة	٨٢/١ ، ١٣٦/١	١٣٧/١ ، ٨٥/١	زوج لغة المجاز وزوجة لغة قيم وكثير من قيس وأهل نجد / البحر ١٠٩/١
البقرة	٢٦ آية	لا يستحبّي أن يضرّب .	الحذف والزيادة	١٣٧/١ ، ٨٥/١	١٣٧/١ ، ٨٥/١	بيان لغة المجاز والماضي استحبّا ، بيان واحدة لغة قيم والماضي استحبّ . ١٢١ - ١٢٠/١
البقرة	»	»	الإعراب	١٣٧/١ ، ٨٥/١	١٤٠/١ ، ٨٨/١	الجزم « بـأـن » لغة لبني صباح « أـمـا » أبدل بنو تميم الميم الأولى ياء « أـيـاـ » ١١٩/١
البقرة	٢٦ آية	فـأـمـاـ الـذـينـ ...ـ فـيـعـلـمـونـ ...ـ وـأـمـاـ الـذـينـ .ـ	اختلاف الحروف	١٤٠/١ ، ١٣٧/١ ، ٨٥/١	١٤٥/١ ، ٩١/١	هو - شدتها مهداً وسكنها أسد وقيس : ١٣٣/١
البقرة	٢٩ آية	هـوـ الـذـيـ خـلـقـ لـكـ ،ـ	التشديد والتخفيض	١٤٥/١ ، ٩١/١	١٤٥/١ ، ٩١/١	المد في أولاء لغة المجاز ، والتصريف قيم ، وبعض قيس وأسد : ١٣٨/١
البقرة	٣١ آية	أـنـبـئـنـيـ بـأـسـمـاءـ هـؤـلـاءـ .ـ	المدود والمقصور	١٥٩/١ ، ٩٤/١	١٥٩/١ ، ٩٤/١	أنبئوني بأسماء هؤلاء .

السورة	الآية	نوع اللهجة	جامع البيان للطبرى	الكتاف	البحر المحيط
البقرة	٣٠	الضبط الحركي	لم ينسبها ٩٣/١	١٥٦/١	أنتى : بنو سليم يفتخونها بعد القول بدون شرط /١٤٠/١
البقرة	٣٤	إذ قلنا للملائكة اسجّدوا . آية ٣٤	٩٥/١	١٧٧/١	بضم التاء نقل أنها لغة أزد شنوة / البحر ١٥٢/١ والنهر ١٥٢/١
البقرة	٣٥	وَكُلُّا مِنْهَا رَغَدًا . آية ٣٥	٩٥/١	١٨٢/١	تميم تسكن الغين . ١٥٥/١ ، النهر الماد ١٥٦/١
البقرة	٣٥	الإعراب حيث ثنتا آية ٣٥	٩٥/١	١٨٢/١	إعرابها لغة بني فقس /١٥٥/١
البقرة	٣٨	التصحيح فن تبع هدائي و والإعلال آية ٣٨	لغة هذيل ٩٧/١	١٩٥/١	لغة هذيل البحر : ١٦٩/١
البقرة	٤٠	فعل وأفعال وأوفوا بهمدي أو فيت بهمكم آية ٤٠	لم ينسبها ٩٧/١	١٩٨/١	أهل المجاز «أوفيت» وأهل نجديقولون «وفيت» ١٧٢/١
البقرة	٥٥	اختلاف الحروف حق نَرَى الله جهرة . آية ٥٥	٢٢٩/١	١٠٥/١	«عنى» لغة هذيل ٢٠٤/١
البقرة	٥٥	، نَرَى الله جهرة . آية ٥٥	٢٢٩/١	١٠٥/١	لغة تميم يرأى وأرئي ٢٠٤/١
البقرة	٥٧	الدلالة المن والستوى : آية ٥٧	٢٣٣/١	١٠٦/١	السلوى : العسل بلغة كنانة ٢٠٥/١
البقرة	٥٤	الضبط الحركي فتوبرا إلى بارئكم . آية ٥٤	٢٢٦/١	١٠٥/١	لغة تميم تسكين بارئكم ٢٠٦/١

النحو الغريب	الكتاب	جامع البيان للطبرى	نوع اللهمحة	الأية	اسم السورة
البقرة فأنزلنا على الدين ظلموا رجأً من آية ٥٩ النساء ، آية إسakan الشين لغة الضبط الحركي	٢٤٢/١	١٠٧/١	٢٤٢/١	٢٤٢/١	البقرة
البقرة فانفجرت منه انتنا عشرة عيناً. آية ٦٠ لم ينسبها	٢٤٣/١	١٠٨/١	٢٤٣/١	٢٤٣/١	البقرة
٢٢٩ البقرة : السنبلة بلغة الدلالة بـقـلـهـا وـقـتـائـهـا وـفـوـمـهـا وـعـدـسـهـا وـبـصـلـهـا . آية ٦١ الفوم الخنطة »	١٠٨/١	١٠٨/١	١٠٨/١	١٠٨/١	البقرة
٢٣٠ لغة بنى عامر - فادع - آية ٦١ الضبط الحركي ٢٤٥/١	٢٤٧/١	١٠٨/١	٢٤٥/١	٢٤٧/١	البقرة
٢٣١ بـكـسـرـالـعـيـنـ آـيـةـ ٢ـ٣ـ٢ـ /ـ١ـ طـيـهـ تـقـولـ «ـ قـوـىـ » يـفـتـحـونـ الـعـيـنـ وـالـفـاءـ مـفـتوـحـةـ فـتـنـقـلـبـ أـلـفـاـ :ـ ٢ـ٣ـ٩ـ /ـ١ـ ٢٤٠	١١٠/١	١٠٨/١	٢٥٨/١	٢٥٨/١	البقرة
٢٣٢ الدنيا مؤثثة مقصورة تكتب بالألف لغة نجد وتميم خاصة . إلا أن أهل الحجاز وبنى أسد يلحقونها ونظائرها بالمصادر ذات الواو فيقولون - دنوى - ٢٨٢/١	٣١٨/١	٣١٨/١	٣١٩/١	٣١٩/١	البقرة
٢٣٣ تسکین عینه لغة وقینا من بعده	١٢٠/١	١٢٠/١	١٢٠/١	١٢٠/١	البقرة

السورة	آية	نوع اللهجة	جامع البيان للطبرى الكشاف	البحر المحيط
بالرّسل . آية ٨٧				الْجَهَازُ وَالتَّحْرِيكُ لَغْةٌ تَمِيمٌ ١٢٩٩/١
البقرة من كان عدوًّا لله وَجَبْرِيلٌ ٩٨	٩٨	اختلاف الحروف	جَبْرِيلٌ كَقَنْدِيلٍ لَمْ يَنْسَبْهَا لَغْةُ الْجَهَازِ . ١٢٦/١	جَبْرِيلٌ كَقَنْدِيلٍ لَغْةٌ
وَمِيكَالٌ آية ٩٨	٩٨	تميم وقياس وكثير من نجد .	جَبْرِيلٌ كَعَنْتَرٍ يَسِ لَغَةٌ	جَبْرِيلٌ وَجَبْرِيلٌ لَغَةٌ
من كان عدوًّا لله وَجَبْرِيلٌ ٩٨	٩٨	الضبط الحركي لغة أسد . ميكال	جَبْرِيلٌ وَجَبْرِيلٌ لَغَةُ الْجَهَازِ ٣٤٦/١	جَبْرِيلٌ وَجَبْرِيلٌ لَغَةُ الْجَهَازِ ٣١٨/١
البقرة وما الله بفائل عما تعلمون . آية ٧٤	٧٤	الزيادة والمحذف	لَمْ يَنْسَبْهَا ١٥/٢	قُولُ بَأْنَ الْبَاءُ لَا تَدْخُلُ فِي خَبْرِ الْمُبْتَدَأِ بَعْدَ مَا التَّمِيمِيَّةِ وَهُوَ مَذَهَبُ الْفَارَسِيِّ فِي أَحَدِ قَوْلِهِ وَالْمَخْشَرِيِّ وَقُولُ يَحْوَازُ جَرْهُ بَالْبَاءِ وَهُوَ الصَّحِيحُ . أَمَّا دُخُولُ الْبَاءِ فِي خَبْرِ مَا الْجَهَازِيَّةِ فَكَثِيرٌ : ٢٦٧/١
البقرة فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلِيَصُمِّهِ آية ١٨٥	١٨٥	الضبط الحركي	لَمْ يَنْسَبْهَا ٨٥/٢	فَتْحُ لَامِ الْأَمْرِ لَغَةُ بَنِي سَلِيمٍ ٤١/٢

(١) أخطأ أبو حيان في هذا ، كما أخطأ الألوسي في تفسيره : ٢٨٦/١ ، والمكسن هو المصينع .

اسم السورة	آية	نوع اللهجة	جامع البيان للطبرى	الكتاف	البحر المحيط
البقرة	٢٣٣ آية . بولدها .	الادغام والاظهار	٣٠٦/٢	٢١٢/١	الاظهار لغة أهل العجائز ، والادغام لغة تم :
البقرة	١٩٦ آية . محلته .	التخفيف والتشدید	١٢٣/٢ ١٢٨	١٨١/١	المدى بالتشدید لغة تم . البحر : ٦٠/٢
البقرة	٢٢٨ آية . بردّهن /	الضبط الحر كي	٢٧٣/٢	٢٠٧/١	بسكون التاء لغة تم :
البقرة	٢٤٦ آية .	الضبط الحر كي	٣٧٦/٢	٢٢٢/١	أهل العجائز يكسرون السين من عسى مع المضر خاصة :
			٢٥٥/٢		

واستنبع من هذه المقارنة :

١ - كثرة اللهجات المعزوة إلى قبائلها في البحر المتوسط كثرة غامرة ، بينما أهل أمر اللهجات في كتابي الطبرى والزمخشري .

٢ - أرجح أن منهج كل كتاب من هذه الكتب هو الذي حدد ظهور اللهجات في كتاب واحتفائها في آخر - فالطبرى سلفى يهتم بالإفادة في الروايات فى تفسيره ، ولهذا لم تترك له فراغاً لظهور لهجات القبائل .

أما منهج الزمخشري في كتابه فيهدف إلى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق بيان أوجه البلاغة ، وهذا المنهج متسلط عليه ، وهذا عنى بالبلاغة فلم تترك له فراغاً لظهور لهجات القبائل أيضاً .

أما أبو حيان فكان يقصد في كتابه إلى القراءات والنحو ، واللهجات وثيقة الصلة بكل منها ، إذ القراءات تعتمد في أوجه خلافها على ما بين اللهجات من فروق وخلاف ، كما أن لهجات القبائل ما هي إلا نحو من نحو اللغة الفصحى وطريق منه .

٣ - كما نعمل ظهور اللهجات عند أبي حيان بأن الرجل كان معيناً بالتأليف في اللغات الأخرى غير العربية ، يؤيد ذلك ما جاء في البغية من أنه ألف في « منطق الحرس في لسان الفرس » و « الإدراك للسان الأتراك » و « نور الغيش في لسان الجيش » و « زهو الملك في نحو الترك »^(١) وأرجح أن اللسان في تأليفه معناه اللغة ، والقرآن الكريم لم يستعمل غير كلمة اللسان ، « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه »^(٢) ، « واختلاف ألسنتكم »^(٣) فالرجل له كلف بالتأليف في اللغات واللهجات بدليل أنه تحدث عن أداة التعريف في بعض الألسنة واللغات الأخرى^(٤) ، وقد نصح هذا الكاف في تفسيره حين عقب على مساروي عن ابن عباس والحسن أن معنى (طه) يا رجل - عقب فقال معناها « بالنبطية وقيل بالحبشية ، وقيل بالعبرانية ، وقيل لغة يمنية في عك ، وقيل في عكل ، كما نقل عن السكري :

(١) البغية ٣٢٢

(٢) سورة إبراهيم : آية ٤ .

(٣) سورة الروم : آية ٢٢ .

(٤) ارثاف الضرب : ورقة : ١٣٣ خط ٦٠٦ دار الكتب .

« لو قلت في عك يا رجل ، لم تجحب حق تقول : طه »^{١١} . وأحتفظ لنفسي بالشك في تعقيب أبي حيان السابق لاسيما إسناده ذلك إلى اللغة العبرية ، كما يخالفني الشك أيضاً عندما نقل ابن الأنباري^{١٢} عن بعض المفسرين أن (طه) معناها (يا رجل) السريانية ، إذ لم يرد في العبرية ولا في السريانية ما يؤيد كلام أبي حيان .

٤ - وكان أبو حيان يحتاج للهجات العربية فمن ذلك :

أ) ماروى عن أبي عمرو من جواز حذف حرقة الإعراب مستدلاً بقراءة (بارئكم) ، (وبعلوتهن) بالتسلكين ، وقد طعن في هذه القراءة النحاة : سيبويه وابن جنی والمبرد ، وقالوا بأن قراءة أبي عمرو لحن - ويرى أبو حيان أن ما ذهب إليه المبرد وأعوانه من النحاة ليس بشيء ، لأن أبا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن الرسول ﷺ ، وقد ثبتت نقل أبي عمرو وأن الإسكان منقول محکى عن تميم^{١٣} وإذا ثبتت لهجة عربية فلا ينبغي أن يخطاها القاريء أو يفلطط ، وهذا يرى أبو حيان أن القراءات جاءت على لغة العرب قياساًها وشاذتها^{١٤} .

ب) وردت عدة قراءات قرآنية أجازت حذف الحرقة أو اختلاسها في حالة الوصل ، منها « يؤدّه إليك »^{١٥} ، « نؤته منها »^{١٦} ، « ومحشره يوم القيمة »^{١٧} .

فقد قرئت باختلاس حرقة الهماء وإسكانها^{١٨} ، وقد عزى السكون والاختلاس إلى عقبيل وكلاب^{١٩} - ولم يعترض البصريون كعادتهم بهذه القراءات التي صورت لهجات عربية ، فزعهم

(١) البحر : ٢٢٤/٦ .

(٢) الأضداد : ٣٥٤ .

(٣) انظر البحر : ١٨٨/٢ - ٢٠٦ ، الخصائص : ١/٧٥ ط الملال ، المجمع : ١/٥٤ .

(٤) البحر : ٤٩٣/٨ .

(٥) سورة آل عمران : آية ٧٥ .

(٦) سورة آل عمران : ١٤٥ .

(٧) سورة طه : آية ١٢٤ .

(٨) البحر : ٤٩٩/٢ .

(٩) البحر : ٥٠٢/٨ .

الزجاج وابن السراج أن القراءة غلط بين ، ورأى سيبويه أنها ضرورة^(١) . وزكى أبو حيانت القراءة وأن ما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان غلط ليس بشيء ، إذ هي قراءة في السبعة وهي متواترة وكفى أنها منقوله عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء فإنه عربي صريح وسامع لغة وإمام في النحو ، ثم أراد أن يدعم القراءة فنقل أنها صورت لهجة عقيل وكلاب^(٢) .

٥ - أما الزخشري فكان دائم الطعن في القراءات القرآنية - والتي تمثل لهجات عربية . ويرميها بالمحنة تارة^(٣) ، وبالغلوظ أخرى^(٤) ، وبالخطأ الفاحش أحياناً^(٥) ، وقد يرجع طعنه هذا إلى أنه كان معتزلياً ، والمعتزلة تجنب للقياس والعقل لا للرواية والنقل ، وهذا لم تظهر لهجات في مؤلفه ، لأن اللهجات سماع ونقل ، وهذا طالما ضاق به أبو حيانت وعلق على تجاهله للقراءات بقوله « وهذا على عادته في نسبته الخطأ إلى القراءة^(٦) » و قوله وجسارتة هذه « أي ابن عطية » لا تليق إلا بالمعتزلة كالزخشري فإنه كثيراً ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم^(٧) . كما وصفه بالضعف في العربية وسوء ظنه بالأئمة (وأعجب لمحمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح بعض (ابن عامر) قراءة متواترة ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخذلتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً^(٨)) .

٦ - أن الغرب الإسلامي كان لا يطعن في اللهجات بل يرويها وينقلها كما رأينا عند ابن مالك وأبي حيانت ، لأنها كثيراً ما تعتمد على قراءات قرآنية « والمدرسة الأندلسية تميل إلى التزعة الأثرية في الاحتجاج للقراءة »^(٩) تلك التي تمثل لهجات عربية ، وطريقها طريق النقل والأثر ، لا القياس والنظر .

(١) المرجع السابق .

(٢) البحر : ٤٩٩/٢ .

(٣) القراءات والهجات : ١٧٥ .

(٤) المرجع السابق : ١٣٤ .

(٥) البحر : ٣٦١/٢ .

(٦) البحر : ٣١٤/٥ .

(٧) البحر : ١٥٩/٣ .

(٨) البحر : ٢٢٩/٤ .

(٩) أبو علي الفارسي : ٤٣٠ دكتور عبد الفتاح شلي .

ولهذا كان بالأندلس أئمة في القراءة كمكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) والداني (٣٧٠ - ٤٤٤ هـ) والشاطبي (٥٣٨ هـ) وابن مالك (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ) وأبي حيان (٦٥٤ - ٧٥٤ هـ) وهذا اهتموا بكل ما يحيط بالقرآن الكريم ، من قراءات وغيرها ، وكانت من هذا الاهتمام أيضاً بيان مصادر القرآن اللغوية ، ونسبة ما أخذ القرآن من ألفاظ كل قبيلة . ولمثل السبب أيضاً في أن علماء الأندلس اهتموا باللهجات أكثر من المشارقة حيث ظهرت اللهجات في مؤلفاتهم ظهوراً غامراً ، أنه لما كانت ثقافة الأندلس مصدرها من الشرق جعل الأندلسيون يحسون بما يسمى (مركب النقص) فحاولوا أن يعوضوا ذلك بتأكيد تقويمهم ونبوغهم ، وهذا رد الأندلس جيّلـهـ في موجات موجةـهـ إلى الشرق مفعمة بتفكيرـهـ جديد مصوبـهـ بالصيغة الأندلسية ، وليس أدلة على هذا من أن ابن سيده الأندلسي قد بلغ عدد القبائل التي عزا إليها في معجمه بعد إحصائية قمت بها في «المخصوص» بأسفاره كلها بلغت تسعـهـ وثلاثـهـ قبيلـهـ^(١) ، بينما بلغت القبائل في معجم «المجاهـهـةـهـ» لابن دريد - واحدـهـ وثلاثـهـ قبيلـهـ^(٢) . وفي «لسان العرب» بأجزاءـهـ العـشـرـينـهـ بلـغـ عددـهـ القـبـائـلـهـ الـعـرـبـيـةـهـ المـعـزـوـ إـلـيـهـ وـاحـدـهـ وـاحـدـهـ وـسـبـعـهـ قـبـيلـهـ^(٣) ، وابن منظور ولـدـ وـنـشـأـ في طرابـلـسـهـ الغـرـبـهـ وـوـلـىـ القـضـاءـ فـيـهـ^(٤) فهو يمثل الغـرـبـ الإـسـلـامـيـهـ . كما بلـغـ عددـهـ اللهـجـاتـهـ الـيـةـعـزـإـلـيـهـ أبوـحـيـانـهـ الأـنـدـلـسـيـهـ في تـفـسـيرـهـ كـهـ بـأـجـزـائـهـ الثـانـيـةـ - أـرـبـعـهـ وـسـتـهـ قـبـيلـهـ^(٥) ، ومن هذه المقارنات نضع يـدـناـ علىـهـ كـثـرـةـ اللهـجـاتـهـ الـقـبـائـلـهـ وـظـهـورـهـاـ ظـهـورـاـ كـافـرـاـ فيـهـ مؤـلـفـاتـهـ الـغـرـبـ الإـسـلـامـيـهـ .

ويجدر الآن أن نلقي ضوءاً على عصر النحاة المتأخرـينـ المشـهـورـينـ باـلـجـمـعـ لـنـزـيـ مـوـقـعـهـمـ منـهـ اللهـجـاتـهـ أيضاً .

رابعاً - عصر النحاة المتأخرـينـ :

وأقصد بهم هؤلاء الذين جمعوا وألووا بأطرافـهـ المـباحثـ النـحوـيـةـ وأوجهـهـ الخـلـافـ فيـهـ مـسـائـلـهـ ،

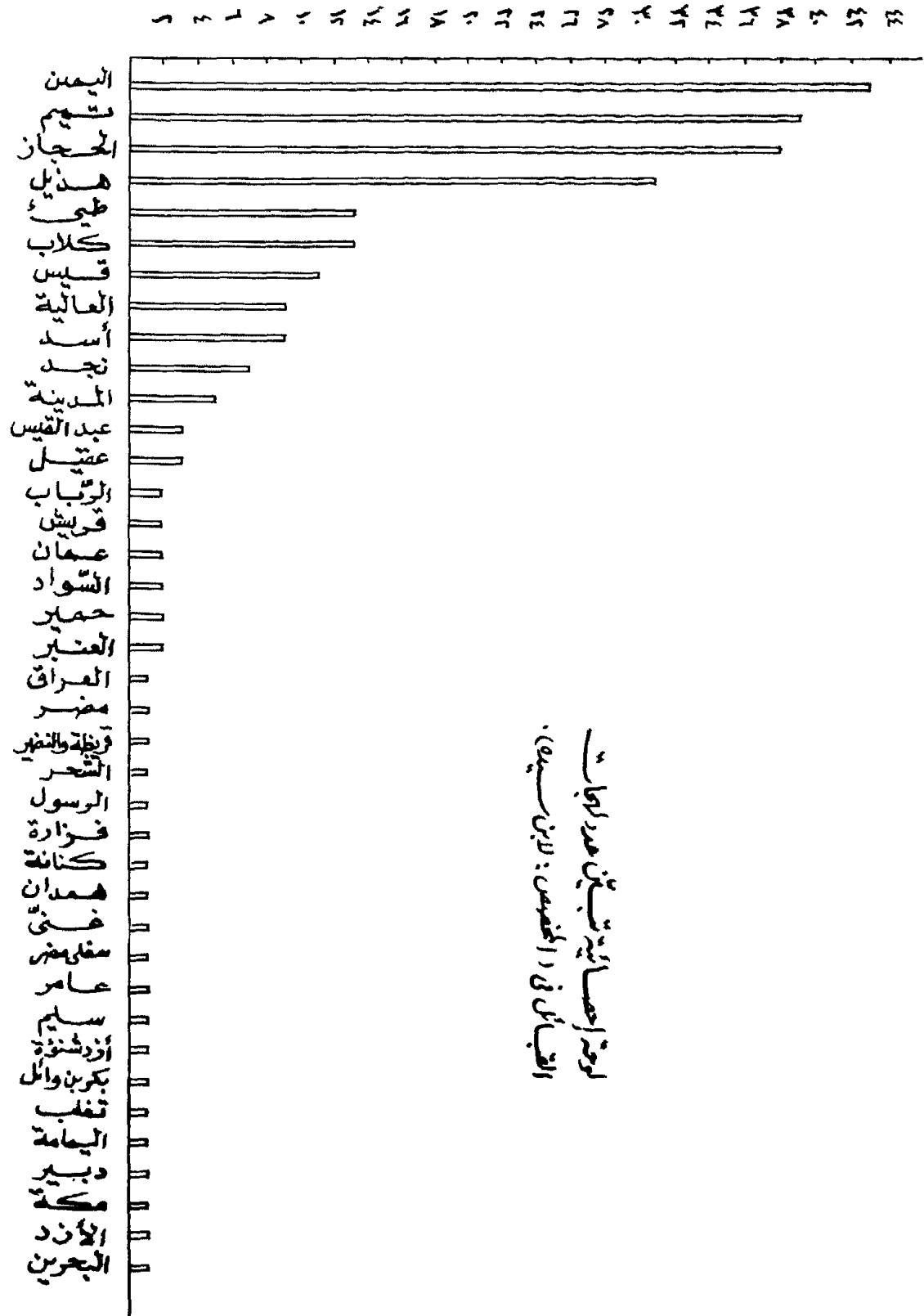
(١) انظر المـوـرـةـ الـإـحـصـائـيـةـ .

(٢) أضفت علىـهـ إحـصـائـيـةـ المـجـاهـةـهـ :ـ هـ لـهـجـةـ ضـبـتـهـ وـجـرـمـهـ لـمـ يـحـصـبـهـ عـقـلـهـ المـجـاهـةـهـ ،ـ كـهـ حـذـفـتـ منـهـ إحـصـائـيـتهـ مـاـ لاـ يـتـصـلـ بـلـهـجـاتـهـ الـقـبـائـلـهـ الـعـرـبـيـةـهـ .

(٣) انظر فـيـاـ تـقـدـمـ لـوـرـةـ إـحـصـائـيـةـ رقمـهـ .

(٤) الأـعـلـامـ :ـ ٣٢٩/٧ طـ٢ ،ـ الـبـيـنـيـةـ :ـ ٩٠٦ـ .

(٥) انظر :ـ إـحـصـائـيـةـ لـكـتـابـ الـبـحـرـ الـمـيـطـ «ـ الـبـابـ الثـانـيـ الـفـصـلـ الـأـوـلــ منـهـ الـكـتـابـ



للمزيد من المعلومات: www.aljazeera.net
الباحث: محمد العجمي

وحضدوا الآراء اللغوية ، ولم يكن لهم من فضل إلا أنهم جمعوا المادة العلمية التي تضمنها الكتب النحوية في مراحلها المختلفة .

وسينتقل الحديث ثلاثة من هؤلاء المؤخرين المشهورين بالجمع اللغوي :

أولها : خالد زين الدين الأزهري . وثانيها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي .

وثلاثها : علي نور الدين الأشموني .

أ) الشيخ خالد الأزهري « متوفي ٩٠٥ھ » وكان وقاداً بالأزهر ، وصنف مؤلفات كثيرة منها : التصریح على التوضیح ، وشرح الأزهريّة ، والاجر ومية ، وشرح قواعد الاعراب لابن هشام ، وسأشير الى اللهجات في مؤلف واحد منها وهو : شرح التصریح .

وقد قت بإحصائية في الكتاب باحثاً عن لهجات القبائل فوجده ذكر واحداً وثلاثين قبيلة جمعتها ورتبتها حسب إسناد أكثر اللهجات إليها : تميم^(١) . الحجاز^(٢) . أسد^(٣) . قيس^(٤) . طيء^(٥) . ربيعة^(٦) . هذيل^(٧) . عقييل^(٨) . بلحّارث بن كعب^(٩) . عامر^(١٠) . العالية^(١١) . فَزَّارة^(١٢) . سليم^(١٣) . أسد شنوة^(١٤) . قضاعة^(١٥) . خشم^(١٦) . بكير بن

١) التصريح : ٦٨/١ ، ٧٧/١ ، ١٩٩/١ ، ٢٠٩/١

٤٠١ ، ٣٤٢ ، ٢٨٥/٢) المرجع السابق :

٣) التصريح : ١٩٦/٢/٢٠٨٠

٤) المترجم السابق : ١٣٢ ، ٣٦ / ١

(٥) المرجع السابق : ١٣٧/١

٦) المترجم السابق : ٤٨، ٢٠٨٠

٧) المترجم السابق : ٢/٢

٨) المرجع السابق : ٢١٣/١

٩) المُرْجِمُ السَّابِقُ : ١٣٢/١ .

(١٠) المِرْجُمُ السَّابِقُ: ١/٧٧ .

١١) المُرْجِمُ السَّابِقُ: ٢٠١/١

١٢) المرجع السابق: ١/٤٥٨.

٠٢٦٢/١ المراجع السابق:

١٤) المرجع السابق : ٢٧٥/١

١٥) التصريح : ٣٦١/١

١٢) المربع السابق : ١١٧/١ .

وائل^(١) . قريش^(٢) . ضبّة^(٣) . كنانة^(٤) . حُيَّسْر^(٥) . فَقْعَسْ^(٦) « من أسد » . دُبِّير^(٧) « من أسد » . غَنِيٰ^(٨) . غَنَم^(٩) . بنو مالك^(١٠) « من أسد » . سَعْد^(١١) . كعب^(١٢) . نَمَيْر^(١٣) . يَرْبُوع^(١٤) . زَبَيْنَد^(١٥) .

ويلاحظ على منهجه :

- ١ - أن تسجيل اللهجات عنده كان ثانويًا ، كان يتكلم عن لام الابتداء بعد « ان » المكسورة ثم يقول : « وتسى اللام المزحلقة بالقاف والفاء » ، وبنو تميم يقولون « زحلقة القاف ، وأهل العالية زحلقة الفاء »^(١٦) .
- ٢ - أنه كثيراً ما يحمل عزو اللهجات كقوله « ومن العرب »^(١٧) أو ينقل ما حكاه سيبويه عن بعض العرب^(١٨) أو عن يونس « بعض العرب المؤتمن بهم »^(١٩) .

- (١) المرجع السابق : ٤٠٢/٢
- (٢) المرجع السابق : ٢٩٤/١
- (٣) المرجع السابق : ٢٩٥/١
- (٤) ٦٨/١
- (٥) المرجع السابق : ١٤٩/١
- (٦) المرجع السابق : ٢٩٥/١
- (٧) المرجع السابق : ٢٩٥/١
- (٨) المرجع السابق : ٢١/٢
- (٩) المرجع السابق : ٤٨/٢
- (١٠) المرجع السابق : ١٧٤/٢
- (١١) ٣٤١/٢
- (١٢) ٤٠٢/٢
- (١٣) المرجع السابق .
- (١٤) ٦٠/٢
- (١٥) ٢٩/٢
- (١٦) ٢٢١/١
- (١٧) ٦٧/١
- (١٨) ١١٠/١
- (١٩) ٣٥٥/١

٣- أن اللهجات عنده لم تخضع لتنظيم أو دراسة فهي مبعثرة في أماكن مختلفة من مؤلفه .

ب) جلال الدين السيوطي (متوفي ٩١١ هـ) وقد عد له بروكمان ٤١٥ مصنفاً بين مطبوع ومحظوظ ، وعدد له الشعراً في ذيل طبقاته ٤٦٠ مؤلفاً^(١) ، وكتبه مفخرة من مفاخر التأليف والتصنيف منها : الاتقان في علوم القرآن ، والمزهر في علوم اللغة ، ومع الموامع ، والأشباء والنظائر ، والاقتراح في أصول النحو .

وأشير إلى اللهجات في مؤلفين مختلفين من مؤلفاته أو لهما : نحوى وهو مع الموامع ، وثانيها : لنوى وهو « المزهر » .

١- مع الموامع شرح جمع الجواجم ، وهو من الكتب الجامعة قال عنه السيوطي في المقدمة « وبعد فلان لنا مؤلفاً في العربية جمع أدناها وأقصاها » ، وكتاباً لم ينادر من وسائلها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وقد قفت بإحصائية لهذا الكتاب الجامع فوجده عزاً فيه لهجات لست وتلذين قبيلة جمعتها ورتبتها على حسب ورود أكثر القبائل وهي :

تميم^(٢) ، والمجاز^(٣) ، وطيء^(٤) ، وأسد^(٥) ، وسليم^(٦) ، وقيس^(٧) ، وهذيل^(٨) ، وكنانة^(٩) ، وربيعة^(١٠) ، وفرازة^(١١) ، وعامر^(١٢) ، وعقيل^(١٣) ، وختشم^(١٤) ، وبكر بن

(١) المزهر : ٦٥٩/٢ .

(٢) مع الموامع : ٦٠/١ .

(٣) المع : ٢٢٧/٢ ، ١٤٦/١ .

(٤) المع : ١٦٤/٢ .

(٥) المع : ١٢٥ ، ٦١/١ .

(٦) المع : ١٥٨/١ .

(٧) المع : ٢٠٠/٢ .

(٨) المع : ٣٤ ، ٢٢/٢ .

(٩) المع : ٤٠/١ .

(١٠) ٢١٧/١ .

(١١) المع : ٧٩/٢ .

(١٢) المع : ٤٧/١ .

(١٣) المع : ٣٣/٢ .

(١٤) ١٩٧/١ .

وائل^(١) ، وهمدان^(٢) ، وعكْل^(٣) ، واليمن^(٤) ، والغثبر^(٥) ، وبَلْحَارث^(٦) بن كعب ،
وعلياء^(٧) قيس ، والمجم^(٨) ، واليامة^(٩) ، وحنير^(١٠) ، والمالية^(١١) ، وأسد^(١٢) شوة ،
وقضاء^(١٣) ، وفَقْعَس^(١٤) ، ومرادة^(١٥) ، وعذرة^(١٦) ، ولغة القرآن^(١٧) ، وخزاعة^(١٨) ،
وصباح^(١٩) ، ونجد^(٢٠) ، وأسد الشرى^(٢١) ، ولغم^(٢٢) ، وزُبَيْلَة^(٢٣) .

ويلاحظ على منهجه :

١ - أنه كثيراً ما يعزّو اللهجات لقبيل مبهم من العرب ك قوله « لغة عن بعض العرب »^(٢٤)

- (١) الممع : ٤٠/١
- (٢) ٤٠/١
- (٣) الممع : ٢١٦/١
- (٤) ٢٣/٢
- (٥) ٤٠/٢
- (٦) ٢٠/١
- (٧) ٤٧/١
- (٨) ٤٠/١
- (٩) ٤٠/٢
- (١٠) ٧٩/١
- (١١) ١٢٤/١
- (١٢) ١٦٠/١
- (١٣) ٢٣١/١
- (١٤) ٢١٢/١
- (١٥) ٤٠/١
- (١٦) ٤٠/١
- (١٧) ٨٥/٢
- (١٨) ٣٢/٢
- (١٩) ٣/٢
- (٢٠) ٢٠٤/٢
- (٢١) ٢٠٥/٢
- (٢٢) ٢٠٨/٢
- (٢٣) ٤٠/١
- (٢٤) ٤٦/١

- أو «لقوم من العرب»^(١) وهو يندرج منهج المتقدمين في ذلك كسيبوية^(٢) والسيرافي^(٣).
- ٢ - وأحياناً يعزّو إلى جزء القبيلة كقوله «أكثر بني تميم»^(٤)، «وأكثر أهل اليمن»^(٥)، «ويطون من ربعة»^(٦).
- ٣ - كما يصدر أحكاماً على بعض اللهجات كقوله: «وهي رديئة جداً»^(٧) أو «نادرة جداً»^(٨) أو «فصيحة»^(٩) أو «أغرب اللغات»^(١٠) أو «أشهرها»^(١١) أو «لغة»^(١٢).
- ٤ - وأحياناً يذكر ما في الكلمة الواحدة من لغات حق تبلغ أربعين لغة^(١٣).
- ٥ - كما أن لهجات القبائل عنده تتبعثر على هامش البحث، ولا يتبع فيها نظاماً موحداً.
- ٦ - أما كتابه الآخر المزهر فقد قلل فيه ذكر القبائل المعزو إليها عن المعجم فبلغت أربعاً وعشرين قبيلة، بينما في المعجم وصلت ستاً وتلائين قبيلة.
- ويلاحظ على المعجم أنه وردت به قبائل لم ترد في المزهر وهي:
- كتانة، والمنبر، وبيلحارث بن كعب، وعلياء قيس، والمجيم، واليامنة، وربعة، وفزاراة، وخثعم، وبكر بن وائل، وفقعن، وزبيد، وهمدان، ومزادة، وعذرة، وعكل، ولفة القرآن، وخزاعة، وصباح، وأزد الشترى، ولختم.

- (١) ١٣١/١ .
(٢) انظر: ابن يعيش: ١٤٠/١٠ .
(٣) شرح السيرافي: ٤١٣/٥ خط.
(٤) المعجم: ٢٩/١ .
(٥) المعجم: ٢٠٤/٢ .
(٦) المعجم: ٤٠/١ .
(٧) ٥٩/١ .
(٨) ٧/٢ .
(٩) ٥٧/١ .
(١٠) ٤٠/٢ .
(١١) ٥٣/٢ .
(١٢) المعجم: ١٩٧/١ .
(١٣) المعجم: ١٠٦/٢ .

كما أن المزهر وردت به قبائل لم ترد في المعجم وهي :
قريش ، ضبة ، كلاب ، البحرين ، نزار ، عبد القيس ، هوازن ، الأنصار ، مكة .

ويلاحظ على منهج المزهر بصفة عامة :

١ - أنه يتم بإيراد الكلمات المفردة وعزوها إلى قبائلها كقوله :

السبّ بلغة هذيل : الحبل^(١) . والسكر يسمى المبرت بلغة أهل اليمن^(٢) . والبل^(٣) ، المباح
لغة يمانية^(٤) . والكابول - الكرّ ، الذي يصعد به على التغلل لغة أسدية^(٥) ، والخزرومة :
البقرة بلغة هذيل^(٦) ، ويلاحظ على هذه الكلمات أنها منعزلة عن السياق الذي يوضعها ، وهو
في هذا كالمدرسة اللغوية فإن اهتمامها كان بالكلمات المفردة ، أما في كتابه المعجم فكان جمل
اهتمامه موجهاً إلى أبيات الشواهد لاسيما تلك التي حللت بذوراً لهجية .

٢ - وأنه كثيراً ما يكتفي بأن الكلمة وردت في « بعض اللغات »^(٧) وهو في هذا ينقل عن ابن
دريد وابن سيده وابن منظور^(٨) .

٣ - كما نسمع أحكاماً على بعض اللغات كقوله :

لغة ضعيفة^(٩) أو رديئة^(١٠) ، أو رديئة مذمومة^(١١) ، أو لغة متروكة^(١٢) . وهو ينقل هذه
الأحكام عن قدامي اللغوين كأبي زيد والأصممي وأصحاب الموسوعات والمعاجم .

(١) المزهر : ٢٥١/١

(٢) المزهر : ٢٨٤/١

(٣) المزهر : ٤١٩/١

(٤) المزهر : ١٢٤/٢

(٥) المزهر : ١٢٩/٢

(٦) المزهر : ٢١٦/١ وما بعدها .

(٧) انظر : اشتقاق ابن دريد : ١٠٠ وستنفرد ، والمحضون ١٥ من ٢٥ ، من ٥ من ٣٠ ،
السان : ٢٨٣/١٩ ، ٤٠٦/١٠ ، ٢٨٣/١٩ ، ٤٠٦/٢ ، ٢٤٧/٢ .

(٨) المزهر : ٢١٤/١

(٩) المزهر : ٢٦٦/١

(١٠) المزهر : ٢٢٦ - ٢٢١/١

(١١) المزهر : ٢١٩/٢

٤ - كأن أكثر لهجات الحجاز وتميم قد نقلها عن يونس بن حبيب وأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي^١ ، وهذا يؤكّد أن السيوطي كان متبعاً لا مبتدعاً في جمع اللهجات .

ج) هو أبو الحسن علي نور الدين بن محمد الأشموني (توفي ٩٣٩هـ) وله مؤلفات كثيرة أشهرها شرحه على ألفية ابن مالك ، وهو أغزر شروح الألفية كما أنه حشد فيه آراء المتقدمين من علماء العربية وسألها ما ورد في كتابه من لهجات القبائل العربية .

وقد قمت باحصائية لهذا الكتاب فوجده عزاً فيه لهجات تسع وعشرين قبيلة جمعتها ورتبتها على حسب ورود أكثر القبائل وهي :

تميم^٢ . الحجاز^٣ . طيء^٤ . ربعة^٥ . قيس^٦ . أسد^٧ . هذيل^٨ . سليم^٩ . أسد سنثة^{١٠} .
بكير بن وائل^{١١} . بلحارث بن كعب^{١٢} . عامر^{١٣} . عقيل^{١٤} . فزاره^{١٥} . قريش^{١٦} .

- (١) المزهر : ٠ ٢٧٧ - ٢٧٥/٢
- (٢) الأشموني : ٠ ٢٦٧ - ٧٨/١
- (٣) الأشموني : ٠ ٢٦٨/٣ ، ٢٤٧/١
- (٤) ٠ ٢١٤/٤
- (٥) ٠ ١٠١/١
- (٦) ٠ ٢٦٤/٢
- (٧) ٠ ٢٣٤/٣
- (٨) ٠ ١١٨/٤
- (٩) ٠ ١٢/٤
- (١٠) ٠ ٤٨/٢
- (١١) ٠ ٣٥١/٤
- (١٢) ٠ ٧٩/١
- (١٣) ٠ ٣٤١/٤
- (١٤) ٠ ٢٠٤/٢
- (١٥) ٠ ١١٤/٤
- (١٦) ٠ ٨٤/١

لَخْمٌ^١ . فَقْنَسٌ^٢ . دُبَيْرٌ^٣ . غَمٌ^٤ . كَعْبٌ^٥ . ثَمِيرٌ^٦ . الْيَمْنُ^٧ . صَبَاحٌ^٨ . كَلْبٌ^٩ .
قُضَاعَةٌ^{١٠} .

والمنهج الذي اتبّعه في اثاراته الى اللهجات هو كمنهج السابقين له تقريراً :

- ١ - فيمزو عن ابن مالك لغة لبعض العرب^{١١} .
- ٢ - أو يمزو لجزء من القبيلة (كبعض طيء)^{١٢} أو (بعض بني صباح)^{١٣} .
- ٣ - أو يعنوا اللغة لكثير من العرب ثم يحدد بعض قبائلهم^{١٤} .
- ٤ - وكثيراً ما يمحكى عن الخليل^{١٥} ، وسيبوه^{١٦} والفراء ، والتعاني^{١٧} ، ويونس^{١٨} ، وابن سيده^{١٩} .

- (١) ٢١١/٤
- (٢) ٦٣/٢
- (٣) ٦٣/٢
- (٤) ٢٦٥/٢
- (٥) ٣٥٣/٤
- (٦) ٣٥٣/٤
- (٧) ٢٢٧/٤
- (٨) ٢٨٤/٣
- (٩) ١٣٠/٤
- (١٠) ٢٨٢/٤
- (١١) الأشموني : ٢٨٦/٣ ، ١١٧ ، ٣٣٣/٤
- (١٢) الأشموني : ١٥٨/١ ، ٢٠٦/٤
- (١٣) الأشموني : ٢٨٤/٣
- (١٤) المرجع السابق : ٢١٢/٤
- (١٥) الأشموني : ١٥٨/٣
- (١٦) الأشموني : ٢٢٧ ، ٧٩/٤
- (١٧) المرجع السابق : ٨/٤٠
- (١٨) المرجع السابق : ١٥٦/٣
- (١٩) المرجع السابق : ١٢٩/٤

٥ - كأنه قد يحيي نقل اللئات ولا يسند الحكاية إلى مصدرها إبل يكتفي بقوله: «وَتَلَ بَعْضُهُمْ
أَنَّهَا لِنَةٍ طَيِّبٌ»^(١) وأحياناً يحدد لها بساع الرواية الحكاية عن قبيلة عربية كقوله «وَسَمِعَ
الْأَخْفَشُ مِنْ نَاسٍ مِنْ عَقِيلٍ»^(٢).

٦ - كأنه قد يحيي بعض اللهجات، بالرداة حيناً والفصاحة حيناً آخر، وهو في
ذلك يحيي آراء السابقين ويقلدتهم.

٧ - كأن اللهجات عنده كانت تظهر على هامش الدراسة وهذا لم تخضع لدراسة أو تنظيم.

٨ - وكان يأخذ اللهجات حيناً من مصدر مكتوب، وحينما آخر من مصدر شفوي.

تعليق :

يتضح مما سبق أن السيوطي قد عزا في المعم الى ست وثلاثين قبيلة، وأن الأزهري قد عزا
في تصريحه الى واحد وثلاثين قبيلة، وأن الأشموني قد عزا الى خمس وعشرين قبيلة، كما أن
السيوطى في المزهر عزا الى أربع وعشرين قبيلة، فيكون المعم أكثرها عزوة ثم التصريح
فالأشموني ثم المزهر.

وقد أدلت هذه الإحصائية على وجه آخر فحاولت حصر ورود عدد ما جاء معزواً الى
القبيلة الواحدة في هذه الكتب، وأخذت منها لهجة تميم والمحجاز، وأزيد شنوة وغنى. وكانت
الإحصائية كما يأتي:

(١) المرجع السابق : ٤/٤٢١٤ .

(٢) المرجع السابق : ٤/٤٢٠ .

الكتاب	اسم القبيلة	عدد ورودها	اسم القبيلة	عدد ورودها	اسم القبيلة	عدد ورودها	اسم القبيلة	عدد ورودها	اسم القبيلة	عدد ورودها
الجمع	غَنِيّة	-	الْمَجَاز	أَزْدَشَنُوْةٌ	٢٤	٢٨	تَمِيم	-	الْمَعْ	-
شرح التصريح	"	١	"	٢	٢٠	٢٧	"	٢٧	"	شَرْح
المزهر	"	-	"	٤٩	"	٥٨	"	"	"	الْمَزْهُر
الأشموني	"	-	"	٢٠	"	٢٧	"	"	"	الْأَشْمُونِي

وفي ضوء هذه الإحصائية يتضح ما يلي :

- ١ - أن ورود لهجات القبائل عند المتأخرین الجاعنی لأطراف المباحث النحویة قد ففنت عندم الى حد أنها زادت على ما جاء به سیبویه ، لأن عدد القبائل التي عزا إليها سیبویه في كتابه بلغت ١٥ قبیلة^١ ، بينما في الجمع ٣٦ قبیلة ، وفي التصريح ٣١ قبیلة ، وفي الأشمونی ٢٥ قبیلة .
- ٢ - كما تشير المقارنة الى قویة الللة التیمیمة في الكتب السابقة ^{حق} كادت تفوق الللة الحجازیة ، مما يدل على قوتها في المجتمع العربي الجاهلي ، وما يؤكد هذا ما جاء عن ابن حزم في وصف تمیم من أنهم « قاعدة من أكبر قواعد العرب »^٢ ، « وأمنع قبائل العرب »^٣ إذ كانت الوحدات الحربیة التي تحركت شرقاً نحو فارس ثم خراسان ثم الى افريقيا غرباً - يغلب عليها النسب التیمیمی - فإذا أضفنا الى ذلك أن تمیماً - لما لها من نفوذ وصولة - كانت تتولى القضاة في الأسواق العربية^٤ - عرفنا سرّ بروز لهجاتها في المحيط العربي ، وما يقوی

(١) انظر إحصائية للهجات القبائل في كتاب سیبویه في الفصل الأول من الباب الثاني من هذا الكتاب

(٢) جمیرة أنساب العرب : ١٩٦ .

(٣) معجم کحاله : ١٣٠/١ .

(٤) نهاية الأربع للقلقشندی : ٤٦٤ .

هذا ما جاء في حديث أرسن الله عليه السلام من أنه ورد عليه الرفود فأقر الأخاس^(١) كل خس على لفته ، فكان أعراب القوم تيم .

٣- أن القبائل المغيرة لم تحظ من علماء العربية بتسجيل كلماتها ولكتهم أهدروا حقماً في الحياة فأهلوها^(٢) والكلمات كالإنسان تُشْفَى وَتَسْعَد ، يُؤيد هذا ما سجلوه لبني وأزد شنوة .

٤- أنهم لم يستقرئوا جميع لهجات القبائل ، بل فلتلت منهم أكثر القبائل وربما تركوها عامدين ... لأنها في نظرهم أقل من أن يحسب لها حساب أو تقدير .

(١) الفاضل للبرد ١١٣ دار الكتب .

(٢) يزيد أخاس البصرة : وهي : العالية ، وبكر بن رائيل ، وقمع ، عبد القيس ، والأزد ،

الباب الثالث

المستوى الصوتي ويشمل :

علم الأصوات العام (Phonetics)
وعلم الأصوات التنظيمي ، أو علم
التشكيل الصوتي (Phonology)

الفصل الأول

دراسة حركية الكلمة

وتشمل :

أولاً : دراسة حركات عين الكلمة في لهجات القبائل ،

معلوم أن الثاني الجرد له الأوزان الآتية : فعل ، فعل ، فعل بفتح العين وكسرها وضها ، ولكن لوحظ أن الصيغتين الأخيرتين تمتازان بغيرات عددة لاسيا في الأوزان الصرفية ، والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذي تنزع إليه القبائل العربية في أنساء كلامها ، وأمثال ذلك ما نجده في :

١ - فعل : بكسر العين سواء كانت اسمًا أو فعلًا حيث ينطق بها (فعل) بتسكن العين مثل : علِم يقول فيها : علِم ، وفي كتف : كتف ، وفي فخذ : فخذ ويهذب أن هذه التغيرات أو التفرعات تختص بلهجة تميم ، على حين أبقتها لهجة الحجاز على حالمها بدون تفريع ، يقول الرضي « وجیع هذه التفرعات في کلام بنی تمیم ، وأما أهل الحجاز فلا یغيرون البناء ولا یفرعون »^(١) وعزاه سیبویه « الی بکر بن وائل وناس کثیر من تمیم »^(٢) وبالاستقراء وجد أن صيغة : (فعل) بكسر العين يتفرع عنها ما يلي :

أ) تسکین العین : مثل فعل .

ب) تسکینها بعد نقل حرکتها الى الفاء فتصير (فعل) نحو : شهد ، فخذ في حلق العين ، وكتف ، وكبر في غير الحلقة .

ج) التفریع الثالث : فعل : بكسرتين وهذا التفریع يختص بما كان حلق العین نحو ضعیک . هذه هي تفرعات (فعل) بكسر العین .

ونبدأ ب (أ) فعل : بكسر العين وتفریعها الى فعل بسکون العین :

(١) شرح الشافية : ابن الحاجب : ٤٠/١ ط سعادي .

(٢) سیبویه : ٢٥٧/٢ .

ولما كانت النصوص القرآنية ، وغيرها هي سبيلنا في إثبات كل قضية فلليلك ما يلي :

- ١ - كلمة على وزن نبقة وهي الفصحى وهي لغة الحجاز ، وبها جاء التنزيل ، وكلمة على وزن (سدرة) ، وعلى وزن (نترة) وما لفتها تميم^(١) . ويقول المصباح بأن « الكلمة » تخفف على لغة بنى تميم^(٢) . وفي قوله تعالى : « قل يأهـل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء »^(٣) فرئت كلمة – على وزن ضربة ، وكلمة على وزن (سدرة)^(٤) .
- ٢ - وفي الآية « وَكَأْيَنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتلَ مَعَهُ رِبِّيْوْنَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا^(٥) لِمَا أَصَابَهُمْ » . قرأ عكرمة وأبو السمال : وهنوا بأسكان الماء^(٦) .
- ٣ - يرى الأزهري أن (الوسمة) بكسر السين وهو كلام العرب – وعزى كسر السين الى لغة الحجاز^(٧) ، وقال الجوهري تسكينها لغة^(٨) . ولا شك أن التسكين تفريع عن الكسر وأرجح أن التسكين لتميم .
- ٤ - في قوله تعالى : « وَإِنْ كَانَ ذُو عَشْرَةَ فَتَنْظِيرَةً إِلَى مَيْسِرَةً »^(٩) قرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم بسكون الظاء – وهي لغة تميمية^(١٠) – كما عزماها في المحتسب الى تميم^(١١) . ولا شك أن هذا التسكين في الظاء للتخفيف من نظرة – بكسر الظاء .
- ٥ - وما رواه ابن السكikt من أنه سمع أعرابياً من بنى تميم يقول : « نَعَمْ »^(١٢) وقرأ ابن

(١) ابن حشام : شذور الذهب : ١٣/١ ، وحاشية عبادة على الشذور : ١٣/١ .

(٢) المصباح : ٨٣١/٢ ، شرح المفصل : ابن عبيش : ١٩/١ ، اللسان : ٤٢٨/١٥ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٦٤ .

(٤) البحر : ٤٤٧/٢ : ٤٨٢ .

(٥) آل عمران : آية ١٤٦ .

(٦) البحر : ٧٤/٣ .

(٧) المصباح : ١٠٢٤/٢ .

(٨) اللسان : ١٢٣/١٦ .

(٩) سورة البقرة : آية ٢٨٠ .

(١٠) ٣٤٠/٢ من البحر المحيط ، وختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ١٧ .

(١١) المحتسب : ابن جنبي : ١٦٤/١ خطوطه بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير تيمور .

(١٢) إصلاح النطق : ١٠٥ .

وَثَابَ قُولَهُ تَعَالَى «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَتَبَعِّذُمْ عَلَقْبَى الدَّارِ»^(١) بفتح النون وسكون العين ، قال أبو حيان «وتحقيق فعل لغة قميصة»^(٢) .

ويظهر أن هذا التحقيق لم يكن خاصاً بتيم بل شمل كثيراً من المناطق العربية ، فكانت بكر بن وائل تخفف مثل هذا فقد ذكر سيبويه في كتابه «أن من العرب من يقول : نَسْنَمُ الرجل - في نَسَمٍ - كان أصله : نَسَعِمُ ثم خفف بإسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل^(٣) ، وما يزيد هذا الدليل قوة مما روي عن أبي هريرة وعاصم المحدري في قراءتها «مَلْكُ يَوْمِ الدِّين»^(٤) في مالك يوم الدين^(٥) على الصفة المشبهة ، وقدقرأ بها أيضاً عبد الوارث عن أبي عمرو^(٦) ، كما عزت هذه القراءة في مكان آخر لربعة ، واستشهد لها بقول الأعشى :

فَقَالَ لِلْمَلِكِ أَطْلَقَ مِنْهُمْ مَائَةً وَسَلَامًا مِنَ الْقَوْلِ مَخْفُوضًا وَمَا رَفَعَا^(٧)

وإذا كانت الظاهرة واحدة في بكر بن وائل وربعة ، فذلك لأن العلاقة النسبية بينها قائمة ، إذ إن بكرأ هذه كارأت كتب الأنساب - بطن من ربعة^(٨) .

والأمثلة السابقة فيها تفرعت الصيغة (فَعَلَ) إلى (فَعَلَ) بسكون العين.

ب) فَعَلَ : بكسر العين وتفریعها الى فَعَلْ بكسر الفاء ، وسكون العين : - وقد تفرع صيغة (فَعَلَ) بكسر العين الى (فِعَلْ) بسكونها ، وذلك في لهجة قميم ، ومن ذلك :

١ - وذلك قوله تعالى «بَثَسَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ»^(٩) فأصل بِثَسْ : بَثِّسٌ من البُؤْسِ ، سكت همزتها ، ثم نقلت حركتها الى الباء ، كما قيل : لِكَبِدٌ : كِبِندٌ .

(١) سورة الرعد : آية ٢٤ .

(٢) البحر المحيط : ٣٨٧/٥ .

(٣) اللسان : ٦٦/١٦ .

(٤) البحر : ٢٠/١ .

(٥) سورة الفاتحة : آية ٤ .

(٦) عتصر شواد القرآن لابن خالويه : ١ .

(٧) الاشتقاد : ١٧ ، وستنقلا .

(٨) نهاية الأرب : القلقشندي : ١٧٨ .

(٩) سورة البقرة : آية ٩٠ .

قال الطبرى في تفسيره « وهي من لغة الذين ينقلون حر كة العين من فَعِيل إلى الفاء إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة - وذلك فيما يقال إن فاشية في قيم »^(١) .

٢ - وقرأ المھور قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »^(٢) بـ كسر النون وسكون العين وهي أكثر استعمالاً^(٣) ، وأصلها : نَعِمْ ، فـ سكت العين ثم نقلت حر كتها إلى النون قبلها فصارت (نـعـم) .

٣ - وفي الخصص أنه سمع من العرب من يقول « ورِكْ ، ووِرِكْ ، وـ كـتـفـ وـ كـتـفـ »^(٤) ، ولـعـبـ ولـعـبـ ولـعـبـ ولـعـبـ^(٥) .

والفرض من هذا التفريغ المعزو إلى قيم هو كرامة الانتقال من الأخف إلى الأثقل ، وهذا أثثت قيم تسکین العين في هذا كله ، والسكون أخف من الحركة .

وقد تتفرع صيغة : فَعِيل إلى فِعِيل ، بـ كسر الفاء والعين وهذا التفريغ لا يكون إلا في الحلقى العين .

ج) فَعِيل : بفتح الفاء وـ كـسـرـ العـيـنـ وـ تـفـرـيـعـهاـ إـلـىـ فـيـعـلـ : بـ كـسـرـ الفـاءـ وـ العـيـنـ .

وهذا التفريغ لا يكون إلا في الحلقى العين كـنـعـمـ وـبـئـسـ : فـ تـقـولـ فـيـهـ عـلـىـ التـفـرـيـعـ نـعـمـ وـبـئـسـ ، بـ كـسـرـ الفـاءـ وـالـعـيـنـ فـيـ كـلـ مـنـهـاـ وـالـأـصـلـ فـيـهـاـ ، نـعـمـ وـبـئـسـ ، بـ فـتـحـ فـكـسـرـ ، وـ قـدـ عـزـ اـ صـاحـبـ التـوـضـيـعـ الصـيـغـتـيـنـ نـعـمـ وـبـئـسـ ، بـ كـسـرـ الـحـرـفـيـنـ الـأـوـلـيـنـ إـلـىـ قـيمـ حـيـثـ قـالـ « وـ كـسـرـ هـاـ عـنـدـ بـنـيـ قـيمـ ، وـ لـاـ يـحـيـزـ الـحـجـازـيـوـنـ فـيـهـاـ إـلـاـ الأـصـلـ »^(٦) ، وـ قـدـ سـاقـ سـيـبـوـيـهـ عـدـةـ صـيـغـ عـلـىـ فـيـعـلـ : بـ كـسـرـ الفـاءـ وـالـعـيـنـ مـنـهـاـ : بـ كـسـرـ الفـاءـ وـالـعـيـنـ ، وـ رـجـلـ بـعـدـكـ ، وـ رـجـلـ بـعـدـكـ ، وـ هـوـ مـاضـنـ لـهـ : بـ كـسـرـ الفـاءـ وـالـعـيـنـ ، وـ هـذـاـ رـجـلـ وـعـدـكـ^(٧) .

(١) تفسير الطبرى : ٢٣٨/٢ دار المعرف .

(٢) سورة الرعد : آية ٢٤ .

(٣) البحر : ٣٨٧/٥ .

(٤) الخصص : سفر ١٤ : ص ٢٢١ .

(٥) تفسير الطبرى : ٢٣٨/٢ دار المعرف .

(٦) التصریح والتوضیح : ٩٥/٢ .

(٧) كتاب سیبویه ٢٥٠/٢٠١ ، شرح السیرافي على سیبویه : ٣١٣/٥ مخطوط بالتیموریة .

ولقد علل الرضي هذا التفريغ في تلك الصيغة فقال « وإنما جعلوا ما قبل الحلقى تابعاً له في المركبة ، مع أن حق الحلقى أن يفتح نفسه أو ما قبله كما في « يَدْمَع » لشدة الحلقى وخفته الفتتحة ، فأتبع فاؤه لمينه في الكسر^(١) ». وعلل سيبويه لهذا التفريغ بأن حرف الحلقى لا يناسبه إلا الفتح ، ولم تفتح العين الحلقية هنا خوفاً من أن تلتبس صيغة (فعل) بفتح العين مع صيغة (فعل) بكسرها ، فلما لزمت العين الكسر ، وهي حرف حلقى ، وفي ذلك شيء من التقليل أتبوا الفاء العين ليحدث نوع من التخفيف بالليل من كسرة إلى كسرة ، وذلك لأن اللسان يعمل في جهة واحدة ، فيكون العمل من وجه واحد^(٢) .

٢ - فَمُّلْ : بفتح الفاء وضم العين وتفریعها الى فَمُّلْ : بفتح الفاء وسکون العین :

وقد جاء التفريغ فيها بسکون العین تخفيناً ولا يكون ذلك إلا عند بني تميم . وأمثلة ذلك : ما قرئ به في قوله تعالى : « كَبَرْتُ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفواهِهِمْ »^(٣) بسکون الباء في (كبير) - وعزماها أبو حيان إلى تميم^(٤) كما قرأ أبو السمال قوله تعالى : « وَحَسْنَ أَوْلَانِكَ رَفِيقًا »^(٥) بسکون السين - وعزماها أبو حيان إلى تميم كذلك^(٦) ، ونسب ابن خالويه في البدیع هذه القراءة إلى قعنبر^(٧) .

على حين أن لغة الحجاز لا تفرع في تلك الصيغة ، فقد قرأ الجمهور الآية السابقة « وَحَسْنَ » بفتح الفاء وضم العين وهي الأصل ، قال أبو حيان : وهي لغة الحجاز^(٨) ، ويظهر أن التفريغ في تلك الصيغة لم يكن خاصاً بتميم وحدها - فقد شمل بقاعاً آخر من الجزيرة العربية ، وما يؤيد هذا ما جاء عن سيبويه من أن التسکین في العین لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير من تميم ،

(١) شرح الشافية : ٤٠/١ .

(٢) كتاب سيبويه : ٢٥٥/٢ ، وانظر : الخمس لابن سیده : سفر ١٤ ص ٢١٣ .

(٣) الكهف : ٥ .

(٤) البحر : ٩٧/٦ .

(٥) النساء : ٦٩ .

(٦) البحر : ٢٨٩/٣ .

(٧) مختصر شرذ القرآن : ابن خالويه : ٢٧ .

(٨) البحر : ٢٨٩/٣ ، الدر القبيط : ٢٩٠/٣ .

ومثّل لذلك بقوله : «عَضْدٌ فِي عَضْدٍ وَفِي كَرْمِ الرَّجُلِ : كَرْمٌ»^(١) بفتح فسكون ، وقد وجدنا صدى للهجة بكر بن وائل في كتاب الله أذكى منها :

أ) قال تعالى « حَقٌّ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ »^(٢) .

قرأ زيد بن علي « بما رحبت » بسكون الحاء^(٣) .

ب) وقال تعالى « كَبَرْتَ كَلْمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفواهِهِمْ »^(٤) .

فقد قرئ « كَبَرْتَ » بسكون الباء - وهي لغة تميم^(٥) .

ويجوز في هذا التفريع أي صيغة « فَعَلَ » ، أن تنقلضمّة عينه إلى فائده فيكون على وزن (« فعل ») بضم الفاء وتسكين العين - وعليها قرئه قوله تعالى « وَحَسْنٌ أَوْ لَشْكَ رَفِيقًا »^(٦) « وَحَسْنٌ » بضم الحاء وسكون السين ، والذي حدث في تلك الصيغة : أن حركة السين وهي الضمة ، نقلت إلى الحاء قبلها - وقد عزّ هذه الصيغة المتقدولة حركتها - أبو حیان « إلى لغة بعض قيس »^(٧) - ويظهر أن التقليل في الحركة هنا لا يصح إلا إذا لحنا معنى التعجب فيها ، لأن التغيير في اللفظ بالنقل صعبه معنى آخر زائد وهو التعجب ، وهذا معنى كلام الرضي « من أن فَعَلَ - الذي فيه معنى التعجب يقال فيه فعل »^(٨) بسكون العين وضم الفاء .

واستشهد لذلك بقول الأخطل :

« وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ »

ولعل ذلك دلالة على نقله إلى معنى التعجب^(٩) .

(١) الكتاب : ٢٠٧/٢

(٢) التوبة : آية ١١٨ .

(٣) البحر : ٤٤/٥ .

(٤) الكهف : ٥ .

(٥) البحر : ٩٧/٦ .

(٦) النساء : ٦٩ .

(٧) البحر : ٢٨٩/٣ .

(٨) شرح الشافية لابن الحاجب : ٤٢/١ .

(٩) شرح الشافية : ٤٣/١ .

وأصل : حَبْ : حَبَّ - بفتح العين ، ثم حول إلى فَعُل : بضم العين لإرادة المدح والتمجب فصار « حَبَّ » بضم العين ، ثم نقلت العين إلى الفاء بعد حذف حركتها فصار : حَبْ بضم فتح .

وفي نسبة البيت السابق إلى الأخطل دليل يفيدنا في قضيتنا ، وهو أن هذا التفريغ في الصيغ لم يكن في تقييم فقط ، ولكنه شمل أجزاءً كبرى من الجزيرة العربية - فالأخطل لهذا من تقلب ، وتقلب وبكر ابنها وائل من ربعة . وفي الكامل للمرد نجد شيئاً من التفريغ في صيغة فعل بضم العين ، وتحويلها إلى فَعُل بسكونها .

من ذلك قول عمران بن حطان :

مِنَ الْأَزْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمَ مُعْشَرٍ يَانِيَ طَابُوا إِذَا نَسِيبَ الْبَشَرِ^(١)

ويعقب المرد على البيت السابق بقوله : وينشد :

(يَانِيَ قَرُبُوا إِذَا نَسِيبَ الْبَشَرِ) بسكون الراء .

يريد : قَرُبُوا - بضم الراء . قال المرد : « وهذا جائز في كل شيء مضموم أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب : تقول في الأسماء : في فَخِذٍ : فخذ وفي عَضْدٍ : عضد بسكون العين ، وتقول في الأفعال : كرم عبد الله بسكون العين أي كرم^(٢) ، وقول المرد « وهذا جائز ... » دليل على أن هذا ليس بابه الضرورة ، بل يكون في سعة الكلام .

وإنما كان القصد من هذا التفريغ - هو التخفيف ، لأن النطق بصيغة : فَعُل بسكون العين أخف من صيغة فعل : أي بضم العين ، ولا شك أن السكون أخف من الضم ولو لم يسكنوا العين وتركوها على الضم ، لترتب عليه أن اللسان ينتقل من الأخف وهي الفتحة - إلى الأنقل منه - وهي الضمة ، وهذا سكتت الضمة في تفريغه ، لأن السكون أخف . ويظهر أن التسكتن كما كان في الكلمة الواحدة عند تيم ، شمل الكلمتين أيضاً ، ويظهر هذا في غير المتصل بأن تكون الكسرة أو الضمة ليست في وسط الكلمة - كما تقدم من الأمثلة - بل ينظر إليها يجانب كلمة أخرى ، ومن هذا أنهما يسكتون هام - هو وهي ، إذا سبقها واو ، أو فاء ، أو لام ، وقد وردت بعض القراءات على ذلك : منها قوله تعالى « وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣) » ، « وَإِنْ

(١) الكامل : ١١١/٢ ط حجازي ١٣٦٥

(٢) الكامل للمرد : ١١٤/٢ .

(٣) البرة : ٢٩ .

وإنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفَقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ^{١١} ، وإن الدار الآخرة لتهي
فقدقرأ عدیدون بسکون الماء من الآيات السابقة، منهم أبو عمرو و
جعفر^{١٢}، وعزا صاحب الإتحاف هذا التسکین الى نجد، كما نسب التحریک فيها ا
والسبب في هذا التسکین عند نجد أو تمیم أن (فَيَهُوَ) على وزن (فعل) ف
نسکن عضد - فتکون (عَضْدُ) ، جاز تسکین الماء من (فهو) التي يوزن (
العين فتصير (فهو) ، وهو) ، بسکونها وهذا إن دل فإنما يدل على أن التسک
شاملًا في تمیم في الأسماء والأفعال .

وما جاء من التفریع على تلك الصیعة قوله تعالى « فَسَخَرَ عَلَيْهِمُ السَّقَفُ »^{١٣}
الكاف وهي قراءة الجھور ، وقد عزاهما أبو حیان الى تمیم^{١٤} وهي مخففة من « الـ »
العين ، كما عزا صاحب البحر صیفة « عَضْدَا » في قوله تعالى : « وَمَا كُنْتَ مُتَّ
عَضْدًا »^{١٥} الى تمیم^{١٦} ، وبهذه اللغة قرأ عیسی^{١٧} ، وفي المصباح عزیت الى
وائل^{١٨} على حين وقد عزا ابن منظور ناقلاً عن أبي زید أن صیفة « العُضْدُ والْعَجْزُ »
في لغة تهامة^{١٩} ، وفي المصباح أن تلك الصیفة السابقة معزوۃ الى الحجاز^{٢٠} ، وهذا
التفریع لم يكن في الحجاز ، ويشير الى معنی آخر وهو أن اللهجات كان بعضها يحمل
في نظر اللغويين والرواۃ ، فالصیفة عزیت في كتاب الى تهامة ، وفي كتاب آخر الى

(١) البقرة : ٢٧١ .

(٢) العنكبوت : ٦٤ .

(٣) إعاجف وضلاء البشر : ١٣٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) التحل : آية ٢٦ .

(٦) البحر : ٤٨٥/٥ .

(٧) الكهف : آية ٥١ .

(٨) البحر : ١٣٧/٦ .

(٩) مختصر شواذ القرآن ابن خالویہ : ٨٠ .

(١٠) المصباح : ٦٣٥/٢ .

(١١) اللسان : ٢٨٣/٤ .

(١٢) المصباح : ٦٣٥/٢ .

شك أن الصيغة الأصلية هي : عُضْد - بفتح فضم - ثم حدث فيها التخفيف فسكنت الصاد ، فصارت : عَضْد : بسكون الصاد - وأما نطقها في تهامة عُضْد : بضمتين فهي صورة متطرفة عن الأصل ، ولأنها أخف من عَضْد - واللغة في سيرها تميل الى السهولة ، وقد سبق أن جاءت القراءات في تلك الكلمة في لجأة تميم وبكر بن وائل ، أما لجأة تهامة أو المجاز فقد قرأ بها الحسن في قوله تعالى « وما كنت متخد المضلين عَضْداً » بضمتين^(١) .

٣ - تفريغ : « فُعِيل » بضم الفاء وكسر العين الى « فُعْل » بسكون العين :

وهذا الضرب خاص بالفعل المبني للمجهول ، ومن المعلوم أن الفعل في الماضي يضم أوله ويكسر ما قبل آخره في البناء للمجهول، لكنه يحول الى صيغة تفريغية أخرى عند تميم وبكر ابن وائل وتقلب - وهي صيغة : « فُعْل » بضم الفاء وسكون العين ويمكن أن نورد الشواهد الآتية لهذه الظاهرة :

١ - عزا سيبويه الى أبي النجم قوله : (لو عُصِرْ منه السبانُ والمُسْكُ انصر)^(٢) . بضم العين وسكون الصاد - وأصلها : عُصِرْ - بالبناء للمجهول .

٢ - ورد في كتاب الخصص استشهاده بقول الشاعر : (ونُفَخُوا فِي مَدَائِنِهِمْ فَطَارُوا)^(٣) . بسكون الفاء ، ولم يعز البيت الى قائل ، وفي نسخة السيرافي المخطوطة^(٤) على سيبويه عرى هذا البيت الى القطامي ، وكذلك في اللسان مادة (ن ف خ)^(٥) .

٣ - جاء في كتاب « العقة والبررة » ما نسب الى معبد بن قرط العبدي في هجاء أمه من قوله :
تلهمس الوستَّ مشندوداً أشظتهِ كأنسها وَجْهُها قد اسْفَعَ بالنَّارِ^(٦)

بسكون الفاء - في « سفع » .

(١) المصباح : ٦٣٥/٢

(٢) الكتاب لسيبوه : ٢٥٨/٢ ، شرح الشافية : ٤٣/١ ، التصریح عل التوضیح : ١٩٤/١ ، الخصص : من ١٤ ص ٢٢٠ .

(٣) الخصص : س ١٢ ص ٢٢٠ .

(٤) السيرافي عل سيبويه : ٣٢٤/٥ تیمور خط .

(٥) وفي دیوان القطامي المطبوع سنة ١٩٦٠ ص ١٢٣ « ونُسْخُوا » .

(٦) كتاب العقة والبررة : لأبي عبد عمر بن المثنى : ٣٦٥ من نوادر الخطوطات رقم ٧ ط أولى ، جنة التأليف والتزجة : ١٣٧٣ - ١٩٥٤ تحقيق عبد السلام هارون .

وإذا بحثنا في كتب الطبقات والأنساب وجدنا أن أبو النجم صاحب البيت الأول من بكر ابن وائل^(١) من بني عجل . وأن القطامي : هو عمير بن شيم من بني تغلب^(٢) ، فيكون هذا التفريع من « فعل » إلى « فعل » في بكر بن وائل ، وفي « تغلب » الذي هو أخو بكر ، كما يطرد هذا التفريع عند تميم أيضاً^(٣) .

وعلى الرغم من أن التفريع هذا في تميم إلا أن الرضي المحقق - أخطأ عندما نسب آن النجم - إلى تميم^(٤) في بيته السالف - ولعل هذا النسب الخطأ جاء له من شبهة مؤداتها : أن هذا التفريع عند تميم أيضاً .

ويكفي أن تعلم صيغة التفريع السابقة بأنهم كرهوها في « فعل » الكسرة بعد الضمة ، فسكتوا هذه الكسرة حتى لا ينتقل اللسان إلى الثقل ، ولعل صاحب الخصص هذا ناقلاً عن سيبويه قوله « كرهوها في « عصر » الكسرة بعد الضمة » ، كما يكرهون الواو مع الياء في موضع ، ومع هذا أنه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الموضع من الفعل فكرهوا أن يجعلوا ألسنتهم إلى الاستئصال^(٥) .

وإذا التفتنا إلى كتاب الله - التمسنا في قراءته شواهد لهذا التفريع الذي جاء على لسان تميم ، وبكر ، وتغلب :

١ -قرأ أبو السهال قوله تعالى « وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا »^(٦) بـ«سكون العين» ، ولقد حسنت قراءة أبي السهال لأن الكسرة وقعت بين ضميين^(٧) .

٢ - كما قرأ مسلمة بن محارب « جزاءَ لِمَنْ كَفَرَ »^(٨) بإسكان العين في « كفر » .

(١) الشمر والشعراء : ٢٢٢ ط الماحد ، الخصص : س ١٤ ص ٢٢٠ .

(٢) الشمر والشعراء : ٢٢٧ ط الماحد .

(٣) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٢٣ / ٥ ، كتاب سيبويه : ٢٥٧ / ٢ - ٢٥٨ .

(٤) شرح الشافية ٤/١ ، وانظر المامش .

(٥) الخصص : س ١٤ ص ٢٢٠ .

(٦) المائدة : ٦٧ .

(٧) البحر : ٥٢٣ / ٣ .

(٨) سورة القمر : آية ١٤ .

٣- وجاء في شرح السيرافي ^{١١} مثل من أمثال العرب وهو : لم يُحِرِّمْ مِنْ فُصْدِلَه . بإسكان الصاد وأصلها : فُصِّدَ - بالبناء للمجهول ، ولكن جاءت صورتها بالسكون في المثل - وهي ولا شك صيغة تفريعية من المبني للمجهول .

تلك هي أهم التفريعات وكلها في تمام ومن لف لفهم من بكر بن وائل وتقلب وربيعة ، أما صيغة (يُفَصَّل) بفتح الفاء والعين فلا تفريع فيها ، لأن الفتح خفيف فلا داعي للخروج عنه ، قال سيبويه « وأما ما قوالت فيه الفتحتان ، فإنهم لا يسكنون منه ، فلا يقولون في جل (فتح الميم) جل (بسكونها) ^{١٢} . وأرى أن سيبويه والسيرافي قد جانبهما الصواب ^{١٣} .

إسكان حركة الأعراب :

وتسكن حركة الأعراب للتخفيف ظاهرة تميية ، وقد نقلها القراء عن أبي عمرو بن العلاء ، ولها شواهد عده في القراءات ، والمنشور من كلام العرب ، والشعر ، فمن ذلك قوله تعالى « فتوبروا إلى بارئكم ^{١٤} » فقد قرأ الجمهور بظهور حركة الأعراب في « بارئكم » كما روى عن بعضهم اختلاس تلك الحركة ^{١٥} ، وروي عن أبي عمرو الإسكان ، وذلك إجراء لمنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة ، فإنه يجوز تسكين مثل « إبل » فأجري المكسوران في « بارئكم » مجرى (إبل) ^{١٦} بكسرين .

وكل قوله تعالى « وبعلتهن أحق بردهن » ^{١٧} فقرأ مسلمة بن محارب بسكون التاء ^{١٨} . وربما كان ذلك فراراً من كثرة الحركات . وما جاء من إسكان حركة الأعراب قوله تعالى : « ينصركم ^{١٩} »

(١) شرح السيرافي : ٣٢٣/٥ خطوط .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٤٦/٥ خط بالتيمورية ، الكتاب : ٢٨١/٢ ، ٢٥٨/٢ .

(٣) فقد خفف المقتوح بعض القراء : انظر : المحتسب : ٣٠٧/١ أقول : وهم على حق إذ السكون أخف من الفتح ، ولأن السكون يختصر المقاطع ، وبذلك يوفر الجمود . وعل ذلك قراءة أبي الستمال وأبي المتوك وأبي الجوزاء « الجل » بفتح الجيم وإسكان الميم وذلك في قوله تعالى « حتى يلْجَ الجل » الأعراف : ٤٠ .

(٤) البقرة : آية ٥٤ .

(٥) البحر : ٢٠٦/١ .

(٦) النشر : ٢١٢/٢ - ٢١٣ .

(٧) البقرة : آية ٢٢٨ .

(٨) البحر : ١٨٨/٢ ، وختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ١٤ .

في آل عمران والملك ، « ويأمركم » ، « وتأمرهم » ، « وليشعركم »^(١) ، « ويعلمهم »^(٢) فهذه الآيات جميعها قرئت بالإسكان على حذف حرقة الإعراب ، « وذكر أبو عمرو أن ذلك تتميم »^(٣) كما أن ظهور حرقة الإعراب فيها سبق لغة أهل الحجاز ، ذكر ذلك في الحتسب ابن جنبي .

تھیس:

- ١ - أرى مما سبق في إسكان حركة البنية ، وحركة الإعراب – أنه من خصائص قيم ، وجاورها كبكر بن وائل ، وتغلب ومن لف لفها .
 - ٢ - وأن لهجات المحجاز تحتفظ بالصيغ دون حذف أو تغيير ، فالصيغ ثابتة .
 - ٣ - أن هذا التفريغ في قبائل قيم وغيرها – تطور عن الصيغ المحجازية الثابتة .
 - ٤ - أن ظاهرة حذف الحركات تتلاهم وقيم البدوية ، حيث إنهم يميلون الى السرعة في النطق الذي ينتهي الى الاقتصاد في الجهد العضلي ، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد وهو ما يهدف إليه البدوي – بعكس المحجاز المتحضرة التي تهدف الى إعطاء كل صوّاً حقه من الوضوح والبيان .

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٩ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٦٢ .

(٣) البحـر : ١٨٨/٢

(٤) المحتسب : ابن جنی : ١١٤/١ مخطوط بالليمورية .

(٥) لعله يقصد «الفتحة الصريحية».

(٦) الاتقان : للسيوطى : ١/٩٥ .

بالجملة نزل كذلك بالرحة والرأفة ، والذي يؤيد ما أرجحه ما ورد عن أبي عبيدة من قوله « أهل الحجاز يفخمون الكلام كله »^(١) ، وكان المقصود هو نطق الحركات كاملة دون الجور عليها بالتسكين ، وتلك سمة حجازية .

وهناك استثناء من تلك القاعدة العامة ، وهو أن أهل الحجاز يسكنون الشين من (عشرة) فيقولون « إحدى عشرة » بينما قيم تقول ذلك بالكسر . وهذا عكس ما نعرفه عنها ، لأن المعروف أن تيماً تسكن العين من فَعِيل وفَسَّـلَة ، والهزاز يحرّكون ذلك ، ووردت نصوص تؤيد ذلك ، منها :

قوله تعالى : « فانفجرتْ مِنْهُ اثْنَتَانِ عَشْرَةَ عِيْنَا »^(٢) فقد نسب أبو حيان إسكان الشين إلى الحجاز ، وكسرها إلى تيم^(٣) . وعن ابن خالويه – أن كسر الشين قراءة الأعش^(٤) . كما قرأ ابن وثاب قوله تعالى « وَقَطَعْنَا هُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أَمِّا »^(٥) بكسر الشين وهي في تيم ، والجمهور بالإسكان وهي لغة الحجاز^(٦) ، وفي نوادر يونس « أَنْ تَيْمَّاً تَنْقُلْ عَشْرَةً ، وَتَكْسُرْ الشِّينَ . وأَهْلُ الْهِجَازِ لَا يَحْرُكُونَ »^(٧) .

وقد يعمل لكل من المجترين حيث خالفتا معتاد لغتها ، وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثاني من الثلاثي إذا كان مضموماً أو مكسوراً – وأما قيم فتسكين ذلك – وسبب المخالفة في العدد أنه قد نقضت في كثير منه العادات من ذلك قولهم في الواحد : واحد وأحد ، فلما صاروا منه إلى العدد قالوا : إحدى عشرة – فبنوه على فعلٍ ، ومنه اقتصارهم من ثلاثة إلى تسعين على أن أضافوه إلى الواحد ، ولم يقولوا ثلاث مئات ولا أربع مئين^(٨) . ويرى ابن جنى « أَنَّ الْعَدْدَ مَوْضِعٌ يَحْدُثُ مَعَهُ تَرْكُ الْأَصْوَلِ »^(٩) وهذا تركت كل من المجترين لهجتها إلى لهجة

(١) الإتقان : ٩٥/١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٦٠ .

(٣) البحر : ٢١٨/١ .

(٤) مختصر شواذ القرآن : ٦ - ٥ .

(٥) سورة الأعراف : آية ١٦٠ .

(٦) البحر : ٤٠٦/٤ .

(٧) المزهر : ٢٧٥/٢ .

(٨) شرح المفصل لابن يميش : ٢٧/٦ .

(٩) المحتب : ابن جنى : ٣٢٥/١ - ٣٢٦ . مخطوط بالティمورية .

أخرى ، فاسكن من كان يحرك ، وحرك من كان يسكن . والمقارنة مع بقية اللغات السامية في هذا اللفظ تثبت أن اللفظ في السامية الأم لم يكن فيه حركة بعد العين ، ففي العربية هو ومعنى هذا أن لجعة الحجاز على الأصل ، بينما (عشرة) بالكسر في تيم من قبيل احتلال الحركة ، وهو ما يسمى بالقلقة^(١) .

هـ - يلاحظ أن هذا التحول الداخلي الحركي في الكلمة في ضوء ما سبق من الأمثلة ، كان سبباً في ثراء لهجات القبائل فأناها فيضاً غامراً من كثرة الوجوه ، وتولد الصيغ ، ومرادنة الانتقال من صفة إلى أخرى . فقراءة حفص « مالك يوم الدين » الفاتحة ؛ غير قراءة أبي هريرة وعاصم الجحدري « ملك » بسكون اللام ، وما غير قراءة الحسن وابن يعمر وعلي بن أبي طالب « ملك يوم الدين » فعلاً ماضياً ونصب ما بعده (البحر ٢٠/١ وانظر : ابن خالويه ١) إذ الأولى : اسم فاعل ، والثانية صفة مشبهة والثالثة فعل ماضٍ .

وقفة :

ولكن يظهر أن القبائل الشرقية - كتميم وبكر وريمة وأسد وقيس وعقيل وغيرها من قبائل الشرق - لم تكن على درجة واحدة من الميل إلى تسكين البنية ، بل تتفاوت كل قبيلة عن الأخرى في ميلها إلى تسكين وسط الكلمة - تفاوتاً قليلاً - أمكنني أنلاحظ ، وأن آسجل تفاوتها بين هذه القبائل الشرقية ، وإن كانت السمعة الغالبة عليهم جيماً هي ميلهم إلى التسكين .

١ - فأسد وإن كانت تجنيح إلى إسكان البنية - إلا أنها في بعض الأحيان تختلف ذلك ، فمن ذلك ما جاء في شرح السيرافي على سيبويه من أن « فعل » بضم الفاء وسكون العين تضم بنو أسد عينه إتباعاً لأوله ، فإذا كان بضمتين « فعل » تسكته تيم^(٢) . وفي قوله تعالى « ويأمرون الناس بالبخل »^(٣) فقد عزا الفراء : التثليل في « البخل » إلى أسد^(٤) ، ومراده التثليل أي النطق بالحركات كاملة ، أي أن أسدأ تنطق بالصيغة مكتملة ، على حين عزا التخفيف إلى تيم ، والمراد بالتخفيف التسكين ، لأن التسكين أخف على اللسان من غيره على حين

(١) رابين : ٩٨ .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٦/٤ .

(٣) النساء : آية ٢٧ .

(٤) البحر : ٢٤٧/٢ .

نطقت الحجاز كأسد^(١) : أى باكمال الحركات ، وأما ببكر بن وائل فسارت سير تميم في التسكين ، قال ابن خالويه : بالبخل – (بفتح فسكون) لغة ببكر بن وائل^(٢) ، وعلى هذه اللغات جميعاً قرأ القراء كما في البحر^(٣) .

٢ - وفي كنز المخاطب أن الفراء حكى عنبني أسد قوله : هل رأيت عيناً^(٤) ؟ بفتح العين والياء في معنى : أحداً . وبعض العرب يقول : ما بها عين بسكون الياء .

٣ - وجاء في اللسان أنبني أسد يقول : في أسنانه حفر^(٥) . بفتح العين ، والحفر ما يلزى بالأسنان ، بينما غيرهم يقول : حفر . بسكون العين .

فالسمة الغالبة في هذه النصوص لبني أسد أنها آثرت الحركات على السكون ، وإنما قلت في هذه النصوص فقط ، لأن المأثر عنها حذف الحركة مثل قراءة «ندرأ» في المرسلات ، «وعرفا» فيها أيضاً ، «وخبرأ» في الكهف ، فالإسكان كما ذكر صاحب الاتحاف لغة تميم وأسد وعامة قيس ، والضم لغة الحجاز^(٦) ، وأرجح أن الأصل الضم في هذه الأمثلة ، وأسكن تحفيقاً . فمن النصوص نرى أن أسداً كانت تتردد في حذف الحركات ، أى أنها كانت حيناً تحذف ، وأحياناً لا تحذف . وليس هذا اضطراباً في الظاهرة – بل يسهل علينا تعليل ذلك : أن أسداً من القبائل الكبرى ذات البطون الكثيرة ، والعهاير المتعددة ، فيمكن أن نعزّز صيغ حذف الحركات إلى قبائلها المتاخمة لتميم ، كأن الصيغ المكتملة للحركات إلى قبائلها التي تنحدر إلى ما يقارب البيئات الحجازية ، تلك التي كانت تحرص على اكمال الحركات ، إلا أن حذف الحركات في أسد أكثر من اكمال الحركات لأن قبائلها كانت أكثرها في المنطقة الشرقية والوسطى من الجزيرة العربية تلك التي كانت توفر حذف الحركات .

٢ - أما قيس فقد تقدم أنها أحياناً تسير في ركاب تميم وببكر بن وائل في حذف الحركات القصيرة ، ولكن لا نرى بعض الروايات التي تنسب إليها اكمال الحركات مثلاً ما

(١) البحر : ٢٤٧/٣ .

(٢) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٦ .

(٣) البحر : ٢٤٦/٣ .

(٤) كنز المخاطب : ٢٧٣ .

(٥) اللسان : ٢٨١/٥ .

(٦) الاتحاف : ١٤٣ .

بضمتين ، وعزرا الأصمعي هذه الصيغة الى الحجاز وهذيل^(١) ، وفي معجم البلدان أنها لغة هذيل خاصة^(٢) . وعلى أي حال فسواء كانت اللهجة هي لهجة الحجاز وهذيل ، أم هذيل وحدها فإنها تؤيد ما نذهب إليه من أن الحجاز وماجاورها من هذيل وبطون قيس – كانت لا تحذف الحركات القصيرة .

وأماميم وبكر بن وائل وقبائل ربيعة ، وأكثر قبائل أسد ، وعامة قبائل قيس المتاخمة لتميم – فإنها كانت جميعاً تجتمع الى حذف الحركات القصيرة ، ولعل هذا يتفق مع طبيعة البدو في السرعة في نطق الكلمة ، ولهذا جانب الصواب الأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابه « القراءات واللهجات »^(٣) حيث ذكر أن تسكين العين في « رسول » لغة أهل الحجاز ، والتحريك لغة بني تميم ، ويبدو أن الدكتور شوقي ضيف مال الى ما رأاه الأستاذ عبد الوهاب حمودة أيضاً^(٤) .

وقد وقع أبو حيان نفسه في هذا الخطأ عند تفسيره لقوله تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل »^(٥) حيث ذكر أن قراءة الجمهور – بالرسُل – بضم السين ، كما قرأ الحسن ويعين بن يعمر بتسكنينها^(٦) . ثم قال أبو حيان « وتسكين عينه لغة أهل الحجاز – والتحريك لغة بني تميم »^(٧) .

وقد نرى حذف الحركات ثانية واكتافها ثانية أخرى في اللغات السامية أيضاً، كما رأينا في لمجات القبائل ، ففي الأكادية UZNU^(٨) بينما هي في العبرية Ozen^(٩) باكمال الحركة ، على حين تجدها في العربية : أذن – باكمال الحركة ثانية وبمحذفتها ثانية أخرى ، وذلك في قراءة نافع (والأذن بالأذن) المائدة ٤٥ . ونافع حجازي وقد خالف بيته التي لا تسكن .

(١) اللسان : ٤/٤٢٥ .

(٢) معجم البلدان : ٨/٢٥٢ ياقوت .

(٣) ص ٣٧ ، ط أولى .

(٤) تاريخ الأدب العربي : ١/١٢٦ دكتور شوقي ضيف ط أولى المعرف .

(٥) سورة البقرة : آية ٨٧ .

(٦) البحر : ١/٢٩١ .

(٧) البحر : ١/٢٩٧ .

(٨) برجشترامر : ٤ التطور النحوي .

ثانياً : دراسة الحركات في فاء الكلمة بين لفجات التبائلي العربية :

أ) بين الصم في البدو والكسر في الحضر :

مالت اللهجة التعليمية والبيئات البدوية الأخرى كأسد وبكر بن وائل وقيس عيلان إلى إلشار الصم ، بينما آثرت الحجازية وغيرها من الحضر كقرיש الكسر ، وأدلة ذلك :

أ) ما جاء عن اليزيدي في المزهر من أن تيمًا تضم أوائل : عدوة ، عشوة ، أسوة ، قدوة^(١) . وقرأ أبو عمرو وابن كثير « بالعدوة الدنيا » ، بكسر العين ، والباقيون بضمها^(٢) . والضم أعراب اللغتين عن أبي عبيد^(٣) . وذكر اليزيدي أن الكسر لغة الحجاز^(٤) . وقرأ عاصم والأعشن « أسوة » في الأحزاب وموضعه المتضمنة - بضم المزءة وهي لغة قيس وتم ، والباقيون بكسرها لغة الحجاز^(٥) .

ب) وقال يونس في نوادره « أهل الحجاز يقولون : مرية ، وتم بالضم »^(٦) . وقرأ الجمhour « مرية »^(٧) - بكسر الميم لغة الحجاز - وقرأ السلس والحسن بضمها - وهي لغة تم^(٨) ، وأسد .

ج) وفي (رضوان) بضم الراء لغة قيس وتم^(٩) ، وذكر أبو شامة « أن الصم لبني قسم ، والكسر لأهل الحجاز »^(١٠) ، وقرىء « ورضوان من الله »^(١١) بضم الراء وهي لغة تم

(١) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٢) إرشاد المريد على إبراز المعاني : ٣٣٤ .

(٣) إبراز المعاني : ٣٣٤ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الإتحاف : ٣٥٤ .

(٦) المزهر : ٢٧٦/٢ .

(٧) سورة هود : آية ١٧ .

(٨) البصر : ٢١١/٥ ، مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٥٩ ، الإتحاف : ٢٥٥ .

(٩) المصباح : ٣٥٢/١ .

(١٠) إبراز المعاني : ٢٦٢ .

(١١) آل عمران : آية ١٥ .

وبَكْرٌ وَفِيسٌ عِيلَانٌ^(١) . وقد تكون حجة مُنْ كسر أنه مصدر، والأصل فيه رضيت رضي، ثم زيدت الألف والتون فرددت الياء إلى أصلها، وحجة مُنْ ضم أنه فرق بين الاسم والمصدر . وقد نرى أن بعض من قرأ في هذه الآية الكريمة بالضمة – قرأ بالكسر في قوله تعالى « من اتبع رضوانه » وقد تكفل بالرد عن هذا ابن خالويه حيث قال « إنما أتى باللغتين ليعلمك جوازهما »^(٢) .

د) (صِنوان) بالضم لتميم وقيس، وبالكسر لأهل الحجاز^(٣) . وفي المحتسب أن عبد الرحمن السلمي : قرأ بالضم ، وقراءة الناس صنوان – بالكسر^(٤) .

ه) وعزية (سِخْرِيًّا) بالكسر إلى قريش ، وبالضم إلى تميم^(٥) ، في قوله تعالى : « اتخذناهم سخرياً »^(٦) .

و) كاعزية (قنوان) بالكسر للحجاز ، وبالضم لقيس^(٧) ، كاعزا اللسان ، « قنيان » بالضم إلى تميم وضبة^(٨) – ونسبة إلى كلب : قنيان – بالكسر^(٩) . ويلاحظ أن قبيلة كلب آثرت الكسر لأنها قبيلة حضرية ، إذ أنها عاشت على حدود الشام على الطريق الذي كان يسلكه العجازيون في تجاراتهم مع بلاد الشام ، فبيتهم ليست إلا امتداداً طبيعياً للبيئة الحجازية^(١٠) .

ز) ما روي عن ابن السكري عن أبي زيد أنه ذكر أن الكلابيين يقولون : شواط من نار –

(١) البحر : ٣٩٨/٢

(٢) الحجة لابن خالويه : ورقة ٢٣ خط.

(٣) البحر : ٣٥٧/٥

(٤) المحتسب : ٢/٢ مخطوط بالتيمورية.

(٥) كتاب اللغات في القرآن : ٤٣ .

(٦) سورة مريم : آية ٦٣ .

(٧) المصباح : ٧٩٨/٢ .

(٨) اللسان : ٦٧/٢٠ .

(٩) اللسان : ٦٧/٢٠ .

(١٠) اللهجات العربية : ٨٥ ط ٢ ، تاريخ العرب : ١٦٩/٤ جواد علي .

بالكسر ، وغيرهم يقول : « شواطئ بالضم »^(١) . كما ذكر ابن سيده في مخصصه^(٢) هذا النص نفسه عن ابن السكين .

والكلابيـونـ جـزـءـ مـنـهـ مـتـأـثـرـ بـالـجـعـاجـ - وـمـ الـذـيـنـ سـكـنـواـ فـيـ جـهـاتـ الـمـدـيـنـةـ الـنـوـرـةـ ،ـ ثـمـ كـانـتـ لـهـ حـضـارـةـ وـمـلـكـ الشـامـ - فـهـمـ حـضـرـ^(٣) ،ـ وـهـذـاـ آتـرـواـ الـكـسـرـ ،ـ بـيـنـاـ غـيـرـمـ مـنـ الـبـدـوـ آتـرـواـ الضـمـ ،ـ وـهـذـاـ نـرـىـ اـبـنـ كـثـيرـ وـابـنـ حـيـصـنـ يـقـرـءـاـنـ - بـكـسـرـ الشـينـ ،ـ وـالـبـاقـونـ بـضـمـهـ^(٤) ،ـ وـتـحـدـثـاـ كـتـبـ الـطـبـقـاتـ أـنـ اـبـنـ كـثـيرـ - مـكـيـ^(٥) ،ـ وـأـنـ اـبـنـ حـيـصـنـ^(٦) مـنـ قـرـيـشـ ،ـ وـهـذـاـ لـمـ نـعـجـبـ إـذـاـ قـرـءـاـ بـالـكـسـرـ - فـهـمـ يـثـلـوـنـ لـهـجـتـهـمـ الـعـصـرـيـةـ الـتـيـ تـجـنـجـ إـلـىـ الـكـسـرـ .

ح) نقل ابن السكين عن القراء أنه قال: رِفْقَةُ وَرِفْقَةٍ - لِغَةُ قَيْسٍ وَتَعْيَمٍ^(٧) . وفي المخصص: قالوا : رِفْقَةُ وَرِفْقَةٍ لِغَةُ قَيْسٍ^(٨) ، وربما يوضح النصوص السابقة ما جاء في اللسان « من أن قيساً يقول : رِفْقَةٌ : بالكسر ، وتعيم : رِفْقَةٌ : بالضم^(٩) . كما يؤيد ذلك ما جاء في المصباح^(١٠) ، وما استشهد به البغدادي من قول عمرو بن أحمر :

أَنْشَأَ أَسْأَلَهُ عَنْ حَالِ رِفْقَتِهِ فَقَالَ حَيٌّ فَإِنَ الرَّكْبَ قَدْ ذَهَبَ^(١١)

وصاحب البيت من باهله ، وتحديثنا كتب الأنساب أنها باهله من أصغر ، وأصغر هذه من قيس عيلان^(١٢) لذلك أرجح أن « رِفْقَتِهِ » في البيت السابق يجب أن تكون مكسورة الرااء - استناداً لما سبق من أن قيساً : تكسر . ويرى ابن بري أن جمع رِفْقَةٌ : بالضم رِفْقَاتٌ كعملية

(١) إصلاح المنطق : ١٠٦ .

(٢) المخصص : سفر ١٥ ص ٨٦ .

(٣) في اللهجات العربية : ٨٧ ط ٢ .

(٤) الاتحاف : ٤٠٦ .

(٥) طبقات القراء لابن الجوزي : ٤٤٣/١ .

(٦) طبقات القراء : ١٦٧/٢ .

(٧) إصلاح المنطق : ١١٥ .

(٨) المخصص : س ١٥ ص ٩٢ .

(٩) اللسان : ٤١٠/١١ .

(١٠) ٣٥٩/١ .

(١١) خزانة الأدب : ٣٦/٣ .

(١٢) نهاية الأرب : الفلكشندی : ١٧٠ .

وعلاب^(١) . وأن جمع رفقة : بالكسر رفق مثل سدرة وسدر^(٢) . وقد أشار الكسائي إلى الصيغتين المكسورة والمضمة ولكنه أهل عزوها^(٣) : وربما يقف في طريقنا أن قياساً من القبائل البدوية ، فكيف آثرت الكسر هنا ، مع أن حقها أن تنطق ذلك بالضم – ورد ذلك الشبهة أتنا لانسلم أن قياساً – التي عزى إليها الكسر هنا بدوية كلها ، ولا حضريّة كلها كذلك ، لأنها شعب عظيم بدليل أن اسمها غالب على سائر العادات « حتى جعل في المثل في مقابل عرب اليمن قاطبة : فيقال : قيس وبين »^(٤) . وإذا كان كذلك فارجع أن الكسر المنسوب إليها في تلك الكلمة – يجب أن يحمل على بعض قبائلها المتحضرّة التيجاورت الحجاز ، وهي قبائل كثيرة كبعض هوازن وفرازرة وغضفان ، وأما بقية قبائل قيس الضاربة في بوادي نجد فإنها تنطقها بالضم – كتمم .

ط) كما وردت « قبلًا » بضم القاف والباء من قوله تعالى « وحشرنا^(٥) عليهم كل شيء قبلًا » ، « أو يأتيهم العذاب قبلًا »^(٦) وعزى الضم لتميم ، والكسر لكتانة^(٧) . وكتانة حضريّة ، ولقد قرأ بلهجة تميم عاصم ، وجزة والكسائي^(٨) ، وجميعهم كوفيون – متأثرون بلهجات تميم تلك التي كانت عن كثب من ديارهم .

ي) والحق أن أمثلة كثيرة مما تحت يدها مؤداتها أن الكسر معزو لقبائل الحضر منها :

أ) أن سليمًا تكسر همزة إيان – وتكسرها على أنها لفتهم – جاء عن أبي حيان « وما يشعرون أيان يبعثون » قرأ السلمي : إيان بكسر الهمزة^(٩) . وجاءت مثل هذه القراءة عنه في المحتسب^(١٠) . كما أنهن كسروا الهمزة في قوله تعالى : « يِسْأَلُونُكَ عَنِ السَّاعَةِ

(١) اللسان : ٤١٠/١١ .

(٢) المصباح : ٣٥٩/١ .

(٣) ما تلعن فيه العامة للكسائي : ٢٣ .

(٤) معجم كحاله : ٩٧١/٣ .

(٥) الأنعام : آية ١١١ .

(٦) الكهف : آية : ٥٥ .

(٧) كتاب اللئات في القرآن : ٢٦ .

(٨) الإتحاف : ٢٩٢ .

(٩) البحر : ٩٢/٧ .

(١٠) المحتسب لابن جنی : ٣٣٥/١ خط .

أيّان 'مُسَاهَا' ^١، وقد قرأ بالكسر السليم ^٢، كما جاءت فرامة له مشابهة لذلك في شواد القرآن ^٣، والقارئ الذي قرأ بالكسر هو أبو عبد الرحمن السعدي - وهو من قبيلة سليم، قرأ على لهجة قومه، وما يؤيد ذلك ما جاء في المجمع « وكسر هزة (إيان) لغة سليم » ^٤، وقال عنها الأشموني « وهي شادة » ^٥.

ب) كما أثر الكسر عن سليم أيضاً كذلك فيما رواه ابن مالك عنهم من أنهم يكسرن ميم منذ ومنذ ^٦. وجاء في اللسان « حكى عن بني سليم : ما رأيته منذ ست » بكسر الميم ^٧.

وسلَّيْتم هذه كانت تسكن عن كتب من خير ^٨، ويقع بعض ديارها في منطقة الحجاز ويترتب كما كانت صلاتها وثيقة بقريش ^٩ - فهي حضورية لذلك؛ ولأن ديارها كانت في منطقة تهمن على طرق التجارة.

تعليق :

وليس القول بأن هذه القبيلة تؤثرضم مثلاً، وأن أخرى تؤثر الكسر بالأمر السهل، بل لا بد لذلك من قوانين صوتية غالبية تسير عليها كثيراً، وتتشدّع عنها قليلاً كما سنرى - وكما رأينا، لأنـه كثيراً ما يتعارض بحثنا روایات مضطربة متناقفة في كثير من الأحوال، ويجدد الإنسان صعوبات جمة في استخلاص الحقيقة فمن ذلك :

أ) ما جاء في المصباح في كلمة « الور » إذ قال : « الور » الفرد، والور : التحل -

(١) الأعراف : آية ١٨٧ .

(٢) البحر : ٤/٤ .

(٣) شواد القرآن : ابن خالويه : ٤٨ .

(٤) المجمع : ٢/٥٧ .

(٥) الأشموني : ٤/١٢ .

(٦) المجمع : ١/٦٢ .

(٧) اللسان : ٥/٤٧ .

(٨) نهاية الأرب : الفلالشندى : ٢٩٠ .

(٩) تاريخ العرب : ٤/٢٦١ جواد علي .

بالكسر فيها لتميم ، وفتح العدد ، وكسر النحل لأهل العالية ، وبالعكس وهو فتح النحل ، وكسر العدد لأهل الحجاز^(١) .

ب) وجاء في المزهر عن البيزيدي في نوادره : الحجاز : الشفاعة والوتر (فتح الواو) ، وقيم : الوتر ، بكسر الواو^(٢) .

ج) وجاء في اللسان عدة روايات ألحصها فيما يأتي :

١ - رواية عن الحباني : أهل الحجاز يسمون الفرد : الوتر (فتح الواو) وأهل نجد يكسرؤن . وفي رواية أخرى عنه (وقيم وأهل نجد يكسرؤن)^(٣) .

٢ - رواية عن يونس : أهل العالية يقولون : الـ وـ تـرـ في العدد ، والوتر (بالفتح) في النـحل . وقال أيضاً وقيم تقول : وـ تـرـ (بالـ كـسـرـ) في العدد والنـحل^(٤) .

٣ - رواية عن الجوهري : الـ وـ تـرـ بالـ كـسـرـ : الفـردـ ، والـ وـ تـرـ بـالـ فـتـحـ النـحلـ - هذه لـغـةـ أـهـلـ العـالـيـةـ ، فـأـمـاـ لـغـةـ الـ حـجازـ ، فـبـالـ ضـدـ مـنـهـ ، وـأـمـاـ تـمـ فـبـالـ كـسـرـ فـيـهـا^(٥) .

د) وجاءت هذه الكلمة في مكانين من أمالى القالى .

أ) الـ وـ تـرـ : بـعـنـ الـ فـرـدـ ، يـفـتـحـ فـيـ لـغـةـ الـ حـجازـ ، وـيـكـسـرـ فـيـ لـغـةـ تـمـ وـأـسـدـ وـقـيـسـ - وـفـيـ النـحلـ ، بـكـسـرـ الواـوـ لـأـغـيرـ^(٦) .

ب) جاء عن الأصمى : أن أهل الحجاز يفتحون الواو في الـ وـ تـرـ - بـعـنـ الـ فـرـدـ وـيـكـسـرـونـهاـ فيـ النـحلـ ، وـمـنـ تـحـتـهـمـ مـنـ قـيـسـ وـقـيمـ - يـسـوـوـنـهـاـ فـيـ الـ كـسـرـ^(٧) .

هـ) وفي جهرة ابن دريد : أن كـسـرـ الواـوـ فـيـ الـ وـ تـرـ - بـعـنـ الـ فـرـدـ لـغـةـ حـجازـيـةـ ، وـفـتـحـهاـ نـجـديـةـ ،

(١) المصباح : ١٠٠٢/٢ .

(٢) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٣) اللسان : ١٣٥/٧ - ١٣٦ .

(٤) اللسان : ١٣٦ - ١٣٥/٧ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) أمالى القالى : ١٣/١ .

(٧) أمالى القالى : ٢٣٤/١ .

والوتر الترة - بـكسر الواو لا غير^(١) . وعلق مصحح الجمهرة على الوتر بمعنى الترة بقوله « وقد أجاز الفتح قوم وهو لغة ، فلا معنى للإنكار »^(٢) . ونظراً لأن هذه المادة وردت في القرآن الكريم ، فلا بد من استشارة كتب القراء فيها ، وقد اختارت لهذا ، كتاب الحجة لابن خالويه ، ومفردة قراءة أبي عمرو ، وإبراز المعاني لأبي شامة ، والبحر المحيط لأبي حيyan .

أ) فيرى ابن خالويه أن الوتر بمعنى الفرد - يفتح عند أهل الحجاز ، ويكسر عند تميم ، فاما من الترة والذحل - فالكسر لا غير^(٣) .

ب) ذكر صاحب إبراز المعاني ناقلاً عن مكي وغيره : أن الفتح لغة أهل الحجاز ، والكسر لغة تميم في الوتر بمعنى الفرد^(٤) .

ج) وفي البحر المحيط ذكر أن الوتر في العدد - بفتح الواو لغة قريش^(٥) .

د) وفي مفردة قراءة أبي عمرو : إذا كان الوتر - بمعنى الفرد - فلهجة قريش تجنب إلى فتح الواو^(٦) . وبمقارنة هذه الروايات في الكتب المختلفة يتضح :

١ - أن لهجة قريش كلها الحجاز (وذلك بمقارنة ما جاء في مفردة أبي عمرو ، والبحر المحيط بما جاء في الحجة لابن خالويه واللسان) فكلا لهجتين القرشية والجازية آثرتا الفتح في الوتر إذا كان بمعنى العدد ، كما آثرتا الكسر في الوتر - إذا كان بمعنى الذحل ، وهذا يظهر لنا خطأ رواية المصباح حيث جعلت الكسر في العدد ، والفتح في الذحل ، لأهل الحجاز ، كما أخطأ صاحب الجمهرة حين نسب الكسر في العدد لأهل الحجاز ، لأنهم يفتحون فيه .

٢ - أن تمياً آثرت الكسر في الوتر - إذا كان بمعنى العدد والذحل جميعاً (ويظهر ذلك بمقارنة ما جاء في اللسان في رواية يونس ، وبما جاء فيه في رواية الجوهري ، وبما جاء في الحجة عن .

(١) الجمهرة : ١٤/٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الحجة لابن خالويه : ورقة ١٦٥ مخطوط بدار الكتب .

(٤) إبراز المعاني : ٤٩٥ .

(٥) البحر : ٤٦٧/٨ .

(٦) مفردة قراءة أبي عمرو - خط ورقة : ٧٩ .

ابن خالويه) ، وهذا يظهر لنا خطأ الجهرة حيث عزت الفتح في العدد – لأهل نجد ، لأن نجداً تكسر في العدد والذحل جميعاً .

٣- أن رواية « كتاب القالي » أفادتنا أن قيماً وأسدأً سارتان مع تميم في إشارتها الكسر في الور بمعنى الذحل والعدد جميعاً .

٤- أن أهل العالية سارت في طريق مخالف لأهل الحجاز ، لأنها آثرت : الكسر في العدد ، والفتح في الذحل ، وذلك بمقارنة ما جاء عن يونس والجوهري في اللسان ، ويظهر أيضاً خطأ صاحب المصباح حيث عكس : فنسب الفتح في العدد ، والكسر في الذحل لأهل العالية .

٥- وتكون الخلاصة الصحيحة لهذه الروايات المضطربة المتنافرة في ضوء المقارنات السابقة هي :

- أ) أن تميناً وأسدأً وقيماً – يكسرن الور : إذا كان بمعنى العدد والذحل جميعاً .
- ب) أهل الحجاز ومهم قريش يفتحون الور : إذا كان بمعنى العدد ، ويكسرونه في الذحل .
- ج) أهل العالية على عكس الحجاز ، يكسرن الور : إذا كان بمعنى المدد ، ويفتحونه في الذحل .

وما يؤيدني في هذه الخلاصة أن حمزة والكسائي^(١) قرءاً قوله تعالى : « والشفع والور » بكسر الواو ، بينماقرأ نافع وابن كثير بالفتح^(٢) ، وهذه القراءة تعتبر سندًا كبيراً فيما ذهبت إليه من إشار تميم : الكسر ، وإشار الحجاز الفتح في العدد ، وذلك لأن حمزة والكسائي كلما كوفي ، والقراء الكوفيون استمدوا نماذج قراءتهم من بيئتهم العراقية ، وكانت قبائل تميم تلخص هذه البيئات ، لأن البيئة العراقية تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشريقيها^(٣) ولا شك أن تميم كانت تتناهى ديارها في شرق الجزيرة ، لهذا ظهرت لهجتها على لسان حمزة والكسائي .

كما ظهرت لهجة الحجاز على لسان نافع وابن كثير وكلاماً حجازي – إذ أن نافعاً كان قارئاً

(١) الإتحاف : ٤٣٨ .

(٢) اللسان : ١٣٥/٧ - ١٣٦ .

(٣) في اللهجات العربية : ٦٣ ط ٢ .

المدينة^(١) ، وابن كثير كاتب قاريء مكة^(٢) ، ولهذا استندنا إلى تخطئة رواية المصباح تلك التي عزت إلى الحجاز الكسر في الفرد ، وخطأً رواية الجهرة تلك التي عزت فيها الكسر في الفرد للحجاز ، والفتح في العدد لنجد ، ونجد – كانت تسكتها قيم وأسد وقيس – تلك التي آثرت الكسر في تلك الصيغة .

والآن وبعد أن فحصت هذه الروايات ، ورجحت بعضها – أعود فأعمل لها :

فلهجة الحجاز اختارت الفتح في العدد مثل « الشفع والوتر » ، لأنها أرادت أن تطابق بين لفظ الشفع ولفظ الوتر ، ولو نظرت اللهجة الحجازية بالكسر في الوتر ما حصل التطابق بينه وبين كلمة « الشفع » . وأما قيم فسبب إشارتها الكسر – أنها نظرت إلى المعنى ، فالشفع معناه الروج والوتر معناه : الفرد ، فمعنى الكلمتين مختلف ، فأثرت اختلافها في الحركات – فجاءات الكلمة الوتر مكسورة مخالفة الفتحة في الشفع لاختلافها في المعنى ، ويمكن أن نعمل أيضاً لإشارتها قيم وأسد وقيس الكسر في الوتر بأن الواو من الحروف المستقلة ، وتلك الحروف تؤثر الكسرة على غيرها من الحركات .

هذا ويلاحظ أن الحجاز فرق بين الوتر يعني الفرد ، والوتر في النحل ، وكذلك لمحة العالية حيث سارت على عكس الحجاز – بالحركة ، وفي الحجاز الواو مفتوحة في الفرد ، ومكسورة في النحل ، وفي العالية مكسورة في العدد ، مفتوحة في النحل – فالالتزام كل من اللهجتين المعايرة في الشكل تبعاً للمعايرة في المعنى ، ولا شك أننا ننسى ذلك في اللغة العربية ، فكلمة « الضف » إذا كانت الضاد مضمومة ، تختلف معناها عنها لو كانت مفتوحة ، ولهذا يقول صاحب المصباح « المفتوح » في الرأي ، والمضموم في الجسد^(٣) ، ولا شك أن المعايرة لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الحياة العربية اللغوية .

ب – بين الضم في البدو والفتح في الحضر^(٤) :

كما نجد أن اللهجات التيممية مالت إلى الضم في مقابل الحجازية التي تتجه إلى الفتح ، ومن

(١) طبقات القراء : ٣٣٠/٢ .

(٢) طبقات القراء : ٤٤٣/١ .

(٣) المصباح : ٥٢٢/١ .

(٤) مما يحسن عرضه للتقابل بين حركتي الضم والفتح – أن أبي عمرو بن العلاء كان يتستر خوفاً من الحجاج أن يبطش به ، قال أبو عمرو : فخرجت في الغلس أريد التتفاهم من الموضع الذي كنت فيه إلى غيره ، فسمعت منشدًا ينشد :

ذلك : الفرج : بالفتح بلغة العجاز ، وبالضم : لغة تميم ^١ ، وذلك في قوله تعالى « إن يَمْسِنُكُمْ فرج ^٢ فقرئتم بالوجهين . كما نسب صاحب المصبح « المفتوح للعجاز » ^٣ ، وكما ورد أن (مثله) بالفتح لغة العجاز ، وبالضم لغة تميم ^٤ ، وهذا قرأ ابن وثاب بضم الميم وسكون الثاء ، وابن مصرف بفتح الميم وسكون الثاء ^٥ ، وعزيت (غلظة) بالفتح لغة العجاز ، وبالضم لغة تميم ^٦ ، وبهذا قرأ (ولبعدوا فيكم غلظة) ^٧ بالفتح - الأعمش والمفضل عن عاصم ، وعزاما أبو حيyan للعجاز ، كما قرأ السلمي وابن أبي عبلة بضمها ، وعزاما أبو حيyan لتميم ^٨ ، ونسب المصباح (الزعيم) بالفتح للعجاز ^٩ ، وفي ابن خالويه « فقالوا هذا الله بزعمهم » بضم الزاي ^{١٠} ، وقيل الفتح في الصدر ، والضم في الاسم ^{١١} ، وعزى الضم لأسد ^{١٢} ، وجاء في سورة الأنعام « انظروا إلى ثمره » ^{١٣} الفتح بلغة كنانة ، وبالضم لغة تميم ^{١٤} ، والرواية كثيرة ما يخلطون بين هجق العجاز وكنانة ، كما خلطوا بين العجاز وقريش .

وباستعراض ما سبق عن^{١٥} لنا أن تميماً والبيئات البدوية تؤثر الضم ، لأنها بدوية « ولأن

ربما تكره النفس من الأمر له فرحة كعمل المقال
وسممت عجوزاً تقول : مات الحاج ، فما أدرى بأيها كنت أسر ، أبقول المنشد « فرحة » بالفتح ، أم بقول
المجز : مات الحاج ؟ طبقات الزيدي : ٢٩

(١) كتاب اللغات في القرآن : ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران : ١٤٠ .

(٣) المصبح : ٧٦٣/٢ .

(٤) البحر : ٣٥٨/٥ .

(٥) البحر : ٣٦٦/٥ ، وانظر المحتسب لابن جنني : ٦/٢ - ٨ مخطوط بالティمورية .

(٦) البحر : ١١٥/٥ .

(٧) سورة التوبية : آية ١٢٣ .

(٨) البحر : ١١٥/٥ ، مختصر شواذ القرآن : ٥٦ - ٥٥ .

(٩) المصبح : ٣٨٧/١ مادة « زعم » .

(١٠) مختصر شواذ القرآن : ٤١ .

(١١) أبو حيyan : ٢٢٧/٤ .

(١٢) المصبح : ٣٨٧/١ .

(١٣) سورة الأنعام : آية ٩٩ .

(١٤) كتاب اللغات في القرآن : ٢٦ .

الضم مظاهر من مظاهر الخشونة البدوية ^١ ، كما رجح الدكتور أنيس « أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلى بيئة بدوية ، وأن المشتملة على الكسر تنتمي إلى بيئة حضرية » ^٢ ولكن يقف في سبيل ذلك بعض الروايات التي عزى الضم فيها إلى الحجاز مقابل الفتح التي جنحت إليه قيم .

ج - بين الضم للحجاز ، والفتح لقيم :

وتلك أهم الروايات :

١ - الضف - بالفتح لغة قيم ، وبالضم لغة الحجاز ^٣ ، وفي قوله تعالى « آلآن تَخْفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَيْكُمْ أَنْ فِيهِمْ ضُعْفًا » ^٤ قرأ الحرميان والعربيان والكسائي ... ضعفًا بالضم . وحزنة وعاصم بفتح الصاد وسكون العين ^٥ .

٢ - وعدض بضمتين - لغة الحجاز ، وعدض : بسكون الصاد - لغة قيم وبكر ^٦ ، وجاءت عليها القراءات في قوله تعالى « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذًا لِّمَذْلِمَيْنِ عَضْدًا » ^٧ .

٣ - وفي ديوان الأدب المخطوط للفارابي : أن الزُّهو - بالضم لغة الحجاز ، في الزُّهو ^٨ .
ويقال ذلك : للبلح إذا ظهرت فيه المرة ^٩ ، كما عزى صيغة الضم للحجاز في اللسان ^{١٠} .

٤ - وفي معاني القرآن أنت الجهد - والوجود - بالضم لغة الحجاز ، ولغة غيرهم بالفتح ^{١١} ، وفي شواذ القرآن أن الأعرج وعطاء ومجاهد قرموا (لا يَجِدُونْ جَهَدَهُمْ) بالفتح ^{١٢} .

(١) في الهمجات العربية ٨١ ط ٢ .

(٢) في الهمجات العربية : ٨٢ .

(٣) البحر : ٥١٨/٤ .

(٤) سورة الأنفال : آية ٦٦ .

(٥) البحر المحيط : ٥١٨ .

(٦) المصباح : ٦٣٥/٢ .

(٧) الكهف : آية ٥١ .

(٨) ديوان الأدب للفارابي : ورقة ٣٥٢ مخطوط لغة تيمور ٣٨٣ .

(٩) البلقة في شذور اللغة : ٦٧ .

(١٠) لسان العرب : ٨٢/١٩ .

(١١) معاني القرآن للقراء : ٤٤٧/١ ط دار الكتب .

(١٢) شواذ القرآن: ابن خالويه: ٤ .

٥ - وفي الأضداد أن : العقر - بالضم لغة الحجاز ، وتجد ققول ذلك : بالفتح ولا شك أن
نجدأ - تشمل تيمماً وغيرها من قبائل البدو .
وقال مالك الهذلي :

كرهت العقر عَقْر بني شليل إذا هبت لقارئها الرياح^١

والعقر : أصل الدار ، كاعزيت الصيغة مثل ذلك في كتاب الرحل^٢ .

واستدل لها ابن منظور بقول النبي ﷺ « خير المال العقر »^٣ . وهي هنا لا بد أن تكون
بالضم ، لأن الرسول حجازي .

وربما أن السبب في أن تيمماً وغيرها من البدو خالفت عادتها فنطقت مثل ذلك : بالفتح ؛
لأن الأمثلة السابقة بها حرف حلق ، وحروف الحلق تؤثر الفتحة ، وقد لاحظ ذلك سيبويه^٤ ،
والسر في ذلك أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقى ، تحتاج إلى إتساع في
 مجرها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم ، وهذا ناسبها من أصوات اللين
أكثراها اتساعاً ، وتلك هي الفتحة^٥ ، ولهذا إذا التفتنا إلى القرآن العظيم أمكننا أن نعثر على
قراءات تؤيد هذا المذهب وأسعرض جانباً منها :

١ - قرأ سهل بن شعيب النهمي قوله تعالى « أَرِنَا اللَّهَ جَهَرًا »^٦ وقوله تعالى : « زَهَرَةُ الْحَيَاةِ
الْدُّنْيَا »^٧ بفتح الماء في الآيتين^٨ .

٢ - جاء في البديع أن أبا الستمال قرأ « إِنْ يَمْسِسْكُمْ قَرَحٌ »^٩ بفتحتين^{١٠} .

(١) الأضداد : ابن الأباري : ٢٣ الحسينية .

(٢) البلقة في شندر اللغة : ١٢٨ بيروت .

(٣) اللسان : ٢٢٥/٦ .

(٤) الكتاب : ٢٥٥/٢ .

(٥) في اللهجات العربية : ١٥٨ ، المصنف : ١١٥/١ .

(٦) النساء : ١٥٣ ، البقرة : ٥٥ .

(٧) سورة طه : آية ١٣١ .

(٨) الحتسب لابن جنى : ٧٧/١ خط بكتبة أحمد تيمور .

(٩) من ٣ : ١٤٠ .

(١٠) مختصر شواذ القرآن : ٢٢ لابن خالويه .

٤ - كما وردت قراءة في المحتسب وهي : « ومن الضآن اثنين »^١ بفتح الممزة . وقر « كدأب آل فرعون » بفتح الممزة أيضاً^٢ .

وإذا ما حققنا النظر في هذه القراءات وجدنا أن حرف . الحلق بها جاء مفتوحاً الترتيب في الآيات :

الهاء ، والهاء ، والممزة ، فدل هذا على أن حرف الحلق يؤثر الفتحة – أما في فقد آثر حرف الحلق وهو الهاء – فتح الحرف الذي يليه وهو « الراء » – كما أن حفتح الحرف الذي قبله في مثل : يسْنَح ، يسْفَح ، بسَحَّ .

والبعضيون يذهبون أن مثل هذا لغات : قرْح وقرَح : كَالْحَلْقُ وَالْحَلَبُ ، ولا الحلق في هذا الفتح ، ولا شك أن الصواب جانبهم ، ولهذا نرى ابن جني يخالفهم مع بصري – والمحاذ إلى المذهب البغدادي ذلك الذي يرى أن حرف الحلق هو الذي ج – وقال ابن جني في ذلك « ولا قرابة بيني وبين البصريين لكنها بيني وبين الحق – الله »^٣ . ومخالفة ابن جني مذهب البصريين كما سبق ؟ سببها أنه كان معتزلياً ، والمعتزلي جانب التحرري في الفكر الإسلامي ، وهو في العربية أشبه بأبي حنيفة في الفقه .

ونرى أن « عَقِيلًا » كانت دائماً تؤثر الفتح مع حرف الحلق قال ابن جني « رأى من عقيل لا أحصيهم يحرك ذلك وهو قول بعضهم : نَسْحَوْه – بفتح الحاء – يريد : ذ و كان الشجري ^٤ يقول : أنا مَحَمُوم : بفتح الحاء ، وقال مرة : وقد رسم له الطبيب التناحر ويرمي بثقله ، فلم يفعل ذلك وأنكره الطبيب عليه فقال : والله لقد كنت أوعلنيتَه تَسْنَدُوا – بفتح الفين ، وقال ابن جني : سمعت جماعة منهم : وقد قيل لهم أقيمت لكم أثواركم من الخبز قالوا : فاللَّحْمُ : يريدون : اللَّحْمُ ^٥ . وما جاء عن

(١) سورة الأنعام : آية ١٤٣ ، بالمحتسب : ٢٨٥/١ تيمور .

(٢) البحر : ٣٨٩/٢ .

(٣) المحتسب : ١٩٧/١ خط في مكتبة تيمور .

(٤) المحتسب : ١٩٧/١ .

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن العساك العقيلي : المخصائق : ١٥/١ هامش .

(٦) المحتسب : ٧٧/١ خط في مكتبة تيمور .

قولهم (الطعم) وهو ما يشتهر من الطعام ، وليس للغث طعم (والطعم) بفتحتين لفظة كلابية^١ .

ومثل مارأينا في تلك القبائل من أن حروف العلقة عندهم تؤثر الفتح - نرى مثله في العربية ، فال فعل بـ لـ مـ يعني قوئي - كانت ينبغي أن يكون مضارعه - قياساً على مضارع الثلاثي الصحيح بـ حـ مـ بتسكن الحاء ، ولكنها تؤثر الفتح لحرف العلقة وهو الحاء فيقولون : لـ لـ مـ

ولنا من كلام « عقيل » وغيره ما يؤيد قضيتنا - فعقيل - التي تفتح حرف العلقة - مثلها مثل قيم في البداوة - وهي الأخرى فتحت حرف العلقة - فكأن البيئات البدوية تلتزم هذا النمط من الفتح في حرف العلقة .

وكما يفتح حرف العلقة يفتح كذلك حروف الاستعلام وهي : (ص ض ط ظ ظ ظ خ ق) ولا شك أن الحروف المستعملة لها صفة القوءة ، إذ فيها يعلو اللسان إلى العحنك أطبقت أو لم تطبق ، ولهذا آثرت الفتحة لخفتها ، ويمكن أن نجد ما يؤيد ذلك من اللهجات القديمة جاء عن أبي زيد « أنه سمع بعض العجلانيين يقول : هذا سطر - بفتح موضع الفاء والعين »^٢ - بينما تطرق تلك الصيغة بسكون الطاء في لغة اليمهور . وجاء ما يشبه هذا النص في المصباح إلا أنه قال : « في لغة بني عجل »^٣ واستشهد ابن السكري للصيغة المفتوحة بقول جرير :

من شاء بايته مالي وخلعته ما تكل التيم في ديوانهم سطراً^٤
بفتح الطاء .

تعليق :

١ - وما يزيدني تمسكاً بهذا ما ورد في إصلاح المنطق من أن اللَّحد واللُّحد « الرفع والرقة »

(١) المصباح : ٥٦٩/٢ .

(٢) نوادر أبي زيد : ٨٥ .

(٣) المصباح : ٤٢٢/١ .

(٤) إصلاح المنطق : ابن السكري : ٩٦ - ٩٥ .

لتيم الفتح ، والمم لأهل العالية^١ ، (والمراد بها هنا الحجاز)) ، بدليل أن المصباح عزا
الضم للحجاز^٢ . كما ذكر صاحب المخصص ما يفيد هذا^٣ .

٢ - وفي خطوط أبي القاسم بن سلام : أنه عزا الصرع : بالفتح لتيم^٤ ، كما عزا ابن سيده :
الكسر لقيس ، والفتح لتيم^٥ .

وكل هذا يشير إلى أن تيمياً ومن لف لها من قبائل البدو تؤثر الفتح إذا ما وجد حرف
الحلق . والأمثلة السابقة :

مثل : اللحد ، الرفع ، الصرع – اشتملت على حرف الحلقة ، كما أنه يلاحظ أن لهجة تيم
وغيرها من البدو تتأثر ببعاورة الأصوات – إذ أنها تأثرت بوجود حرف الحلقة في تلك الأمثلة ،
يعكس لهجة الحجاز لهجات الحضر ، كما أرجح أن كلتا الصيغتين الحضرية والبدوية كانتا تستعملان
في زمن واحد ، ولكن في بيئتين مختلفتين .

٣ - وكما ورد الإسكان في عين الكلمة ولامها ، وفتح في فاءها نادراً ، وذلك في قراءة مسلمة
« هل أتى على الإنسان » بفتح اللام وسكون الهمزة . ويرى بعض المحدثين أن الروايات
لم تعطنا سوى هذا المثال لهذه الظاهرة ، ومن أجل هذا لا ينهض أن يكون أساساً لبحث
واضح المعالم . (انظر دراسة صوتية في القراءات الشاذة للدكتور عبد الصبور شاهين) .

ثالثاً ، المياثلة في الحركات : Vowel - Harmony

قبل أن ننسبة إلى أي قبيلة يحسن أن نعرض بعضًا من النصوص حق تعرف على القبائل التي
تقليل إليه أو التي لا تقليل . والانسجام ظاهرة عامة في جميع اللغات ، ولقد لاحظه المتقدمون
وعلى رأسهم سيبويه ت ١٨٠^٦ ، وكان يسمى هذه الظاهرة بـ (المضارعة) ويقصد بها تقارب
الأصوات المجاورة : الكتاب ٤٢٦/٢ . ومنهم ابن جني ت ٣٩٢^٧ حيث ذكره بأنه « تقارب »

(١) إصلاح النطق : ٩٠ .

(٢) المصباح : مادة ٣٥٧/١ « الرفع » :

(٣) المخصص : سفر ١٥ ص ٧٦ .

(٤) الغريب المصنف : لأبي عبد القاسم : ص ٢٣١ خطوطبة بدار الكتب رقم ١٢١ .

(٥) المخصص : سفر ١٥ ص ٧٤ .

صوت من صوت «^١ وسماه مرة أخرى في كتابه (المنصف) « بالتجنيس ». وكانت ابن جنبي بارعاً في خلق هذا الاسم لظاهرة الانسجام ، بل هو في نظرنا أصح من غيره ، وقد ضرب ابن جنبي عدة أمثلة يلمح فيها هذا التقريب فن ذلك :

« الحمد لله ، والحمد لله » ^٢ بتغليب الحرف المتقدم على المتأخر كما في المثال الأول ، أو المكس كما في المثال الثاني ، كما عد تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو « شعير » وبغيره ، ورَغيف » ^٣ ومن التقريب ما ذكره الشجيري « زئير الأسد يريد : الزئير » ^٤ ، كما أن من التقريب أو الانسجام في الحركات قولهم « منتن - بكسر الميم والتاء » ^٥ وأصلها منتن - بضم الميم وكسر التاء ، وحذف أبو زيد عن العرب أنه قيل « الجنة لمن خاف وعبد الله » ^٦ بكسر الواو والعين . وفي جميع تلك الأمثلة غلب الحرف المتأخر على المتقدم .

ويظهر أن السر في ميل العربية إلى هذا التقريب أو الانسجام أو المائلة : Assimilation وكلها أسماء متقاربة - أن اللغة نشأت شفوية - لم تقييد بقيود الكتابة ، واكتفى فيها أول الأمر - بالسماح والنطق ، ومدى اقتصر أمر اللغة على السماح وعلى النطق وعلى الانشاد - فلا بد أن تعنى كل العناية بهذا الانسجام ^٧ ، أو التقريب الصوتي الذي ظهر في الأمثلة السابقة ، وعلى كثير من أبواب العربية كالإدغام ، والإبدال ، والإملاء ، والقوافي ^٨ .

ويكفي أن ندرس ظاهرة المائلة على المستويات الآتية :

أولاً : الانسجام في الكلمة :

١ - ويكون في الأسماء ، ويكون أن نرى أمثلة لذلك فيما يأتي :

أ) ما رواه عن أهل الحجاز من أنهم يقولون : سكارى وكسالى وغيارى - بالضم ، وبنو تم

(١) الخصائص : ٥٣١/١ ط الملال .

(٢) الخصائص : ٥٣٥/١ ط الملال .

(٣) الخصوص : س ١٤ ص ٢١٣ ، شرح السيرافي : ٣١٢/٥ خطوط بالقىورية .

(٤) الخصائص : ٥٣٥/١ ط الملال .

(٥) الخصوص : س ١١ ص ٢٠٦ ، الخصائص : ٥٣٥/١ ط الملال .

(٦) الخصائص : ٥٣٥/١ ، ط الملال .

(٧) في الدراسات القرآنية : ٢٦٧ دكتور شاهي ط نهضة مصر .

(٨) من أوائل من أشار إلى ظاهرة المائلة أو التقريب من الحديثين « دانيال جونز » اللغوي الإنجليزي في كتابه An out Line of english Phonetics

يفتحون^١ . وفي شواد القرآن : أن عيسى قرأ : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » بالفتح ، وعزيت لتميم وأسد^٢ ، كما عزا أبو حيان الفم للحجاج وبها قرأ الجمهر^٣ .

ب) ما روي عن عامة قيس وتميم وأسد يقولون للناقة حين الوضع « خضت » بكسر الميم والخاء^٤ . بينما غيرهم يقولونها بفتح الميم .

ج) وفي كتاب التذكير والتأنيث للسبستاني : أنه يقال في الضأن : الضئن – وفي لغة تميم : الضئن – بكسر الصاد^٥ .

د) ما ذكره اليزيدي في نوادره من أن أهل الحجاج يقولون : ولدته لِتَّمام – بفتح التاء^٦ ، وتميم تكسر .

ه) كما عزيت صيغة (منن) بالكسر إلى تميم ، وبالضم في الحجاج حكاها ابن سيده^٧ . وقد جاءت في الخصائص مهملة العزو^٨ .

و) وقرأ أبو عمرو « مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِإِلْكَنَا » بكسر الميم^٩ . والذي يظهر من هذا العرض أن تميناً وقيساً وأسدًا مالت إلى ظاهرة الانسجام ، وعلى العكس منها لمجرة الحجاج ، وأرجح أن القبائل التي تشبه تميناً في البداوة مالت هي الأخرى إلى ظاهرة الانسجام بدليل :

أ) ما جاء عن طيء من أنها تقول : « السؤدد »^{١٠} بضم الدال الأولى في السؤدد – بفتحها –

(١) إصلاح النطق : ١٣٢ .

(٢) مختصر شواد القرآن : ٢٦ ابن خالويه .

(٣) البحر : ٣٧٧/٣ .

(٤) اللسان : ٩ : ٩٥ .

(٥) التذكير والتأنيث : ص ١٢ رقم ٢٦٤ السبستاني .

(٦) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٧) الخصائص : ابن سيده : س ١١ ص ٢٠٦ .

(٨) الخصائص : ٥٣٥/١ ط الملال .

(٩) مفردة قراءة أبي عمرو : ٥٨ خط .

(١٠) اشتقاق ابن دريد : ١٣٠ وستنزل .

حتى تلسعهم الضمة مع الضمة . وقد جاءت رواية مشابهة عن الأزهري ^١ ، وابن منظور ^٢ .

ب) روی عن عاصم أنه يقول : عنقر - بضم القاف - وغيره يقولها : بفتح القاف ^٣ .

ج) ما جاء عن أعرابي من عقيل من أنه يقول « فكاك الرقبة » بفتح الفاء وغيره يقولها : بكسرها .

د) التذنب واحدته تذنبية - وجاء عن الفراء أن بنى أسد تقوله : تذنب . بضم التاء والنون - وغير بنى أسد : بفتح التاء ^٤ .

فالسعة الغالبة على تلك القبائل - هي السمة البدوية ، ولماذا آثرت الانسجام في الصيغ السابقة كما أثر عن قيم كذلك ، لاشراكهم في البيئة البدوية .

٢ - أو يكون في الأفعال :

أ) جاء في الكامل أن قيمًا تقول : فراغ يفراغ - بوزن فعل يفعل - بفتح العين فيها ، بينما قريش تقوله على وزن : فعل يفعل - بفتح العين في الماضي وضمنها في المضارع ^٥ .

ب) والمشهور في قبائل الحجاز أن أسماء الأفعال التي على وزن فعل - تبني على الكسر ، وعن أبي حيyan : أن أسدًا تبنيها على الفتح ^٦ .

وأرجح أن أسدآآثرت البناء على الفتح للانسجام مع ما قبلها ، كما أرجح أن لهجة أسد التي حدث فيها مراعاة الانسجام أحدها من لهجة الحجاز .

فقيم وأسد - وما بدويتان آثرتا الانسجام - دون قريش - وهي في بيئه متحضرة .

٣ - أو يكون في الظروف :

(١) اللسان : ٢١٣/٤ .

(٢) اللسان : ٢٨٩/٦ .

(٣) اللسان : ٢٨٩/٦ .

(٤) اللسان : ٣٧٦/١ .

(٥) الكامل للبرد : ١٦/١ .

(٦) التنديل والتكييل : ٢٩/٥ مصود بجامعة القادره .

فقد جاء في اللسان عن الكسائي أنه سمع في بني يربوع ، وطهية من يقول « حيث » بتصب الثناء على كل حال في الحفظ والنصب والرفع^١ وأرجح أن النصب على الثناء جاء لينسجم مع فتحة الحاء قبلها .

إذا ورد أن تيماً يقول « حوث »^٢ بضم الثناء ، فأرجح أنها آثرت الانسجام ؛ لأن الواو أصلها امتداد للضم ، فكأنهم جانساً بين الواو والضمة .

وهذه القبائل التي آثرت الانسجام - كطهية ويربوع جميعهم من البدو .

٤ - أو يكون الانسجام في الضمائر :

وذلك كقراءة ابن عامر « وتوبوا الى الله جيئاً أية المؤمنون »^٣ بضم الهاء^٤ ، وقد عزا أبو حيان هذه اللهجة إلى بني مالك^٥ ، كما عزّاها الفراء إلى بني أسد^٦ . ولا منافاة ، إذ أن بني مالك من بني أسد^٧ ولا أرى وجهاً لهذه اللهجة إلا أن بني مالك - وهم بدو - حرّكوا الهاء بالضم لينسجم مع حركة ما قبلها .

أما قبائل الحضر فكانت لا تميل إلى الانسجام في مثل هذه الضمائر وذلك :

أ) قراءة سلام قوله تعالى (تؤتِهُ منها)^٨ بضم الهاء ، وعزاها أبو الفتح إلى لغة العججاز^٩ ، كما عزّاها أبو حيان إلى العججاز^{١٠} .

(١) اللسان : ٤٤٥/٢ .

(٢) اللسان : ٤٤٦/٢ .

(٣) سورة التور : آية ٣١ .

(٤) البحر : ٤٥٠/٦ ، النهر الماء : ٤٤٥/٦ .

(٥) البحر : ٩٣/١ .

(٦) إبراز المعاني : ٢٠٠ .

(٧) التصريح : ١٧٤/٢ .

(٨) سورة الشورى : آية ٢٠ .

(٩) المحتسب : ٣١٢/٢ مخطوط بالتيمورية .

(١٠) البعر : ٥١٤/٧ .

ب) وقرأ حفص « وما أنسانيه إلا الشيطان » و « بما عاهد عليه الله » و « قال لأمه امكروا » ^١.

وكان ابن شهاب الزهري يضم تلك الهماء في جميع القرآن، وما ذاك إلا لأنه مدنى حجازي ^٢.

ج) وسمع الكسائي شيئاً من هوازن يقول : « عليه مال » وكان يقول « عليهم وفيهم وبيهم » ^٣.

وهوازن وإن كانت قيسية - إلا أن بعضها قد سكن ^٤ منطقة الحجاز ، وكانت لها صلات بمكة والطائف ^٥؛ ولهذا سارت في ركب الحجاز ، في عدم الانسجام .

وأصل هاء الفائب الضم : كضربه ، وله ، وعنده . وتكسر بعد الكسرة نحو « مرتبه » وبعد الياء الساكنة نحو « فيه وعليه » ، ويقول السيوطي « وكسرها في الصورتين المذكورتين لغة غير الحجاز ، أما الحجازيون فلقتهم ضم هاء الفائب مطلقاً » ^٦ ويظهر أن المحجازيين نطقوا بالضمير مضوماً ، لأن هذا الضمير المجرور في الأصل هو المرفوع المنفصل ، فأصل : بهـ : بهـ فأبقيته الحجاز على أصله ، ولذلك قال سيبويه « وأهل الحجاز يقولون : مررت بهـ قبل ، ولديهـ مال - ويقرءون « فخسفنا بهـ وبدارـ هـ الأرض » ^٧ . وتشبع في لهجات الجزيرة بالسودان هذه الظاهرة الحجازية ^٨ ، مما يؤكـد أن أصلـهم قد هاجرـ إليهاـ من الجزيرة العربية - لاسيـماـ المنطقةـ الحجازـيةـ . علىـ أنـناـ نـشـاهـدـ أحـيـاناـ أنـ بـعـضـ لهـجـاتـ القـبـائـلـ قـطـعـتـ مرـحـلةـ طـوـيـلةـ عـلـىـ طـرـيقـ (ـ الـمـائـلـةـ)ـ أـكـثـرـ مـاـ قـطـعـتـهـ الفـصـحـيـ . وـذـلـكـ أـنـ لـهـجـةـ نـاسـ مـنـ رـبـيعـةـ وـهـمـ بـنـوـ كـلـبـ - كانواـ يـكـسـرـونـ ضـمـيرـ الفـائـبـ الجـمـعـ فـيـقـولـونـ «ـ مـنـهـمـ .ـ عـنـهـمـ .ـ بـيـنـهـمـ »ـ بـكـسـرـ الـهـمـاءـ ؟ـ

(١) المجمع : للسيوطى : ٥٨/١ - ٥٩ .

(٢) كتاب سيبويه : ٢٩٤/٢ .

(٣) اللسان : ٣٦٨/٢ .

(٤) تاريخ العرب : ٣٢١/٤ جواد علي .

(٥) معجم كحاله : ١٢٣١/٣ .

(٦) المجمع : ٥٨/١ .

(٧) الكتاب : ٢٩٤/٢ .

(٨) من لهجات الجزيرة بالسودان : ٩٨ خط .

(انظر : المزهر ٢٢٢ / ١ . والكتاب ٢٩٤ / ٢ لسيبوه . وشرح السيرافي على سيبويه ٤٦٢ / ٥ ، مقدمة شرح القاموس) فإذا كانت لهجة هؤلاء (منهم) بكسر الميم والهاء والميم فهي أكثر تطوراً من الفصحى التي تقول (منهم) يكسر الميم وضمّ الهاء .

ثانياً : الانسجام في كليتين :

١ - ويكون في : التقاء الساكنين :

أ) وي يكن أن نامح ذلك في الروايات العربية ، إذ جاء عن بعض العرب أنهم يقولون « اخشوا القوم » بفتح الواو ، فأرجح أن تلك الفتحة إنما جاءت لتنسجم مع الفتحة قبلها ، وعليها قراءة « أولئك الذين اشتروا الضلال » بفتح الواو ^١ .

كما يمكن أن نامح هذا الانسجام فيما إذا وقعت الميم بعد ضم كقوله تعالى : « أولئك يلعنهم الله » ^٢ ، قوله « وأنت الأعلون » ^٣ بضم الميم للانسجام مع ما قبلها وذلك تأثير تقدمي ، وقد يكون تأثيراً رجعياً كما إذا وقع بعد ثانية الساكنين ما كان مضموماً في الأصل ، كقراءة بعضهم « وقالت اخرج عليهن » ^٤ - فالقاريء أتبع ضمة التاء في قالت - ضمة الراء في - آخر ^٥ ، إذ ليس بينها حاجز إلا حرف ساكن .

ب) كما حكى اللحياني عن طيء ، أنهم يقولون « اطلبوا من الرحمن » ^٦ بكسر الميم والنون ، وتعلل لهجتهم بكسر النون على أصل التقاء الساكنين وإتباعاً لكسرة الميم .

وعلى لهجتهم في الانسجام حكى أبو عمرو عن أهل نجران « برآءة ^٧ من الله » بكسر النون ^٨ .

٢ - كما جاء في غير التقاء الساكنين ، فن ذلك :

(١) المجمع : ٠٢٠٠/٢

(٢) سورة البقرة : ١٥٩

(٣) آل عمران : ١٣٩

(٤) سورة يوسف : آية ٣١

(٥) ابن يعيش : ١٢٧/٩ ، سيبويه : ٢٧٥/٢

(٦) اللسان : ٣١١/١٧

(٧) مختصر شواذ القرآن : ١ ، لابن خالويه ، المحتسب : ٣٥٢/١ خطوط .

أ) ما جاء عن العرب « أخذه ما حدث وما قدم »^١ وإنما ضمت الدال من ححدث حين قرن بقدم ، لأجل انسجام النسق الصوتي ، حفاظاً على الموازنة ، وأصل حدث - على وزن فعل بفتح العين ، ومن ذلك قراءة التخمي « وحير عين » بقلب الواو ياء وجر همها ، في « وحور عين » (البحر ٢٠٦/٨) وقد جاءت الصيغة نتيجة كسر الحاء .

ب) وقد حكى الأخفش أن بعض أسد يقولون « فوانتهم لا يُكَتَّبُونَكَ »^٢ بكسر الفاء والممزة^٣ - كما أنهم يقرءون « إِنَّا ظنَّنَا »^٤ بكسر الواو والممزة^٥ ، كما كانوا يقرءون « إِذَا حَلَّكُتُمْ قِاصِطَادَوْا »^٦ بكسر الفاء .

والذي يلاحظ في هذه القراءات عامل الانسجام القوي - الذي آثرته لهجة أسد - وهي بدوية - في الآية الأخيرة - تأثرت الفاء بكسرة هزة الوصل - فكسرت مثلها مراعاة ل تمام النسق الصوتي .

ومن هذا العرض نلمع ميل القبائل البدوية إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض ، لضرب من التناقضات ومراعاة لظاهرة الانسجام ، وكان العلة في الانسجام عندهم أن اللسان يعمل في العرفيين عملاً واحداً فلهجة البدو متطرفة وفي تطورها تتجه إلى الانسجام ، بينما تجند القبائل المتحضرة كالعجز ومتى سار سيرها قد بالغوا مبالغة شديدة في عدم تقريب الحركات بعضها من بعض ، لأن مجتمعهم محافظ على عوامل التطور عندم ليست لها نفس القوة عند البدوين .

(١) درة الغرائب : ٣٠ .

(٢) سورة الأنعام : آية ٣٣ .

(٣) مختصر شواذ القرآن : ٣٠ .

(٤) سورة الجن : آية ١٢٠ .

(٥) مختصر شواذ القرآن : ٣٠ ابن خلويه .

(٦) سورة المائدة : آية ٢ ، وهي قراءة أبي واقد وأبي البراح . انظر مختصر شواذ القرآن : ٣٠ .

الفصل الثاني

ظاهرة التقريب في الأصوات وتشمل : أولاً : الامالة ، ثانياً : الانسجام

أولاً : الامالة والفتح بين لفجات القبائل :

تعريفها : هو تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة ، ولماذا فهي من المظاهر الصوتية التي يدعو إليها تقريب الصوت من الصوت .

وقد أشار ابن جنی إليها عند حديثه عن الحركات والتقريب إشارة عابرة حيث قال : واعلم أنك قد تجد هذه المضارعة وهذا التقارب بين الحروف ، فقد تجده أيضاً بين الحركات ، حق إنك تجد الفتحة مشوهة بشيء من الكسرة أو الضمة منحواً بها إليها ، وتجد الكسرة أيضاً مشوهة بشيء من الضمة ، والضمة مشوهة بطرف من الكسرة^(١) « أما القسم الأول في حديث ابن جنی فهو المشهور عند إطلاق الامالة ، وقد مثل ابن جنی لتلك الامالة » بفتحة عين عابد ، وعارف ، وذلك أن الامالة إنما هي أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء ، والعلة لذلك كما رأها ابن جنی « لضرب من تجانس الصوت »^(٢) .

ويفهم من نص ابن جنی السابق أنواع الامالة ، وهي ولاشك كانت شائعة على ألسنة القبائل العربية ، ولكن ابن جنی أهل عزوفها كعادته ، فترك ثغرة كبيرة في المعيط اللهجي ، وما ذكره ابن جنی في نصه السابق يشير إلى الحركات المتفرعة عن الحركات الأصلية التي هي الفتحة والكسرة والضمة .

الامالة والانسجام الصوتي :

ظاهرة الانسجام الصوتي من الظواهر البارزة في فقه اللغة العربية ، وفي غيرها من لغات

(١) سر الصناعة : ٤٨/١ ط الحلبي .

(٢) سر الصناعة : ٤٨/١ ط الحلبي .

العام ، فإذا ما اشتملت الكلمة على بعض الحركات المتباعدة نراها تتطور ، وفي أثنا هذا التطور تحوال تقريب تلك الحركات المختلفة فيها وكثيراً ما يكون هذا الانسجام الصوتي على حساب الإعراب نفسه ، ومن ذلك :

(وقال اضرب الساقين إمك هابل)^(١) .

فقد كسر الميم في أمك إتباعاً لكسر الممزة وهذا إخلال بإعراب المبتدأ في سبيل الانسجام الصوتي ، وروى : « وقال اضرب الساقين إمك هابل » .

بضم النون في (الساقين) إتباعاً لهمزة أمك – وفي تلك الرواية أخلـ بالإعراب أيضاً لتقريب الصوت من الصوت . وجبيع هذا يسمى بالانسجام الصوتي ، ولا شك أن الانسجام الصوتي فيه اقتصاد للجهد العضلي ، وهذا الاقتصاد يميل الإنسان إليه من غير تعمد ، فإذا ما ذكر ابن خالويه أن عيسى قرأ : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كساـيـ » بالفتح^(٢) ، وأن ابن قتيبة تحدث عن « رئـيـ » بكسر الأول والثاني في « رئـيـ » بفتح الأول وكسر الثاني^(٣) . وأن أبو السمال قرأ « أحـلـت لكم بهـيـمة الأـنـعـامـ » بكسر الباء في بهـيـمة^(٤) ، علينا أن الصيغ السابقة قد مالت إلى الانسجام الصوتي ، فالانسجام ظاهر في « كـسـالـ » بالفتح ، وفي « رـئـيـ » بكسر الأول والثاني ، وفي « بهـيـمةـ » بكسر الأول والثاني ، ويترتب على هذا الانسجام الاقتصاد في الجهد العضلي ، وقد لمح ذلك سيبويه وعلمه بقوله « ليكون عمل اللسان من وجه واحد^(٥) » كما لاحظ ذلك بعض المحدثين واستشهد بما قاله سيبويه على تلك الظاهرة ، فقد عقد والتر ربان Walter Ripman لذلك فصلاً ذكر فيه الانسجام ، وكثيراً من وجوده تأثير الحروف على بعضها^(٦) . وما الإملالة إلا من هذا الضرب من الانسجام والتقريب ، لأن المدف منها كما يقول ابن يعيش « تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل^(٧) » في الإملالة تقريب الألف من الياء ، لأن الألف تطلب من الفم أعلىـ ، والكسرة تطلب أسفلـ ، فتناقرا ، وهذا جنحت

(١) المصادر : ١٤٥/٢ ط دار الكتب .

(٢) مختصر شواذ القرآن : ٢٦ .

(٣) أدب الكاتب : ٢٩٠ .

(٤) مختصر شواذ القرآن : ٣١ .

(٥) كتاب سيبويه : ١٥٩/٢ ، شرح السيرافي علـ سـيـبـويـهـ : ٣٢٨/٥ خطوطـ بالـتـيمـورـيـةـ .

(٦) الخليل الفراميدى : ١٣٩ .

(٧) شرح المفصل : ٥٤/٩ .

الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء ، وبهذا زال الثقل وحل محل الانسجام والتماثل . وكان ابن جني يرى شبهًا بين الإدغام والإملالة ، من ناحية تقريب الأصوات فهو يقول : « وأما الإدغام الأصغر ، فهو تقريب الحرف من الحرف وإدثاره منه – وهو ضروب ، فمن ذلك الإملالة »^(١) وما الإملالة إلا تقريب الصوت من الصوت ، وقد ضرب سيبويه مثلًا لهذا التقريب في الإدغام حيث ذكر أنهم قربوا في الإدغام – الصاد من الزاي حين قالوا : « صدر » فجعلوها بين الصاد والزاي لالناس الحقة »^(٢) ويقول أبو سعيد في تعليم هذا التقارب في هذا المثال « أن الصاد مهمومة ، والدال مجحورة ، والصاد مطبقة مستعملية ، وليس الدال كذلك والصاد رخوة ، والدال شديدة ، والصاد من حروف الصغير ، وليس الدال منها ، فلهذا التباين استثنوا تحقيق الصاد وبعدها الدال ، فاختاروا حرقًا من خرج الصاد يوافق الدال في بعض ما خالفتها الصاد فيه ، وذلك الحرف الزاي ، لأن الزاي مجحورة مثل الدال ، وليس بمستعملية ولا مطبقة كما أن الدال كذلك »^(٣) .

وكان أبو سعيد يرى هذا الشبه بين الإدغام والإملالة حيث يقول « وكذلك (أي مثل التقريب في الإدغام) قربوا الألف من الياء في الإملالة »^(٤) .

وفي الأمثلة الثلاثة التي سقتها سابقاً وهي : كسامي : بالفتح ، ورئي : بكسرتين ، وبهيمة بكسرتين في أولها كذلك – قد عزيت إلى تميم . بل كثير جداً من الصيغ المنسجمة قد عزيت إلى تميم أيضاً ، فكأن الانسجام أولى بتنيم ومن لف لفها من قبائل البدو ، وإذا كانت الإملالة هي نوع من الانسجام كما قورنا – فلا غرابة في أن عزت كتب القراءات ولغة الإملالة إلى تميم وأمثالها ، وأدلة ذلك .

التباين المميلة :

١ - في شرح الشافية أن الإملالة ليست لغة جيسم العرب ، وأهل العجاز ، لا يملون وأشدم حرصاً عليها بنو تميم »^(٥) .

(١) المصادن : ٥٣٣/١ ط الملال .

(٢) سيبويه : ٢٥٩/٢ .

(٣) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٢٨/٥ خطوط : تمور .

(٤) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٢٨/٥ خطوط في تمور .

(٥) شرح الشافية : ٤/٣ .

٤ - وفي شرح المفصل «وعامة أهل مجده من تميم وأسد وفيس يسرoron إلى الكسر»^(١) ولم يزيد بالكسر : الإملالة ، كانوا يطلقون عليها أيضاً : الترخييم ، والروم ، والبطح ، والاضجاع^(٢) . ومثل ذلك العزو : جاء عن الأشموني^(٣) ، والبحر الحيط ، لكنه زاد « والتخفيم للحججاز»^(٤) ، كانوا يطلقون التخفيم والفتح والنصب^(٥) - على ما خالف الإملالة ، كما عزاماً السيوطي إلى تلك القبائل السالفة^(٦) ، وكذلك ابن الجوزي^(٧) ، وصاحب مقدمة المباني^(٨) . كما عزى الفتح إلى الحجاز^(٩) تارة ، وإلى قريش تارة أخرى ، وذلك عند أبي حيان حيث نسب «المدى» في قوله تعالى : «اشتروا الضلاله بالمدى» بالإملالة لتميم ، والفتح لقريش^(١٠) ، أما القرآن الكريم فكان يراود بين الفتح والإملالة ، وقد ذكرت كتب القراءات في أصولها وفرشها شيئاً كثيراً من ذلك^(١١) . بل كل من أمال أو فهم له وجه في العربية لا يدفع ، وقد لا يذكر لأن كل من أمال أو فتح له طريق واضح في النقل والرواية ، فالحججة ملن فهم - أنه أتي بالكلام على أصله ووجهه الذي كان له ، لأن الأصل التخفيم ، والإملالة فرع عليه^(١٢) ، وقد أمال بعض القراء أفعالاً ففهمها غيرهم ، والحججة في ذلك : أنه أتي باللغتين ليعلم أن القارئ بهما غير خارج عن ألفاظ العرب ، وليس التخفيم والإملالة اختلافاً في نفس اللغة ، وإنما ذلك اختلاف في اللحن وتقدير الصوت وتزيينه ، وقد اختار كل فريق من العرب ما رأه وفق طباعه^(١٣) .

(١) شرح المفصل : ٩ - ٤٤ .

(٢) مجلة كلية الآداب : ص ٣٢ - ١٠ - ١ .

(٣) الأشموني : ٤/٢٢١ .

(٤) البحر : ١/٥٩ .

(٥) إبراز المعاني : ٢٥٢ .

(٦) المجمع : ٢/٢٠ .

(٧) التشر : ٢/٣٠ .

(٨) مقدمتان في علوم القرآن : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٩) الأشموني : ٤/٢٢١ .

(١٠) البحر : ١/٧١ .

(١١) الاتحاف : ٤/٧٤ .

(١٢) الحجۃ لابن خالویہ : ورقة ٣ خلف خط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ .

(١٣) مقدمتان في علوم القرآن : ٢٢٧ - ٢٢٨ تحقيق الدكتور جعفری .

موقف الحجاز من الفتح والأمام

ومن هذا العرض عرفنـا أنـ الـبيـةـ الحـجازـيةـ لـأـ تـيلـ ، بلـ تـجـنـحـ إـلـىـ الفـتـحـ ، وـقـدـ روـيـ عنـ زـيدـ ابنـ ثـابـتـ أـنـ قـالـ «ـ نـزـلـ الـقـرـآنـ بـالـتـفـخـيمـ »ـ^(١)ـ وـالـمـلـوـمـ عـنـ رـجـالـ السـلـفـ أـنـ نـزـلـ بـلـنـةـ الحـجازـ - فـكـانـ الحـجازـ يـفـخـمـونـ ، وـمـاـ يـؤـيدـ ذـلـكـ مـاـ جـاءـ عـنـ أـبـيـ حـيـانـ فـيـ قـوـلـهـ «ـ نـحـيـتـ هـذـهـ الـأـلـفـاتـ نـحـوـ الـوـاـوـ عـلـىـ لـغـةـ أـهـلـ الـحـجازـ »ـ^(٢)ـ وـقـدـ عـدـ أـبـيـ حـيـانـ فـيـ اـرـتـشـافـ الـضـرـبـ مـنـ الـعـرـوـفـ الـمـتـفـرـعـةـ الـمـسـتـحـسـنـةـ فـيـ أـلـسـنـ الـعـرـبـ «ـ حـرـفـ بـيـنـ الـأـلـفـ وـالـوـاـوـ وـيـسـمـيـ الـأـلـفـ التـفـخـيمـ كـمـاـ فـيـ الـصـلـةـ وـالـزـكـاـةـ وـالـعـيـاـةـ - فـيـ لـغـةـ الـحـجازـ وـكـذـلـكـ رـسـمـوـهـاـ بـالـوـاـوـ فـيـ الـكـتـابـةـ »ـ^(٣)ـ .

وـجـاءـ فـيـ الـمـحـتـسـبـ فـيـ تـعـلـيـلـ كـتـابـةـ (ـ الـرـبـاـ)ـ بـالـوـاـوـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ «ـ الـذـينـ يـأـكـلـونـ الـرـبـاـ »ـ^(٤)ـ أـنـ فـخـمـ الـأـلـفـ اـنـتـحـامـ بـهـاـ إـلـىـ الـوـاـوـ الـقـيـ الـأـلـفـ بـدـلـ مـنـهـاـ عـلـىـ حـدـ قـوـلـهـ :

«ـ الـصـلـوةـ وـالـزـكـوـةـ ... وـكـأـنـ الـقـارـيـءـ بـيـنـ التـفـخـيمـ فـقـوـيـ الصـوـتـ »ـ^(٥)ـ . وـفـيـ شـرـحـ الشـافـيـةـ دـأـنـ كـتـبـهـمـ لـهـذـهـ الـكـلـمـاتـ بـالـوـاـوـ عـلـىـ هـذـهـ الـلـغـةـ »ـ^(٦)ـ أـيـ لـغـةـ الـحـجازـ . وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ الـفـتـحـ وـالـتـفـخـيمـ عـنـ أـهـلـ الـحـجازـ ، فـقـدـ تـأـثـرـتـ الـكـتـابـةـ بـلـهـجـتـهـمـ وـأـصـبـحـتـ مـرـآـةـ لـهـاـ ، وـمـنـ ذـلـكـ مـاـ جـاءـ فـيـ كـتـابـ الـمـاصـاحـفـ عـنـ نـائـلـ بـنـ مـطـرـفـ بـنـ رـزـينـ بـنـ أـنـسـ السـلـمـيـ عـنـ أـبـيـهـ عـنـ جـدـهـ قـالـ :ـ لـمـ ظـهـرـ إـلـاسـلـامـ أـقـيـتـ النـبـيـ عـلـيـلـهـ فـقـلـتـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ :ـ اـنـ لـنـاـ بـيـرـأـ بـالـدـيـنـيـةـ قـالـ :ـ فـكـتـبـ لـيـ كـتـابـاـ «ـ بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ .ـ مـنـ مـحـمـدـ رـسـوـلـ اللهـ ،ـ أـمـاـ بـعـدـ :ـ فـإـنـ لـهـ بـيـرـأـ إـنـ كـانـ صـادـقـاـ »ـ ،ـ وـلـمـ دـارـهـ إـنـ كـانـ صـادـقـاـ »ـ ،ـ قـالـ :ـ وـهـجـاءـ ،ـ «ـ كـانـ »ـ ،ـ كـوـنـ »ـ^(٧)ـ .ـ وـمـنـ هـذـاـ النـصـ نـامـ صـلـةـ قـوـيـةـ بـيـنـ لـهـجـةـ النـبـيـ عـلـيـلـهـ ،ـ وـمـاـ أـمـلاـهـ فـيـ الـكـتـابـ ،ـ وـأـرـىـ أـنـ لـشـدـةـ تـفـخـيمـ الـأـلـفـ فـيـ (ـ كـانـ)ـ كـتـبـ وـاـوـاـ ،ـ فـالـحـجازـيـوـنـ كـاـ وـرـدـ فـيـ الـرـوـاـيـاتـ السـالـفـةـ يـفـتـحـوـنـ وـلـاـ يـمـلـوـنـ ،ـ وـأـهـلـ قـيمـ وـأـسـدـ وـقـيـسـ يـمـلـوـنـ وـلـاـ يـفـتـحـوـنـ ،ـ وـلـكـنـ عـثـرـنـاـ عـلـىـ بـعـضـ نـصـوصـ تـقـفـ فـيـ سـبـيلـ تـلـكـ الـقـضـيـةـ وـتـلـكـ هـيـ :

(١) مـقـدـمـاتـ فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ :ـ ٢٢٧ـ -ـ ٢٢٨ـ تـحـقـيقـ الـدـكـتـورـ جـفـريـ .

(٢) الـبـعـرـ :ـ ٠١٧٢/٦ـ .

(٣) شـرـحـ الشـافـيـةـ :ـ ٢٥٥/٣ـ ،ـ سـرـ الصـنـاعـةـ :ـ ٥٦/١ـ طـ الـمـلـيـ ،ـ تـارـيـخـ الـأـدـبـ :ـ حـفـيـ نـاصـفـ :ـ ١٣ـ طـ الثـانـيـةـ .

(٤) الـبـقـرةـ :ـ آـيـةـ ٧٥ـ .

(٥) الـمـحـتـسـبـ :ـ ١٦٢/١ـ -ـ ١٦٣ـ خـطـوـطـ تـيمـورـ .

(٦) شـرـحـ الشـافـيـةـ :ـ ٢٥٥/٣ـ .

(٧) الـمـاصـاحـفـ لـلـجـستـانـيـ :ـ ١٠٥ـ .

أ) جاء في البحر المحيط في قوله تعالى « لا تقصص رؤياك على إخوتك »^(١) أن الكسائي قرأ
بالإمالة وبغير المز - وهي لغة أهل الحجاز^(٢).

ب) قال السيوطي « ومنهم من لم يل إلا في مواضع قليلة - وهم أهل الحجاز »^(٣) فكان أهل
الحجاز أصحاب إمالة أيضاً.

ج) قال صاحب أسرار العربية « والإمالة تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بني تميم
وغيرهم »^(٤).

د) وفي شرح السيرافي على سيبويه « وما يميلون ألفه - كل شيء كان من بنات الياء والواو مما
ها فيه عين ، إذا كان أول فعلت منه مكسوراً نحو الكسرة - كما نحووا نحو الياء فيما
كانت ألفه في موضع الياء - وهي لغة لبعض الحجاز . ومثل السيرافي لذلك بالفعل
« خاف » وأنها أمالته لأنها على وزن فَعِل ، وأصله خوف فلأجل الكسرة المقدرة في
الألف جازت إمالته »^(٥).

فكان أهل الحجاز على شيء من الإمالة في مثل هذا .

ه) عن زر بن حبيش قال :قرأ رجل على عبدالله بن مسعود (طه) ولم يكسر : فقال عبدالله
(طه) وكسر الطاء والاهاء ، فقال الرجل (طه) ولم يكسر ، فقال : عبدالله : (طه)
وكسر الطاء والاهاء ، فقال الرجل (طه) ولم يكسر ، فقال عبدالله (طه) وكسر - ثم
قال : والله لما كذا علمي رسول الله عليه السلام^(٦) فكان النبي عليه السلام - وهو القرشي الحجازي
علم ابن مسعود القراءة بالإمالة .

تردد القبائل الميلية بين الإمالة والفتح :

وإذا رأينا أن البيئة الحجازية قد أمالت - فإننا نجد عكس ذلك ، أي أن البيئة التمييزية
وما يحيط بها من قبائل قيس وأسد - قد فتحت ، وأدلة ذلك :

(١) يوسف : آية ٥ .

(٢) البحر المحيط : ٢٨٠/٥ .

(٣) المجمع : ٢٠٠/٤ .

(٤) أسرار العربية : ابن الأباري : ٤٠٦ ط دمشق .

(٥) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٣٤/٥ مخطوط بالتيمورية .

(٦) التبر : ٩٣/١ ، الإنقان : ٣١/٢ .

أ) في شرح السيرافي على سيبويه عند حديثه عن الأفعال الثلاثية الرواية يقول : إذا بلغت الأسماء أربعة أحرف - أو جاوزت من بنات الواو فالإمالة مستحبة لأنها قد خرجت إلى الياء - وجميع هذا لا يميل ناس كثير من تميم وغيرهم ^(١) .

ب) عزا الفراء - « الفتح لعامة نجد من تميم وأسد وقيس في مثل قال وجال » ^(٢) . أي أنهم لا يميلون في ذلك .

ج) والدليل على أن أصحاب الإمالة وهم (تميم وأسد وقيس) مختلفون فيها ما جاء في خطوطه السيرافي على شرح سيبويه « اعلم أنه ليس كل من أمال الألف ، وافق غيره من العرب من يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه » فينصب بعض ما يميل صاحبه ، ويميل بعض ما ينصب صاحبه ، وكذلك من كان النصب من لفته ، لا يوافق غيره من ينصب ، ولكن أمره وأمر صاحبه كامر الأول في الكسر » ^(٣) . وهكذا الثان في لمحاتنا الحديثة المصرية ، فأهل (القاهرة) يقولون : جري ، مشي ، نسي بالأمالة ، وأهل (البحيرة) يفتحون هذا الضرب من الأفعال ، وترى الأمر يعكس هذا في الأسماء ، فأهل الإمالة في الأفعال (القاهرة) يفتحون في الأسماء نحو : العمى ، والسمّا ، وبيله أهل (البحيرة) ، كما نرى (القاهرة) تقول : تعلمت الإنسا ، والصيف والشتا - بالفتح ، بينما أقاليم (البحيرة) تميل مثل هذا ^(٤) .

اتساع جغرافية الإمالة :

على أن الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليها الأقدمون - وهي تميم وأسد وقيس - وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعاً مما ذكروه ، فقد كانت منتشرة معظم القبائل العربية ، وإن تفاوتت قلة وكثرة ^(٥) . ودليل ذلك ما يأتي :

١ - ما جاء في شرح ابن يعيش معزوًّا إلى هدبة بن الحشرم :

(١) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٣٣/٥ خطوط .

(٢) ابن يعيش : ٥٤/٩ .

(٣) خطوط السيرافي على سيبويه : ٣٤١/٥ .

(٤) عن الشيخ محمد النجار .

(٥) في الدراسات القرآنية واللغوية : ٩٥ . دكتور شلبي .

عسى الله يغفر عن بلاد بن قادر بنهم جون الباب سكوب^(١)

واستشهد به على أن الراء المكسورة – وهي من دواعي الإملالة – غلبت حرف الاستعلاء وهو القاف فأميل « قادر » وأميل على الرغم من وجود فاصل بين الراء والألف^(٢) ، وذلك ما يمنع الإملالة .

وهدبة بن خشرم صاحب هذا البيت يتصل نسبة كاف في ديوان الحماسة إلى سعد بن هذيم^(٣) ، وسعد هذه من قصاعة من القحطانية بدليل ما رواه صاحب الحماسة هدبة بن خشرم من قوله :

إني من قصاعة من يكدها أكده وهي متى في أمان^(٤)

فالشاعر لا يريد أن ينسب نفسه إلى قصاعة فقط ، وإنما هو مختص بها يحميها ، ويدافع عنها ، ويرد كيد من يكيدها من أعدائها ، فكأن قصاعة كانت قليل ، وقصاعة كانت ديارها في الشحر ، ثم في نجران ، ثم في الحجاز ، ثم في الشام^(٥) ، وكان لهم ملك ما بين الشام والجاز ، إلى العراق إلى مشارف الشام ، ويظهر أن هذه الإملالة كانت تنتقل معهم كلما ساروا وحيثما حلوا . ففي الحجاز نرى إملالة^(٦) ، وفي الشام نرى إملالة^(٧) .

٢ - وهناك شاهد آخر يمكن أن نلتمس منه تحديداً لبعض القبائل الممیلة جاء في الكتاب «بلغنا عن ابن أبي إسحق أنه سمع كثير عزة يقول « صار بكان كذا وكذا أي بإمالة الألف في صار »^(٨) . فإذا رجمنا إلى كتب الطبقات وجدنا كثيراً هذا من خزاعة^(٩) ، وخزاعة قبيلة من الأزد من القحطانية^(١٠) ، وكانت مناز لهم بأنحاء مكة في مر الظهران وما يليه . فكأن خزاعة هذه قليل ، وإذا كانت قد حدث خلاف بين علماء الأنساب في أصل خزاعة

(١) ابن يعيش : ٦٢/٩

(٢) شرح الأشموني : ٢٢٩/٤

(٣) مختصر شرح التبريزى : ١٨٧/١ وقد أخطأ المحقق حيث نسبه إلى سعد بن هذيل باللام .

(٤) مختصر شرح التبريزى : ١٨٨/١

(٥) معجم كعبالة : ٩٥٧/٣

(٦) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٣٤/٥

(٧) المقتطف : بيانات سنة ١٩٣٢ : ص ٤٠

(٨) الكتاب لسيبوه : ٢٦١/٢

(٩) الشعر والشعراء : ١٩٨ ط المعاهد .

(١٠) معجم كعبالة : ٢٣٨/١

أعدنانية هي أم قحطانية^(١)؟ فإن أخذنا بقحطانيتها - كان ذلك دليلاً على أن الإملاء منتشرة في بلاد اليمن والدليل على ذلك ما قاله أبو بكر بن مقدم : من أن أكثر أهل اليمن يبيرون ألف حق لأن الإملاء غالبة على أسلفهم في أكثر الكلام^(٢)، وإن أخذنا بعدنانيتها كا يرى مصعب الزبيري - كان هذا دليلاً على أن الإملاء في بلاد الحجاز موجودة، ولعلم أهل الإملاء في الحجاز هم أهل البادية منهم، وأهل الفتح فيهم هم أهل قاربة.

٣- على أننا نجد نوعاً آخر من الإملاء يختلف عما سبق ، فكما رأينا فيما سبق إملاءة الفتح إلى الكسر ، فإننا نرى إملاءة الفتح إلى الفم فيما يقوله ابن جنبي « وأما ألف التقحيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو ، نحو قوله سلام عليك ، وقام زيد ، وعلى هذا كتبوا الصلوة ، والزكوة ، والحياة - بالواو ، لأن الألف مالت نحو الواو »^(٣). وهي كحرف ه في اللغة الفرنسية ، وحكتى ابن جنبي عن قطرب : « أن أهل اليمن يقولون : الحياة - فهذه الواو بدل من ألف حياة ، وليس بلام الفعل من حيوات - وكذلك يفعل أهل اليمن بكل ألف منقلبة عن واو كالصلوة^(٤) والزكوة ويظهر أن هذا النوع من إملاءة الفتحة إلى الضمة كان موجوداً في الحجاز أيضاً بدليل ما جاء في الشافية أنت كتبهم لهذه الكلمات بالواو على هذه اللغة - أي لغة الحجاز^(٥). ومن المعروف أيضاً أن الكتابة العربية قد أخذت من النبطية التي كانت تكتب فيها بالواو - وكذلك في الكتابات العربية الجنوبية . وقد كتبت هذه الكلمات في المصحف بالواو - والذين كتبوه من قريش ، والكتاباة مرآة للهجات كاتبيه ، وهذا مما جعل الداني يقول « رسوا في كل المصاحف ألف واواً في أربعة أصول مطردة »، وأربعة أحرف متفرقة ، فالأربعة الأصول هي « الصلوة »، « والزكوة »، « والحياة »، « والربوا » حيث وقعن ، والأربعة الأحرف هي قوله : « بالغدوة »^(٦) و « كمشكورة »^(٧) و « التجوة »^(٨) و « منوة »^(٩). فكأنهم

(١) معجم كحالات : ٢٣٨/١ .

(٢) مع المراجع : للسيوطى : ٢٠٤/٣ .

(٣) سر الصناعة : ٥٦/١ ط ١ .

(٤) اللسان : ٢٣٠/١٨ .

(٥) شرح الشافية : ٢٥٥/٣ .

(٦) سورة الأنعام : ٥٢ ، الكهف : ٢٨ .

(٧) سورة النور : آية ٣٥ والمشكاة هي الكورة بلغة قوافق الجبشية « كتاب اللغات في القرآن / ٣٨ » .

(٨) سورة غافر : ٤١ .

(٩) سورة النجم : ٢٠ .

توهموا الشدة التفخيم عندم أنها واو ، فرسوها كذلك ، وأرجح أن هذا النطق كان موجوداً أيام النبي عليه السلام ، لذلك كتبت بالواو في المصحف ثم أصابها بعض التطور فتحولت من واو إلى فتحة ممدودة ٰ .

ومما يدل على وجود مثل هذا في لهجات اليمن أيضاً ما يذكره بعض المستشرقين من أن الأسماء العربية المنتهية ب - وُن ، مثل ابن خلدون ، وزيرون ، وهي كلما لأشخاص ينتهي الأصل يرجح أنها أسماء منتهية بأداة التعريف اليمنية (آن) ، ثم أماها اليمنيون على طريقتهم ، وكتبها العرب الشماليون بطبيعة الحال (ون) في إمامتهم نحو الواو^(١) .

٤ - وعند هذا البيان نجد كتب العربية تصرت بعد هذا ، ولا تعطي الباحث أي بيات عن القبائل الميلة ، وهذا أدبر البحث - في جانب آخر ونجول جولة في كتب علوم القرآن عليها تضيء مداخل هذا البحث ، فقد جاء في الإنقاون « وفي جمال القراء عن صفوان بن عسّال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ : « يا يحيى » فقيل له يا رسول الله ، قيل وليس هي لغة قريش ، فقال : هي لغة الأخوال بني سعد »^(٢) وبنو سعد هم حضنة الرسول ﷺ ، وينتهي نسبهم إلى قيس^(٣) ، وثبت قبل ذلك أن قيساً من القبائل الميلة ، لهذا كانت سعد ابن بكر تؤثر الإمالة ، وما يؤيد ذلك ما ذكره الإمام أبو القاسم الهذلي في كتابه « الكامل » : من أن الإمالة في سعد بن بكر^(٤) ، وهذه الأدلة تختلف ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه « في اللهجات العربية » من أن سعد بن بكر مالت إلى الفتح^(٥) . وذكر الشمس بن الجوزي في كتابه منجد المقرئين عن أبي القاسم الهذلي : أن الإمالة أيضاً لغة هوازن ، وبكر بن وائل^(٦) ، وهذا ينافق أيضاً رأي الدكتور إبراهيم أنيس حيث نسب الفتح إلى هوازن^(٧) ، ويمكن أن نلتمس خاتمة للإمالة والفتح في قراءات القراء للقرآن الكريم - تهدينا إلى تحديد مناطق الإمالة والفتح في الجزيرة العربية ، ونظرة

(١) رابين : ٢٩ .

(٢) الإنقاون في علوم القرآن : ١/٩٣ مطبعة حجازي .

(٣) نهاية الأربع : ٢٩٠ .

(٤) منجد المقرئين لابن الجوزي : ٥٩ - ٦٠ .

(٥) في اللهجات العربية : ط ٥٠ .

(٦) منجد المقرئين : ٦٠ .

(٧) في اللهجات العربية : ط ٥٠ .

واحدة في «كتاب النشر في القراءات العشر» ترينا تردد اسم الكسائي (١٨٩ هـ) ترددًا كثيرًا في باب الإمالة ، وأنه كان مكثراً فيها ، فقد تردد اسمه في أكثر باب الإمالة من كتاب النشر^(١) ، وكذلك حزرة (١٥٦ هـ) فقد عده صاحب الإضاءة من المكثرين في الإمالة^(٢) ، فإذا عرفنا أن هذين الشيفيين عاشا في الكوفة^(٣) ، والكوفة كانت مهبطاً لعدد كثير من قبائل أسد ، تلك التي أثر عنها الإمالة^(٤) ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكسائي كان مولى بني أسد^(٥) ، عرفنا أنها أعمال هذان الشيفيان لتأثير البيئة فيها ، وبيئة الكوفة متأثرة بقبائل شرق الجزيرة العربية كتميم وأسد ، وبكر بن وائل - تلك التي أثر عنها الإمالة ، فكأن هذين القارئين مثلاً لججتها في قراءتها خير تميل ، وليس أدلة على ذلك من أن الكسائي قد اختص بإمالة ما قبل هاء التأنيث ، «حتى قبل للكسائي : إنك تميل ما قبل هاء التأنيث ، فقال : هذا طباع العربية»^(٦) قال الحافظ أبو عمرو الداني : يعني بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة وهي باقية فيهم إلى الآن ، وهم بقية أبناء العرب^(٧) وإمالة ما قبل هاء التأنيث التي اختص بها الكسائي هي ما عبر عنها سيبويه بقوله : «سمعت العرب يقولون : ضربته ضربة ، وأخذته أخذة - شبه الهاء بالألف ، فأعمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف»^(٨) فإذا أدير الحديث تجاه قراء القرآن في البيئة الحجازية رأينا ابن كثير المكي (١٢٠ هـ) ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (١٥٧ هـ) ، أما ابن كثير ، فكان إمام القراءة القرآنية^(٩) في مكة ، وقرأ على عبد الله بن السائب المخزومي قارئ مكة^(١٠) ، فكأن البيئة التي عاش فيها ابن كثير بيئه حجازية مكية ، وشيوخه الذين لقنوه أصول القراءة كانوا حجازيين كذلك . فإذا روى عنه صاحب الإضاءة «بأن ابن كثير لم يقل

- (١) النشر : ٣٥/٣
 - (٢) الإضافة في بيان أصول القراءة : ٣٨
 - (٣) طبقات القراء : ٢٦١/١ ، ٥٣٥/١
 - (٤) شرح المفصل : ٥٤/٩
 - (٥) طبقات القراء : ٥٣٥/١
 - (٦) النشر : ٨٢/٢
 - (٧) النشر : ٨٢/٢
 - (٨) الكتاب : ٢٧٠/٢
 - (٩) طبقات القراء : ٤٤٣/١ وما بعدها.
 - (١٠) إثبات المعانى : ٢١

شيئاً^(١)، أي أنه كان ينحو نحو الفتح – كان معنى ذلك أنه تأثر ببيئته الحجازية التي تمثل إلى الفتح ، كما تأثر بشيخه الحجازي الذي قرأ عليه ، فكأن ابن كثير تمثل لهجته التي تمثل للفتح – في قراءته ، أي أن قراءته في الفتح كانت صدى لهجته .

وليس معنى هذا أن القراء يلتزمون في قراءتهم – السمات اللهجية الشائعة في بيئتهم – وبعضاً منهم خالفت قراءته تلك السمات اللهجية الشائعة في بيئته ، فتسهيل المهز مثلًا من صفات اللهجات الحجازية ، ولكن ابن كثير – وهو القارئ الحجازي – حققها^(٢) . كما أن نافعًا المدني وهو في بيئته تسهل المهز كان يقرأ « النبيين » ، « والنبيون » ، « والأنبياء » ، « والنبي » ، « والنبوة » بالهز^(٣) ، ومعنى هذا أنه لا يمكن أن تتحذّد دائمًا – قراءات القراء – ممثلة للهجات بيئاتهم ، لأنه كثيرةً ما يتتأثر القارئ بشيخه ، فيتبعه في أداء قراءته – ويترك القراءات الدائرة في بيئته . فأبُو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) تيمي^(٤) النسب ، وكان من شيوخه أيضًا عبدالله بن كثير المكي ، وعكرمة بن خالد المخزومي^(٥) ، كما أخذ عن شيوخ آخرين من بقاع مختلفة ، لهذا كان أبو عمرو يختار قراءته من قيم ثارة ، لأنها قبيلته ، وثارة أخرى يختار قراءته على سمت شيوخه ، فهو متاثر باليمنية والنسبة حيناً ، وبالشيوخ حيناً آخر ، وإذا كانت أبو عمرو تيمي النسب – فهل سار على نهج قومه تيم في الإمالة؟ إذا نظرنا إلى أصول قراءاته : وجدنا أنه : أمال كل ألف رسمت في المصحف ياءً وكان قبلها راءً نحو : « اشتري » ، « وبشرى » ، « وأسرى » ، « والنصاري » ، لكنه اختلف عنه في « يا بشرى » ب يوسف بين الفتح والإمالة والتقليل ، كما اختلف عنه أيضًا في تترى « بين الفتح والإمالة » ، ورجح المحقق ابن الجوزي فيه الفتح^(٦) . فهذا المثال يمكن أن يوضح لنا اتجاه أبي عمرو – والمثال يتذبذب بين اتجاهين – الأول منها : الإمالة – وهي لا شك لهجة قومه ، فهو متاثر بهم ، والاتجاه الثاني : الفتح – والفتح لهجة شيوخه ومن أخذ عنهم من مكة والنجاشي .

ومن هذا العرض يظهر أن القراء الكوفيين تمثلت في قراءتهم – الإمالة ، وهم متاثرون في

(١) الإضافة في بيان أصول القراءة : ٣٧ .

(٢) الإضافة في أصول القراءة : ١٥٦ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٨ .

(٤) إبراز المعاني : ٢١ .

(٥) القراءات والهجات : ٢١٦ .

(٦) الإضافة في بيان أصول القراءة : ١١١ .

ذلك بيئتهم – تلك التي تأثرت بلهجات قم وآسف وبكر بن وائل ، وأما قراء الحجاز – لاسيما ابن كثير فقد جنح إلى الفتح متأثراً بيئته وشيخه معاً ، ولا شك أن بيئته ظهر فيها الفتح أكثر من الإمالة وإنما قلت ذلك ، لأن الإمالة ظهرت في البيئة الحجازية أيضاً في قراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم : ١٥٧^(١) ، إذ كان له راويان : أحدهما : أبو موسى عيسى بن ميناء المدني ويلقب بقالون ، والثاني : عثمان بن سعيد الملقب بورش^(٢) ، وبين راوييه تناقض : إذ قالون يروي عن نافع الإقلال في الإمالة ، بينما ورش يروي عنه مكثراً منها^(٣) وعلى أي حال فالإمالة سواء أكانت قليلة أم كثيرة تردد صداتها في قراءة نافع بن أبي نعيم – وهو قاريء حجازي مدني . وهذا يتفق ونقل بعض اللغويين والنجاشة من أن من الحجاز من كان يميل^(٤) . ومن هذا العرض يتضح أن :

فصل شرق الجزيرة عن غربها في الظواهر الهمجية ، وأن لغتها خصائص مستقلة عن شرقها ، وهو ما نادى به « رابين » وغيره ، نظرية لا تثبت أبداً تلك الظواهر التي تتدخل ببعضها البعض ، فالشرق والغرب كلها مؤثر في الآخر ، ومتاثر به ، وليست هناك حواجز فاصلة حاسمة بين الكتلتين بدليل مما تقدم من أن الميلين يفتحون ، وأن الذين يبحرون إلى الفتح يميلون .

(١) طبقات القراء : ٣٣٠/٢ .

(٢) الإضافة : ١٢٨ .

(٣) في الدراسات القرآنية واللغوية : ١٣٠ .

(٤) أسرار العربية : لابن الأباري : ٤٠٦ ط. دهلي .

الإمالة تربط بين القبائل في داخل الجزيرة العربية وخارجها

سبق فيما تقدم أن أشرت إلى أن قضاة كانت قليل، وقد ترددت منازلها بين الشحر ونجوان والمجاز، والشام، فهل يمكن أن تربط بين الإمالة الغامرة في سوريا وغيرها من بلاد الشام، وبين قضاة المعيلة، والتي كان لها يوماً من الأيام سلطان على الشام؟

ويكفي أن يكون هذا الربط سبباً من أسباب الإمالة في الشام، كما أرجح سبباً آخر لهذه الإمالة، وهو العلاقة القوية التي كانت بين إقليم نجد، وإقليم الشام، لذلك تكون لهجة نجد لها تأثير قوي في لغات القبائل التي انتجعت الشام، «ونجد أصحاب إمالة»^(١) والوطن الشامي نزلت فيه قبائل نجدية كثيرة، يقول شكيب أرسلات: وتحار عندما ترى جميع الشام تقريراً تلفظ بالإمالة^(٢)، وضرب أمثلة لذلك^(٣).

كما نجد إمالة غامرة في بلاد الأندلس، فأهل غرناطة يقولون «كتيب» بدلاً من «كتاب»، و«البيب» بدلاً من (الباب) وكان «كوند» المؤرخ الأسباني يكتب «هشام» مكتناً «Hixem» ولا يكتبها^(٤). وقد أشار إلى هذا ابن الخطيب^(٥).

وسفر شكيب إلى الأندلس مرة، وطلب قطع ورقة السفر إلى «دانية» وتلفظ بها Dania بدون إمالة، فلم يفهموا ماذا يريد، حتى رده أحدهم: هي لا Dénia^(٦).

وقد يسهل الربط بين الشام والأندلس عندما كانوا «يسمون» غرناطة «دمشق لا لشبهها بليغرا في الشديد بدمشق - وهي بالفعل أشبه البلاد بدمشق»، بل لأن المنصر الدمشقي كان فيها غالباً^(٧)، وما يؤكد الصلة بين القطرين أن العرب في إسبانيا كانوا على مذهب الإمام

(١) المبح : ٢٠٤/٢.

(٢) المقططف : يناير : ص ٤٠ سنة ١٩٣٢.

(٣) المقططف : فبراير : ١٤١ - ١٤٠ : سنة ١٩٣٢.

(٤) الإحاطة : ٣٥/١.

(٥) المقططف : يناير : ٤٢ - ٤٣ : ١٩٣٢.

(٦) المقططف : يناير : ٤٣ : سنة ١٩٣٢.

الأوزاعي - إمام أهل الشام ، مما يشير إلى أن السواد الأعظم من العرب الذين فتحوا أسبانيا - كانوا من أهل الشام^(١) .

وإذا نظرنا إلى الإمالة في وطن جديد ، كالبدو القاطنين على ساحل مريوط ، وجدناهم يملون إلى الإمالة^(٢) ، ويرى القلقشندي : أن هؤلاء من بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصبة بن قيس عيلان^(٣) ، ويقول الحمداني : مساكنهم ببرقة مما يلي المغرب ، وما يلي مصر^(٤) ، فعلم الجغرافيا أفادنا أن بني سليم جاءوا إلى مصر وبرقة ، وتاريخ النسب أفادنا أنهم من قيس عيلان ، ومصادر العربية على أن من أصحاب الإمالة في القبائل العربية « قيساً »^(٥) ، وهذا لا نعجب إذا رأينا البدو القاطنين في الصحراء الغربية مما يلي مصر وبرقة - أصحاب إمالة .

ولهذا تتميز اللهجة الليبية بالإمالة - وهي أشد في طرابلس « لأن قبائل سليم أقامت في جهات طرابلس زمناً »^(٦) .

أما الإمالة في عامية مصر فهي نادرة في لغة بني سويف ، وبعض الفيوم ، والحلة ، وسائر البلاد التي يتكلم أهلها بالقاف الصريحة ، كما تجدها كثيرة في لغة بقية العوام في الديار المصرية^(٧) .

وقد أجرى الدكتور عبد الفتاح شلي استفتاء عاماً لمعرفة وجود الإمالة أو عدمها في بلاد القطر المصري خلص من هذا الاستفتاء « بأن مدينة بلبيس من الشرقية تظهر فيها الإمالة ظهوراً غالباً ، كما أن مديرية المنوفية والبحيرة ، وبعض أجزاء الفيوم كذلك »^(٨) .

ولتعليل الإمالة في هذه الأماكن - يرى صاحب البيان والإعراب : أن بطون قيس مثل نصر بن معاوية ، وبني عامر - نزلوا بلبيس ، كما نزلها مائة أهل بيت من سليم^(٩) .

(١) المقتطف : مارس : ٣٢٣ سنة ١٩٣٢ .

(٢) دراسة لغوية في لهجات البدو في مصر : ٣٢٨ خط بكتبة دار العلوم .

(٣) نهاية الأربع للقلقشندي : ٢٩٤ .

(٤) مجمع كحالة : ٥٤٣/٢ .

(٥) المجمع : ٢٠٤/٢ .

(٦) مجمع كحالة : ٥٤٦/٢ .

(٧) ميزات لغات العرب : ٣٦ .

(٨) في الدراسات القرآنية واللغوية : ٣٠٠ د : شلي .

(٩) البيان والإعراب : ٦٧ .

وفي صبح الأعشى «أن لواة» - وهم من قيس على رأي - لهم بصر بطون كثيرة ، كما قال المداني ... والمنوفية : منهم - بنو يحيى ، والسوة ... ومنهم جماعة بالبحيرة ، وجماعة بالمنوفية^(١) ، وفي معجم قبائل العرب : أن اللواتين - من أعراب الفيوم^(٢) بصر .

والنصوص السالفة تشير الى أن بطون قيس بما فيها سليم ولواثة^(٣) وغيرهم نزلوا أيام الفتح في بلبيس والمنوفية ، والبحيرة ، وبعض أجزاء الفيوم – ومن المعروف أن قيساً من القبائل الممیلة – لذلك احتفظت بطونها في المنازل الجديدة التي هاجرت إليها بعد الفتح العربي – بالإمالة .

وي بهذه الطريقة نستطيع أن نرد العرب في الأقطار المختلفة - إلى أصلهم ما دامت طرائقهم واحدة في النطق ، ومقارنة هجاءاتهم بما كانت عليهما أيام سكناهما في الجزيرة العربية ، لأن هجاءتهم الحديثة تحمل بدورهاً أصالة للهجات القبائل في الجزيرة العربية .

سعه بتان تعمق مثان دواسته الامالة :

أولاً ما:

أن أكثر النصوص التي جاءتنا لتدل على الامالة عند العرب مهملا العزو الى قبائلها إهمالا
يكاد يكون تاماً : وسنقتصر على إبراد بعض تلك الشواهد :

١- نقل سيبويه إمالة نحو « مناشيط » عن قوم من العرب لтраخي حرف الاستعلاء ... وبعض العرب : غلب حرف الاستعلاء وإن بعد^(٤).

٢- ويقول السيوطي : ومقت اتصلت بالآلف راء مفتوحة أو مضمومة - منعت الامالة نحو : راشد ، وبعض العرب يميل^(١٥) ... وبعض العرب يجعل الراء المكسورة مانعة من الامالة كالفتوحة والمضمومة^(١٦) .

١) صبح الأعشى : ١/٣٦٤ - ٣٦٦ .

(٢) معجم حالات: ١٠٦/٣

(٣) في صبح الأعشى : ١/٣٦٤ بالثاء المثلثة ، وفي نهاية الأرب للقلقشندى : ٤١١ بالثاء المثلثة « لوانة ». .

٢٠٢/٢ : المجمع (٤)

٢٠٢/٢ : الهم (٥)

٢٠٢/٢ : المضمون (٦)

٣ - قال سيبويه : « وقال ناس يوثق بعربتهم : هذا باب ، وهذا مال^(١) . ولم يبين من هؤلاء العرب الذين يوثق بعربتهم . ويقول سيبويه : « وقد قال قوم : التأشيط^(٢) (بالامالة) » و « وبعضهم يقول^(٣) و « سمعناهم يقولون^(٤) و « قوم أمالوا أشياء ليست فيها علة مما ذكرنا^(٥) و « قال ناس :رأيت عماداً - فأمالوا للإمالة^(٦) وأكثر سيبويه من كلمة قالوا^(٧) يقصد بعض العرب ، و « كثير من العرب^(٨) و « نقل عن بعض الحجازيين^(٩) ولم يحدد من هذا البعض ، والقبائل الحجازية كثيرة ، ونظرة واحدة الى باب الامالة في خططه السيرافي على سيبويه^(١٠) ، أو في كتاب سيبويه نفسه^(١١) ، أو شرح ابن يعيش^(١٢) ، وتظهر كثرة غامرة من إهمال صيغة الامالة في هذه الكتب وغيرها ، كما يظهر منها أن المؤلفين كانوا يهتمون بالكم لا الكيف ، لأن هدفهم من هذا الجمجمة اللغوي هو خدمة القرآن والسنة ولم يكن - في عزو اللهجات ما يخدم تلك الناحية في نظرهم .

ب) ثانيتها :

وذلك فيما إذا أردنا أن ندرس تاريخ الامالة في مجموعة من الأشعار القديمة لنتعرف على مقدار الفتح والامالة وأنواعها - فتصدرمنا حقيقة مرة ، وهي أن هذه الكتابات خالية من علامات الامالة الخطية ، وبذلك تضيع ثروة كبيرة ، والسبب في ذلك أن هذه اللهجات وصلتنا مكتوبة لا منطقية ، ولا شك « أن الخط الذي كتبت به المصاحف في القرن الأول الهجري كان خالياً

(١) الكتاب : ٢٦٤/٢

(٢) الكتاب : ٢٦٥/٢

(٣) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٤٨/٥ - ٣٤٩ و سيبويه : ٢٦٦/٢

(٤) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٤٨/٥ - ٣٤٩ و سيبويه : ٢٦٦/٢

(٥) الكتاب : ٢٦٣/٢

(٦) الكتاب : ٢٦٢/٢

(٧) الكتاب : ٢٦١/٢ ، والسيرافي : ٣٣٦/٥

(٨) شرح السيرافي : ٣٣٦/٥

(٩) الأشموني : ٢٢٤/٤

(١٠) ٣٣٤/٥ - ٣٦٤ خط بالتيمورية .

(١١) ٢٦١/٢ وما بعدها .

(١٢) ٦٥ - ٥٣/٩

من النقط والشكل وعلامات الامالة^(١) ثم هذا التاريخ الطويل لعلمات الامالة فقد كانت ترسم ياه في آخر الكلمة ، أو ألفاً تحت الحرف المال ، أو نقطة حراء ، أو كسرة كملامة للإمالة ، أو هذه الإشارة^(٢) ، أو نقطة خالية الوسط كما في المصحف المصري (١٣٣٧هـ) ، أو كتابة كلمة (مل) فوق الحرف المال^(٣) – فهذا الاختلاف في رسم علامة الامالة – مما يزيد دراستها تعقيداً .

ثانياً : الأدغام والاضمار بين القبائل العربية :

ظاهرة الإدغام ، هي ظاهرة التقريب عند ابن جنی ، وفي ذلك يقول : « قد ثبت أنت الإدغام المأثور المعتمد - إنما هو تقريب صوت من صوت »^(٣) ، ويطلق عليه المحدثون من علماء اللغات المائة Assimilation ، وفي هذه المائة أو التقريب كما يراه ابن جنی ، يحدث التشابه بين الأصوات من ناحية المخرج أو الصفة لأن التمايل أو التقارب لا بد أن يشتمل على جهتين : جهة المخرج ، وجهة الصفة والإدغام لا يحدث إلا بهذا ، وكان الإدغام بهذا شبيه بالإملالة - إذ الإملالة تقريب الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء ، وشبيه بالإبدال أيضاً ، لأن الإبدال لا يحدث إلا إذا وجدت بين الحرفين البديل والبدل منه علاقة صوتية - كما في الإدغام ، وابن جنی يذكر أمثلة للإدغام الأصفر - وهو عنده : « تقريب الحرف من الحرف وإدغامه منه من غير إدغام يكون هناك »^(٤) منها :

أ) أن تقع السين قبل الحرف المستعلى فيقرب منه بقليلها صاداً... وذلك كقولهم في «سُقْت» - سُقْت ، وفي السوق - الصوق ، وفي سبْقَت - صبْقَت ، وفي سملق وسوبيق : حملق وصوبيق ، وفي سقر - صقر^(٤٠) .

ب) ومن التقريب قوله «ست» أصلها «سدنـس»^(٦) فقربوا السين من الدال بـأـن قلـبوـهـا تـاءـ، فـصـارـتـ : سدـتـ ، فـهـذـاـ تـقـرـيـبـ لـغـيـرـ إـدـغـامـ ، ثـمـ إـنـهـمـ فـيـاـ بـعـدـ أـبـدـلـوـاـ الدـالـ تـاءـ لـقـرـيـبـها

(١) في الدراسات القرآنية واللغوية : ٢٨٣ دكتور عبد الفتاح شلبي .

(٢) انظر في هذا : في الدراسات القرآنية : ٢٨٣ : دكتور شلي .

١٣٩/٢ دار الكتب .) الخصائص :

(٤) الخصائص : ١٤١/٢ دار الكتب.

(٤) الخصائص : ١٤٣ - ١٤٢ / دار الكتب ، سر الصناعة : ٢٠١/١ - ٢٢٠٠

٢٠٩/١ الصناعة سر)٦)

منها إرادة للإدغام الآن ، فقالوا : ^(١) سـ . فالتفيير الأول للتقريب من غير إدغام ، والتفيير الثاني مقصود به الإدغام .

ج) ومن التقريب ما جاء من قول العرب في المثل : « لَمْ يُخْرِمْ مَنْ فَزَّدَهُ » أصله ^{فَصَدَّهُ} ، ثم أسكنت العين فصار تقديره ^{فَصَدَّهُ} ، فلما سكت الصاد فضفت به ، وجاورت الصاد وهي مهوسـةـ الدال وهي مجهرـةـ قربت منها بأن أشـتـ شيئاً من لفظ الـزـايـ المقاربة للـدـالـ بالـجـهـرـ ^(٢) .

وجميع هذه الأمثلة يلاحظ فيها تقريب الصوت من الصوت ، وهي تشبه الإدغام لأن الإدغام فيه تقريب صوت من صوت .

أ) بأن يتافق الحرفان بـخـرجـاـ وـصـفـةـ وذلك هو التـائـلـ كـقولـهـ تعالىـ : « مـا سـلـكـكـمـ فـي سـقـرـ » ^(٣) فالـكـافـ حـرـفـ مـاـثـلـ لـثـلـهـ ، وـكـأنـ الإـدـغـامـ لـتـكـرـيرـ الـكـافـاتـ ، فـتـدـغـمـ الـحـرـفـينـ الـمـاثـلـينـ فـي بـعـضـهـاـ ، وـالـفـرـضـ مـنـ هـذـاـ ، التـخـفـيفـ ، لـأـنـ التـكـرـيرـ ثـقـيلـ فـحاـولـاـ تـخـفـيفـهـ بـأـنـ يـدـغـمـوـاـ أـحـدـهـاـ فـيـ الـآـخـرـ ، فـيـضـعـواـ أـسـتـهـمـ عـلـىـ بـخـرـجـ الـحـرـفـ الـكـرـرـ وـضـمـةـ وـاحـدـةـ وـيـرـفـعـوـهـ بـالـحـرـفـينـ رـفـعـةـ وـاحـدـةـ ، لـثـلـاـ يـنـطـقـوـاـ بـالـحـرـفـ ثـمـ يـعـودـوـاـ إـلـيـهـ » ^(٤) كـأـنـ الإـدـغـامـ فـيـ الـآـيـةـ الـكـرـيـةـ يـوـاقـعـ الـمـعـنـىـ ، لـأـنـ السـلـكـ مـعـنـاهـ الـادـخـالـ وـالـإـدـغـامـ ، وـإـدـغـامـ الـحـرـفـينـ يـشاـكـلـ هـذـاـ ، وـفـيـ لـغـةـ النـقـوشـ الـلـحـيـانـيـةـ مـاـ يـشـبـهـ هـذـاـ ^(٥) .

ب) أو أن يتافق الحرفان بـخـرجـاـ وـيـخـتـلـفـاـ صـفـةـ وذلك هو التـجـانـسـ : كـالـدـالـ فـيـ التـاءـ ، وـالتـاءـ فـيـ الطـاءـ ، وـالـتـاءـ فـيـ الدـالـ . فـثـالـثـ إـدـغـامـ الثـاءـ فـيـ الدـالـ إـدـغـامـاـ صـفـيرـاـ قـولـهـ تعالىـ : « فـمـثـلـهـ كـمـثـلـ الـكـلـيـ إنـ تـحـمـلـ عـلـيـهـ يـلـهـتـ أـوـ تـرـكـهـ يـلـهـتـ ذـلـكـ مـثـلـ الـقـومـ الـذـيـنـ كـنـبـواـ » ^(٦) فـلـاـ فـرـقـ بـيـنـ الـتـاءـ وـالـدـالـ فـيـ « يـلـهـتـ ذـلـكـ » إـلـاـ أـنـ الـأـوـلـىـ مـهـوسـةـ ، وـالـثـانـيـ نـظـيرـهـ الـمـجـهـرـ ، فـتـقـ

(١) الخصائص : ١٤٣/٢ دار الكتب .

(٢) الخصائص : ١٤٤/٢ دار الكتب .

(٣) المدر : آية ٤٢ .

(٤) ابن عباس : ١٢١/١٠ .

(٥) لغات النقوش العربية الشمالية : ص ١٠ للدكتور مراد كامل .

(٦) الأعراف : آية ١٧٦ .

جهر « بالثاء » أصبحت « ذالاً »، فيحدث الادغام في صوتين مماثلين^(١) . وقراءة الآية الكريمة بالادغام بين الثاء والذال - فيها اقتضاد للجهد العضلي ، إذ يكون عمل اللسان من وجه واحد ، أو كما يقول ابن يعيش « يصيران لشدة اتصالها كحرف واحد يرتفع اللسان عنها رفعة واحدة »^(٢) وغير ذلك فالقراءة على الادغام في الآية تحقق الانسجام الصوتي .

ج) أو أن يتقارب الحرفان مخرجاً أو صفة : كالذال مع السين والشين ، وكاللام مع الراء . فمثال إدغام الذال في السين : قوله تعالى « في الأصفاد^(٣) سرابيلُهُمْ من قَطْرَانٍ » ويتم الادغام هنا بأن تفقد الذال جهرها ، ثم ينتقل مخرجها نحو الشايا حقاً تصبح مهوسة كالسين ، وهنا يتم الادغام الكبير . ونحو قوله تعالى : « قد سألهَا قومٌ مِّن قَبْلِكُمْ »^(٤) وهذا لا بد من همس الذال والسماح للهوا معها بالمرور لتصبح رخوة ، وبذلك تتأصل السين في الهمس والرخواة ، والادغام هنا صغير ، لأنه لا فاصل من أصوات اللين بين الحرفين ، وملائكة ظاهرة الادغام أنه إذا اجتمع صوتان أحدهما مجهر والآخر مهموس ، ثم أحدهما في الآخر بحيث يصبحان مجهوريين ، أو مهموسين تحقيقاً للانسجام بين الأصوات ، وتوفيراً للجهد العضلي ، إذ يغنى الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً فيكون عمل اللسان من وجه واحد . والآن نعرض بعض النصوص لتتعرف على مدى شيوع الظاهرة الادغامية في مواطن القبائل العربية :

١ - ذكر المبرد أن أبا رجاء العطاردي قرأ « فاتبعوني يَحِبُّكُمُ اللهُ » ويلاحظ على هذه القراءة أمران :

أولاً : أنه جاء به من « حبيبت » . ثانياً : أنه أدغم في موضع الجزم ، وهو مذهب تميم وقيس وأسد وجماعة من العرب^(٥) ، وعلى مذهب مؤلأه نقول « ردّ يا فق » عض يا فق بالادغام .

(١) الأصوات اللغوية : ١٢٩ ط ٢ .

(٢) ابن يعيش : ١٢١/١٠ .

(٣) سورة إبراهيم : آية ٤٩ ، ٥٠٠ .

(٤) المائدة : آية ١٠٢ .

(٥) الكامل المبرد : ٢٠٩/٢ ، ١٩٩/١ .

أما عند الحجازيين فيجرونه على القياس الأصلي فيقولون : أرَدْ واغضض . لكن لمجرة عبد القيس تتحدد لها بخطأً مفاجئاً للحجازيين والتميميين – إذ أنها وإن كانت تدمغ كالتيميمين – إلا أنها تزيد همزة وصل في أول فعل الأمر – فهم يقولون : أرَدْ ، أغضض . « ولعلبني عبد القيس قد قاسوا فعل الأمر في المضعف على الأمر من الفعل الثلاثي الصحيح الذي يلتزم فيه البدء بهمزة الوصل »^(١) وما يؤكّد ذلك ما جاء عن ابن خالويه حيث يقول : ليس في كلام العرب ألف وصل دخلت على متحرك إلا في حرف واحد ، وذلك لغة عبد القيس في قولهم : « اسِلْ زيداً »^(٢) . والمعروف في الفصحى أن همزة الوصل لا تدخل إلا على ساكن ليتوصل بها إلى النطق بالساكن . لكن عبد القيس اتخذت سمة لهجية مختلفة ، ويرجح الدكتور أنيس أن صيغة عبد القيس في الأدغام « أرَدْ » مردها إلى القياس الخاطئ^(٣) ، وليس ذلك ببعيد فالقياس الخاطئ لعب دوراً كبيراً في صيغ العربية وتراثها . وما يجب الإشارة إليه : أن روایة عبد القيس السابقة في المضعف « أرَدْ » ، وفي غيره مثل « اسِلْ زيداً » جاءت عن الكسائي^(٤) ، والفراء^(٥) . وهذا يؤكّد أن روایة الكوفيين عن العرب في اللهجات أشمل وأوسع ، يدل على ذلك قول صاحب التصریح بعد أن ذكر روایة الكسائي عن العرب في المضعف « ولم يحك ذلك أحد من البصريين »^(٦) .

٢ - قرأ أبي « وإن تَصْبِرُوا وَتَنْتَقِلُوا لَا يَضُرُّكُمْ كِيدُهُمْ شَيْئاً »^(٧) – يضرركم – بفك الأدغام ، وهي لغة أهل الحجاز ، ولغة سائر العرب الأدغام في هذا كله^(٨) .

وفي قوله تعالى : « لَا تُتَضَّرَّ وَالَّذِي بَوْلَدَهَا »^(٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وغيرهم لـ تضار^٠ – وبقي السبعة « لـ تضار^٠ » وروى عن ابن عباس « لـ تضارِرٌ » بفك الأدغام وكسر

(١) في اللهجات العربية : ١٣٩ .

(٢) ليس في كلام العرب : ٦٨ ابن خالويه .

(٣) في اللهجات العربية : ١٣٩ .

(٤) التصریح : ٤٠ ١/٢ .

(٥) ليس في كلام العرب : ١٢ .

(٦) التصریح : ٤٠ ١/٢ .

(٧) آل عمران : آية ١٢٠ .

(٨) البحر : ٤٣/٣ .

(٩) البقرة : آية ٢٣٣ .

الراء الأولى وسكون الثانية^(١) . وفي مصحف ابن مسعود « لا تضارر » بفك الأدغام وفتح الراء الأولى وسكون الثانية^(٢) . وعزا أبو حيان : الفك للحجاز ، والأدغام لتميم^(٣) . وفي قوله تعالى « ولا يضار كاتب ولا شهيد »^(٤) نسب ابن جني في الحتسـبـ الفـكـ للـحـجازـ ، والأـدـغـامـ لـتـمـيمـ^(٥) . وجاء ابن خالويه بالقراءات في الآية وأهل عزو المجلات فيها^(٦) .

٣ - وجاء في النهر الماد أن الفك لغة الحجاز^(٧) في قوله تعالى « ولَنِيَسْتَعْفِفُ الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ^(٨) نكاحاً » .

٤ - وجاءت قراءات عديدة بالفك - لغة الحجاز ، وبالادغام لغة تميم أقتبس منها ما يلي :

أ) قوله تعالى « واغضض من صوتك »^(٩) وأهل نجد على الأدغام (كما يقول القدامي)^(*) :

قال جرير : (فغضض الطرف إنك من نمير)^(١٠) .

ب) وقرأ الجمhour : « فلَا يَغْرِرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبَلَادِ »^(١١) بالفك على لغة الحجاز ، وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير : فلا يغرك - بالأدغام مفتوح الراء - وهي لغة تميم^(١٢) ، وكان القراء يحتاجون للإدغام والإظهار في القراءات القرآنية - فإن خالويه يحتاج لمن قرأ بالإظهار في قوله تعالى (ثم اتَّخَذْتُمْ) أنه أتى بالكلمة على أصلها واغتنم الثواب على كل حرف

(١) البحر : ٢١٤/٢ .

(٢) مصحف ابن مسعود : Materials. For ... Suro. II .

(٣) البحر : ٢١٥/٢ .

(٤) البقرة : آية ٢٨٢ .

(٥) الحتسـبـ : ١٧١/١ خط بالتيمورية .

(٦) مختصر شواذ القرآن : ١٤ .

(٧) النهر الماد من البحر : ٤٥٠/٦ .

(٨) سورة التور : آية ٣٣ .

(٩) سورة لقمان : آية ١٩ .

(*) والنظرية الحديثة لا تقول بالإدغام في مثل هذا .

(١٠) اللسان : ٦١/٩ ، والكامل : ١٩٩/١ .

(١١) سورة غافر : آية ٤ .

(١٢) البحر : ٤٤٩/٧ .

، وأرى أن الأدغام في هذا أوجه وأولى ، لأن الذال مخرجها من بين طرف اللسان وأطراف الثنایا العليا ، وكذلك التاء مخرجها من اللسان وأصول الثنایا العليا مصدعاً إلى جهة الحنك ، والذي حدث أن مخرج الذال قد انتقل إلى الوراء قليلاً ، فصادف نطق التاء ، وتم الأدغام ، ففي الأدغام اقتصاد في الجهد العضلي ؟ لأن اللسان فيه يعمل من وجه واحد إذ عمله في الحرفين واحد بخلاف الإظهار ، فإن اللسان فيه ينتقل متصدعاً مرة متسلفاً مرة أخرى . وإنما مال ابن خالويه في تعليل ما سبق من الإظهار ، لأن رسم المصحف على الإظهار ، فهو يحتاج برسم المصحف ، وابن خالويه حينئذ سلفي يتبع طريق أهل الآخر ، ألا ترى إلى قوله : «واغتنم الشواب على كل حرف منها» فكأنه صاد عصفوريين بمحجر واحد : اتباعه رسم المصحف ، وطبعه في الثواب ، إذ أن قاريء القرآن له بكل حرف - عشر حسنان ، ولا شك أن الذي يظهر في قراءته يكون أكثر حروفاً من المدغم فيها .

ج) «وَمَنْ يُشَاقِقُ الرَّسُولَ»^(٢)، وقوله : «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، ومن يُشَاقِقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»^(٣)، وقوله : «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، وَمَنْ يُشَاقِقُ اللَّهَ»^(٤). فالقرآن في تلك الآيات يراود بين الفك والادغام ، أو بين لغة الحجاز وتميم .

د) قرأ زيد بن علي : « لا تقصص رؤياك »^(٥) لا تقصص - مدمغاً وهي لغة تميم ، وقرأ الجبور : بالفلك على لغة الحجاز^(٦) .

٥) قرأ نافع وابن عامر : « من يرتد منكم عن دينه »^(٧) - من يرتد - بدالين ، وهي لفظة استبعاز ، والباقيون بوحدة مشددة - وهي لفظة تيم^(٨) . ويظهر والله أعلم - أن رسم

(١) المحبة لابن خالويه : ورقة ٨ خطوط بدار الكتب .

١١٥ : سورة النساء (٢)

١٣ - سورة الأنفال :

(٤) سورة الحشر : ٤ *

٠٠ يوسف : آية (٤)

٢٨٠ / هـ : البعر (٦)

(٧) سورة المائدة : آية ٥٤ .

(٨) البحرين : ٥١١/٣

المصاحف كانت تحمل آثاراً للإظهار والإدغام ، فمصحف مكة وال العراق كانت تكتبها دالاً^(١) واحدة ، وأما المصاحف المدنية والشامية فكانت ترسم ذلك دالين^(٢) .

وفي كتاب المصاحف : أن في إمام أهل الشام وأهل الحجاز « من يرتد منكم عن دينه » وفي إمام أهل العراق (من يرتد^(٣)) . وربما كان السر في ذلك أن يتحمل رسم المصحف - للهجات العربية على اختلافها ، وإذا تقرر أن البيئة التمييمية تؤثر الإدغام ، والهزائية تهدف إلى فك الإدغام تبين أن المرزوقي جانبه الصواب حيث استشهد بقول أبي كثير الهذلي :

حَلَّتْ بِهِ فِي لِيَلَةِ مَرْوُودَةٍ كَرَّهَا وَعَقَدَ نَطَاقَهَا لَمْ يُحْلِلْ

حيث علق على البيت السابق فقال : « وأظهر التضعيف في قوله : « لم يحلل » وهو لفحة تميم^(٤) .

فإظهار التضعيف هو في لغة الحجاز لا لغة تميم كما قال المرزوقي ، والخطأ الذي تردى فيه المرزوقي - وقع فيه التبريزى^(٥) حيث نقل في شرح حماسة أبي تمام - مثل ما سبق أن قرره المرزوقي ، وال فكرة في عرض تلك النصوص القرآنية - هو أن القرآن كان يراود بين اللهجتين الحجازية والتمييمية في الإظهار - والإدغام حتى يكون الكتاب الكريم صفة لغوية تجد فيه كل قبيلة من ألفاظها الخاصة بها ، فتبين تلك اللغة الموحدة الرسمية التي نجدها في القرآن - وهي للعرب جميعاً . وهناك نصوصاً في الفك والإدغام من غير القرآن الكريم :

١ - ذكرت المعاجم أن : « الوتد » بكسر التاء لغة الحجاز - وهي الفصحى ، بينما أهل نجد يقولون فيها : « وَدَ»^(٦) وبجاءت رواية أخرى مثلاً في كتاب الجمل^(٧) . وشرح

(١) إرشاد المريد على إبراز المعاني : ٢٥٧ .

(٢) إبراز المعاني : ٢٩٧ .

(٣) كتاب المصاحف : ٤ للسبستاني .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي : ٨٨/١ .

(٥) شرح الحماسة التبريزى : ٨٦/١ .

(٦) المصباح : ١٠٠١/٢ .

(٧) الجمل : للزجاجي : ٣٨٠ .

الشافية^(١) ، وابن يعيش^(٢) ، وخطوطه السيرافي على سيبويه^(٣) ، بدون عزو للصيغتين ، والجمهرة^(٤) ، واللسان^(٥) .

وقد وردت رواية مختلفة العزو عن السابقة إذ عزت صيغة (الود) لأبي النجم وفيها يقول :

سُبِّيَ الْمَاءَ وَابْنَتِي عَلَيْهَا فَإِنْ أَتَتْ فَازْدَلْفِي إِلَيْهَا
ثُمَّ اقْرَعْتِي بِالْوَدَ مَرْفَقِهَا وَرَكْبَتِهَا وَاقْرَعْتِي كَفَنِيهَا^(٦)

وباستشارة كتب الطبقات نجد أن أبو النجم - هو الفضل بن قدامة من عجل ، وهو بطن من بكر بن وائل^(٧) ، وكان هذا الشاعر ينزل بسواد الكوفة في موضع يقال له الفِرْكَو^(٨) . وهذا يؤكّد أن الأدغام كان يسيطر على مناطق شاسعة من شرق الجزيرة حتى امتد إلى مشارف الكوفة وتفسير ذلك الظاهر أنّ عمّاً أسكننا في فخذ وغضد ثم أدمعوا ، ولم يجز أن يقولوا : وتد - بسكنون التاء مظهرة - لكثره استعمال هذه اللفظة ودورانها عند العرب ، فعمل ابن جنى لتسكين حرف التاء بقوله : (ألا ترى أنك إنما أسكنته لتخلطه بالثاني ، وتجذبه إلى مضامنته ومسا لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه)^(٩) ، ولكن هذا الأدغام في (ود) غير مطرد لأنه ربما التبس بالمضاعف ، وهذا تردد في كتب العربية مدح الصيغة الحجازية وهي (وتد)^(١٠) فيقول عنها سيبويه « بأنها الحجازية الجيدة »^(١١) ويقول عنها المصباح « هي الفصحى »^(١٢) .

(١) شرح الشافية : ٢٦٨/٣ .

(٢) شرح ابن يعيش : ١٥٢/١٠ .

(٣) السيرافي : ٥٣٧/٦ مخطوط .

(٤) ابن دريد : ٧٧/١ .

(٥) ٧٠/٤ .

(٦) الشمر والشعراء : ٥٨٩/٢ شاكر .

(٧) نهاية الأرب للقلقشندى : ٣٥٠ ، معجم كحالات : ٧٥٧/٢ .

(٨) الشمر والشعراء : ٢٣٢ تحقيق السقا .

(٩) الخصائص : ٥٣٢/١ ط الملال ، ١٤٠/٢ دار الكتب .

(١٠) الجل لزجاجي : ٣٨٠ والمصباح : ١٠٠١/٢ .

(١١) الكتاب : ٢٩/٢ .

(١٢) ١٠٠١/٢

٢ - لام « هل » ولام « بل »

تعرضت كتب القراءات والمربيّة للحديث عن إدغام لام « هل » ولام « بل » في حروف المجام، ولا يعنينا كثيراً هذا الحديث - إلا بقدر ما نستهدي منه إلى لهجات القبائل وإبرازها. فإذا دغام هذه اللام ففيها بعدها جرى على منازل ومراتب، وببعضها منها أقوى من بعض في الإدغام.

أ) إدغام لام « هل وبل » في الراء :

ذكر سيبويه في كتابه : أن إدغام اللام في الراء أحسن^(١) . وعلل ذلك بقوله : لأن الراء أقرب الحروف إلى السلام ، وأشبّهها بها فضارعتنا الحرفين اللذين يكونان من مخرج واحد^(٢) . فالراء كاللام في أن كلاً منها من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، وأن كلاً منها مجرور، ويظهر أن أكثر القبائل مالت لإدغام اللام في حروف : النساء - والثاء - والراء - والزاي - والسين - والصاد - والطاء - والظاء - والنون . وإنما مالت اللام إلى فنائها وذوبانها فيما بعدها ، لأن اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً في العربية ، لأن نسبة شيوعها حسب إحصائية ذكرها الدكتور أنيس - للقرآن الكريم ١٢٧ مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة ، بينما حرف كالزاي والطاء ٤ مرات في كل ألف ، ولا شك أن الصوت الذي يكثُر استعماله وتداوله يكون أكثر تطوراً من غيره ، وقد نادى بهذه النظرية Vilhelm Thomsen^(٣) . وإنني ألمح هذه النظرية فيما يراه أحد علماء العربية وهو الفراء حيث رأى : أن الكلمة قد تحذف بعض حروفها في الرسم ، ونسب الفراء هذا الحذف إلى كثرة استعمال الكلمة وتداولها ، فهو يعلم لحذف ألف من (بسم الله الرحمن الرحيم) وعدم حذفها من (باسم ربك) : لأنها لا تلزم هذا الاسم ، ولا تكثُر معه كثثرتها مع الله تبارك وتعالى ، ثم يوضح رأيه معللاً فيقول « ألا ترى أنك تقول (بسم الله) عند ابتداء كل فعل تأخذ فيه » (معاني القرآن للفراء ٢/٤ دار الكتب) .

وما سبق يظهر أن إدغام اللام في الراء أحسن من الظهور ، لما سبق بيانه ، وأما أهل المجاز فيميلون إلى الظهور ، وقد نقل ابن يعيش عن سيبويه قوله « فإن لم تدمغ (اللام في الراء) بجاز ، وهي لغة لأهل المجاز ، عربية جيدة »^(٤) ، وسيبوه كثيراً ما يفضل لهجة

(١) الكتاب : ٤١٦/٢ .

(٢) ابن يعيش : ١٤١/١٠ .

(٣) الأصوات اللغوية : ١٧٢ ط ٢ .

(٤) ابن يعيش : ١٤١/١٠ .

المحازين على لهجة غيرهم ، فمع أن الأدغام هنا أحسن من الاظهار إلا أن سبوبه يسم لهجة الاظهار بأنها « عربية جيدة » .

أما الزخيري : فقد وصف الأدغام بأنه « حسن »^(١) وإذا اتجهنا إلى كتاب الله نلتمس فيه سمات تلك الظاهرة نجد أن حفظاً سكت على لام (بل) سكتة لطيفة بلا تنفس وصلا ، ويبتدئ ، (ران) في قوله تعالى « كَلَّا بْلَ رَانَ »^(٢) وكان قراءة حفظ جاءت على لغة أهل الحجاز في الاظهار .

ب) إدغام لام (هل وبل) في التاء .

والادغام جائز ، لأن العلاقة واضحة بين اللام والتاء ، لأن آخر مخرج اللام قريب من خرجها ، وقد جاء على قراءة الأدغام قوله تعالى « بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » فقدقرأ حزنة والكسائي : « بِتَوْثِرُونَ » بالادغام^(٣) . وقوله تعالى : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ هَلْ تَسْتَقِمُونَ مِنَ إِلَّا أَنْ آتَنَا بِاللَّهِ »^(٤) فقد قريء : « هَتَشْتَقِمُونَ مِنَّا » ، وقوله تعالى : « هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً »^(٥) فقد قريء : « هَتَعْلَمُ » والذين ترددت أسماؤهم في هذا الأدغام الكسائي ، وحزنة^(٦) ، والقارئان كوفييان ، والكوفة متأثرة بالقبائل التي سكنت شرق الجزيرة العربية كما يقولون كتميم وأسد ، ثم إن الكسائي كان مولى لبني أسد ، تلك القبيلة التي آثرت الأدغام . وقد ورد الأدغام فيما أنشده سبوبه :

فذر ذا ولکن هتعمين مُتَيَّماً على ضوء برق آخر اللَّسِيلِ ناصب^(٧)

فأصل الكلمة على الاظهار (هل تعيين) ولكن هذا الشاعر نطقها بالأدغام ، وهذا البيت كما يقول سبوبه والأعلم لمزاحم العقيلي^(٨) ، فهو من بني عقيل ، وبنو عقيل من القبائل البدوية

(١) ابن يعيش : ١٤٠/١٠ .

(٢) سورة المطففين : آية ١٤ .

(٣) ابن يعيش : ١٤٢/١٠ .

(٤) سورة المائدة : ٥٩ .

(٥) سورة مریم : ٦٥ .

(٦) الإتحاف : ٢٨ .

(٧) ابن يعيش : ١٤١/١٠ .

(٨) كتاب سبوبه : ٤١٧/٢ .

الضاربة في صحراء نجد والتي كانت على صلة قوية بالقبائل المدمجة كتميم وأسد والتي تؤثر الادغام ، لهذا لا نعجب إذا روى البيت على الادغام من قبيلة بدوية كعقيل .

ج) إدغام لام (هل وبل) في الشين :

وإدغام اللام من هل وبل - في الشين أضعف ، والعلة في ذلك مساواة بين الحرفين من بعد ، ولكن جاز الادغام فيها لاتصال خرجها بطرف اللسان . وقد حدث هذا الادغام فيما أنشده سيدويه :

تقول إذا أهلكت مالاً للذلة فكثيَّه هشَّيٌّ بـكـفـيكـ لـائـقـ (١)

في هل شيء .

وقد عزا سيدويه والأعلم : البيت السابق إلى طريف بن تميم العنبري (٢) ، وقبيلة بلمنبر - من قبائل عمرو بن تميم (٣) ، وإذا كان الادغام قد شاع في تميم فلا عجب إذا وجد في بلمنبر - وهي إحدى فروع تميم .

٣ - نقل السيوطي عن سر الصناعة : « أن المتأثرين يخافن بالادغام » ، ولذلك لما أرادت بنو تميم إسكان عين « معهم » كرهوا ذلك ، فأبدلوا الحرفين حاءين (٤) وجاء مثل هذا في ابن يعيش (٥) ، وفي خطوطه السيرافي على سيدويه (٦) ، وشرح الرضي (٧) . دراسة هذا النص تريينا صعوبة قلب الحرف الأول وهو العين إلى الثاني وهو الهاء مثل « مَهْمُ » وكذلك قلب الثاني وهو الهاء إلى الأول وهو العين « مَعَمَّ » وكذلك ثقل وجود العين مع الهاء ، لأن كل واحدة منها مستقلة لنزولها في الحلق فكيف بها مجتمعين مع تناورهما (٨) ؟ إذ العين مجهرة والهاء مهوسنة .

(١) الكتاب : ٤١٧/٢ .

(٢) ابن يعيش : ١٤٢/١٠ ، الكتاب : ٤١٧/٢ .

(٣) نسب عدنان وقططان : ٧ .

(٤) المزهو : ١٩٤/١ .

(٥) ابن يعيش : ١٣٧/١٠ .

(٦) ٤١٣/٢ خط بالtimoriyah .

(٧) الشافية : ٢٦٦/٣ .

(٨) الشافية : ٢٦٦/٣ .

والحق أن حروف الحلق أقل الحروف تألفاً في الكلام ، وذلك لصلابة عضلة الحلق إذا قيست بعرونة عضلة اللسان والشفتين ، فليست عضلة الحلق من المرونة بحيث تسمح باجتماع حروفه في كلمة^(١) . وعلل السيرافي لهذا بقوله : « لأن التقاء حروف الحلق مستقل »^(٢) فبين الأداء والعين خلاف في الهمس والرخاوة والشدة والجهر مما جعلهم يطلبون حرفًا متوسطًا بينهما وهو الحاء ، فقلبت العين حاء فصار : حَمْمٌ^(٣) ، وهذا تأثر رجعي شاع في اللهجات العربية^(٤) ، ثم حدث تطور آخر ، إذ تأثرت الأداء بالباء تأثراً كاملاً حتى فنيت فيها فصارت « مَحْمٌ » وهذا تأثر تقدمي نادر الحدوث في العربية . ولذا نسب سيبويه « مَحْمٌ » في مَعْهُم ، وحَاوَلَاه – في مع هؤلاء إلى تميم^(٥) وعلى ذلك قرئ قوله تعالى « أَلْمَ أَحَدٌ إِلَيْكُمْ يَا بْنَيْ آدَمَ »^(٦) في أعمده ، وعزى الصيغة أحد - لتميم ومثل تلك القراءة قوله « دَحَّا مَحَّا »^(٧) أي دعها معها .

٤ - ومن وجود الإدغام في البيئة التمييمية ما جاء عن الفراء من أنهم كانوا يقولون : في « عبد شمس التمييمية (عبد شمس)^(٨) وكأنهم ألقوا حركة الدال على الباء وأدغموا الدال في الشين ، وكان غيرهم يقول : « عبد شمس » من غير إدغام . ولهذا قال محمد بن حبيب : « كل شيء في العرب عبد شمس إلا (عبد شمس) ابن سعد بن زيد بن مناة بن تميم^(٩) . وعلى هذا فيكون القلقشندي قد أخطأ ، لأنه كتبها « عبد شمس بن سعد » بدون إدغام^(١٠) وكذلك صاحب معجم قبائل العرب حيث سار على نهجه^(١١) . وهذا إن دل فإنما يدل على أن كتابتنا العربية لا تصور اللهجات تصويراً دقيقاً .

(١) الخليل الفراهيدي : ١٢٨ المخزومي .

(٢) شرح السيرافي : ٥٠٨/٦ خط مطرط .

(٣) السيرافي على سيبويه : ٤/٣٢ خط .

(٤) في اللهجات العربية : ١٢١ .

(٥) شرح السيرافي : ٥٠٧/٦ خط .

(٦) سورة يس : ٦٠ .

(٧) الكشاف : ١٨/٤ .

(٨) السيرافي على سيبويه : ٦٢٧/٦ خط في تيمور .

(٩) السيرافي على سيبويه : ٦٢٧/٦ خط في تيمور .

(١٠) نهاية الأرب : ٧٢٤/٢ .

(١١) معجم قبائل العرب : ٧٢٤/٢ كحالة .

٥ - صيغة «الافتعال» ودرجات تقرير الأصوات فيها بين القبائل العربية :

يلاحظ على تاء الافتعال أنها تتأثر بالأصوات المجاورة لها ، والمهدف من عملية التأثير هو تيسير عملية النطق ، وقد يكون هذا التيسير بين الحرفين في صفي الجهر والهمس ، أو بين الشدة والرخواة ، وقد يبلغ التأثير درجة كبيرة في ذلك الصوت ، فيصيغه الضعف والوهن ثم لا يليث أن يقول ويفنى ، شأنه شأن عالم الأحياء ، وهذه العملية لا تتم إلا وفق شروط خاصة ، كما أن درجة هذا التأثير تختلف باختلاف القبائل العربية ، ونعرض الآن دراسة لهذه الصيغة ، ومدى تباين اللهجات العربية فيها :

أ) جاء في معاني القرآن للفراء : « وسمعت بعض بني أسد يقول : قد اتَّغَرَ ، وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة ، وغيرهم : قد اتَّغَرَ « بالثاء » ١ ولتفسير كلام الفراء نرى أن الفعل أصله : افتتعل : اتَّغَرَ ، فاجتمع صوتان متجلزاً متجاوران مهوسان وهما الثاء والثاء ، والثاء صوت رخو ، ونظيره الشديد هو التاء ، وانتقال اللسان من مخرج الثاء إلى مخرج التاء فيه جهد ، لأنّه جمع بين عمليتين متناقضتين ، لأن النطق بالثاء يقتضي الصغير وبالباء يقتضي الانفجار ، ووضع اللسان مختلف مع كلا الصوتين ، لهذا انتقل مخرج الثاء إلى التاء حتى احبس بالبقاء طرف اللسان بأصول الثنائي العليا وهو مخرج التاء ، فأصبحت الثاء شديدة بعد أن كانت رخوة ، وبذلك اتحد الصوتان في الشدة والخرج والهمس – ومتاثل الصوتان كل المائة فتم الادغام .- وأصبحت « اتَّغَرَ » بالباء وهي لفحة أسد ، وقبيلة أسد من القبائل التي سكنت نجدًا فهي بدوية ، وهذا آثرت صوت التاء الشديد ، أما من قال في تلك الصيغة : اتَّغَرَ – بالباء فأرجح أنها قبيلة حضرية ، والقبائل الحضرية تميل إلى الأصوات الرخوة ، ولا شك أن صيغة (اتَّغَرَ) بالباء أسهل ، لأن فيها اقتضاداً في المجهود العضلي ، إذ اللسان قد يسهل عليه أن يرقطم بالحنك والالتقاء به التقاء محكمًا – وهو ما يكون مع التاء – من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك – كما يحدث مع الباء ، وعلى مثل هذا يمكن أن نفهم الروايات المتخالفة التي وردت في قول ليد :

والنَّسِيبُ إِنْ تَعْرُّ مِنِّي رِمَّةً خَلَقَاهُ بَعْدَ الْمَهَاتِ فَإِنِّي كُنْتُ أَتَّغَرِ ٢

وقد ورد في رواية أخرى « أتَّغَرِ » وكتب الطبقات تخبر أن ليداً هذا من بني عامر من قيس ٣ ، وهم مدغمون .

(١) معاني القرآن : للفراء : ٢١٥ / ١ ط دار الكتب .

(٢) سر الصناعة : ١٩٠ / ١ .

(٣) الشعر والشعراء : ٨٨ ت السقا .

ب) ما رواه الفراء « من أنه سمع بعض بنى عقيل يقول : عليك بأحوال الظباء فاصطع طها ، فإنها شفاء للطحل » ^١ .

ولشرح هذه الظاهرة نقول : أصل الصيغة « افتعل » ، « اصطعط » وقد اجتمع في تلك الصيغة صوتان مهموسان : الصاد والتاء ، غير أن أحدهما مطبق والآخر مستفل فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء ، فصارت الكلمة « اصطعط » ثم زاد تأثر الطاء بالصاد فصارت « اصطعط » ولهمجة عقيل فيها تيسير للمجهود العضلي ، لأن عمل اللسان فيها من وجد واحد ، وعقيل من قيس - وهي ضاربة في البداوة والبدو حريصون على أن تتأثر الأصوات المتجاورة وتتفاعل حتى لا ينتقل اللسان من علو إلى استفال أو عكسه ولا شك أن هذا التفاعل أدى أخيراً إلى خلق صيغة أيسر ، وذلك ما تهدف إليه القبائل البدوية ، وخير من يمثلها عقيل .

ج) كالتقلب تاء الافتعال أيضاً - إذا كانت مع الدال والذال والزاي - دالاً - فإذا أردنا أن نصوغ « افتعل » من ذكر - فلنا « اذتكر » فالذال مجرورة والتاء مهموسة فتأثرت التاء بالذال ، وإنقلبت إلى صوت يماثلها وهو الدال فأصبحت « اذذكر » وهذا تأثر تقدمي ، لأن الثاني تأثر بالأول ، وحدث أن أصايبها تطور آخر فصارت (اذْكُر) ففي الصوت الثاني في الأول ونطق بها صوتاً واحداً كالأول ، وهذا تأثر تقدمي أيضاً ^٢ ، وتلك لهمجة أسد كما رواها الفراء حيث يقول : « وبعض بنى أسد يقول : « مذْكُر » ^٣ ، وقد مالت بعض اللهجات إلى أن فني الصوت الأول في الثاني فصارت « اذْكُر » بالدال وهذا هو القياس في الإدغام إذ يقلب الأول إلى الثاني . لا العكس ، ومن أجل هذا قال عنه ابن جنبي : « وهو الوجه » ^٤ وهو تأثر رجمي . أما ما جاء عن قبيلة ربعة من قولهما : « الذَّكْرُ بالدال في « الذَّكْرُ » بالذال فهم قد توهموا أنه من « اذْكُرْهُ » وهو ليس منه ، لأن « الذَّكْرُ » لعبة يلعب بها الزنج والحبش ، وكأنهم ألغوا فيها هذا القلب لمارأوه في اذْكُر واذْكُر ، ويمكن أن يكون هذا تعليلاً لقول سيبويه معلقاً على لهمجة ربعة السابقة : وهو غلط حلهم عليه اذْكُر ^٥ ، وما يؤيد ما أميل إليه من أن الكلمة عند ربعة لم

(١) معاني القرآن : للفراء : ٢١٦/١ دار الكتب .

(٢) الأصوات اللغوية : ١١٥ ط ٢ .

(٣) اللسان : ٣٧٦/٥ .

(٤) المنصف : ٣٣١/٢ .

(٥) اللسان : ٣٧٦/٥ .

يحدث فيها إدغام قول النبي : « الذَّكْرُ » ليس من كلام العرب ، ورببيعة تغلط في الذَّكْر بالذال ، فتقول : ذَكْرٌ « بالذال »^١ ولعل رببيعة ورثت هذا الخلط بين الذال والذال نتيجة اتصالها بالقبائل المخالطة للسريانيين والأراميين إذ كان يكثر عندهم الخلط بين الذال والذال^٢ .

ولقد كان القرآن الكريم صدى لهذه الظاهرة ، فقد جاء فيه « وادَّكَرْ بعْدَ أُمَّةً »^٣ قرأ الحسن : وادَّكَرْ — بالذال^٤ . كما نامح صدأه أيضاً في مماثل لهذه الظاهرة في قوله تعالى : « وما تذَّخرون في بيوتكم »^٥ وأصلها « يذَّخِرُ » فلما اجتمعت الذال والتاء وما متقاربنا المخرج ثقل إظهارها على اللسان ، فأدغمت إحداها في الأخرى وصيغة دالاً مشددة ، (ومن العرب من يغلب الذال على التاء ، فيدغم التاء في الذال فتصبح « تذَّخرون »)^٦ ، ولكن الطبرى أيدى قراءة الذال بدليل قوله « لا يجوز القراءة بغيرها لظهور النقل من القراءة بها » ثم ظهر إيشاره لها بقوله مرة أخرى « وهي اللغة الجودى »^٧ مع أن الفراء في معانى القرآن قرأ بها^٨ وهذا دل فلاغاً يدل على أن الطبرى كان سلفياً ، يعتمد على الرواية والنقل ، والإجماع .

د) كما حديث تأثير آخر من نوع آخر في صيغة الافتعال السابقة ، وذلك فيما إذا كانت فاء الافتعال السابقة واوأ أو ياء أصلية — فقد حدث تطور في الصيغة فبعض القبائل العربية آثرت قلب الواو أو الياء — تاء — في جميع فروع الصيغة كاسم الفاعل والمفعول — ثم تدغم تلك التاء في تاء الافتعال مثل ذلك في الواو : اتصال ، اتصل ، يتصل ، متصل به ، ومثاله في الياء :

اتسار ، واتسر ، ويتسر ، ومتسر ، وأصل الصيغة الواوية :

(١) اللسان : ٣٧٦/٥ .

(٢) الفلسفة اللغوية : ص ٦١ تحقيق د. مراد كامل .

(٣) سورة يوسف : آية ٤٥ .

(٤) إتحاف فضلاء البشر : ٢٦٥ .

(٥) آل عمران : آية ٤٩ .

(٦) تفسير الطبرى : ٤٣٦/٦ - ٤٣٧ - تحقيق شاكر .

(٧) تفسير الطبرى : ٤٣٦/٦ - ٤٣٧ - تحقيق شاكر .

(٨) معانى القرآن : ٢١٥/١ .

أو تصال ، أو تصل ، وموتصل ، كما أن أصل الصيغ اليائية : إيتسار ، وإيتسر ، وميسر ، فقلبت الواو والياء تاء وادغمتا في تاء الافتعال .

وقد وصف صاحب التصريح هذه اللغة بأنها اللغة الفصحى ، وكذلك نقل صاحب الماسوس^٢ عن الأشموني مثل هذا ، وقد وصفها ابن جنی في سر الصناعة بأنها : « الأكثر والأقىس ، وهي لغة الحجاز » .^٣

ولا أوفق ابن جنی في أنها لغة الحجاز ، كما أن قول صاحب التصريح والأشموني بأنها هي اللغة الفصحى ، لا يعني بأنها لغة الحجاز ، لأن اللغة الفصحى شيء ، ولغة الحجاز شيء آخر ، ويظهر أن القدامي من علماء اللغة كانوا يسمون لغة الحجاز بأنها الفصحى ، ولا أرى ذلك إلا عصبية منهم ، ولقد عثرت على شواهد لهذه اللهجة لشعراء ليسوا من شعراء الحجاز فمن ذلك :

١ - ما عزاه صاحب التصريح إلى الأعشى :

فإنْ تَسْعِدِنِي أَتَمُدُكْ بِثَلَاهَا وَسُوفَ أَزِيدُ الْبَاقِيَاتِ الْقَوَارِضا

٢ - كما أنه عزى إلى طرفة :

(فإن القوافي يَتَلَجِّنُ مَوَالِيًّا)^٤

وإذا استشرنا كتب الطبقات عن هؤلاء الشعراء - أشار القلقشندي بأن الإعشى هو ميمون ابن قيس ينتهي نسبه إلى بكر بن وائل^٥ ، وأشار الزوزني إلى أن طرفة بن العبد من ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل^٦ . وأرى أن هذا لا يمكن أن يكون لضرورة الشعر ، لأن البيت لا يتأنّر وزناً إذا قال : توعدني أو تهدك ، كما أن بيت طرفة لا يتأنّر وزناً لو قال : يوتلجن . فالوزن الشعري مستقيم على كلتا اللهجتين .

٣ - قيل للأحنف بن قيس : أي المجالس أطيب فقال : ما سافر فيه البصر ، واندفع فيه

(١) التصريح : ٣٩١/٢ .

(٢) انظر : الماسوس : ٥٣٥ .

(٣) سر الصناعة : ١٦٥/١ ط إدارة إحياء التراث .

(٤) التصريح : ٣٩١ - ٣٩٠/٢ .

(٥) نهاية الأربع : ٣١٩ .

(٦) شرح المعلمات : ٤٣ - للزوزني ط ٣ الحلبي .

البدن^١ والأحنف هذا ابن قيس أحد بني مرة بن عبيد بن الحارث بن كعب بن سعد من تميم^٢، وهذه الأدلة الخامسة تقطع بأن تلك اللهجة لم تكن لهجة المجاز، بل لهجة شرق الجزيرة العربية التي تجنب للادغام، وتأثير الأصوات، بدليل تحقيق نسب : الأحنف التميمي، والشاعرين البحريين. ومؤلأه جميعاً كانوا يسكنون شرق الجزيرة العربية، ويظهر أن لهجة المجاز كانت لا تبدل الواو والياء - فاء - بل كان لهم مذهب آخر - إذ كانوا يبدلونها من جنس حركة ما قبلها فيقولون في الأمثلة السابقة : ياتصل، موتصل، ايتسر، موتسر، وايتعاد، وايتساراً. وما يؤيد أن هذه الأخيرة لهجة المجاز - أنها كانت ترد بكثرة في أسلوب الشافعي (رضي الله عنه) فقد ورد في «باب العلل في الأحاديث» قوله «وآخرى موقعة»، وأخرى مختلفة : ناسخة ومنسوبة...»^٣ و قوله في باب البيان الثالث «وتحتفل سنته واتفاق»^٤ و قوله في باب «اللهجة في ثبیت خبر الواحد»، «ولانستطيع أن نزعم أن اللهجة ثبتت به ثبوتها بالموتصل»^٥ و قوله في (باب القياس) «ایتفق المقايسون في أكثره...»^٦.

فجميع هذه الأساليب للشافعي مستقاة من رسالته - أبدلت فيه فاء الاقتعال حرفاً لينا من جنس الحركة قبلها، ويمكن أن نوثق هذه الأساليب على أنها لهجة المجاز داخلياً وخارجياً - فالتوثيق الداخلي أن الشافعي أملأ هذا الكتاب الذي به هذه الأساليب أملأه على الربع تلميذه^٧، فهي أساليب الشافعي نفسه، والتوثيق الخارجي يثبت أن الشافعي قد هو جازى، فالشافعي إذاً عندما يلقي أو يتتحدث فإنما يتحدث بلغته لغة أهل المجاز.

وما يوسع له أن الذين حققوا رسالة الشافعي هذه، قد حرفوا في الظواهر اللهجية التي أشرت إليها على أنها لهجة الشافعي - وحملوها على اللغة الفصحى، فقالوا : «متافق»، «وتنتفق» و «المتصال» و «اتفاق».

(١) الكامل للمبرد : ١٠٢/١ .

(٢) نهاية الأربع : للقلقشندى : ٢٨٦ ، الكامل : ١٠٢/١ .

(٣) الرسالة : ٢١١ للشافعي .

(٤) الرسالة : ٣١ للشافعي .

(٥) الرسالة : ٤٦٤ للشافعي .

(٦) الرسالة : ٤٧٩ ، للشافعي .

(٧) الرسالة : ١٢ ، ١٨ . للشافعي .

وحيث هذه التعاريفات مختلفة لأصل الكتاب المخطوط^١، وهذا يشير إلى أن الممات اللهجية كثيرة ما تدرك بيد المصححين والمحققين – حيث يحملونها ويفيرونها معايرة للفصحي، وبذلك يقع كثير من ضياع ظواهر اللهجات العربية على أيديهم، فإذا ما زوى الكسائي عن العرب «الطريق ياتسق وياتسع»^٢ أي : يتتسق ويتوسع – فالمعنى بتلوك الرواية عن الكسائي – لهجة الحجاز دون غيرها، كما تقدم، ولقول السيرافي «وبعض العرب من أهل الحجاز يلزم في افتعل الأصل ولا يقلب الواو تاء»^٣ وعلل الشدياق للهجة الفصحي التي أبدلت فيها الواو والياء – تاء بقوله «لأنهم لو أقروها لتلاعبت بها حركات ما قبلها فكانت تكون بعد الكسرة ياء، وبعد الفتحة ألفاً وبعد الضمة واواً، فلما رأوا مصيرها إلى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها – أبدلوا منها حرفًا يلزم وجهاً واحداً – وهو التاء»^٤، كما علل ابن جنني لإيثار التاء بقوله : «وكانت التاء قريبة الخرج من الواو، لأنها من أصول الثناء، والواو من الشفة، ... وقد فعلوا هذا أيضًا في الياء وأجروها بغير الواو فقالوا في افتعل من اليُسِّ واليُسُّ : اتبَسْ واتَّسَرْ»^٥ وهذه اللهجة الفصحي، والتي جاء عليها شعر الشعراوي وحدث فيها تأثير رجعي وهو الشائع في العربية :

٦ – وكما اختلفت القبائل العربية في درجات التقريب بين الأصوات في صيغة الافتعال اختلفوا كذلك في حركة آخر الفعل الأمر المضعف، ومضارعه المجزوم – إذا لم يتصل بها شيء :

١) الفتح مطلقاً مثل : «مُدّ» و«عَضّ» و«عِزّ»، وقد عزا الأشموني تلك اللغة إلى بني أسد وناس غيرهم^٦، وقد أهل رضي الدين^٧ عزوها، وكذلك صاحب الهمع^٨.

(١) انظر : الرسالة : ٤٧٩ ، وتعليق رقم ٥ للمرسوم أحمد شاكر.

(٢) سر الصناعة : ١٦٥/١ .

(٣) شرح السيرافي على سيبويه : ٥٥٦/٥ - ٥٥٧ خط بالتمورية .

(٤) الجاسوس على القاموس : ٥٣٥ .

(٥) سر الصناعة : ١٦٤/١ .

(٦) الأشموني : ٣٥٣/٤ .

(٧) الثانية : ٢٤٣/٢ .

(٨) ٢٢٧/٢ .

ب) والكسر مطلقاً - وهم كعب وغني^١ ، وعزيز في الأشموني الى كعب وغيره^٢ ومثل الأشموني عزاماً صاحب الدرر اللوامع^٣ . بينما عزاماً السيرافي الى كعب وغني^٤ . وفي التصريح الى كعب وغيره^٥ .

ج) الاتباع لحركة الفاء ، وهذا أكثر في كلامهم مثل : مُدْ ، عَضْ ، عِزْ .
ويكزن أن يعلل الفتح الذي جاء على لغة أسد - بأنه جاء للتخفيف ، ويعلل الكسر الذي جاء لغة كعب وغني ، لأن الأصل في التخلص من الساكنين ، أما الاتباع لحركة الفاء - فأرجح أن القبيلة التي نطقت به قبيلة تهدف الى انسجام الأصوات ، ولذا أميل الى أنها قبيلة تميم ، لأن الانسجام فيها أكثر مثل قوله : بِسِعِير ، شِعِير .

بقيت مسألة وهي مناقشة الخلاف في تحديد المؤثرين للكسر ، وباستشارة كتب الأنساب تهديننا بأن كعباً من عامر بن صعصعة من قيس^٦ وأن تميئراً كذلك من عامر بن صعصعة من قيس^٧ ، وأن غنياً بطون من قيس^٨ . وهذا أرجح أن الظاهرة في تلك البطون الثلاثة ، لأنها يرجعان الى أصل واحد ، فمن عزاماً الى كعب وغني ، فلأنه اكتفى بها عن اختها تمير ، ومن عزاماً الى كعب وغيره - اكتفى بها عن اختها غني ، كما يلاحظ أن تلك الظاهرة تتحقق في قبائل الشرق منفتح أو كسر أو إتباع .

٧ - وكما اختلفت مذاهب العرب فيما تقدم ، اختلفت كذلك في حالة اتصال الفعل المضعف بالنون ونون الضمير ، فاللغة الفصحى تفك الإدغام - كقولنا : رددت وردتنا ورددنـ وغيرها ، وهذا مذهب للعرب حجازتهم وتميمهم - وإنما وجوب الفك للزوم سكون الثاني ، ولأن ما قبل الضمير البارز المرتفع لا يكون إلا ساكناً ، إلا أن بكر بن وائل - أو على

(١) الشافية : ٢٢٧/٢ .

(٢) ٣٥٣/٤ .

(٣) ٢٤٠/٢ .

(٤) شرح السيرافي على مسيبويه : ٦٨٢/٤ خط بالティمورية .

(٥) ٤٠٢/٢ .

(٦) نهاية الأربع : ٤٠٦ ، القلقشندي .

(٧) حاشية الصبان على الأشموني : ٢٥٢/٤ ، نهاية الأربع : ٤٣٣ القلقشندي .

(٨) تاريخ العرب : ٣٢٠/٤ جرداد علي .

ووجه الدقة أناساً من بكر بن وائل^١ ، يدغمون فيقولون «رُدْنَ» ، ويرُدْنَ ، ورُدْنَ في المضارع والماضي والأمر^٢ فيحرّكون الثاني بالفتح للساكنين وكأنهم قدروا الإدغام قبل دخول النون والباء فأبقوها اللفظ على حاله بعد دخوها ، ويروى الدكتور إبراهيم أبيس في لهجة بكر بن وائل – أن النبر فيها قد انتقل إلى الأمام ، من المقطع «رَدَ» إلى المقطع «دَ»^٣ ولهجة بكر بن وائل هذه قد خلعت عليها علماء اللغة عدة أوصاف أشهرها ما جاء عن المخليل من أنها لغة ضعيفة^٤ ، وقال عنها اللسان بأنه تركيب قبيح في العربية^٥ ، ورأى الشارح رضي الدين بأنه شاذ قليل^٦ ، وعلق عليها صاحب التسهيل «بأنها لغة»^٧ وأيضاً ما كان من تلك الأوصاف القادحة – فهي تمثل بيئة لغوية ، وحقلاً لمجياً – انعكست صفحاته في المؤثر من القرآن والسنة .

١ – أما الكتاب الكريم فقد قرأ ابن أبي عبلة والوليد بن مسلم والقوصي عن أبي جعفر والسمار عن شيبة قوله عز وجل : «أَفَعَيْنَا بِالخَلْقِ الْأَوَّلِ»^٨ بتشدد الياء من غير إشباع في الثانية – هكذا قال أبو القاسم الهذيلي^٩ . كما وردت رواية مثل السابقة عن ابن أبي عبلة – في شواد القرآن لابن خالويه^{١٠} . ولا توجيه لتلك القراءة إلا على إدغام الياء في الياء في الماضي : عي^{١١} في عي – فلما أدغم لفظه ضمير المتكلم من غير فك للإدغام . فتكون الصيغة «عيتنا» – وهذا شبيه بما تفعله بكر بن وائل في مثل هذا ، ولماذا عزيت في البحر المحيط إليها^{١٢} .

- (١) الشافية : ٢٤٦/٢
- (٢) التصريح : ٤٠٣/٢
- (٣) في اللهجات العربية : ١٣٩ ط ٢
- (٤) التصريح : ٤٠٣/٢ ، الأشموني : ٤/٣٥٢ - ٣٥١ .
- (٥) ٤/٢٢٠
- (٦) شرح الشافية : ٣٤٥/٣
- (٧) الصبان على الأشموني : ٤/٣٥٢ - ٣٥١
- (٨) سورة ق : آية ١٥ .
- (٩) البحر : ١٢٣/٨
- (١٠) مختصر شواد القرآن : ١٤٤ ان خالويه .
- (١١) البحر : ١٢٣/٨

٤ - وأما السنة فقد جاء فيها « قالوا يا رسول الله : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمتَ »^١ وأحسن الآراء فيها أن أصلها : أرْمَنْتَ - أي (بليت) وقد صرت رميماً - فمحذف إحدى الميمين ، كقولهم : ظَلَّنْتُ - في ظَلَّلْتُ^٢ . والوجه فيَ من نطق على هذا الوجه أنهم قدروا الإدغام قبل دخول التاء . وهذه اللغة في ناس من بكر بن وائل ، وقد جاء في حديث أحد ما يشبه هذا وفيه « حق رأيت النساء يَشْتَدِنَ في الجبل »^٣ أي يعذبن . وقد جاءت الرواية على اللغة الفصحى هكذا عن كتاب الحميدى ، وورده في كتاب البخاري رواية أخرى : يَشْتَدِنَ « بدل واحد » ، كما جاء في رواية أخرى : يُسْنِدِنَ - بسِنْ مهملة ونون^٤ - والمعنى : يصعدن فيه . واللغة الفصحى في هذه الروايات هي يَشْتَدِنَ ، لأن ما قبل نون النساء لا يكون إلا ساكناً فيلتقي ساكنان ، فيحرك الأول ، وينفك الإدغام ، وأما رواية البخاري فلا وجه لها إلا أن تحمل على لغة بكر بن وائل ، ووجهها كما قال الخليل : « أنهم قدروا الإدغام قبل دخول التاء والنون »^٥ والمقصود هنا نون النساء .

ولا شك أن السنة تعكس كثيراً من جوانب اللهجات العربية القديمة ؛ لأن الرواية الذين رووها كثيراً ما يروون الأحاديث الشريفة فتظهر فيها آثار للهجاتهم هم ، كما في الآرين السابقين . ويظهر أن لهجة بكر بن وائل لم تكن وحدها في هذا الطريق ، بل شاركتها قبائل أخرى ، ولكن على شكل آخر ، فبدلاً من أن تقول بكر بن وائل : رَدَّتُ ، تصوغها تلك القبائل على هذا النمط أيضاً لكن بزيادة ألف بعد المدغم قبل الضمير ، جاء في شرح الشافية « وبعضهم يزيد ألفاً بعد الإدغام نحو : رَدَّاتُ وَرَدَّانَ »^٦ وكان هذه اللهجة تتلزم تسكين ما قبل هذه الضمائر - كما في الأفعال الصحيحة مثل ضربت وكتبت . ونقل الصبان مثل هذه اللهجة عن التسهيل بدون عزو كما في الشافية^٧ ، ولم أجده فيها تحت يدي من المصادر ما يشير إلى عزو تلك

- (١) اللسان : ١٤٥/١٥ .
- (٢) اللسان : ٢٨٠/١٤ .
- (٣) اللسان : ٢٢٠/٤ .
- (٤) اللسان : ٢٢٠/٤ .
- (٥) التصریح : ٤٠٣/٢ .
- (٦) شرح الشافية : ٢٤٥/٣ .
- (٧) الصبان عل الأشموني : ٣٥١/٤ - ٣٥٢ .

اللهجة الى قبيلة أو عشيرة ، لكن نسبها الدكتور ابراهيم أنيس الى قيس عيلان^١ ، بدون أن يشير الى مصدرها ، ولعل تلك اللهجة هي أصل لهجتنا العامية حتى الآن حيث نقول: رَدَّيتْ سَدَّيتْ . في ردّات وسدّات وكل ما حدث أنه أميلت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء .

تعليق :

ظهر من كلام علماء النحو واللغة أن الإدغام كان في قيم وقيس وأسد ، وعندما تصدينا لدراسة نصوصه ظهر أن الإدغام كان يغطي منطقة أوسع مما حددها النحاة فقد ظهر الإدغام في قبائل عقيل ، وعامر بن صعصعة ، وبني عجل ، وهم بطن من بكر بن وائل كما ظهر في بكر ابن وائل نفسها ، كما بدت سماته واضحة في بلعتبر ، وبني سعد بن زيد مناة من قيم بل سمعنا صدأه في الحجاز ، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: « أَيُّهَا رَجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبَتْهُ أَوْ لَعَنَتْهُ أَوْ جَلَّهُ ... »^٢ بإدغام التاء في الدال .

كما قرأ ابن عباس مخروف من الإدغام ، وذلك في قوله تعالى : « هَلْ تَرَى مِنْ فَطُورِ » قرأها : « هَتَّرَى »^٣ بإدغام اللام في التاء ، والنبي ﷺ وابن عباس من بيته الحجاز . ثم في غير ذلك نرى كثيراً من قراء مكة والمدينة يقرءون بالإدغام - فنافع المدني (١٦٩) و قالون المدني راوي نافع : قرئاً بإدغام الذال في التاء من (اخْذَتْمُ وَأَخْذَتْنُ) كيف وقعا جمأ أو فرداً^٤ . كما أدغم ورش ، (١٩٧) وهو راوي نافع المدني (دَالْ قَدْ) في الضاد والظاء المجمعتين نحو : فقد ضلَّ ، فقد ظلَّ - وناء التائيني الساكنة في الظاء المجمعة نحو : « حَرَّمَتْ ظَهُورَهَا » ، كما أدغم النون في الواو من (يَسْ وَالْقُرْآنَ) ومن (نَوْنَ وَالْقَلْمَنْ) ، وكذلك أدغم الذال في (اخْذَتْمُ) و (أَخْذَتْنُ) كيف أَتَيَا^٥ . فإذا كان الأمر كذلك عرفنا أن الإدغام كان منتشرأً في أجزاء من الجزيرة العربية شرقها وغربيها ، بسل كأن هو اللغة الرسمية السائدة التي تلقفها القرآن الكريم من لمحات العرب ، وهذا يقول أبو عمرو : « الإدغام كلام

(١) في اللهجات العربية : ١٣٩ .

(٢) اللسان : ١٢٥/٣ ط بيروت .

(٣) شرح السيرافي : باب إدغام القراء .

(٤) الإضافة : ١٣١ .

(٥) الإضافة : ١٤٠ .

العرب الذي يجري على ألسنتها ، ولا يحسنون غيره »^١ وعده ابن فارس من خصائص العربية^٢ ، وهذا تردد ظاهرة الإدغام في كثرة غامرة من آيات الكتاب الحكيم ، لأنه ظاهرة راقية تهدف إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الحفة والسهولة ، وهذا عبر هذا الإدغام القرون حق وجدنا سعادته في لهجاتنا الحديثة فنحن نقول : قال لك ، جعل لك ، كما نسمع في لهجاتنا : حدّتُهم في حدّتهم ، كما قد نشأت بعض الأساليب العامية من قبل الإدغام ، ومن ذلك قولنا : اش زيتك ، وأصل هذا : أي شِ زيتك – فذهب التنوين ، وكذلك حركة الإعراب ، وأبدلت الشين زاياً ، وأدغمت في الزاي .

(١) النشر : ٢٧٥/١ .

(٢) الصافي : ١٥ .

الادغام يفسر إهمال الاعراب في اللهجات الحديثة

عرفنا أن الإدغام الكبير يسلب الحرف الأول حركته، ثم ينبو اللسان بها نبوة واحدة فتصير شدة الامتزاج في السمع كالحرف الواحد، فكأن الإدغام يزيل الإعراب كاف في قوله تعالى (مالك لا تأمنا)^١، والأصل : تأمننا - فذهبت الضمة التي هي علامة الرفع، لأجل الإدغام، وإذا ما تصفحنا كتاباً كالنشر، أو إبراز المعاني - بربت لنا آيات عده من كتاب الله قرئت بالإدغام - أي بذهاب الإعراب، وهذا دليل على أن العربية الفصحي كانت تهمل الأعراب أحياناً بدليل ما أثر عن أبي عمرو من تسكين حركة الإعراب في مثل «بارئكم»، يعلّمهم، يأمركم، تأمرهم، يشعركم، تخشىهم، وبعوْلَتْهِنْ، ومكر السيء، وغيرها - بل جاء الإسكان في الشعر لغير ضرورة - ثم إننا نرى فقد الإعراب في لهجاتنا الحديثة، بل إن كثيراً من علمائنا المحدثين قد رحلوا إلى جزيرة العرب بغية التنقيب عن آثار تلك الظاهرة، فلم يجدوا أثراً لها في كلامهم^٢ فإذا كانت ظاهرة الإعراب قد فقدت من اللهجات الحديثة، حتى في مكان الوحي ونزول القرآن، ولهجاتنا الحديثة تلقفناها عبر التاريخ وورثناها عن آبائنا العرب، فلهجاتنا موصولة بهمجاتهم، وإذا كانت لهجاتهم تهمل الإعراب في كثرة غامرة في صور الإدغام الكبير، «أفلا يصح اتخاذ ذلك أساساً سليماً لتفسير انتشار ضياع الأعراب في لهجاتنا الحديثة»^٣؟ والحق أن الإعراب ليس في حقيقته إلا ناحية متواضعة من نواحي اللغة، ولكن النحاة جعلوه هامة تلك الظواهر، حتى عظم شأنه، وأصبح سلاحاً في يدهم، ولكن الشعراء ثاروا عليهم ويتجلّى ذلك فيما حدث بين الفرزدق وعبد الله الخضرمي، ثم قامت المناقشات الكثيرة بين النحاة والقراء بسبب الإعراب - حتى رمى النحاة القراء بالجهل وذلك بسبب خروجهم عن قواعدهم وأصول إعرابهم؛ مع أن القراء يؤولون بقواعدهم إلى العهد الذي لا يسويه أبداً شوب من لحن، أو دفع من خطأ، والقراء في الضبط والتحري بالمكان الذي لا يحياري، ثم ان القرآن عند نزوله لم يكن التحو العربي قد استنشق نسمة الحياة، وإنما وجد التحو بعد ذلك،

(١) سورة يوسف : آية ١١ .

(٢) من أسرار اللغة : ١٣٩ هامش الطبعة الأولى .

(٣) مجلة كلية الآداب : م ١٥ ج ١ من مقال «الدكتور عبد الحليم التجار» .

^{٤)} من أسرار اللغة : ١٢٥ ظ الأولى .

وعندما وضع أخذوا يخضرون نصوص القرآن واللغة لقواعدهم ولأعرافهم ، ولكن قراءة القرآن يجب أن تحكم النحو ، والنحو لا يحكم على القراءة، لاسيما وأنه كان من القراء أئمة في النحو واللغة، ووجهاتنة في العربية كأبي عمرو البصري (١٥٤هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي المخزومي (١٩٠هـ) وغيرها .

والخلاصة : أن انتشار الإدغام واتساع دائرته في القراءات يربط بين اللغة الفصحى كما يمثلها القرآن – حيث فقدت بعض مظاهر الإعراب بالإدغام – وبين لهجاتنا الحديثة ، تلك التي لا نلح فيها أثراً لهذه الظواهر الإعرابية . ولا شك أن هذه النظرة تؤيد العلاقات المهجوية عبر القرون بيننا وبين آبائنا ، أو بين السالفين والخلفين . ولست مفالي إذا قلت : إن الحقل اللغوي الذي تصوّره قراءات القرآن الكريم – ينطوي على تاريخ لغتنا ، ويتمثلها تثليلاً واقعياً أصدق من غيره .

الفصل السادس

ظاهرة المهز والتسهيل بين لهجات القبائل

عندما ننظر الى اللهجات العربية الحديثة في الأقطار العربية، نرى بعض هذه اللهجات تحقق المهز ، وببعضها الآخر يسهلها ، وهذا لا شك يفسر لنا اختلاف القبائل العربية النازلة في العالم العربي ، فبعض تلك القبائل النازلة لا شك أنها كانت تحقق ، والأخرى تحفظ ، أو تسهل المهز ، فورثنا هذه الظواهر عن أسلافنا ظاهريّة : المهز والتسهيل ، ولأجل هذا يقف الباحث موقف الشك فيما رواه موسى بن عبيدة عن نافع عن ابن عمر قال : « ما هنّز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء – وإنما المهز بدعة ابتدعوها من بعدهم »^(١) إذ كيف يكون المهز بدعة ، وهو سمة لهجية لا يستطيع العربي أن يتخلّى عنها – لاسيما إذا كان هذا العربي من أهل التحقيق ، ثم كيف يتفق هذا الحديث مع الروايات القرآنية التي جاءت بتحقيق المهزات في كثير من الآيات ، وما يقدح في صحة هذا الحديث ما جاء عن أبي شامة – من أن موسى بن عبيدة ضعيف عند أئمّة الحديث .

وقد يكون مثل هذا الحديث في الضعف ما روي أن رجلاً قال النبي ﷺ : يا نبي الله – بالهز ، فقال له : لا تبر باسمي ، أي لا تهز^(٢) فمحال أن يكتفى النبي ﷺ بقوله رجلاً أن يتقلّل من لهجته إلى لهجة أخرى – لما في ذلك من العنف والمشقة ، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ، فإذا أضيف إلى هذا أن حران – وهو الرجل الذي جاءنا الحديث السابق من طريقه – رافق ، بل قال عنه النبي « ليس بشقة »^(٣) داخلنا الشك في هذا الحديث ، وقد يكون الرسول ﷺ إما كره « النبي » بالهز ، لأنّه يتومّ منها أنها من « نبا من أرض إلى أرض »^(٤) أي خرج منها ،

(١) الإتقان : ١٠٠/١ .

(٢) اللسان : ٤٠/٧ ، اشتقاد ابن دريد : ٢٧٣ ط مستند .

(٣) الإتقان : ١٠٠/١ ، وما يقرّي ضعف هذا الحديث أنه عليه السلام قد أنسده الماذج : « يا خاتم النّبّيَّ إناك مرسل » انظر القرطبي : ٤٣١/١ .

(٤) المصباح : ٤٣١/٢ .

فقد يحمله بعض من يضرم السوء - على خروجه من مكة الى المدينة على غير وجه التكريم ، والنبر في الحديث السابق يرافق الهمز ، ويؤيده ما جاء عن أبي زيد من أن « أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون » ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذ من قول قيم إلا بالنبر ، وهم أصحاب نبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا »^(١) ، فالمراد بالنبر في قول عيسى بن عمر : تحقيق الهمز ، ويفسر الدكتور إبراهيم أنس الضوررة في قوله عيسى بن عمر بأنهم ما كانوا يهمزون إلا حين يلجئون إلى اللغة النموذجية ، وفي المجال الجدي من القول فعيلند يخرجون عن عادتهم وسليقهم في تسهيل الهمز « فكان الحجازيين ما كانوا يهمزون إلا حين يلجئون إلى اللغة الأدبية »^(٢) ، وذلك تفسير الاضطرار في قول عيسى السابق ، ولكنني ربما أجده فيما آخر لهذا « الاضطرار » في قول عيسى ، فالشاعر قد يضطره الوزن الشعري إلى أن يبدل من الحرف همزة كا ورد ذلك في قول الشاعر :

فأقسم لو لاقى هلاكا وتحته مصلك كتدبب الرآدة المتأوب
لأدأها سكرها أو أصبح بيته لدبه من الإعواوال نوح مسلب

قال السيرافي على شرح سيبويه « فهمز الألف في « أداما » - لأنه لو تركها ساكتة لم يستقم البيت^(٣) . ومثل الضرورة السالفة ضرورة أخرى جعلت الشاعر « كثيراً » الخذاعي يهمز في غير موضع الهمز ، قال في رثاء عبد العزيز بن مروان :

للأرض أمّا سودها فتجلىتْ بياضاً وأمّا بيضها فاسنواً دَتْ^(٤)

وما رواه السيرافي من قول الشاعر :

قد كان يذهب بالدنيا ولذتها موالي ككباش المؤوس سُحاج^(٥)

فهمز الياء من « موالي » لاستقامة البيت . وخزاعة التي منها كثير تخفف الهمز ، بدليل أن « كثيراً » دخل على عبد العزيز بن مروان فأنشده شرعاً ، فقال له بعض جلسائه : لحنت قال : في أي شيء ؟ قال : في قوله :

(١) اللسان : ١٤/١ .

(٢) مستقبل اللغة العربية المشتركة : ٦٩ .

(٣) شرح السيرافي على سيبويه : ٢٧٢/١ مخطوط بالティمورية .

(٤) الموضع : ١٤٦ .

(٥) شرح السيرافي على سيبويه : ٢٧٢/١ مخطوط بالتيمورية .

لا أُنْزَرُ النَّائِلُ الْخَلِيلُ إِذَا مَا اعْتَلَّ نَزْرٌ . الظُّهُورُ لَمْ تَرِمْ

وأصل الفعل « ترأّم » بالهمز ، فقال له كثير : اسكت : هذا كلام قومي . فإذا كان الشاعر وقومه يسلّون – فما الذي يدعوه إلى أن يهمز ما ليس بهموز ؟ لا شيء إلا الضرورة ، ولذلك قال في بيته الأسبق (فاسوأدت) . ثم إن كثيراً من القراء كانوا يقرءون بالتحقيق مرة ، وبالتسهيل أخرى ، ولم يقل أحد إنهم كانوا مضطرين عندما يحقّقون المهمز . فسابن كثير وأبو عمرو ، وابن عامر ، وغيرهم يقرءون « مرجئون »^(١) و « ترجى »^(٢) بالهمز ، والباقيون يقرءون ذلك بغير همز^(٣) . وقرأ عاصم « يأجوج وmajوج »^(٤) بالهمز ، والباقيون بغير همز^(٥) . ويظهر أن المهمز وإن كان من خصائص التمييمية ، إلا أنه لما شاع وظهر أمره ، اتخذته الفصحى شعاراً لها وأصبح المهمز ينتمي لها أكثر مما ينتمي إلى مهده الأول في قيم « وهذا يعد تحقيق المهمز من أبرز الأمور التي اقتبستها اللغة النموذجية من غير البيئة الحجازية »^(٦) . ووجدنا المهمز حينئذ يفقد طابعه المحلي ، وينتمي إلى الفصحى الأدبية ، وهذا وجدنا أمثال نافع المدنى (١٥٧) يحقق : النبيين ، والنبيون ، والنبوة ، والنبي « إِذْ كَانَ يَقْرُؤُهَا بِالْهَمْزِ » ، مع أنه في بيئه حجازية لا تهمز^(٧) ! ماذاك إلا لأن المهمز قد ملك على الناس شعورهم ، « وهذا فإن القارئ المشهور حزة الكوفي (١٥٦ هـ) وجد من الضروري أن يحدّر الناس من المبالغة في تحقيق المهمز عند التلاوة » ، « لأن نطق المهمزة أصبح (موضة) العصر »^(٨) . بل كانوا يبالغون فيه ، ويهمزون ما ليس أصله المهمز ، قال صاحب الصلاح « وربما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بهموز »^(٩) ومثل السيوطي لهذا بقولهم « حلات السويق » ، ورثات زوجي بآبيات ، واستلامت الحجر ، ولباتت بالحج^(١٠) والمثال الأول : من الحلواء والثاني على التوهم ، لأنها سمعتهم يقولون :

(١) سورة التوبة : آية ١٠٦ .

(٢) سورة الأحزاب : ٥١ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر : ٥٩ .

(٤) سورة الكهف : ٩٤ .

(٥) إتحاف فضلاء البشر : ٥٤ .

(٦) في اللهجات العربية : ٦٨ ط ٢ .

(٧) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٨ .

(٨) Rabin. P. 145 .

(٩) المزهر : ٢٥٢/١ .

(١٠) المزهر : ٤٩٦/٢ .

رثأت البن ، فظلت أن المرثية منها ، والثالث من السلام وهي الحجارة ، والرابع من التلبة ، وكل هذا ليس أصله المهز . ومن العجيب أن قولهم « حلات السوق » ، ورثأت زوجي بأبيات واستلأمت الحجر ، ولبنات بالحج ، هذه الصيغ الأربع قد اختلف عزوها في كتب العربية اختلافاً شديداً ، ففي الجهرة « ورثيت الميت أرثيه مرثية » ، وهمدان تقول : رثأت الميت^(١) ، ومثل هذه الرواية جاءت عن ابن دريد في الخصص^(٢) . وعن الفراء « سمعت امرأة من طيء تقول : رثأت زوجي بأبيات ... »^(٣) وعن الفراء في رواية أخرى أنه قال « سمعت امرأة من غني تقول : رثأت زوجي بأبيات ، ولبنات بالحج ، وحلات السوق ... »^(٤) ، وعن ابن دريد أنه عزازها في مكان آخر من الجهرة إلى أهل اليمن^(٥) . فهذا النص كما نراه قد عزى مرة إلى همدان ، وأخرى إلى طيء ، وأحياناً إلى غني ، وحينما إلى اليمن . والعلاقة النسبية واضحة بين همدان وطيء ، واليمن ، ولكن لا توجد علاقة بين تلك الجموعة وقبيلة غني ، لأن غنياً من قيس^(٦) ، ولهذا أرجح أن استقراء اللغويين لتلك الظاهرة ، لم يكن استقراء كاملاً ، بدليل أنه جاء في اللسان « وقالت امرأة من العرب : رثأت زوجي بأبيات ... »^(٧) وإذا كان أصل هذه الصيغ التي جاءت مهموزة هي غير المهز . لم تكن الصيغ المهموزة التي سمعت من هؤلاء النساء إلا نوعاً من القياس الخاطئ^(٨) ، والدليل على هذا ما جاء عن الفراء « وربما أغفلت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من المهز ، فيهمزون غير المهز»^(٩) ، ويمكن أن يكون مثل هذا ما جاء عن أبي علي في تعليل مثل هذا الخروج والشذوذ « إنما دخل هذا النحو كلامهم ، لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ، ولا قوانين يستعصمون بها ، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد»^(١٠) ، وهذا معنى قول ثعلب « وكان

(١) الجهرة : ٢١٨/٣ .

(٢) ١٩٢/١٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ٤٥٩/١ .

(٤) اللسان : ١٠/١ .

(٥) جهرة اللغة : ٢٨٢/٣ .

(٦) نسب عدنان وقططان : ١٠ للمبرد .

(٧) اللسان : ٧٧/١ .

(٨) من أمراء اللغة : ٣٢ ط أولى .

(٩) معاني القرآن للفراء : ٤٥٩/١ .

(١٠) المزهر : ٤٩٤/٢ .

ينبغي أن يقول : لبّت ^(١) في قوله « لبّات بالحج » ويفهم منه أن القياس يغير المز ، وأنهم خالفوا القياس والحقيقة أن مثل هذه الصيغ كثيرة الورود في المعاجم ، ومنها ماجاء في اللسان : استنشأت الريح ، ذهبوا به إلى قوله نشأ السحاب ، والقياس « استنشيت ^(٢) » وكلها ترجع إلى القياس الخاطئ الذي لعب دوراً كبيراً في الحقل اللغوي ، أو إلى أخطاء الأطفال لاسيما الذين يعيشون في بيئات منعزلة ، ولا يجدون من يصحح لهم أخطاءهم . ونشير الآن إلى بعض النصوص التي تتناول المزة بين القبائل العربية :

أولاً : أهل التخفيف من العرب :

- ١ - قال يونس في نوادره « أهل الحجاز يقولون : جونة ، وتميم : جونة بالهمز » ^(٣) .
- ٢ - عزىت كلمة « جبرئيل » كمن ليس إلى تميم ، وجبريل - كمن دليل إلى الحجاز ، وميكال بدون هز إلى الحجاز أيضاً ^(٤) ، وفي قوله تعالى « مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجَبَرِيلَ وَمِيكَالَ » ^(٥) قرأ بالتسهيل ابن عامر وأبو عمرو ونافع ، وبالهمز - الأعشى وحزة والكسائي ^(٦) . ويظهر أن العرب تصرفت فيه على عادتها في تغير الأسماء كما تصرفت في كلمة (يونس) حيث جاءت بالهمز ثارة مع الكسر ، والمزء مع الفم وهي لفظة أسد ، ولغة الحجاز فيها ترك المزء وضم النون ، وبها قرأ المهرور ^(٧) في قوله تعالى « وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَيُونَسَ » ^(٨) .
- ٣ - وروى أن « منساته » ^(٩) على البدل من المزءة - لغة الحجاز ، وهذا البدل مسموع على غير قياس . وقرأ على البدل من المزءة - أي التسهيل نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ^(١٠) .

(١) اللسان : ٢٢٨/٢

(٢) اللسان : ٢٢٨/٢

(٣) المزهر : ٧٦/٢

(٤) إتحاف : ١٤٤

(٥) سورة البقرة : آية ٩٨

(٦) البحر المحيط : ٣١٨/١

(٧) البحر : ٣٩٧/٣

(٨) سورة النساء : آية ١٦٣

(٩) سورة سبا : آية ١٤

(١٠) إتحاف فضلاء البشر : ٣٥٨

٤ - كما ظهر التسهيل في لهجة الحجاز فيما جاء في خطوطه الفريب المصنف عن الأصمعي أنه قال إذا قدمت بلاداً أو مكثت فيها خمسة عشر يوماً فقد ذهبت عنك قرءة البلاد ، وأهل الحجاز يقولون : قرةُ البلاد - بدون هز^(١) ، ووردت روايات مثلها في الأضداد^(٢) . وجاءت رواية أخرى في المخصص عن أبي عبيد^(٣) . كما وافانا ابن الأنباري بما يشبه هذا^(٤) . والذي يظهر أن الحجاز حذفت هزتها المتحركة وهي (قرأة) وألقتها على الساكن قبلها وهو نوع من القياس ، فصارت عندم «قرأة» .

٥ - ساق صاحب الجهرة قصة مؤداها «أن قوماً^(٥) من جهينة جاموا إلى النبي ﷺ بأسير وهو يرعد من البرد فقال : أدفعوه ... فذهبوا به فقتلوه» ، كما نقل ابن سيده هذا الخبر في مخصوصه عن^(٦) ابن دريد وسبب قتل هذا الأسير أن النبي ﷺ لم يكن من لغته المهز ، وهو يريد ﷺ أدقثوه من البرد ، فحسبوه الأداء بمعنى القتل في لغة أهل اليمن^(٧) ، وما يؤيد ذلك رواية اللسان « والإداء : القتل في لغة بعض العرب»^(٨) وهدف النبي ﷺ بالإداء من الدفء وأن يدفع بثوب مثلاً ، فحسبوه بمعنى القتل فقتلوا ! وما كان النبي يريد قتله ، بدليل رواية الزمخشري «فوداه الرسول ﷺ»^(٩) . والتحقيق القياسي في تلك الكلمة أن يجعل هزتها بين لا لأن تمحف^(١٠) ، ولكن النبي ﷺ حذفها ، لأن المهز ليس من لغته ، وهذا الحذف شاذ ، ونظيره ما رواه ابن سيدة من قول الفرزدق :

راحت بسمة البفال عشية فارعي فزارة لا هناك المرتع^(١١)

(١) الفريب المصنف : ٤٦٨ لأبي عبيد القاسم ... خط بدار الكتب رقم ١٢١ .

(٢) الأضداد للأصمعي : ص ٥ تحقيق هنر .

(٣) المخصص : س ١٠ : ص ١٤٧ .

(٤) الأضداد : ٢٣ ابن الأنباري .

(٥) جهرة ابن دريد : ٢٩١/٢ .

(٦) المخصص : ابن سيده : سفر ٦ : ص ١١٨ .

(٧) الفائق في غريب الحديث : الزمخشري : ٤٠١/١ - ٤٠٢ تحقيق أدي الفضل .

(٨) اللسان : ٧٠/١ .

(٩) الفائق في غريب الحديث : ٤٠١/١ ، النهاية : ٢٦/٢ ابن الأثير ط العثمانية .

(١٠) اللسان : ٧٠/١ .

(١١) المخصص : سفر ١٤ : ص ١٤ .

فهنا أبدل الألف من الممزة ضرورة وكان حقها أن تجعل بين بین لأنها متحركة ، « لكنه لما لم يتنزن له البيت بحرف متحرك أبدل منها الألف ضرورة ^(١) ، وجعل الممزة بين بین هو : تلبيس صوتها وتقريره من حرف اللين الذي منه حركتها – كما قال السخاوي ^(٢) – وممزة بین بین لا تتكون في أقصى الحلق حيث تتكون الممزة الأصلية بل في الموضع الواقع بين الحلق وجوف الفم لذلک يطلق عليها (بین بین) أي بين الحروف الخلقية والمحروف الجوفية (اوی) وصوت هذه الممزة ضعيف جداً حتى يقال عنه – تقرير من الساكن – ومن الصعب جداً وصفه ، قال ابن يعيش (ولا يظهر سر هذه الممزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشافهة) ^(٣) ويتساءل بعض المحدثين ^(٤) : أكان عليه ^{عليه} يلحاً أحياناً إلى الحديث بلهجات الخطاب ، أم كان يلتزم في كلامه تلك اللغة النموذجية ؟ لا شك أن النبي عليه ^{عليه} قد سيطر على اللغة الأدبية النموذجية سيطرة تامة وملك زمامها حتى أصبحت له سليقة ، ولكن العظاء ينزلون أحياناً إلى مستوى الناس في خطابهم ، ويخاطبونهم على قدر مستوى اللغو ، ولا بد أنه كان أحياناً يتكلم بلهجته القرشية ، وينسى إلى حين تلك اللغة النموذجية . أو كان يكلم الأقوام عند جلوسهم بـ بین يديه لأمورهم الدينية بلهجتهم الخاصة كما في الحديث « وات مال الله مسئول ومنطق » ^(٥) أي معطى ، وفي الحديث « اليد المنطقية خير من اليد السفلی » وفي كتابه عليه ^{عليه} لوسائل « وأنطوا الشبحة » ، والإنتاء – الإعطاء بلغة اليمن ^(٦) ، وساق أبو حيان الحديث « اليد العليا المنطقية واليد السفلية ^(٧) المنطة » كما وردت قراءة « إنما أنتطيئتك الكوثر » وهي قراءة مروية عن الرسول ^(٨) . فكان النبي إذا وفدت عليه وفود العرب ، يلتمس في حديثه مما يعرفه عن هجاتهم ، تأليفاً لقلوبهم وزيادة في تكريرهم والاحتفاء بهم .

وكما أقع الحديث الشريف في لبس ، حدث ما يشبه في الحديث أخرجه البخاري في باب

(١) ابن يعيش : ١١٣/٩ .

(٢) الإضافة في بيان أصول القراءة : ٢٩ سنة ١٩٣٨ .

(٣) مجلة كلية الآداب : مايو سنة ١٩٤٦ : ١٣٧ من مقال للدكتور فؤاد حسانين .

(٤) في اللهجات العربية : ١٠١ دكتور إبراهيم أنيس ط . ٢ .

(٥) اللسان : ٢٠٦/٢٠ .

(٦) اللسان : ٢٠٦/٢٠ .

(٧) البحر المحيط : ٥١٩/٨ .

(٨) مختصر شواذ القرآن : ١٨١ ابن خالويه ، البحر المحيط : ١٩/٨ ، شمس العلوم : ١٠٤ الحيري .

الأطعمة وفيه يقول أبو هريرة لعمر « أقرني » ففهمها عمر على أنها مهنة المهز من « أقرني »^(١) . وكما ساق البغدادي نصاً لبعض العرب يقول « قريت »^(٢) فلا ندرى أمن القراءة أم من القرى .

٦ - يظهر أن القرشين كانوا يميلون إلى قلب المهمزة ياء، وذلك من قبيل التخفيف فكانوا يقولون « اللائي » بدل « اللائي » بالمهز ، وهي اسم موصول بجمع المؤنث ، وتنطق كذلك بمحذف الياء أيضاً « اللاء »، وكتابتها في المصحف الشريف (والتي^(٣) يئسن من الحيض)، بالمهز تشير إشكالاً ، لأن البزي وأبا عمرو قرأها بياء ساكنة بدلًا من المهمزة^(٤) - وذكر أبو حيان أنها لغة قريش^(٥) ، وكذلك عزاهما ابن الجوزي^(٦) ، فـ « دام التسهيل فيها لغة قريش »، فكان يجب أن نرى مرسومها في المصحف بدون همز ، لأن عثمان لما نسخ المصاحف آثر في رسومها لغة قريش^(٧) ، وأرى تلخصاً من هذا أن نسخ المصحف كتبواها بالمهز متأثرين باللغة النموذجية الفصحى ، لأن المهز وإن كان من صفة^(٨) تميم ، إلا أنه اقتحم اللغة الفصحى وأصبح من ميزاتها وخصائصها ، بل أصبح ينتمي إلى الفصحى أكثر من انتسابه في قبيلته الأولى تميم ، ولهذا كانت يلتزم ابن كثير - وهو القارئ المكي تحقيق المهمزة ، مع أنه في بيته المجاز التي تسهله^(٩) ، وهذا نافع المدحني كان يقرأ « النبيين » ، « النبيتون » ، « الأنبياء » ، « النبي » ، « النبوة » بالمهز على الأصل^(١٠) ، قوله « عيسى بن عمر : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر»^(١١) ، تشير تلك العبارة إلى اعتزازه بهذا النبر - المهز - الذي ملك عليه حسه ، وكأنه صفة سامية لا يتصرف بها إلا العلماء والفصحاء - أمثاله .

(١) Rabin. P. 145

(٢) خزانة الأدب : ٤٤٤/١ . ٤٤٤/٤ . ٤٤٤/٥ .

(٣) سورة الطلاق : آية ٤ .

(٤) البحر العظيم : ٧/٢ .

(٥) البحر العظيم : ٧/٢ .

(٦) التفسير : ٤٠/١ .

(٧) المقنع : الداني : ١١٤ دمشق ، الكلمات الحسان : ٥٠٠ .

(٨) كتاب سيبويه : ١٦٩/٢ ، شرح شواهد الشافية : ٤/٣٢٥ .

(٩) في المهجات العربية : ٦٦ .

(١٠) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٨ .

(١١) اللسان : ١٤/١ .

٧ - كما يظهر تسهيل المعز - في إيدالها أو التخفيف منها فيما يأتي :

أ) دفاع ابن قتيبة عن أبي نواس عندما اتهم باللحن في أشياء من شعره منها قوله :

فليت ما أنت واطي من الثرى لي رمسا

وابن قتيبة لا يراه في ذلك لاحناً كما رأه غيره ، وإنما يراه على حجة من الشعر المتقدم وعلى علة بینة من علل النحو ^(١) فكثير من العرب ترك المعز « وإن قريشاً تتركه وتبدل منه » ^(٢) ، وما يؤكّد قول ابن قتيبة في أن قريشاً ترك المعز ما روى عن علي رضي الله عنه : « نزل القرآن بلسان قريش » وليسوا بأصحاب نبر ^(٣) .

ب) ماروي من أن قريشاً كلثا ، ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكتانة يقولون : سورة - بغير هزة ، بينما تميم يهزون فيقولون « سورة » ^(٤) .

ومن غريب التخفيف ما حكاه أحمد بن يحيى في خبر له مع ابن الأعرابي بحضور سعيد بن سلم ، عن امرأة قالت لبنات لها وقد خلون إلى أعرابي كانت يألفهن : أفي السوأة أنتئنه ^(٥) ! قال أحد بن يحيى فقال لي ابن الأعرابي : تعال إلى هنا ، اسمع ما تقول : قلت : وما في هذا أرادت : أفي السوأة أنتئنه ! فالتفت فتحة (أنت) على كسرة الماء ، فصارت بعد تخفيف هزة السوأة ، ما نطق به من قبل .

ج) ما ذكره الفراء في تفسير قوله تعالى : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار » ^(٦) بـ (يكلؤكم) مهوزة ، ولو تركت هزة مثله في القرآن قلت : يكلؤكم - بـ (ساكنة) ويكلؤكم - بالـ (ف) ساكنة ومن جعلها وأوأـ (ساكنة) قال « كلات » بالـ (ف) يترك التبرة منها . ومن قال « يكلؤكم » قال : كليت مثل قضيت ، وهي من لغة قريش ، وكل حسن ^(٧) .

(١) الشعر والشعراء : ٣١٩ - ٣٠ تحقيق السقا .

(٢) الشعر والشعراء : ٣١٩ - ٣١٩ تحقيق السقا ، شرح الشافية للرضي : ٣٢ ، ٣٢ ، ٣١/٣ ، شرح المفصل؛ ابن يعيش : ١٠٧/٩ .

(٣) شرح الشافية : ٣١/٣ - ٣١٢ .

(٤) مقدمة في علوم القرآن : ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٥) الخصائص : ١٤٢/٣ - ١٥٠ .

(٦) سورة الأنبياء : ٤٢ .

(٧) لسان العرب : ٩٤/٢٠ .

د) ما روي عن ابن عباس « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِكَتْفِ مَشْوِيَّةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَتَمَلَّسَ ... »^(١)
وأصل ذلك : الهمز من الملاة – بمعنى الامتناع ، وحذف الهمزة تسهيل^(٢) وما يؤيد ذلك
ما ذكره ابن دريد من أنه « ليس في لغة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الهمز »^(٣) ، وذكر مثل ذلك
ابن سيده^(٤) .

هـ) كما مالت لهجات قريش ومكة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى التسهيل فيما سبق مالت كذلك لهجاتهم إلى التسهيل في صيغة « سال » فكانوا ينطقونها « سال » بغير همز وإذا تتبعنا مواطن تلك الصيغة في كتاب الله ظهر منها :

أ) قوله تعالى : « سأَلَ سَائِلٍ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ »^(٥) فقدقرأها نافع وابن عامر « سال » بـألف^(٦) .
كما زاد صاحب الإتحاف « أبا جعفر » فيمن قرأوا بالتسهيل^(٧) . ونص الرخشري بأن
ذلك لغة قريش^(٨) ، فهم يقولون « سلت تسال » وهو يتضائلان « ، كما نص ابن خالويه على
أن ابن عباس قرأها « سال سيل »^(٩) ، ورسمت في مصحف عبد الله بن مسعود « سال
سال »^(١٠) ، وهكذا رسمت أيضاً في مصحف أبي بن كعب^(١١) ، وكتبت في مصحف ابن
عباس « سال سيل »^(١٢) .

(١) المسند : ابن حنبل : ٢٢٩٣/٥ تحقيق الشيخ شاكر .

(٢) المرجع السابق : الحقق .

(٣) الجهرة : ابن دريد : ٢٩١/٢ .

(٤) المخصص : سفر ٦ : ص ١١٨ .

(٥) سورة المعارج : آية ١ .

(٦) البحر المحيط : ٣٣٢/٨ .

(٧) إتحاف فضلاء البشر : ٤٢٣ .

(٨) البحر : ٣٣٢/٨ .

(٩) مختصر شواذ القرآن : ص ١٦١ ابن خالويه .

(١٠) Material For The History of The Text of The Qur'an Jeffery .
عبد الله بن مسعود : سورة ٧٠ .

(١١) المرجع السابق : مصحف أبي بن كعب .

(١٢) المرجع السابق ، مصحف ابن عباس .

ب) قوله تعالى « ولقد آتينا موسى تسع آيات بِيَتَنَاتِ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ »^(١) . فرأى الجمهور
— فسل بني إسرائيل ، وقراءة الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ بغير همز — وهي لغة قريش^(٢) .

ج) قال تعالى (وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ)^(٣) ، فقرأ ابن كثير والكسائي (وَسْلُو) بمحنة
الهمزة وإلقاء حر كتها على السين ، وذلك إذا كان أمراً للمخاطب وقبل السين واو أو فاء
نحو « فسل الذين يقرءون — فسلوا أهل الذكر » .

وروى اليزيدي عن أبي عمرو أن لغة قريش (سل)^(٤) كما ذكر يوسف في نوادره : أن أهل
الجاز يقولون : « سَلْ رَبِّكَ ، وَقِيمْ اسْأَلْ »^(٥) .

د) قرأ ابن كثير والكسائي وخلف (وَسَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) ، (وَسَلَ القرية)^(٦) ، (فاسْلَ
الذين يقررون الكتاب)^(٧) ، (فَسَلَوْهُنَّ مِنْ^(٨) وراء حجاب) ، ففي تلك الأمثلة حذفت
الهمزة ونقلت حر كتها إلى ما قبلها ، كما قرأ بعض القراء غير هؤلاء السابقين^(٩) — بالهمز في
كل ذلك . فتلك القراءات جميعاً جاءت على لغة الم世人ين من العرب وهم قريش ومن
جاورها ، وتحليل تلك القراءة أن مادتها من (السُّؤال) بالهمز أبدلت أو حولت تلك
الهمزة — على غير قياس عند سيبويه ، (والقياس أن ننطق تلك الهمزة « بِينْ بِينْ »)^(١٠)
كما يجوز أن تكون مادتها مأخوذة من (سُلْ تَسَالْ) حكاها سيبويه^(١١) .

وقد رأى بعضهم أن قوله تعالى « سال سائل » بالتحقيق ، أن ذلك من (السيلان) ويؤيدوه

(١) سورة الإسراء : آية ١٠١ .

(٢) البحر المحيط : ٤٥/٦ .

(٣) سورة النساء : آية ٣٢ .

(٤) البحر المحيط : ٢٣٦/٣ .

(٥) المزهر للسيوطى : ٢٢٦/٢ .

(٦) سورة يوسف : آية ٨٢ .

(٧) سورة يوسف : آية ٩٤ .

(٨) سورة الأحزاب : آية ٥٣ .

(٩) إتحاف فضلاء البشر : ٦١ ، ٢٦٧ .

(١٠) البحر المحيط : ٣٣٢/٨ .

(١١) المتصص : سفر ١٤ : ص ١٤ ، الكامل لابرد : ٣٠٠/١ .

قراءة ابن عباس^١ (سال سيل^٢) ، ولذا قال زيد بن ثابت « في جهنم واد يسمى سيلا »^٣ .
أما ما جاء من قول حسان^٤ :

سالت هذيل يا سالت ولم تصب^٥ ضلت هذيل يا سالت

فلا يمكن أن تكون « سال يسال » لغة في سأل بالهمز ، لأن الشاعر ليس من لفته توک
الهمز^٦ ، فقول حسان : سالت - البيت إنما هو على التخفيف البديلي^٧ الضروري ، لأن لفته
الهمز ، فسهل لضرورة الشعر ، ومثل ذلك ما عزى لبعض السهرين :

سال الثاني الطلاقَ أَنْ رأَتِي قُلْ مَا لِي قد جئتَ لِي بِنَكَرٍ^٨

فهذا الشاعر لفته أن يهمز « سأل » ولكنه اضطر إلى تحويل الهمز لضرورة الشعرية ، لأن
ذلك لهجته . ومن عجيب تلك المادة أنها جاءت بالهمز والإبدال في وقت واحد وصيغة واحدة -
وعزى ذلك لبلال بن جرير :

إذا ضفتهم أو سايلتهم وجدت بهم علة حاضره^٩

وإنما المتبوع لغويًا أن تقول : سائلت - بالهمزة ، أو تقول : سايلت على الإبدال من
الهمزة - أما أن تجمع بينهما كما فعل بلال فذلك هو الموجب ، ويزول هذا الموجب عندما نسمع
قول صاحب المهم **« وكان هذه لغة الشعراء »**^{١٠} وهذا النص يشير إلى أن هناك فرقاً بين لغة
الشعر ولغة النثر في الاستعمال . وتشير النصوص السابقة إلى أن تسهيل الهمز ، أو قلبها ياء ،

(١) عنصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ١٦١ .

(٢) البحر الحيط : ٣٣٢/٨ .

(٣) شرح المفصل : ١١٤ : ٩ ابن يعيش .

(٤) وقد فسر المبرد سؤال هذيل هذا بقوله « وكانت هذيل سالت رسول الله « ص » أن يحمل لها الزنا » الكامل
المبرد : ٣٠٠/١ .

(٥) شرح ابن يعيش : ١١٤/٩ .

(٦) المخصص : ٢١٨/١٢ .

(٧) المخصص : ١٤/١٤ ، وانظر خزانة البغدادي : ٩٧/٣ والبيت فيها على صورة أخرى .

(٨) مجالس ثعلب : ٣٢٣/١ .

(٩) المجمع : ٣٧/١ .

للتخفيف ظهر في لهجة الرسول ﷺ وقريش ، وسعد بن بكر وكتانة ولهجات المحازبين ، بل يظهر أنه شمل مناطق جغرافية أكثر من ذلك ، وأدلة هذا :

أ) ما جاء عن الفاضري : قد برىء فلان من وجده يبرئ بريءاً — كله على التحويل وقربت القرآن فأنت تقرأ وهو مقرٍّ ، وخبيث المتابع فهو مخزيٌّ — وقالوا : « جافلان ، وجايا ، وقد جات المرأة ، والله المسؤول الخير ... »^١ فهذه الألفاظ التي جاءت عن غاضرة — ورد فيها البدل على غير وجهه ، والوجه في إبدالها أن يقال « قرات » بالألف وكأن غاضرة آثرت إبدال المهمزة ياء ، لأن الياء أقرب إلى الألف من الواو ، ولأن اللام ياء أكثر منها وأواً .

ب) كما جاء التحويل عن هذيل في قول أبي عمر الهندي « قد توضيت »^٢ فلم يهز . وإنما حول المهمزة ياء ، وما يذكر أن الحسن قال يوماً لبعض جلسائه : توضيت ، فقيل له : أتلحن يا أبو سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل . وعقب الرافعي على إجابته بقوله: وكان هذا الجواب أبين عن فصاحته من الفصاحة نفسها^٣ . كما ورد عن أبي عبيد : الجثّاوة^٤ — وذكر ابن جني : هي الجواة والجيماء والجياء ، والخيارة — ثم قال ابن جني — ترك المهمزة لغة هذيل^٥ . ولعل أصلها : جثاء ثم خفت .

ج) كما روي عن الأنصار كذلك قلب المهمزة ياء ويظهر هذا من قول ابن رواحة : (باسم الله وبه بَدِينَا)^٦ .

وابن رواحة هذا رضي الله عنه — أنصاري^٧ ، وأصل الفعل « بدأنا » — فلما خفت المهمزة كسرت الدال فانقلبت المهمزة ياء ، قال ابن بري : قال ابن خالويه « ليس أحد يقول : بَدِينَت بمعنى بدأنا — إلا الأنصار »^٨ .

(١) نوادر أبي زيد : ٢٠١ .

(٢) اللسان : ١٤/١ .

(٣) تاريخ آداب العرب ج ١ للرافعي .

(٤) وهي الشيء الذي يوضع عليه القدر إن كان جلداً .

(٥) المخصوص : ٥٤/٥ .

(٦) لغات مختصر ابن الحاجب : مخطوط دار الكتب ٧ لغة .

(٧) جهرة اللغة : ٢٠٢/٣ .

(٨) اللسان : ٧١/١٨ .

ثانياً : أهل التحقيق من العرب :

وبالطبع ظهر تحقيق الهمزة في مناطق تختلف عن المناطق الجغرافية السابقة ، ويجب أن نعرض النصوص التي تشير إلى تحقيق الهمزة أولاً - حتى يمكن أن نستدل على مناطقها في ضوء هذه النصوص وهي :

١ - ما جاء في الجمهرة من أنبني قيم يهمزون أحراضاً مما كان على وزن فعل في موضع العين من الفعل ألف ساكنة نحو : « الفأس والرأس والكأس والرأل »^١ ، وهذا يجب أن تكون على حذر ما جاء في المصباح « من أنبني قيم ترك الهمز لزوماً في كلمة الرأس »^٢ ، ومن التحقيق ما جاء في المخصص عن الفارسي « أن تقيماً تهمز المشار - وغيرهم لا يهمزه »^٣ وجاء في ابن يعيش أن الحاجاج كان يهمز العالم والخاتم وهو القائل : (فخذنف هامة هذا العالم) .

وعن أبي زيد أنه سمع عمرو بن عبيد يقرأ (في يومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جأت) فظننته قد لحن ، حتى سمعت العرب يقول « دأبة وشابة »^٤ في دابة وشابة . وما ورد في سر الصناعة يؤيد قلب الألف همة - مما حكاه اللحياني عنهم (نار)^٥ . في « نار » . وهز هذه الصيغ الأخيرة قد أفضى إلى تقسيم الحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين ، وهذا يوضح لنا كيفية هروب بعض لهجات القبائل من الحركات الطويلة في المقاطع المقلقة .

٢ - كما ظهر تحقيق الهمزة في صورة المعنونة المعروفة ، وقد تقدم الحديث عنها ، وهي تشير إلى الحرص على تحقيق الهمزة ، لاسيما في أول الكلمة أو آخرها خشية أن يحور عليها بهذه النطق أو الوقف ، فيقوون الهمزة إلى أن تكاد تقارب العين - وقد عزىت كما تقدم إلى قيم وأسد وقيس .

٣ - وقد يكون من المستحب أن نعد مقارنة لهجية في الفعل (يرى) ومشتقاته ، لنتعرف على مذاهب المسلمين والحقوقيين من العرب في هذا الفعل ، قال سيبويه : « كل شيء كانت أوله

(١) الجمهرة : ٢٩٣/٣ .

(٢) المصباح : ٣٧٦ .

(٣) المخصص : س ١٣ : ص ٢٨٧ .

(٤) ابن يعيش : ١٣/١٠ ، سر صناعة الإعراب : ٨٣/١ ط الحلبي .

(٥) سر الصناعة : ١٠٢/١ ط الحلبي .

زائدة سوى ألف الوصل من (رأيت) فقد اجتمعت العرب على تخفيف همزة^١ ، وكان سيبويه يشير الى أن مشتقات تلك الصيغة لا تدخلها الهمزة ، وعلل ذلك أي عدم الهمز بقوله « وذلك لأنهم جعلوا همزة المتكلم في أرى - تعاقب الهمزة التي هي عين الفعل وهي همزة أرأى - وكانت فروا من إلتقاء همزتين»^٢ . وأرى أن كلام سيبويه لا يثبت أمام الواقع اللغوي ، لأنَّه قد حكى عن العرب « قد أرَاهُم » وجاء في التمهذيب « زيد يرأى رأياً حسناً»^٣ ، وبيت سراقة البارقي :

أرى عينيٌّ مالم ترأيَاه كلاماً عالماً بالترهاتٍ

وقد رواه أبو الحسن : مالم ترِيَاه - على التخفيف ، ورواه أبو زيد في نوادره « مالم تبصراه »^٤ ولا شاهد حينثٰ فيها ، وفي اللسان « مالم ترأيَاه »^٥ وقد رواه الأخفش « مالم ترِيَاه »^٦ وقد عزا اللسان هن الأفعال المستقبلة من هذه المادة (رأى) وهي : يرى ، ترى ، نرى ، أرى - إلى تيم الرّباب فيقولون : هو يرأى ، وترأى ، ونرأى ، وأرأى . وإذا قالوا : متى نراك ؟ قالوا : متى نرَاك ؟ مثل : نرعاك^٧ ، وفي سر الصناعة : يرَاك بوزن يرعاك^٨ ، وعلى ذلك جاء قول شاعرهم ، وهو للأعلم بن جراده السعدي :

ألم تر ما لاقتِ والدهر أعصر ومن يتمل العيش يرأ ويسمع^٩

ويمكن أن تثير رواية البيت على هذا الوضع شيئاً من الشك ، لأن الشاعر من الباب ، ومهمزون كل مشتقات (رأى) لهذا جاءت رواية اللسان :

(١) اللسان : ٣/١٩ .

(٢) اللسان : ٣/١٩ .

(٣) اللسان : ٤/١٩ .

(٤) سر الصناعة : ٨٦/١ ط الحلبي .

(٥) نوادر اللغة : لأبي زيد ١٨٥ .

(٦) اللسان : ٤/١٩ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) اللسان : ٥/١٩ .

(٩) ٨٧/١ .

(١٠) سر الصناعة : ٨٧/١ ، شرح الشافية : ٣٢٣/٤ .

أَلْمَ تَرَأْ مَا لَاقِتَ وَالدَّهْرُ أَعْصَرُ' وَمَنْ يَتَمَّلَّ الْعِيشَ يَرَأْ وَيَسْمَعُ^(١)

وهي أصح ، لأن (ألم ترأ) في صدر البيت حينئذ تناسب مع (يرأ ويسمع) في عجزه . وأعتقد أن المهز في هذا ليس مقصوراً على تيم الباب كافي اللسان ، بل يشمل المنطقة المجاورة لها ومنها تيم ، وإذا علمنا أن الباب كانت موصولة النسب بتيم ، وأن ديارها كانت على كثب منها^(٢) – صع ما استنبطه من أن المهز مثل تيم وتيم ، ولذلك وهو أن المجاز يتراكم المهز في الأمر ، فيقولون : رَذَلُك ، وللاتين : رَيَا ذَلُك ، وللجماعة روَا ذَلُك ، وبنو تم يهزون جميع ذلك فيقولون : ارَأَ ذَلُك ، وارأيا ...^(٣) وانتقل بعد ذلك إلى القراءات الكريم لنرى في صفحته آثار تلك اللهجات في تلك الكلمة :

- ١ - قال تعالى : « أَلْمَ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ »^(٤) ذكر أبو حيان أنه يقال عن صاحب اللوامح : ترأ - بهزة مفتوحة مع سكون الراء على الأصل - وعزها لتم^(٥) .
- ٢ - قال تعالى « فَتَرَى الَّذِينَ فِي قَلْوَبِهِمْ مَرْضٌ »^(٦) ، « فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعٌ »^(٧) ، « إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ »^(٨) ، « وَيَرِي الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ »^(٩) فكلها جاءت على لهجة الحجازيين ، كما قرأ الأعش عن عاصم « فَلَمَّا تَرَاتِ الْفَتَنَانَ » بلا هز . وقرأ أبو جعفر وقالون ورش : أرأيتם . أرأيتك . أرأيت . أفرأيت . بالتسهيل بين بين ، ولو رش من طريق الأزرق وجه آخر وهو : إِبْدَاهَا أَلْفًا خَالِصَةً مَعَ إِشْبَاعِ الْمَدِ لِلسَّاكِنِينَ ، وحدفها الكساني وهي لغة فاشية ، وحقها الباقيون . (ابن خالويه ١٠٧ . إتحاف فضلاء البشر ٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٩٢) .

ولهذا فإنني أقف موقف الشك مما ذكره : رابين « من أن تيمًا تحدف المهزة من الفعل يرأى فيكون يرى »^(١٠) ، وما يؤكده شكي ما نقله البغدادي عن أبي زيد من قول الشاعر :

(١) اللسان : ٥/١٩ .

(٢) معجم قبائل العرب : ٢/١٥ .

(٣) اللسان : ٥/١٩ .

(٤) سورة الفيل : آية ١ .

(٥) البحر : ٨/١٢ .

(٦) سورة المائدة : آية ٥٢ .

(٧) سورة الحاقة : آية ٧ .

(٨) سورة الصافات : ١٠٢ .

(٩) سورة سبا : آية ٦ .

(١٠) رابين : P. 131 .

هل ترجعن ليالي قد مضينَ لنا
والعيش منقلب إذ ذاك أفنانَا
لما استمر بها شihan مبتبع
باليمن عنك بما يراك شناً^(١)
وصاحب هذا الشعر أعرابي من بني تميم^(٢).

كما ظهر تحقيق المهمزة عند بعض القبائل الأخرى :

أ) فقد جاء تحقيقها في قبيلة غني ، فقد روى أبو زيد « سمعت رجلاً من غني يقول هذه قسمه ضئزي »^(٣) بالهمزة ، وفي الحتسب في سورة البقرة آ(١٦) أن قيساً يقول « اشترموا
الضلة » .

ب) وفي قبيلة عكل ، وقد روى ابن جني عن قطرب أن بعض عكل يقولون « ترقوة »
بالهمزة وأصلها ترقوا^(٤) .

ج) كما روي أن أبي المفضل - وهو أعرابي من بني سلامة من أسد - قال الضئيء : الولد ،
والضئيء : بينما رواها أبو عمرو : الضئيء ، والضئيء بلا همز^(٥) .

د) أنه قرئ « قالوا يا ذا القرنين إن» يأجوج وmajوج مفسدون في الأرض^(٦) بالهمزة ، وهي
قراءة عاصم والأعمش ويعقوب ، وقد ذكر القراء أن المهمزة فيها لغة أسد^(٧) .

ه) روي عن عقيل أنها تهمز (الجونة ، والموسى ، والحوت) بدلاً من نطقها بغير همز وهو
الشائع^(٨) . هذا كله إذا كانت المهمزة واحدة .

فإذا اجتمع المهمزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف ، ولها حالتان :

الأولى ، إما أن تكون المهمزتان في كلمتين :

(١) شرح شواهد الشافية : الشامد : ١٦٠ - الشihan = الغبور ، المتبع = المفتخر .

(٢) شرح شواهد الشافية : ٤/٣٣٠ .

(٣) المخصص : ١٢/٢٠٩ .

(٤) الخصائص : ٣/٢٠٧ .

(٥) اللسان : ١٩/٢٢٢ .

(٦) سورة الكهف : آية ٩٤ .

(٧) البحر المحيط : ٦/١٦٣ و الاتحاف : ٢٩٥ .

(٨) في اللهجات العربية : ١٠٠ .

وذلك في : أقرأ آية ، وأقرىء أباك السلام - فأهل الحجاز يخفونها معاً ، وغيرهم يتحقق ، وساق الرضي وجوه هذا التخفيف^(١) ، ومن طرق التخفيف ما ذكره السيرافي في مخطوطته من أنهم يقلبون الأولى ألفاً ، لأنها ساكتة قبلها فتحة ، ويحملون الثانية بين بين^(٢) ، فيقولون «أقرأ آية» ، وفي «أقرىء أباك السلام» على لغة الحجاز «أقرىء أباك السلام»^(٣) يقلبون الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، ثم يلقون حركة الثانية على الياء وتسقط الثانية .

الثانية : أو تكون الهمزةان في كلمة واحدة :

أ) فإذا كانت غير هزة استفهام وذلك مثل (أئمّة) بهمزتين ، فقد قرأ ابن عامر وعاصم ومحزنة والكسائي «فقاتلوا أئمّة الكفر»^(٤) ، «أئمّة يهدون بأمرنا»^(٥) ، «ونجعلهم أئمّة»^(٦) وغيرها من الآيات بتحقيق الهمزتين^(٧) .

وهذا مذهب من يميل إلى تحقيق الهمز من القبائل العربية ، لأن ثلاثة من القراء السابقين كوفيون ، والكوفة متاثرة بقبائل شرق الجزيرة كتميم وغيرها ، وهم يتحققون الهمز .

ولهذا يكون سيبويه قد جانبه الصواب حيث قال «إنه ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا»^(٨) ويسير ابن جني على طريقه حيث يقول «فالهمزةان لا تلتقيان في كلمة واحدة إلا أن تكونا عينين نحو : سئال وسئار»^(٩) وما محجوجان بقراءة الكوفيين في «أئمّة» ، وبما سمعه أبو زيد عن بعض العرب «اللهم اغفر لي خطائتي»^(١٠) وعلى مثل هذا جاء :

فإنك لا تدرى متى الموت جانٍ إلينك ولا ما يحدث الله في غد^(١١)

(١) شرح الشافية : ٦٦/٣ .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٢٨/٥ خط .

(٣) شرح السيرافي : ٢٨/٥ خطوط .

(٤) سورة التوبة : آية ١٣ .

(٥) الأنبياء : ٧٣ .

(٦) القصص : آية ٥ .

(٧) النشر : ٣٢٨/١ .

(٨) الشافية : ٦٥/٣ .

(٩) الخصائص : ١٤٣/٣ .

(١٠) الشافية : ٥٨/٣ .

(١١) الخصائص : ١٤٣/٢ .

كما وردت في الآيات السابقة قراءات أخرى :

- ١ - أن تخفف الهمزة الثانية بجعلها بين الهمزة والياء^(١) .
- ٢ - أن تزيد ألفاً بين الأولى والثانية^(٢) . كراهة اجتماع الهمزتين .
- ٣ - آخرون من القراء إلى جعلها ياء خالصة - نص على ذلك أبو عبدالله بن شريح^(٣) .

وقد رمى الزخشري هذه القراءات الأخيرة باللحن^(٤) . ولكنها ثبتت قراءة فكيف تكون لحناً مع أمانة الرواية وصحة السند ، ثم هي تصور لمجات القبائل العربية وماذهب بهم في التحقيق ، والتسهيل ، وبين بين - وهذه القبائل نزل القرآن بلمجاتها « والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها^(٥) وشاذها » .

ب) أو تكون الهمزة الأولى همة استفهام ، والتحفيف إنما يلحق الثانية ، لأن التخفيف لا يكون في الابتداء .

ففي قوله تعالى « سواه عليهم آنذرتهم »^(٦) فأهل الحجاز لا يرون الجمع بينها طلباً للتحفيف . وقرأ الحرميان وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية^(٧) ، ومنهم من حقق الهمزتين وهم عاصم ومحزنة والكسائي ، وقرأ أبو عمرو (آنذرتهم) مطولة . وقرأ عبدالله بن أبي إسحاق « آنذرتهم » بألف بين الهمزتين ، وهي لغة سائرة بين العرب^(٨) ، وعلل لهذه القراءة السيرافي : بأنهم كرهوا التقاء الهمزتين ففضلوا . واستشهد لها سيبويه بقول ذي الرمة :

فيما ظبية الوعاء بين جلاجل وبين النقا آمنت أم أم سالم^(٩)

(١) الشافية : ٥٨/٣ .

(٢) الشافية : ٥٨/٣ .

(٣) النشر : ٣٧٩/١ .

(٤) النشر : ٣٨٠/١ .

(٥) البحر المحيط : ٤٩٣/٨ .

(٦) سورة البقرة : آية ٦٠ .

(٧) البحر المحيط : ٤٧/١ .

(٨) اللسان : ١١/١ .

(٩) السيرافي : ٢٨/٥ بالتيمورية ، وكتاب سيبويه : ١٦٨/٢ .

وهو لاء أهل التحقيق . وأما أهل الحجاز فيدخلون ألفاً بين المهزتين لثلا يلتقي همزتان ، ثم يليون النثانية^(١) . وإنما جاء هذا التخفيف والتسهيل للهزة ، لأنها كما يقول ابن يعيش فيما : نبرة في الصدر تخرج باجتهاد فتقل عليهم إخراجها^(٢) ، إذ تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر^(٣) – كما رأها ابن سينا . وعلى أي حال فهي أدخل الحروف في الحلق ، ولهذا ثقلت على لسان الناطق بها ، لأنها كما جاء في الشافية « لها نبرة كريهة تجري مجرى التسouع »^(٤) .

تعليق :

من هذا العرض وجدنا أن القبائل التي تميل إلى تحقيق المهز هي :

- ١ - تم (٢) تسيّم الرباب (٣) غني (٤) عكل (٥) أسد (٦) عقيل (٧) قيس (٨) بنو سلامة من أسد . بينما القبائل الأخرى :
- ٢ - كالحجاز - وغاضرة ، وهذيل ، وأهل المدينة والأنصار ، وقرיש ، وكناة وسعد بن بكر - يميلون إلى البعد عن المهز ، بتخفيفها أو تسهيلها تارة ، أو تحويلها أو نقلها تارة أخرى .

ويظهر من هذا التقسيم أن قبائل البدو تتجنح إلى تحقيق المهز وجميعها تتمثل في القسم الأول ، وأما القسم الثاني فأكثرها قبائل حضرية ، لذلك مالت إلى التخلص من المهز ، إلا غاضرة - فلا نعرف تحديدها بالضبط ، وبالرجوع إلى كتب الأنساب وجدنا عدة قبائل مختلفة النسب تسمى كل منها غاضرة ، فغاضرة - من ثقين ، وغاضرة من بكر بن هوازن ، وغاضرة من كندة ، وغاضرة من خزاعة^(٥) ، وغاضرة من أسد .

وأرجح أن غاضرة - تلك التي أثر عنها تحويل المهز ، وتخفيفها - أنها تنسب إلى إحدى

(١) شرح السيرافي : ٢٩/٥ مخطوط .

(٢) ابن يعيش : ١١٦/٩ .

(٣) أسباب حدوث الحروف - ابن سينا : ص ١١ ط السلفية .

(٤) النبرة - ارتفاع الصوت ، يقال : نبر الرجل نبرة ، إذا تكلم بكلمة فيها علو : قال الشاعر :
إني لأسمع نبرة من قولهما فاكاد أن ينشى علي سرورا

(٥) التسouع : تكلف القي ، شرح الشافية : ٣/٣ وما بعدها .

(٦) معجم كعبالة : ٨٧٤/٣ .

القبائل المتحضرة : كخزاعة ، أو ثقيف ، أو هوازن ، أمـا غاضرة – التي تنسب الى أسد فارجع أنها كانت تحقق المهمزة .

هذا ويجب في دراستنا لباب الهمز أن نكون على حذر تام لنصوص قد تعزو ظاهرة الهمز إلى بعض القبائل، ولكن بفحص النص فحصاً داخلياً يتبيّن عدم الأخذ بهذه النصوص، فقد روى الأزهري بإسناده عن الفراء قال: سمعت أعرابياً من بنى سليم ينشد:

(فَإِنَّهَا حِلَّ الشَّيْطَانُ يَحْتَلُّ^(١))

وأصله من الحيلة^(٢) كما جاء في المصباح . فقبيلة سليم في ضوء هذا النص تهمز ، ولكنني لا أرى هذا ، لأن الفعل يحتال – فالشاعر السليمي اضطر إلى حركة الألف ، فلما حرّكها انقلبت همزة – إلا أنه حرّكها بالكسر ، لأنه أراد الكسرة التي كانت في الواو المتقلبة الألف عنها ، وذلك لأن أصل المادة (حول) بكسر الواو ، فالشاعر السليمي هنّ لضرورة . كقول الآخر:

يا دار مي بـكـادـيك الـبرـق سـقيـا وـإـن هـيـجـت شـوقـ المـشـيق (٣)

فأصل : المشتق : **المشتاق** ، فقلب **الألف همزة للضرورة** ، فالهمز كذلك في بيت السليمي للضرورة وليس من لفته لسبعين : **الأول** : أن سليماً كانت تسكن **الحجاز** ^(٤) ، وأغلب الحجاز لا يهمز ، **والثاني** : أنه جاء في اللسان أن رجلاً من بنى سليم يقول : يختال - بلا همز ^(٥) . وكذلك يحب أن نقف موقف الشك ما ذكره السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه حيث قال : « وبنو تميم من لفتهم تحفيظ الهمز » ^(٦) ، ولكنني أرجح أن ناسخ شرح السيرافي هو الذي حرف في الكتابة ، بدليل ما ذكره السيرافي بعد النص السابق مقابل له « **وأهل الحجاز يخفون** » ^(٧) فالتحريف لهذا من كاتب النسخة لا من السيرافي المؤلف ، لأن سياق النص يقابل بين تميم التي تحقق ، والجزء الذي تخفف . ولكن هل معنى هذا أن هذا التقسيم السابق ضربة لازب ؟

(١) اللسان : ١٣ / ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) المصباح : ٢٤٤/١

٢) مسر صناعة الإعراب : ١٠٢/١

(٤) تاريخ العرب : ٣٢٤ / ٤ جواد على .

(٤) اللسان : ١٣ - ١٩٨ / ١٩٩ .

(٦) شرح السيرافي : ٤/٣٣٠ مخطوط .

٧) المرجع السابق .

الحق أنه يجب ألا نقلق إذا وجدنا بعض الظواهر اللهجية في الهمز تناقض ما عرفناه ، لأن اللهجات لا تميل إلى الحفاظة بل هي تهدف إلى التطور بعكس اللغة الفصحى ، ومن هذه الأمثلة:

أولاً : أ) قال أبو عبيدة : قال يونس « وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب ، فيهم زون النبي عليه السلام ، والبرية والذرية »^(١) .

ب) وفي التهذيب كا في اللسان « وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهمزون البريئة ، والنبي والذرية »^(٢) ، كما زاد ابن سيدة كلمة أخرى وهي « الخابية »^(٣) فإن أهل مكة ينطقونها بالهمز أيضاً ، وذهب إلى ذلك ابن الأثير في النهاية^(٤) .

ج) وينقل ابن منظور عن سيبويه نصاً مؤداه أن العرب تركوا الهمز في « النبي » كا ترکوه في « الذرية ، والبرية ، والخابية » – إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف ، ولا يهمزون غيرها ، ويختلفون العرب في ذلك »^(٥) ثم قال : « والهمز في النبي لغة رديئة »^(٦) . ولابد لنا من تحليل هذه الكلمات ، قبل مناقشة النصوص ، (فالبرية) : معناها : الخلق ، وهي كما قال الفراء من برأ الله الخلق – فأصلها على ذلك الهمز^(٧) ، وإن أخذت البرية من البري : وهو التراب فأصلها غير الهمز^(٨) .

(والنبي) : أصلها من النبا^(٩) ، وقال الفراء : هو من (أنبأ عن الله)^(١٠) ، وقد يؤخذ من النبوة والنباء – وهي الارتفاع عن الأرض : أي أنه أشرف على سائر الخلق – وأصله غير

(١) إصلاح المنطق : ١٥٩ ابن السكين .

(٢) لسان العرب : ٢٢/١ .

(٣) المخصص : سفر ١٧ : ص ١٥٣ ، سفر ١٤ ص ٨ .

(٤) النهاية : ١٢٠/٤ ابن الأثير .

(٥) اللسان : ١٥٧/١ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) اللسان : ٢٢/١ ، المخصص : ١٥٣/١٧ .

(٨) اللسان : ٢٢/١ .

(٩) المخصص : سفر ١٧ : ص ١٥٣ .

(١٠) اللسان : ١٥٧/١ .

الهمز^(١) و (الخابية) : أصلها الهمز من خبات^(٢) .
و (الذرية) : من ذرأ الله الخلق^(٣) ، أي خلقهم . يؤيد هذا ما جاء من فرامة زهير عن
خُصيَّن في الحتسِب من سورة الأعراف آية ١٧٢ « من ظهورهم ذُرْ يَتَّسِمُ » .
وإذا كان أهل مكة ينطقون ذلك بالتحقيق ويخالفون غيرهم من العرب الذين يسلون ذلك
بل انهم يخالفون طبعتهم ، لأن طبيعتهم اللغوية هي التغور من الهمز ، فكيف حفروا ذلك ؟
وأقترح للإجابة ما يأتي :

أ) أن ذلك الشذوذ في لهجة مكة ، وميلها إلى التحقيق في تلك الألفاظ – مع أنها تنفر من
الهمز في لهجاتها – ليس غريباً إذا ما فهمنا أن اللهجات تخضع لظروف المجتمع والبيئة
 فهي مرنة متقلقة ، « وليس شأنها في ذلك شأن القوانين الطبيعية في الكون تلتزم حالة
واحدة لا شذوذ فيها »^(٤) ، وما يقوى تلك النظرة أن نافما^(٥) (١٦٩) وهو حجازي كان
يحقق^(٦) (النبيين^(٦) ، النبيون^(٧) ، الأنبياء^(٨) ، النبي^(٩) ، النبوة^(١٠)) وكانت يقرأ كل
ذلك بالهمز على الأصل ، مع أنه في بيته تنفر من الهمز .

ب) أن تحقيق الهمز في تلك الأربعـة ، في بيـة عـرف عنـها التـغور منـ الـهمـز ، ربـما يـرجعـ إـلـىـ أنـ
بعـضـ الأـشـعـاصـ فـيـ الـبـيـةـ الـمـكـيـةـ نـطـقـواـ بـهـاـ مـحـقـقـةـ ، فـحـاكـاهـ الـآخـرـونـ ، وـهـذـاـ كـاـيـدـ ثـ
لـشـخـصـ زـارـ الـقـاهـرـةـ وـمـكـثـ فـيـهـاـ أـيـامـاـ ثـمـ عـادـ إـلـىـ بـلـدـهـ الـرـيفـيـ ، وـنـزـاهـ يـتـمـثـلـ بـالـنـطقـ
الـقـاهـرـيـ فـيـ قـلـبـ الـقـافـ هـمـزـةـ – ثـمـ يـقـلـدـهـ فـيـ ذـلـكـ بـعـضـ رـفـاقـهـ ، وـلـعـلـ سـبـبـ اـنـتـشـارـ تـلـكـ
الـظـاهـرـةـ فـيـ مـكـةـ يـرـجـعـ إـلـىـ عـامـلـ الـحـاكـاةـ .

- (١) اللسان : ١٥٧/١ .
- (٢) المensus : سفر ١٧ : ص ١٥٣ .
- (٣) المensus : سفر ١٤ : ص ٨ .
- (٤) في اللهجات العربية : ٦٧ ط ٢ .
- (٥) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٨ .
- (٦) سورة البقرة : آية ٦١ .
- (٧) سورة البقرة : آية ١٣٦ .
- (٨) سورة آل عمران : آية ١١٢ .
- (٩) سورة الأنفال : آية ٦٤ ، ٦٥ .
- (١٠) سورة الحديـدـ : آية ٢٦ .

ج) أن تحقيق هذه الأربعة يعتبر من قبيل المبالغة ، لأن أهل مكة وهم أهل تسهيل شروا بالنقص ، لأن اللغة الفصحى تحقق المهز وهم يسهلون - « فالتحقيق في النبي والذرية ، والخاتمة ، والبرية - هو كرد فعل لإحساسهم بشعورهم بالنقص في الظاهرة العامة عندم ، وهي تسهيل المهزة »^١ ، ولهذا يقول رابين (وكان شراء الحجاز غالباً ما يعاملون هزة الوصل كأنها هزة قطع ، مبالغة منهم في تحقيقها ، لأنهم شروا بتسهيلها عندم فأراد الشراء منهم تحقيقها حذقة)^٢ .

ومن ذلك قراءة معاذ وابن مسعود وأبي المتوكل « تزوير » بسكون الزاي وبالهمز وبالراء مشددة (ابن خالوية ٧٨ والبحر ١٠٨/٦) وذلك في قوله تعالى : « وترى الشمس إذا طلت تزاور » الكهف ١٧ .

وكذلك قراءة أبي عثمان النهدي وغيره « وا زَيَّنتْ » (ابن خالوية ص ٥٦ والمحتب ٣١٢ ط المجلس الأعلى . والبحر ٤/١٤٤) وذلك في قوله تعالى « حق إذا أخذت الأرض زخرفها وا زَيَّنتْ » يونس ٢٤ . وأصل القراءة الأولى من : الزور وهو : الميل ، ومنه زاره إذا مال إليه ، والثانية : من الزينة ، وكانت في الأصل بوزن : احْجَرَتْ - فكرهوا الجمجم بين ساكنين ، فحركت الألف فانقلبت هزة مفتوحة وعليها قول الشاعر : إذا ما الهوادي بالعييط أحْجَرَتْ .

وقول كثير :

للأرض أما سودها فتجلتْ بياضاً وأما بيضها فادهامتْ

وفي روایة : فاسوأدَتْ . مَكَانٌ : فادهامتْ . (المحتب ، والخصائص ١٢٧/٣ . وسر صناعة الإعراب ٨٤ . والبحر لأبي حيان) .

د) وصنيع أهل مكة في هذا ومخالفتهم للعرب ، حيث أن العرب يسهلون ذلك تدعونا إلى أن منطقة مكة في هذه الأنماط أشبه بالجزيرة اللغوية Speech Island لأن خصائصها في هذا متميزة تختلف ما يشبع عند العرب .

والآن نريد أن نناقش سيبويه في قوله : « والهمز في النبي لغة رديئة »^٣ ، مع أن ابن سيدة

(١) Rabin Ancient, West ... P. 133 .

(٢) المرجع السابق ، وانظر Schwartz ديوان عمر بن أبي ربيعة ، الكراسة الرابعة .

(٣) اللسان : ١٥٧/١ .

نُقل عن سيبويه بأن «أصل النبي» - الهمز - بل قال سيبويه^١ «وهو الصحيح الذي لا يجوز غيره»، والدليل على أن النبي أصله الهمز عند سيبويه قوله «وليس أحد من العرب إلا وهو يقول قنباً مسيلة»^٢ وإذا كان سيبويه مؤمناً بأن أصلها الهمز فلم استردأها؟ بل كُنتَ تنتظر منه أن يقول بأن همزه جيد - ويظهر أن سيبويه إنما استردأه بالهمز لشذوذه عن الاستعمال، وإن كان مطرداً في التفاسير، فقلة استعمالها بالهمز هو الذي جعل سيبويه يقول ببردامتها. ولكن رغم هذا الدفاع عن سيبويه فلا زالت التهمة متمسكة بأثوابه، لأن نافعاً حرق ذلك في قرآنه، وقرأ: «النبي»^٣ بالهمز في القرآن، كما قرأه وإن ذكره قوله تعالى: «أولئك هم خير البرية»،^٤ وما كان لسيبويه ولا لأمثاله أن يحكم عليها بالردامة «وأغاث القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأقنى في اللغة»، والأقياس في العربية، بل على الأثبت في الآخر، والأصح في النقل والرواية، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية، ولا فشلقة، لأن القراءة سنة متتبعة يلزم قبولها والمصير إليها»^٥ ونافع بن أبي نعيم (توفي ١٦٩هـ) أحد القراء السبعة والأعلام، وقال فيه مالك بن أنس قراءة نافع سنة، وترجم له صاحب طبقات القراء وذكره بأنه «ثقة صالح»^٦ ولهذا كله كانت التهمة محضة بسيبويه حيث استردأ قراءة متواترة عن رسول الله عليه السلام منقوله عنه طبقة بعد طبقة حق وصلت «نافعاً» وهو في الضبط والتحري بالملوك الذي لا يخارى.

ثانياً: ١) ما جاء في الأمالي من أن لغة المجاز - ذاى البقل يذأى، وأهل نجد يقولون: ذوى يذوي^٧. ورواية أخرى مثلها جاءت عن ابن السكري^٨، كما وردت رواية عن الأصمعي^٩.

(١) المحسن: سفر ١٧: ص ١٥٢، ٨/١٤.

(٢) المحسن: سفر ١٤: ٧/١٤.

(٣) إتحاف فضلاء البشر: ١٣٨.

(٤) سورة البينة: آية ٧.

(٥) إتحاف فضلاء البشر: ٤٤٢.

(٦) القراءات واللهجات: ١٦٣، الأستاذ حمودة ط الأولى.

(٧) طبقات القراء: ٣٣٠/٢، ابن الجوزي.

(٨) المزهر: ٢١٥/١.

(٩) المزهر: ٤٦٣/١.

(١٠) أمالي القالى: ١٦٧ - ١٦٩/٢.

ب) جاء في المخصص عن أبي حاتم : أن أهل العالية يقولون : عظاءة ، وثيم يقولون : عظاية والجمع عندهم جمعاً العظاء^١ . وفي إبدال السكikt : أن تيمياً يقولون : عباية ، وعظاية^٢ ، وصلانية ، وسحائية^٣ ، وغيرهم بالهمز ، وذكر هذه الصيغ ابن جنی^٤ ولم يعزمها . ولا شك أن أهل العالية كان يقصد بها أحياناً كما يقول ابن منظور « الحجاز وما والاها »^٥ . فتكون الحجاز قد هزت ، وتم قد سهلت ! ، قال ابن سيده^٦ : فمن همز ، فعل حكم التذكير بناء عليه ، ومن لم يهمز فإنه عنده تأنيث لحق آخر الاسم فتغير حكمه ، فجعلوه ياه ، لأنه لما اتصل به حرف التأنيث ولم يقع الإعراب على الياء - صارت كأنها في وسط الكلمة كقولهم : مذروان . وقد نقل بعض الباحثين أن التمييin يقولون : رثأت ، وعباءة ، ونبيه ، بينما يقابلها : رثيت وعباية ونبي ، عند الحجازيين^٧ . ولكن الثابت : أن التمييin كانوا يقولون : عباية - بدون همز ، كما أن أهل مكة كانوا ينطقون النبي - بالهمز ، وبسبق أن نافماً وهو حجازي كان يحقق : النبيين ، والنبيون^٨ ، وأما بقية العرب بما فيهم تميم - فكانوا يسهلون النبي . ولعل الذي أوقع بعض العلماء في تلك الشبهة أن المعروف في تميم الهمز ، وفي الحجاز التسهيل .

ج) ما جاء في ديوان الأدب للفارابي « الظام » ، السلف غيّر مهمور في لغة عكّل^٩ - وغيرها يهزمها^{١٠} .

د) قرأ النخعي وابن مشاب قوله تعالى « وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس ... »^{١١} بفتح التون وتخفيف الهمز من يونس ، وهي لغة لبعض عقيل^{١٢} .

(١) المخصص : س ٨ : ص ١٠٠ .

(٢) العظاية : دربية كسام أبرص ، والصلانية : مدق الطيب : المخصص : ١٠٠/٨ ، والمصبح : ٦٣٩/٢ .

(٣) إبدال ابن السكikt : ٥٦ .

(٤) سر الصناعة : ٧٩/١ ط الحلبي .

(٥) اللسان : ٣٢٠/١٩ .

(٦) المخصص : س ١٤ : ١١/١٤ .

(٧) تاريخ الأدب العربي : ١٢٤/١ د. شرق ضيف .

(٨) الإتحاف : ١٣٨ :

(٩) ورقة : ٣١٩ خطوط بالティمورية لغة .

(١٠) سورة النساء : آية ١٦٣ .

(١١) البحر الحيط : ٣٩٧/٣ .

٥) وعزمى الى هذيل أنها تبدل الواو المكسورة المصدرة همزة فيقولون «إشاح في معنى وشاح»^(١) ، «الدة في ولدة»^(٢) قال هذيل :

له إلدة سفع الوجوه كأنها يصفقهم وعلك من الموم ماهن^(٣)

كما يقولون : «إعاء في وعاء»^(٤) وشاهد قوله الأعلم :

هواء مثل بعلك مستimit على ما في إعائرك كالخيال^(٥)

وعلى لغة هذيل تلك قرأ ابن جعير قوله تعالى «ثم استخرجها من وعاء أخيه»^(٦) إعاء بابدال الواو المكسورة همزة^(٧) . ولهذا أرجح أن الدكتور شوقي صيف قد أليس عليه حسنه قال «وكانت قبيلة هذيل تقول «وشاح» بدلاً من «اشاح»^(٨) . ولكنني أرجح العكس» ولم يقتصر الأمر على الواو المكسورة ، بل وردت شواهد على إبدال الواو المضمومة همزة في شعر معقل بن خويلد ، ومالك بن خالد الخناعي ، وهما من هذيل «ديوان المذلين» : ٤/٣ ، ٦٥.

ومن هذا العرض نرى أن عكلًا – وهي قبيلة بدوية من طابخة متصلة بتميم البدوية ، نراها قد سهلت الممزة على غير عادتها ، كما رأينا هذا التيسيل في عقيل وهي ضاربة في البداوة ، أما هذيل والتي صرحت أئمة اللغة بأنها تسهل الممز – فقد رأيناها هنا تتحققه على غير ما اعتادته ، وكذلك أهل مكة – رأيناهم يحققون الممز في عدة ألفاظ – وهذا إن دل – فلما يدل على أن الفروق اللهجية بين الكتلتين مضطربة ، وذلك مما يؤيد نظرتنا في عدم الفصل بين الكتلتين الشرقية والغربية ، لأن نظام اللهجات ليس نظاماً رياضياً بحثاً ، ولا قانوناً يلتزم السير عليه ولكن الشذوذ فيه هو القاعدة ، والحق أن أحكام الممز وطرقه واختلافه – من أشق البحوث على الدارسين ، ولا بد لدراسته دراسة جديدة من البحث في تاريخه وأولياته ورسمه ، لأن الممزة

(١) المهرة : ١٦١/٢ .

(٢) إبدال السكتت : ٥٧ .

(٣) ديوان هذيل : ٤٩/٣ دار الكتب .

(٤) عبث الريلد : ١٨٣ دمشق .

(٥) ديوان هذيل : ٨٣/٢ .

(٦) سورة يوسف : آية ٧٦ .

(٧) البقر الحبيط : سورة يوسف : ٧٦ .

(٨) تاريخ الأدب العربي : ١١٤/١ ط أول .

لم ترسم في القرآن كما رأيناها الآن ، وإنما كانت نقطة في ثنا ألف نارة أو بين يديه نارة أخرى^(١) ، ففي قوله تعالى « بل أتیناهم بذکرهم » كانت تكتب (انہم) وفي قوله تعالى « ولقد آتیناهم » كانت المءزقة تكتب نقطة بين يديي الألف وترفعها قليلاً إلى رأس الألف مثل (نانہم) ، لأن (أتیناهم) الأولى يعني جتناهم – والثانية يعني أعطيناهم^(٢) .

ويضرب السجستاني أمثلة لاختلاف المءزقة وأنواعها مسهبة أو حقيقة فيحدثنا أن « السفهاء »^(٣) إذا هزتها نقطت على الألف الأولى نقطة بين يديها ، وعلى الأخرى نقطة فوقها مثل : (الـ) (﴿ ﴾) وإن شئت تركت هزة الأولى ، وهي قول عمرو بن العلاء : إذا اختلفتا تركت الآخرة ولم ينقط عليها ، وإن أحببت فانقط عليها بخضرة ليعرف أنها تقرأ على وجهين^(٤) . أما الداني^(٥) فتختلف ألوان النقط عندـه ، من حمرة إلى صفرة ، فيما لاختلاف مذاهب العرب في تحقيق المءزق وتسهيلها ، ويظهر أن النقط وحده لم يظهر كعنوان على المءزقة بل ظهرت أنواع أخرى حلـت محلـ المءزـق ، ويرى Noldeke^(٦) أن هناك مجموعة من المصاحف كانت تستعمل قبل المءزقة المعروفة لنا ربما يقرب من العدد (٧) ومكتوب بمداد أحـر ، وفي بعض الخطوطات إشارة أخرى وهي عبارة عن ثلاثة نقط ترسم بالمداد الأحـر إما عمودية كـاـ في (﴿ ﴾) أي (أنزلناه) وإما مثلثة كـاـ في كلمة (قـوـمنـون) أي (يـؤـمنـون) .

ولهذا يجب لمن يتصدى لبحث المءزقة – أن يدرس تاريخ رسـمـها الطـوـيل وأنظمـته ، ولوـنـ التـقطـ الذي كان يستـعـاضـ به عنـها ، وأشكـالـهـ الهندـسـيةـ حتى تكونـ الأـحكـامـ عـلـيـهـاـ أـقـرـبـ إلىـ الصـحةـ .

ومـاـ لاـ شـكـ فيهـ أنـ الرـسـمـ القرـآنـيـ كانـ صـدـىـ للـهـجـاتـ الـعـرـبـيـةـ الـخـتـلـفـةـ ، بلـ قـرـاءـاتـهـ الـخـتـلـفـةـ تعـطـيـنـاـ أـلـوـانـاـ مـنـ التـوـسـطـ (أيـ بـالـتـحـقـيقـ مـرـةـ وـبـالـتـسـهـيلـ مـرـةـ أـخـرىـ)ـ وـيـظـهـرـ ذـلـكـ فـيـ تـتـبعـ نـوـفـجـ مـنـهـ :

(١) كتاب المصاحف : ١٤٤ للسجستاني . نشر الدكتور آثر جفري .

(٢) كتاب المصاحف : ١٤٥ للسجستاني : نشر الدكتور آثر جفري .

(٣) ابن السجستاني : من ١٤٧ « السفهاء » إلا : وصححة الآية الكريمة « السفهاء ألا » البقرة : ١٣ .

(٤) السجستاني : ١٤٧ .

(٥) المقفع : من ١٣٦ ط دمشق .

(٦) مجلة كلية الآداب : ١٣١ : عدد ٨ مجلداً .

١ - إن يشا يذهبكم^(١) - إن يشا يذهبكم ، بالهمز وبدونه .
 ٢ - وقراءة مجاهد « يؤقد^(٢) من شجرة » في « يوقد » بالهمز وبدونه .
 ٣ - وقراءة قبيل « بالسوق^(٣) » وقراءة حفص « بالسوق^(٤) » بغير الهمز .
 ٤ - وقرىء (مؤصلة) و (موصلة) ويقول أبو بكر بن عياش الكوفي (كان لنا إمام يهز
 (موصلة) فأشتقي ان أسدّ اذني إذا سمعته)^(٤) وسبب ذلك المحبس الهواء في المزار
 عند النطق بالهمز المحبس تماماً ، ثم انفراج المزار فجأة ، وهي عملية تحتاج إلى مجهود
 عضلي كبير . ولهذا لاحظ قوله - ان الكتابة القديمة للقرآن يبدو فيها عدم الاطراد^(٥) لأنها كانت مرآة للهجات العرب ، ولهذا أيضاً يقول ابن يعيش « وإنما كتبت الهمزة فارة
 وأواً ويه آخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف »^(٦) .

(١) سورة النساء : آية ١٣٣ .

(٢) التور : آية ٣٥ .

(٣) سورة : ص ٣٣ وانظر الإتحاف : ٣٧٢ .

(٤) الكشاف : ٦٠٤/٤ .

(٥) Rabin Ancient P. 133 .

(٦) ابن يعيش : ١٢٦/١٠ .

الفصل الرابع

اتساع مدرج العربية ولهجاتها في إبدال الحروف

علاقة هذا الفصل بما قبله تتضح عندما نتسر الإبدال بأنه تناسب أصوات المزدوج في لهجة القبيلة - فهو من أجل هذا شبيه بالإملاء والإدغام في تقريب الصوت بعضه من بعض ، والإبدال إما أن يكون لإدغام أو لا .

١ - فالأول : إذا تجاور حرفان بينهما علاقة مخرجية ووصفية فقبل أن تحدث عملية الإدغام - لا بد أن تسبق بعملية إبدال ، حق تحدث عملية التأثر والتي يكون على أساسها الإدغام وذلك كقراءة بعضهم « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صَلْحًا »^(١) بتشديد^(٢) الصاد ، فأصلها « اصطلاحا » أبدلت الطاء صادا ثم حدث الإدغام ، وكما حدث هذا حدث مثله في قراءة بعضهم « تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْصَصُونَ »^(٣) فأصلها « يَخْصَصُونَ فَالْتَاءُ وَالصادُ مِنَ الْمَزْدُوْفِ » المتقاربة فيجوز بينها الإدغام ، ولكن لا يصح الإدغام إلا بعد حذف التأثر بينها ، ولهذا أبدلوا من التاء صادا فصارت « يَخْصَصُونَ » ثم أدخلت الصاد الأولى في الثانية فالمعنى ساكنان الخاء والمثل الأول فتخلص بكسر الأول .

٢ - وإذا لم يكن الإبدال لغير الإدغام كان على ثلاثة أنواع :

أولاً : ما يبدل من غيره ندوراً وذلك في سبعة أحرف وهي : ق ، خ ، ذ ، ظ ، ض ، ح ، غ . وذلك مثل : وقنه في وكتة ، وأخن في أغن ، وتلعنم في تلعم الخ .

ثانياً : ما يبدل من غيره ابداً قياسياً شائعاً مضطراً إليه في التصريف بحيث يقع توكل في الخطأ . وذلك في تسعة أحرف جمعها ابن مالك في قوله : هدأت موطيا^(٤) .

(١) سورة النساء : آية ١٢٨ .

(٢) سر صناعة الإعراب : ١٩٠/١ .

(٣) سورة بيس : آية ٤٩ .

(٤) شذا العوف : ١١٣ .

ثالثاً ، ما يبدل من غيره شيئاً من غير اضطرار إليه في التصريف بأن يشيع عند قوم مقصورة على السباع وذلك ما أشارت إليه الروايات اللغوية معزواً لقوم أو لقبائل مخصوصة دون غيرهم : كالعنعة ، والفحفة ، والمجعجة وغيرها .

والذي أهدى إليه في تلك الدراسة هو النوع الثالث ، لأن فيه تفاوت القبائل العربية وتحتاج ، في بعضها يؤثر في الإبدال حرفاً . بينما يؤثر قبيل آخر حرفاً آخر .

وإذا نظرنا إلى كتب العربية لخنا منها أن علماء اللغة كانوا يرون أن عملية الإبدال إرادية يأتي بها الشخص متى أراد ، وحيثما شاء ، ولنستمع إلى أحدهم يقول : « من سن العرب إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض ^(١) لكنني أرجح أن الإبدال عملية لا إرادية » ، ترسيط ^(٢) بالتاريخ والزمن الطويل - بحيث يجد المتكلمون باللغة أنفسهم أمام كلمات متعددة يبدل تشابهها على أن إحداها قد تعرضت مثل هذا التطور خلال السنين ، وليس من حق أي إنسان أن يقوم هو بإحلال صوت محل آخر .

وهناك عوامل عدة دعت إلى ظاهرة الإبدال بعضها يرجع إلى أسباب داخلية ذاتية في الحروف نفسها وبعضها الآخر يرجع إلى أسباب خارجية . أما الأسباب الداخلية فهي :

أولاً : ظاهرة التشابه : وفيها تتأثر أصوات الكلمة وتتفاعل بعضها مع بعض هادفة إلى التخفيف من بعض القيود النطقية بتحقيق الانسجام بين الأصوات وملائكة هذه الظاهرة إذا اجتمع صوتان أحدهما مهوس والآخر مجهر ، أو أحدهما في الآخر بحيث يصبحان مجهورين أو مهوسين ^(٣) ، وذلك إذا كانت فاء الافتعال « د أو ذ أو ز » أبدلت تاءه دالاً مهملاً ، مثل : ادعى إذتكر ، ازداد . فاجتمع في هذه الأمثلة صوتان متجاواران : الأول منها مجهر والثاني مهوس فتأثر الثاني بالأول ، وانقلب إلى صوت مجهر ليجتمع صوتان مجهوران ، فأصبحت الأمثلة السابقة : ادعى ، اذ ذكر ، ازداد ، ونظرة واحدة إلى مفصل الزمخشري نعثر على مثل هذا التشابه في أمثلة كثيرة ساقها . منها قولهم : اظلم ، واطلم ، واظلم ورويت ثلاثة في بيت زهير :

هو الجوادُ الذي يعطيكَ نائله عفوًا ويلهمُ أحياناً فيظلم ^(٤)

(١) مزهر السيوطي : ٤٦٠/١ .

(٢) الأصوات اللغوية في قراءة أبي عمرو : ٢٩٦ خطوط .

(٣) الأصوات اللغوية : ١١٥ ط .

(٤) مفصل الزمخشري : ٤٠٢ .

وقول يزيد بن الطبرية :

فقلت لصاحبِي لا تحييَّنَا بزع أصوله واجذَّرْ شيجا^(١)

وما أشبه العلاقة بين الحروف في مثيلها حيناً وتباعدها حيناً آخر في حالتي التشابه والتناقض - الآتي ذكرها - بالدائرة المفاطيسية في تجاذبها آنا ، وتجاذبها آنا آخر ، تبعاً لاختلاف نوعها سلباً وإيجاباً .

والفرض من هذا الإبدال ، الذي نتاج عن تأثير الأصوات وتشابها - التقريب بين الصوتين المجاورين ، تيسيراً لعملية النطق ، واقتاصاداً في الجهد المضلي ولا شك أن هذا التشابه يحدث مع توالي الزمن عبر التاريخ اللغوي ويرجع إلى قوة ذاتية في الصوت يحتمل أن يحول مجاوره إلى مثله ، لأن الحرف القوي له تأثير في الضعيف إذ يؤثر فيه حتى يزحزحه عن مخرجه الأصلي ويحوله إلى حرف أقرب ما يكون منه ، ليكون علهم من وجه واحد ، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد^(٢) .

ثانياً : قانون المخالفة في اللهجات العربية : Dissimilation

وملك هذه الظاهرة أن تشتمل الكلمة على صوتين متألين كل المتألة - فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتألين - ونرى نتفاً من تلك الظاهرة في كتب العربية^(٣) وإليك عرضاً لهذه الظاهرة :

جاء في المصباح : أمللت الكتاب على الكاتب إملالاً - أقفيته عليه ، وأملنته عليه إملاء - والأولى لغة الحجاز وبني أسد ، والثانية لغة بني تميم وقيس^(٤) ، وحكى مثل هذا أبو زيد في اللسان^(٥) .

وجاءت قراءات على كلتا اللهجتين :

١ - قوله تعالى « ولن يُمْلِلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الْحَقُّ » .

(١) المرجع السابق : ٣٧١ .

(٢) انظر : الكتاب : ٤٢٦/٢ ، المخصص : ٢٧٣/١٣ .

(٣) مفصل الزغشري : ٣٦٤ .

(٤) المصباح : ٨٩٦/٢ ، أدب الكاتب لأن قنية : ٣٧٦ .

(٥) اللسان : ١٥٤/١٤ .

٢ - قوله تعالى « فَهِيَ تُنْلَىٰ عَلَيْهِ بَكْرَةً وَأَصِيلًا »^(١) فهذا من أملات .

٣ - قوله تعالى « أَوْ لَا يُسْتَطِعُ أَنْ يُعَلِّمَ هُوَ فَلِيمَلُ وَلِهِ بِالْعَدْلِ »^(٢) فهذا من أملات .

ولتفسير اللهجة التمييمية وهي (أملات) بدل (أملات) - نرجع إلى قانون الحالفة ذلك الذي يفسر مثل هذه الظاهرة ، فصيغة (أملات) تحتاج إلى مجهد عضلي أكثر ، لأنها صوتان متايلان ، وقانون الحالفة يبدل أحد اللامين المتجاورين - إى صوت لين ، أو إلى أحد الأصوات المشبهة بأصوات اللين وهي : اللون . والنلام والميم . والراء ، ولقد لحظ القدماء ما بين هذه الأصوات من علاقة حيث أطلقوا عليها الأحرف الذالقية ، أو المتوسطة بين الشدة والرخوة^(٣) كما لمح المحدثون علاقة بين هذه الأصوات: وبين أصوات اللين أيضا^(٤) . وفي تحويل هذه الأصوات المتايلة إلى أصوات اللين وما يشبهها - أقصى مراحل التيسير في الجهد العضلي^(٥) .

فشل هذا التخالف أو الحالفة Dissimilation ما جاء في صيغة أما - التفضيلية فلغة المجاز ومن جاورهم فتح المهمزة وكسرها ، ولغة قيس وتميم ففتحها^(٦) . وساق السيوطي شواهد لها منها :

تلقحها أمتا شمال عرينة^(٧) وأمتا صبا جنح العشبي هبوب^(٨)

وقد تبدل الميم الأولى ياء مع كسر المهمزة وفتحها كقوله :

لا تفسدوا آباءكم أيمتا لنا أيمما لكم^(٩)

وقد شذ الأشموني فتح هزتها وإبدال ميمها الأولى ياء^(١٠) . وذكر أبو حيان أن إبدال ميمها

(١) المصباح : ٨٩٦/٢

(٢) شرح فصيح ثعلب للهروي : ٨٩ تحقيق خفاجة .

(٣) تاريخ الأدب : ٢٠ حفيظ ناصف .

(٤) مجلة الجمع : ١٣٠ - ١٣١ - ١٤٠ - ١٤١ .

(٥) الأصوات اللغوية : ١٤٥ ط ٢ .

(٦) الدرر اللوامع : ١٨٢/٢ .

(٧) المجمع : ١٣٥/٢ .

(٨) الدرر اللوامع : ١٨٢/٢ .

(٩) الأشموني : ١٠٩/٣ .

الأولى ياء ذلك لغة تميم^(١) ، وهذا تأخذنا الدهشة لرواية ساقها الأشموني حيث نسب الى عمر بن أبي ربيعة قوله :

رأَتْ رَجُلًا أَيْمَانًا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فِي ضَحْنِي وَأَيْمَانًا بِالشَّمْسِ فِي خَصْرٍ^(٢)

ولما رجمت الى الديوان والمصادر الأولى لأنتحقق من النص وجدته (أما)^(٣) لا (أيما) كا جاء في الأشموني وعمر لا يمكن أن يقول (أيما) كما جاء في الأشموني لأنها لهجة تميم ، وهو قرشي حجازي ، وأرجح أن التحرير في رواية الأشموني يرجع الى النسخ والنقلة ، أو ربما يرجع الى ما يقوله ابن هشام في شرح الشواهد « وقد كان العرب ينشد بعضهم شعر بعض » وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ، ومن ذلك تكثرت الروايات في بعض الأبيات^(٤) . وتعلل لهجة تميم بقانون المخالفة ، لأن أما – بالتشديد فيها جهد عضلي يعكس أيما – التي تحول التشديد فيها الى حرف لين ففيها اقتصاد في هذا الجهد يهدف إليه البدو مثل تميم ، ولهذا أشد العجاج « تَقْضَى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرْ »^(٥) والعجاج تميمي ، وأصلها « تقضى » . كما حدث في تميم أيضاً أن تماثل في الصيغة حرفان – فأتراوا إبدال واحد منها بأحد الأصوات المشبهة بأصوات اللين ، فقد جاء في شعر الفرزدق :

(أَلْسِنُمْ عَائِجِينَ بَيْنَا لَعْنَا)^(٦)

وجاء في اللسان أن بني تميم يقولون : لعنك ، وبني تميم الله بن ثعلبة يقولون « رعنك » – يريدون « لعلك »^(٧) وفي هذه الأمثلة تغير مخرج الهواء عند النطق بالصوت . ففي « لعمل » لامان ، وهما من الفم ، والحروف إذا تماثلت مخارجها كانت أثقل ، فاتجه المجرى الى التوت الأنفية للمخالفة بين الصوتين ، وقد وجد هذا التناقض في لهجة الجزيرة بالسودان حيث ينطقونها (نعل)^(٨) بقلب لامها الأولى نونا .

(١) البحر : ١١٩/١ .

(٢) الأشموني : ٤٩/٤ .

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ١٢١ ط بيروت ، وانظر : المزانة : ٤٢١/٢ ، والتكامل : ١٧٢ ففيها « أما » كما في ديوانه .

(٤) الاقتراح : ٣٠ .

(٥) أمالي القالي : ١٧١/٢ .

(٦) إبدال أبي الطيب : ٢٩٦/٢ ، أمالي القالي : ١٣٤/٢ مع خلاف يسير في الرواية .

(٧) اللسان : ١٦٨/١٧ ، ٤٣ ، ٢٧٥ .

(٨) من لهجات الجزيرة بالسودان : ١٢٦ .

كما حكى أنس أهل العالية يقولون : « دهديت الحجر » وأصله « دهدت الحجر » فقلبت
الهاء الثانية ياء كراهة التضييف^(١) ، كما وجدت هذه المفارقة في طيء أيضاً وذلك :

١ - ما جاء في إبدال أبي الطيب (وأنثتَ الذي دسستَ عمرًا فأصبحت ...)^(٢) وأصلها
« دسست ». .

٢ - ما جاء عن الكسائي من أن طيئاً يقول : رأيت إيسانا بالياء^(٣) ، وعن الفراء : العرب جميعاً
يقولون : الإنسان إلا طيئاً فإنهم يجعلون مكان النون ياء^(٤) وأورد اللسان شاهداً لها لرجل
من طيء^(٥) . ولا شك أن طيئاً تشارك تميئاً في البداءة .

ومثال هذه الخالفة أيضاً ما جاء في لغات ختصر ابن الحاجب من قوله : الأرز : حب معلوم
فيه ست لغات : آرز ، وأرز ، وأرز ، ورز ، ورز ، ورنز وهي لعبد القيس^(٦) ، وساق
الهروي شارح فصيح ثعلب رواية مثلها^(٧) ، وكذلك ابن منظور في اللسان^(٨) ، فعبد القيس قد
آثروا المفارقة بين الصوتين الشديدين وهما (الزاي) فقلبوها إلى حرف النون ، وما فعلوا ذلك
إلا ليزيدوا النطق تيسيراً ، فوجود النون في (رنـز) لا يبعد أن يكون عملية مختلفة بين الحرفين
المتاثلين « ولهذا عزى بعض اليمن أنهم كانوا يقولون في « حظ » حنظ ، وفي « اجتاص » انجاص ،
وفي « اجتاحة » انجاتحة^(٩) . ويظهر أن هذا التخالف كان كثيراً في اللغات السامية ، « ففي
السريانية كلمة (كباراً) أي : الجبار : كتبت (كباراً)^(١٠) .

(١) المخصص : س ٢٨٧/١٣ .

(٢) ٢١٦/٢ .

(٣) إبدال أبي الطيب : ٤٦١/٢ .

(٤) اللسان : ٣٠٩/٧ وما بعدها .

(٥) اللسان : ٣٠٩/٧ .

(٦) لغات ختصر ابن الحاجب : خط بدار الكتب رقم ٤٧ لسنة .

(٧) شرح فصيح ثعلب للهروي ٧٠ تعليق خفاجة .

(٨) اللسان : ١٦٨/٧ .

(٩) ما تلعن فيه العامة للكسائي : ٣٥ - ٣٤ .

(١٠) مجلة كلية الآداب المجلد العاشر : ج ١ مايو سنة ١٩٤١ .

على أن القبائل العربية لم تسر سير قيم وطبيعة في هذا التحالف . فقد كانت هداناً تقول «سبولة» أو «سبلة»^(١) .

فآثرت الحرفين المماثلين ولم تحالف بينهما - شأنها في ذلك شأن العبرية فيها : **أَبْلَذْكُرْلَكْ** بينما صارت الباء الأولى في فصحاناً نوناً .

وهذا يشبه ما جاء في اللسان^(٢) : ومضت سبة وسبة من الدهر أي ملاوة . فهذا التطور إلى حروف الدين أو ما يشبهها هو إحدى نتائج نظرية المسؤولية ، تالمك التي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة^(٣) ، ولهذا نقول في عاميتنا « مدبت » ، حطيت ، فككت « بدل » : مددت ... وقد اعترف القدماء بكراءة التضييف ومنهم سيبويه حيث يقول (هذا باب ما شد فأبدل مكان اللام ياء لكراءة التضييف وليس بطر) ، وذلك قوله : تسرّيت وتظننت وتقصّيت من تسرّد وتظنن وتقصّص^(٤) .

وإذا اتجهنا إلى القرآن الكريم لمحنا فيه هذه الظاهرة في قوله تعالى : « إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنّ » ، وقد ذكر أبو عمرو بن العلاء^(٥) أنه من ذوات التضييف أي : « لم يتتسن » ومثلها « وقد خاب من دساها »^(٦) قال الزمخشري : أصل : دسـ « دسـ »^(٧) فكأنه أبدل من إحدى السينات ياء ، لاستثنال التضييف .

أما أهم الأسباب الخارجية فتعود إلى :

أولاً ، أخطاء الأطفال :

ما لا شك فيه أن اللغة كائن حي ، يخضع للتطور والتغير من جيل إلى جيل ، منها أحبطت بسياج قوي يحفظها من هذا التغير ، والطفل في حماياته لغة آبائه ، لا يحكيها كما هي بل تتأثر في

(١) بقلياً للهجات العربية : ١٤ .

(٢) اللسان : « سبب » .

(٣) الأصوات اللثوية : ١٤٤ ط ٢ .

(٤) الكتاب لسيبوه : ٤٠١/٢ .

(٥) إيدال أبي الطيب : ٤٥٩/٢ .

(٦) سورة الشمس : آية ١٠ .

(٧) الكشاف : ٦٠٦/٤ .

أصواتها حيناً وفي دلالاتها حيناً آخر . فمن ناحية الأصوات نرى الطفل يبدل حرفًا من حرف قريب منه في المخرج كأن ينطق الكاف تاء فيقول : كتاب = كتاب . السينية = السكينة ، وغالباً ما تقر القوانين الصوتية ما يأتي به الطفل في أثناء محاكاته فالكاف والتاء ، في المثال السابق كلها يتضمن صفتى الممس والشدة ولا فرق بينهما إلا في المخرج ، فهما يتعاقبان ، وقد نرى الطفل في تلقيفه لغة بيئته يقلب الشين سيناً فيقول في شعر = سعر ، وشمس = سمس . وقد رأينا مثل هذا فيما جاء عن العرب حيث ساق السيوطي قوله : جمشوش وجمسوس^(١) . كما يخطئ الطفل في نطق « غلة » فيقول « ننة » .

وساق لنا السيوطي ما يشبه هذا من قول العرب : ارمعل الدم = وارمعن ، وحامل الذكر = وخامن^(٢) .

وفي نطق الطفل السابق بكلمة « ننة » ملاحظة هامة ، وهي أن الطفل في نطقه يتلمس أيسر السبيل في النطق ، وهو لهذا لا يميل إلى توالي صوتين أحدهما مجرأ الأنف كالنون والآخر مجرأ الفم كاللام – في مثل « غلة » – وهذا مال إلى جعل كلا الصوتين المتعاقدين من الأنف تيسيراً له في النطق ، كما تجدر الطفل في محاكاته لنطق كلمة : موز يقولها : بوز ، ولا شك أن العلاقة واضحة بين الحرفين لأنهما من أصوات الفم ، فلها أن يتعاقبا مثل : أزمـة = وأزـبة^(٣) وقحبـة وقحـمة^(٤) وما عليه طحربـة وطحرـمة^(٥) . ولا شك أن الطفل في البيئة العربية القدـية – وهي بيـئة منزـلة ، لا يجد فيها الأطفـال من رعاية الآباء ما يستحقـونـه ، وذلك لأنـشـافـهم بالحـرب أو السـفر ، كـأنـ الأمـهـاتـ مشـتـغلـاتـ بـجيـاةـ الـكـدـحـ وـالـسـعـيـ وـهـذـاـ يـشـبـعـ مـحتـفـظـاـ بـلـهـجـتـهـ تـلـكـ علىـ ماـ فيـهاـ منـ أـخـطـاءـ الطـفـولـةـ لـكـنـهاـ تـصـبـعـ فـيـاـ بـعـدـ عـنـصـراـ مـعـتـرـفـاـ بـهـ فـيـ لـهـجـتـهـ وـظـاهـرـةـ منـ ظـواـهـرـهاـ ، وـتـلـكـ سـنـةـ التـطـورـ ، فـمـاـ كـانـ يـعـدـ بـالـأـمـسـ خـطـأـ تـنـفـرـ مـنـ الـأـذـانـ – أـصـبـحـ الـيـوـمـ صـوـابـاـ فيـ جـيـلـ جـديـدـ مـنـ الـتـكـلـيـنـ^(٦) وـلـاـ شـكـ أـنـ بـعـضـ مـنـ ظـواـهـرـ الإـبـدـالـ قدـ تـرـجـعـ إـلـىـ خـطـأـ الـأـطـفـالـ وـأـنـقـالـ الـلـغـةـ مـنـ السـالـفـينـ إـلـىـ الـحـالـفـينـ ، وـهـذـاـ رـأـيـاـ الـأـمـثـلـةـ الـآـتـيـةـ : ثـوبـ ، ثـلـجـ ،

(١) المزهر : ٤٩/١ و الجمسوس : القبيح اللثيم .

(٢) مزهر السيوطي : ٥٥٥/١ - ٥٥٦ .

(٣) وهي الشدة .

(٤) يقال للسنة العجوز .

(٥) أي خرقـةـ : المـزـهـرـ : ٤٦٣/١ .

(٦) في اللهجـاتـ الـعـرـبـيـةـ : ١٠٧ـ ، الـطـبـعـةـ الثـانـيـةـ .

تعيّان ، ثلث . تتحول إلى : توب ، تلنج ، تعبيان ، تلت^(١) . وقد جاء مثل هذا عن العرب من قولهم « وتن بالمكان يتن وتنا ووتونا – إذا أقام به . ووتن يتن وثنا ووثونا أيضًا . كما قالوا : الحشنة والثلثة ، لأسفل البطن »^(٢) كما تحولت الذال إلى الدال ومثال ذلك ما جاء عن أبي الطيب ذبرت الكتاب أذبر ، ذبراً – إذا كتبته وحكى اليزيدي ذبرته أذبره ذبراً ، بالدال غير المعجمة^(٣) ويمكن أن يفسر هذا الإبدال تفسيرًا آخر ، لا على أنه من خطأ الأطفال كما مر ، وإنما يفسر على أن له نظائر في اللغات واللهجات السامية الأخرى – إذ نجد أن كل ثاء عربية تقلب أو تبدل ثاء في اللغات الآرامية ، كما تقلب شيئاً في العبرية ، وسيينا في الحشنة ، كما وجدنا أن الذال العربية تبدل دالاً أو زاياً في اللهجات الآرامية ، وهذا تكون تلك الإبدالات من هذه الزاوية ، كالأصول المطردة ، والقوانين الصوتية ، ويکاد يجمع الباحثون على أن عوامل عده تتدخل في تطور اللغة في أصواتها وحروفها من السالفين إلى الحالفين ، ولا نريد الإشارة إلى هذه العوامل جميعها بل نشير إلى واحد منها وهو : التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق في الإنسان ... وصاحب هذا الرأي هو العلامة (رسلو) . وخلاصة هذا الرأي أن أعضاء النطق مختلف من جيل إلى جيل إن لم يكن في بنيتها فعل الأقل في استعداداتها ، بل هي تختلف بما كانت عليه عند آبائنا المباشرين ، وعلى أي حال فإن أي تطور يحدث في أعضاء النطق أو في استعدادها يتبعه تطور في أصوات الكلمات ، فتتعرّف حيث تتلامم وحالة أعضاء النطق^(٤) ، ويمكن أن نامح أمثلة لهذا القانون فيما ورد عن العرب في باب الإبدال من قولهم :

زجاج الطير ، وزمكاؤه^(٥) ، والعاذر والعاذل^(٦) ، والذعاق^(٧) ، والدشيشة والجشيشة^(٨) . وما جاء في كتاب الفرق للبطليوسى من قولهم : ماء مظفوف : ومضفوف^(٩) :

(١) اللغة والمجتمع : ٥٠ دكتور رافي ط ١٩٤٦ .

(٢) الإبدال لأنبي الطيب : ٩٦/١ .

(٣) المربع السابق : ٣٥٤/١ .

(٤) نشأة اللغة عند الإنسان والطفل : ١٥٢ وافي ط ١ .

(٥) المزهر : ٤٦٥/١ .

(٦) الجاسوس : ٣٤٦ .

(٧) كتاب العين : ٧١ .

(٨) اللسان : ١٩٠/٨ .

(٩) المزهر : ٥٦٢/١ .

ونثر : وتنثر^١ ، وأثغرت الشاة : وأمفرت^٢ ، والمعز : والجائز^٣ .

ثانياً : أمراض الكلام :

وأمراض الكلام ولا سيما ما كان مختصاً منها باللسان يشير تجاهلاً صوتياً ، وانتقالاً لخارج المروف حق يتكون للصيغة شكل جديد مختلف عما كانت عليه من قبل وليس السبب في تلك الصورة الجديدة إلا عيوب النطق ، وإصابة الجهاز الصوتي بعلة فيه فيتحول اللسان من النطق بالسين إلى الثاء أو التاء أو الدال أو الشين ، أو من الراء إلى الفين أو اللام أو الياء ، أو من حرف إلى حرف آخر . ويظهر أن القدماء من اللغويين قد تنبهوا إلى تلك الظاهرة . وهي ظاهرة أمراض الكلام ولهذا نسمع عدة أسماء تشير إلى تلك الظاهرة فنها :

اللغة^٤ ، اللفف^٥ ، النعنعة^٦ ، الارتضاخ^٧ ، الشففة^٨ ، الهبة^٩ ، الرته^{١٠} ، التمتة^{١١} ، القافية^{١٢} ، العقلة^{١٣} ، الجبسة^{١٤} ، اللكتة^{١٥} ، الخنة^{١٦} ، اللثنة^{١٧} .

ولا شك أن عدم انتظام تكوين الأسنان له دخل في اللثغات ، لهذا لا يستطيع الإنسان أن

(١) اللسان : ١٤٤/٧ .

(٢) اللسان : ٨١/٧ .

(٣) وهي الفحص : ١٧٦/٧ .

(٤) يراد باللغة : العمحي : مجلة الشرق السنة ٦ عدد ١٢ سنة ١٩٠٣ .

(٥) إدخال حرف في حرف : التذكرة الحمدانية ، المرجع السابق .

(٦) رته في اللسان : وهي قلب اللام فوئاً : التاج ، وانظر مجلة الشرق : المرجع السابق .

(٧) يقال : هو يرتفع لكتة أعممية : إذا نشأ معهم وكان عبد بني الحساحا يرتفع لكتة حبشية ، المرجع السابق .

(٨) وهي في لغة اليمن تجعل الكاف شيئاً مطلقاً : مجلة الشرق : المرجع السابق .

(٩) وهي النطق بالباء هاء المزهراً : ٥٥٧/١ .

(١٠) جعل اللام ثاء المزهراً : ٥٦٦/١ .

(١١) التوء اللسان عند الكلام : تاريخ أدب العرب للرافعي : ١٦٠/١ .

(١٢) وهي أن يشرب الصوت المليشوم ثم هي عيب إذا جاءت في غير حروفها ، المرجع السابق .

(١٣) في الحكم: الألثغ الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء: وقيل: هو الذي يجعل الراء في طرف لسانه أو يجعل اللضاد ظاء وقيل هو الذي يتتحول لسانه عن السين إلى الثاء ، المزهراً : ٥٦٦/١ .

يعدل من نطق الآلة - إلا إذا تدخل إعصار الأسنان فيها ، وقد يرث الطفل هذه اللهجات عن آبائه ، ويرثها منه جيله ثم يرثها منه جيل آخر ، حتى تصبح اللهجات سمة فيهم ، بل تكون صواباً في جيل المستقبل بينما هي نفسها في الجيل الأول كانت آفة نطقية محظوظة ازدراء الناس واحتقارهم والدليل على ذلك تغير علماء اللغة بين اللغة واللهم ، فالخليل على جملة العلم لا يدري : أن النساع عذبة الزعاق لغة مستقلة أم لغة^١ ، وابن سيده لا يدري أن المرميس - وهو الداهية لغة مستقلة عن المرميت أم لغة^٢ ، والأزهري ينكر أن الدشيشة لغة في الجشيشة ويقول بأنها لكتة ، بينما رویت عن أبي الوليد بن طحفة الففاري على أنها لغة^٣ وصاحب الصحاح لا يدري أن اللهم لغة مستقلة عن اللحس أو هشة^٤ وكذلك الأصمعي وهو الثقة اللغوي لا يدري أن الماذور - وهو الشر لغة في المأثور أو لغة^٥ ، فاللهجات وأمراض الكلام تشتبه على أخذاد اللغة - باللغات لأن وجه الشبه في كل منها انتقال المخرج الصوتي من مكانه وأخراج الأصوات عن الصورة الأولى لها ، وترتبط على أمراض الكلام وجود كلمات عربية صحيحة متعددة المعنى رویت مرة بالراء وأخرى باللام : مثل : رثت القصعة بالثريد ، ولثدت ، وجرمه وجلمه بمعنى قطعه ، وسم أمرط وأملط : ليس له ريش^٦ ، كما رویت مرة بالظاء وأخرى بالذال كفولهم رجل شنطيرة وربما قالوا : شنديرة^٧ « أو الغين والراء كفولهم كل راية غاسية » وفي الصحاح الغاية = الراية^٨ . وقد يمكن أن تقسم شخصية عظيمة باللهجة فتقتدى بها الطبقات الأخرى المحبيطة بها وتقلدها أولاً في تلك اللهجة ، وبعد مرور زمان يصبح هذا الطرفان أو تلك اللهجة مقبولة ، وهذا يشبه (المودة) التي تسري من أعلى المجتمع إلى أدناه . والناس مجبرون على تقييد المظاء وما يجري على اللغة في هذا المنحى يجري على الأمور الأخرى كالزيارات والعادات .

(١) العين : ٧١ ، المخصص : ١٣٦/٩ .

(٢) اللسان : ١٠١/٨ .

(٣) اللسان : ١٩٠/٨ - ١٩١ .

(٤) المزهر : ٥٥٧/١ .

(٥) المزهر : ٥٥٧/١ .

(٦) المزهر : ٥٥٨/١ .

(٧) المزهر : ٥٥٧/١ .

(٨) اللسان : للكرملي في مجلة المشرق : من ٥٩١ .

ثالثاً : التصحيف :

كانت الكتابة في القرن الأول بدون نقط ولا شكل ، لهذا كان عددة قراءة القرآن هو التقلي والمشافهة ، لا الأخذ عن الصحف وان كان ما في الصحف صحيحاً ، ولذلك نسمهم يقولون : إن فلاناً ثقة ، وبعض روایته صحيحة ، بل كانت أكبر وصمة للإنسان أو الراوي أن يقال له : أنت صحفي . ومعناها أن تأخذ من الكتب بنفسك دون مشافهة ولقاء بين مؤلفيها ، لأن هذا يورث التصحيف في الحروف وهذا قيل « لا تأخذوا القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي ^١ و كان حماد الرواية قد حفظ القرآن من المصحف وكان يصحف بنياً وتلذين حرفاً منها : وما كان استغفار إبراهيم لإبيه إلا عن موعدة وعدها أباه » يزيد « إيه » وقيل إن حزة الزيات - كارث يتعلم القرآن من المصحف فقرأ يوماً وأبوه يسمع « ذلك الكتاب لا زيت فيه » بالزاي والتاء ، فقال أبوه : دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال ^٢ ، كما نجد أمثلة منه متداولة في أدب الكاتب لابن قتيبة واصلاح المنطق لابن السكيت ، وما يلحن فيه العامة لأبي حاتم السجستاني ، والأمالي للقالي وتصحيف التصحيف ^٣ للصلاح خليل بن أبيك الصفدي .

وقد ساق المزهر أمثلة عديدة لما وقع فيه التصحيف ، من ذلك ما جاء عن ابن خالويه « الناس كلهم قالوا : قد بلع فيه الشيب إذا وخطه القتير - أما ابن الأعرابي فقال « بلغ » بالغين المعجمة ^٤ وكان أبو عمرو الشيباني يقول : « في صدره على حسيكة » ، وكان أبو عبيدة يقول « حسيكة » بالشين فأرسلت إليه : يا أبا عبيدة : إنك تصحف في هذين الحرفين فارجع عنها قال : قد سمعتها ^٥ . وفي الجمهرة : الفضاض = بالعين المعجمة : العرَّين وما والاه من الوجه وقال أبو عمر الزاهد : هو الضعاض بالعين غير المعجمة ^٦ . واختلف المعمري والتحويات في « الظروري » فقال أحدهما : الكيس ، و قال الآخر : الكبش . فقال كل منها لصاحبها : صحت ، وكتب بذلك إلى أبي عمر الزاهد فقال : من قال ان الظروري : الكبش : فهو تيس ،

(١) كتاب التصحيف والتعريف : ٨ للمسكري .

(٢) كتاب التصحيف والتعريف للمسكري : ٩ .

(٣) منه لنسخة مصورة في المزانة الزكية بدار الكتب .

(٤) المزهر : ٣٦٣/٢ .

(٥) المزهر : ٣٦٦/٢ .

(٦) المزهر : ٣٦٧/٢ .

وإنما الظريوري الكثيـس^١ ، وجاء التصحيح في « ذخـرـب وـزـخـرـب » وصحـهـ بالـخـاءـ ، وبالـخـاءـ تصـحـيفـ^٢ . فالـتصـحـيفـ قد لـعـبـ دورـاـ كـبـيرـاـ في تـشـويـهـ اللـنـغـةـ ، وـلـمـ تـسـلـمـ مـنـ القرـاءـاتـ القرـآنـيـةـ ، بل سـجـلـ السـيـوطـيـ تصـحـيفـاتـ وـقـعـتـ لـأـشـرـ المـعـاجـمـ العـرـبـيـةـ المـوـقـتـةـ : كالـعـينـ لـلـخـيلـ^٣ والـصـاحـاحـ والـخـصـصـ . وـغـيـرـهـ . كما سـجـلـ السـكـرـيـ فيـ كـتـابـهـ التـصـحـيفـ تصـحـيفـاتـ لـأـكـثـرـ منـ خـسـينـ لـغـوـيـاـ مـشـهـورـاـ ، والـذـيـ أـرـيـدـهـ الـآنـ أـنـ جـيـسـ ماـ تـحـتـ يـدـنـاـ مـنـ الإـبـدـالـ - يـحـبـ أـنـ تـاخـذـهـ بـخـذـرـ ، لأنـ التـصـحـيفـ لـاـ بـدـ أـنـ لـعـبـ دورـاـ هـامـاـ فـيـهـ . فالـإـنـسـانـ سـيـظـنـ حـتـمـاـ أـنـ بـيـنـ مـاـ سـقـتـهـ مـنـ الـأـمـثـلـةـ السـابـقـةـ - مـاـ يـصـلـعـ مـنـهاـ لـلـإـبـدـالـ ، لأنـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـهـ قـائـمـةـ وـلـكـنـ بـالـبـحـثـ أـحـرـجـنـاهـاـ مـنـ الإـبـدـالـ وـأـلـحـقـنـاهـاـ بـالـتـصـحـيفـ . بلـ أـحـيـاـنـاـ مـاـ تـقـعـ مـهـارـاتـ بـيـنـ أـمـةـ اللـنـغـةـ وـيـتـهمـ أـحـدـمـ صـاحـبـهـ بـالـتـصـحـيفـ فـيـ الـكـلـمـةـ ، فـيـرـدـ عـلـيـهـ الـآـخـرـ بـدـعـ التـهـمـةـ ، وـيـبـيـنـ لـهـ أـنـ مـاـ تـوـهـهـ تـصـحـيفـاـ إـفـاـ هوـ لـهـجـةـ عـرـبـيـةـ^٤ .

ولـنـتـنـقـلـ الـآنـ إـلـىـ درـاسـةـ نـصـيـةـ تـقارـنـيـةـ لـلـهـجـاتـ القـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ - وـالـتيـ وـرـدـتـ مـعـزـوـةـ فيـ بـابـ الإـبـدـالـ وـيـكـنـ تقـسيـمـهاـ إـلـىـ مـاـ يـأـتـيـ :

أـوـلـاـ : لـهـجـاتـ مـنـسـوـبـةـ مـلـقـبـةـ .

ثـانـيـاـ : لـهـجـاتـ مـنـسـوـبـةـ غـيـرـ مـلـقـبـةـ .

أـوـلـاـ : الـلـهـجـاتـ مـنـسـوـبـةـ الـمـلـقـبـةـ :

١) الـكـشـكـشـةـ :

بعـضـ الـلـغـوـيـنـ يـرـىـ أـنـ الـكـشـكـشـةـ لـتـيمـ^٥ ، أوـ رـبـيـعـةـ^٦ ، أوـ بـكـرـ بـنـ وـائلـ^٧ ، أوـ أـسـدـ^٨ ،

(١) المـزـهـرـ : ٣٦٥/٢ .

(٢) إـبـدـالـ أـبـيـ الطـيـبـ : ٣٥/١ مـقـدـمـةـ .

(٣) المـزـهـرـ : ٣٨١/٢ .

(٤) انـظـرـ : اللـسـانـ : ١٣٩/١١ - ١٤٠ .

(٥) خـزانـةـ الـأـدـبـ : ٥٩٥/٤ ، إـبـدـالـ أـبـيـ الطـيـبـ : ٢٣٠/٢ .

(٦) كـتـابـ الـعـينـ : ٣١ لـلـخـيلـ .

(٧) شـرـحـ السـيـرـافـيـ عـلـيـ سـيـبـيـوـيـهـ : ٤٦٨/٥ غـطـرـطـ فـيـ التـيـمـوـرـيـةـ .

(٨) الصـاحـبـيـ : ٢٤ .

كما عزّاها السيوطي في ربیعه^١ ومصر ، ويُمكن أن نوْفَقَ بِینَ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ الْمُتَنَافِرَةِ بِالقولِ بِتَجَاهُورِ مَسَاکِنِ هَذِهِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَزَّى إِلَيْهَا الْكَشْكَشَةَ - فَبَكْرُ بْنُ وَائِلَ يَنْتَهِي نَسْبَهَا إِلَى ربیعه^٢ وَكَلَامًا عَزَّى لَهُ الْكَشْكَشَةَ ، وَإِذَا كَانَتِ الظَّاهِرَةُ قَدْ عَزَّتِ إِلَى تَمِّ - فَلَمَّا نَرَى نِيرَانَ الْحَرَبِ قَدْ اسْتَعْرَتَ بَيْنَ تَمِّ وَبَكْرٍ ، فَالصَّلَةُ بَيْنَهُمَا قَائِمَةٌ وَالْأَخْذُ وَالْعَطَاءُ فِي الْلَّهِجَاتِ هَمَا تَجْوزُهُ النَّظَرَةُ الْمُهْدِيَّةُ .

وَأَخْتَلَفَ فِي كَثِيرِ الْكَشْكَشَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذاهِبٍ :

قَسْمٌ يَبْتَدِئُ الشَّيْنَ حَالَةَ الْوَقْفِ ، وَهُوَ الْأَشْهَرُ ، وَقَسْمٌ يَبْتَدِئُهَا فِي الْوَصْلِ أَيْضًا ، وَقَسْمٌ يَحْمِلُ الشَّيْنَ مَكَانَ الْكَافِ وَيَكْسِرُهَا فِي الْوَصْلِ ، وَيَسْكُنُهَا فِي الْوَقْفِ^٣ .

وَإِلَيْكَ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ :

١ - قَالَ السِّيرَافِيُّ وَقَدْ أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرُ بْنُ دَرِيدَ :
تَضْحِكُ مَنِي أَنْ رَأَيْتِي أَحْتَرِشَ . وَلَوْ حَرَشْتِ لَكَشْفَتُ عَنْ حَرِشَ .

وَأَنْشَدَ ثَعْلَبَ :

« ... وَمَنْ يَحْلِلُ بِوَادِيشِ يَعْشُ »^٤

دَرِيدُ « بِوَادِيكَ » . كَمَا سَاقَ أَيْضًا :

عَلَى فَيْيَا أَبْتَغَيْ أَبْغِيشَ . بِيَضَاءِ تَرْضِينِي وَلَا تَرْضِيشَ .
وَتَطَيِّيْ وَدَبَّنِي أَبْدِيشَ . إِذَا دَلَوْتَ جَعَلْتَ تَبْنِيشَ .
وَإِنْ نَأَيْتَ جَعَلْتَ تَدَنِيشَ . حَقَّ تَنْقِيَّ كَتْنِيقَ الدِّيشَ^٥ .

٢ - وَاسْتَشَدَ اللِّسَانُ لَهَا حِيثُ يَجْعَلُونَ الشَّيْنَ مَكَانَ الْكَافِ ، وَذَلِكَ فِي الْمُؤْنَثِ خَاصَّةً ، يَقُولُ الشَّاعِرُ :

(١) المَزْهُرُ : ٢٢١/١ .

(٢) نَهَايَةُ الْأَرْبَ لِلْقَلْقَشَنِيِّ : ١٧٨ .

(٣) قَارِئُ كَادَابِ الْعَرَبِ : ١٣٨/١ ، الْخَرَاجَةُ : ٥٩٤/٤ - ٥٩٦ ، الصَّاحِبِيُّ : ٢٤ .

(٤) إِبْدَالُ أَبِي الطَّيْبِ : ٢٣١/٢ .

(٥) فِي الْخَرَاجَةِ : ٥٩٤/٤ « وَتَطَيِّيْ » مَعَ خَلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ وَالتَّرْتِيبِ .

(٦) السِّيرَافِيُّ عَلَى سِيَبُوْيَهِ : ٤٦٧/٥ - ٥٧٢ ، كِتَابُ الْعَيْنِ لِلْخَلِيلِ : ٣١ بَغْدَادٌ .

فَعِينَاشِ عَيْنَاهَا وَجَيدَشِ جَيدَهَا وَلَكُنْ عَظَمُ الساقِ مَنْشِ دَقِيقٍ^١

وروى هذا البيت في الخزانة على الأصل بدون إيدال^٢.

٣ - وقرأ بعضهم «قد جعل ريش تحتش سريئا» في قوله تعالى «قد جعل ريش تحتك سريئا»^٤. وبهأقرأ من قرأ : «إن الله اصطفاش وطهرش» آل عمران ٤٢ في قوله تعالى : «إن الله اصطفاك وطهرك». لمجات العرب ٦٩. أحمد تيمور. المكتبة الثقافية (٢٩٠). ولتفسير هذه الظاهرة نرى أن تبليحا حرست على إبراز الحركة الأخيرة إذا كان في الوقف عليها ما يلبس ، فالوقف على كاف المؤنثة بالسكون يجعلها تلتبس بكاف المخاطب ، فللفرق بينها قلت كاف المؤنثة شيئاً ، ثم توسعوا في ذلك فقللت في حالة الوصل أيضاً ، وإنما قلت الكاف شيئاً لقرب الشين من الكاف في المخرج ، وأنها مهمسة مثلما فأرادوا البيان في الوقف « لأن في الشين تفصيماً »^٥ ويقول سيبويه « وقوم يلحقون الشين ليبيروا بها الكسرة في الوقف »^٦. ويقول البغدادي « وربما جعلوا بعد الكاف الشين والسين . يقولون : انكش وانكس - وهي الكاف المكسورة لا غير يفعلون هذا توكيداً لكسر الكاف بالشين والسين^٧. وأرجح أن البغدادي لم ينقل لنا الظاهرة كما كانوا ينتطقوها - إذ ليس هناك ما يدعوه إلى أن تتصل الكاف بصوت آخر ، بل حل مكان الكاف حرف Ch. - وهذا أرجح أنهم كانوا يقولون «انتش» ، و«انتس» لا كما قال البغدادي آنفاً «انكش» ، و«انكس» .

ولقد علل المستشرقون تلك الظاهرة بقولهم « إن الكاف كالجيم الحالية من التعطيش »، دفعتها الكسرة التي تليها إلى أن تكون من وسط المخنث - أي قريبة في المخرج من خارج الحروف

(١) اللسان : ٢٣٣/٨ .

(٢) الخزانة : ٤٩٥/٤ .

(٣) الأشموني : ٢٨٢/٤ .

(٤) سورة مریم : آية ٢٤ .

(٥) الكامل للبداء : ٣٧١/١ .

(٦) كتاب سيبويه : ٢٩٥/٢ ، وشرح السيرافي : ٤٦٨/٥ تيمور خطوط .

(٧) الخزانة : ٥٩٤/٤ .

الشجرية ، لذلك صارت Ch. ^١ فهذا الصوت هو ما كان يسمعه القدماء في تلك الظاهرة .

وقد وجدت هذه الظاهرة في بلاد العرب الجنوبية ومن ذلك :

جال والله يا دقيق الساج لجتمع علیش ألف ديك نقار
كما وجدت الكشكشة أيضاً في المهرية والسوقطرية ^٢ .

ب) الشنشنة :

وما يتصل بظاهرة الكشكشة هذه ما سماه علماء العربية بـ « شنشنة اليمن » وهي قلب الكاف مطلقاً إلى شين ، وقد عزّاها الأئمة إلى اليمن ، فقد نقل السيوطي عن الفراء « أن قريشاً خلت لفتهم من مستبشع اللغات ، ومستبفع الألفاظ فن ذلك ... الشنشنة في لغة اليمن » ^٣ وقد سمع بعضهم يقول في عرفة « ليش الله ليش » ^٤ وأصحاب الشنشنة يلتقطون بأصحاب الكشكشة في بعض وجوهها ، وقد سماها الأب أنسناس الكرملي بالشفشفة ^٥ – وربما يرجع هذا الخطأ إلى التحرير في الكتابة . وظاهرة الشنشنة لا زالت موجودة في اللهجات اليمنية الحديثة حيث قلبت الكاف في الشجرية والمهرية والسوقطرية وبعض مناطق ^٦ ظفار إلى نش – أي شيئاً شجرية ، ثم تطورت حتى صارت شيئاً – أي أن الكاف انتقلت من مخرجها وهو أقصى اللسان إلى وسطه وهو مخرج الشين .

كارأى حفي ناصف أن « هذه الظاهرة في (لهجة شروبيدة وزنكلون) وما حولها من مديرية الشرقية ^٧ ويمكن أن أعمل لوجود هذه الظاهرة اليمنية في ديار مديرية الشرقية بما يذكره المقرizi من أن « جذاماً ^٨ قدموا مع عمرو بن العاص ، وكانت لهم عدة اقطاعات منها « هربيط »

(١) محاضرات الدكتور نامي سنة ١٩٥٥ في معهد اللغات الشرقية، وانظر محاضرة للمستشرق الألماني الدكتور أ. شاده وعنوانها « علم الأصوات عند سيبويه وعندنا » .

(٢) محاضرات الدكتور نامي في معهد اللغات الشرقية .

(٣) الاقتراح : ٨٤ .

(٤) الجلاسون : ١٨٣ ، والمزهر : ٣٢٢/١ .

(٥) مجلة الشرق السنة ٦ عدد ١٢ سنة ١٩٠٣ .

(٦) دكتور خليل نامي – محاضراته سنة ١٩٥٥ .

(٧) ميزات لغات العرب : ١٣ ط ٢ .

(٨) البيان والإعراب للمقرizi : ٩٧ ، ٤٣ تحقيق عابدين .

و « تل بسطة » و « نوب » و جميع هذه القرى التي نزلتها جذام تتبع مديرية الشرقية^١ ، وهذا يشير الى أن في النازلين الأولين في مديرية الشرقية من العرب قوماً من اليمن .

ج) الكسكة :

أ) بعضهم يرى أنها لغة بكر بن وائل ، وهي كارآها الشعالي « إلحاهم لكاف المؤنث سيناً عند الوقف كقولهم أكرمتكس وبكس^٢ كما نسبها الكامل في المبرد الى بكر بن وائل^٣ أيضاً ، وعزها صاحب شرح الكافية^٤ الى بكر . وأورد الحريري في درة الفواص هذا الخبر عن الأصمعي : فقال قوم تباعدوا عن عنعنة تميم ... وكسكة بكر^٥ . ثم اختلف في وضع هذه الظاهرة وتفسيرها فقولون من الكاف سيناً وهم أقلهم ، وقولون يبنوت حر كة كاف المؤنث في الوقف فيزيدونها بعدها (أي يزيدون السين بعد الكاف في الوقف) كقولهم أعطيتكس في أعطيتك^٦ .

ب) ونسبها ثعلب في أماليه : الى هوازن حيث ساق نصاً « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم .. وكسكة هوازن »^٧ .

ج) وبعضهم نسبها الى ربعة^٨ ، ويظهر ذلك من نص لابن فارس وعرفها « بأنها هي أنت يصلوا بالكاف سيناً » .

د) وعزها السيوطي الى « ربعة ومضر »^٩ وعرفها « بأنهم يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سيناً » .

(١) هو بيط برك كفر صقر ، وتل بسطة عن قرب من الزقازيق ، ونوب من أعمال الشرقية كذلك .

(٢) فقه اللغة العربية : ١٧٢ - ١٧٣ للشعالي : ط ١٩٢٣ م .

(٣) خزانة الأدب : للبغدادي : ٥٩٥ - ٥٩٦ م .

(٤) شرح الكافية : ٣٨١/٢ م .

(٥) خزانة الأدب : للبغدادي : ٥٩٥/٤ م .

(٦) المرجع السابق : ٥٩٦/٤ م .

(٧) المرجع السابق : ٤٩٥/٤ وانظر مجالس ثعلب : ١٠٠/١ تحقيق الأستاذ هارون .

(٨) الصافي لابن فارس : ٢٤ م .

(٩) المزمر : ٢٢١/١ م .

هـ) وقد نسبها صاحب القاموس الى تميم لا يلتكـر^١.

فالخلاف كما تقدم عريض ملـمـشوـهـ في عزوـةـ الـلـهـجـةـ ، وكـاـكـانـ مـسـوـخـاـ مـلـفـقاـ كـذـلـكـ في وـصـفـ تلكـ الـظـاهـرـةـ : هل هو قـلـبـ كـافـ المؤـنـثـةـ سـيـنـاـ في حـالـةـ الـوـقـفـ ، أوـ أنـ هـذـهـ السـيـنـ لـاـ تـحـلـ محلـ كـافـ المؤـنـثـةـ - وإنـماـ تـلـعـقـ بـهـاـ في حـالـةـ الـوـقـفـ ، أوـ أنـ الـكـافـ مـطـلـقاـ سـوـاءـ كـانـتـ لـمـونـثـ أوـ مـذـكـرـ تـقـلـبـ سـيـنـاـ ، وكـاـعـاتـيـناـ في عـزـوـهـاـ منـ خـلـافـاتـ ، نـعـانـيـ خـلـافـاتـ في وـصـفـ تلكـ الـظـاهـرـةـ كـذـلـكـ. وـنـقـسـرـ ظـاهـرـةـ الـكـسـكـشـةـ كـاـ فـسـرـ ظـاهـرـةـ الـكـسـكـشـةـ آـنـفـاـ إـلـاـ أـنـهـ يـلـاحـظـ :

١ـ - أـنـ الأـصـلـ فيـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ أـنـ تـكـوـنـ الـكـافـ لـمـونـثـ - حقـ تـجـتـذـبـ الـكـسـرـةـ الـكـافـ إـلـىـ الـأـمـامـ فـتـنـقـلـبـ إـلـىـ نـظـائـرـهـاـ مـنـ أـصـوـلـ الشـنـايـاـ فـتـصـيـرـ Ch. أيـ شـجـرـيـةـ وـبـعـدـ ذـلـكـ صـارـتـ «ـتـسـ»ـ ، وـقـلـبـ الشـيـنـ سـيـنـاـ مـطـرـدـ فيـ الـلـغـاتـ السـامـيـةـ فـضـمـيرـ الـفـائـبـ «ـشـوـ»ـ فيـ الـأـكـادـيـةـ وـ«ـسـوـ»ـ فيـ بـعـضـ الـلـغـاتـ الـعـرـبـيـةـ الـجـنـوـبـيـةـ .

٢ـ - نـرـفـضـ الـرـوـاـيـاتـ الـقـيـاسـيـةـ الـتـيـ تـشـيرـ بـأـنـ تـجـمـعـ الـسـيـنـ بـعـدـ كـافـ الـخـاطـبـةـ . وـذـلـكـ كـاـ جـاءـ عنـ الشـعـالـيـ^٢ـ ، وـالـمـبرـدـ^٣ـ ، وـابـنـ يـعـيـشـ^٤ـ ، وـثـلـبـ^٥ـ ، وـصـاحـبـ الـكـافـيـةـ^٦ـ بلـ أـرـجـعـ أـنـ الـكـافـ المؤـنـثـ تـبـدـلـ سـيـنـاـ .

٣ـ - أـنـ الـكـافـ لـاـ تـقـلـبـ سـيـنـاـ كـاـ رـأـيـ الـقـدـمـاءـ وـذـلـكـ مـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ قـوـلـهـمـ «ـأـبـوسـ وـأـمـسـ يـرـيدـونـ أـبـوـكـ وـأـمـكـ»ـ^٧ـ بلـ قـلـبـتـ إـلـىـ «ـتـشـ»ـ ثـمـ إـلـىـ ماـ يـشـبـهـ «ـتـسـ»ـ بـدـلـيـلـ أـنـ بـعـضـ الـمـدـحـيـنـ سـمـعـ رـجـلاـ فـيـ نـجـدـ يـقـولـ فـيـ (ـعـسـكـرـيـ)ـ «ـعـسـتـرـيـ»ـ^٨ـ .

٤ـ - أـنـ الـفـرـضـ مـنـ هـذـاـ الـإـبـدـالـ - هوـ إـبـرـازـ الـحـرـكـةـ الـأـخـيـرـةـ إـذـاـ كـانـ فـيـ الـوـقـفـ عـلـيـهـ لـبـسـ إـذـ الـوـقـفـ عـلـيـ كـافـ الـخـاطـبـةـ - يـجـعـلـهـ تـلـبـسـ بـكـافـ الـخـاطـبـ .

(١) شـرـحـ الشـافـيـةـ : ٣٨١/٢ـ المـقـرـونـ .

(٢) فـقـهـ اللـغـةـ للـشـعـالـيـ : ١٧٢ـ - ١٧٣ـ .

(٣) الـكـاملـ : ٣٧١/١ـ .

(٤) اـبـنـ يـعـيـشـ : ٤٨/٩ـ - ٤٩ـ .

(٥) عـالـىـ ثـلـبـ : ١٤١/١ـ .

(٦) شـرـحـ الـكـافـيـةـ : ٣٨١/٢ـ ، وـشـافـيـةـ اـبـنـ الـحـاجـبـ : ٣٨١/٢ـ .

(٧) الـأـشـمـوـنـيـ : ٢٨٢/٤ـ .

(٨) فـيـ الـلـهـجـاتـ الـعـرـبـيـةـ : ١١٣ـ لـدـكـتـورـ اـبـرـاهـيمـ أـنـيـسـ .

د) المعنونة :

ويستدل عليها بروايات عدة تقتطع منها ما يلي : ما جاء في كنز الحفاظ من قول الراجز :

قد علمني أني مروي هامها وذهب الغليل من أوامها^١

وفي التبريزى : ويروى « قد علمني عنى »^٢ ، ويقول أبو حبة التميري^٣ :

يقلن وما يدرى عنى سمعته وهن ببابوا بخيام جنوح^٤

وفي البيان للجاحظ :

إما تربني قائماً في جل^٥ جسم الفتوى خلق^٦ هل^٧
محاذراً أبغضَّ عن تختلي^٨ عند اعتلال دهرك المعتل^٩

فنع : أصلها أن - وهي المعنونة^{١٠} . وفي تفسير الطبرى : وأنشد لرجل من فقعن^٧ :

تعرضت^{١١} لي عikan حل^{١٢} تعرض المهرة في الطول^{١٣}

تعرضاً لم تأْلُ عن قتلاي^{١٤}

قال بعضهم : إنما هي : أن قتلاي^{١٥} .

كما ورد لما شاهد في قوله تعالى « عسى الله أن يأتي بالفتح » فيقرءون « عن يأتي » بقلب المهزة علينا^{١٦} . وفي قوله تعالى « ولقد نعلم أنهم يقولون » قرئ « عنتم » وقد عزت الى: قيم

(١) كنز الحفاظ : ابن السكريت : ٤٦١ .

(٢) تهذيب التبريزى : ٤٦٢ .

(٣) أمالى الفالى : ٦٩/١ .

(٤) المرجع السابق : ٧٠/١ .

(٥) البيان والتبيين للجاحظ : ٦/٣ ت تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٦) البيان والتبيين للجاحظ : ٥٦/٣ .

(٧) هو من بنى أسد . مجالس ثعلب : ٦٠٢/٢ .

(٨) تفسير الطبرى : ١٧١/٦ تحقيق شاكر .

(٩) المرجع السابق : ١٢٢/٦ .

(١٠) العين للخليل : ٣١ ط بغداد .

وقيس وأسد . (شواد القراءة واختلاف المصاحف ورقة ٢٦ رضي الدين الكرماني . رقم ٢٤٤
قراءات بمكتبة الأزهر)

وعزى هذا الإبدال في سر الصناعة لتميم^(١) ، وكذلك عزى إليها في المفصل^(٢) ، واللسان^(٣)
وشرح الشافية^(٤) ، والجهرة^(٥) ، وكتاب العين^(٦) للخليل ، وعزماها ابن السكينة إلى تميم
وقيس^(٧) ، كما نسبت في شرح المفصل إلى تميم وأسد^(٨) ولكن عثرت على نصوص أخرى فيها
تنسخ البقعة الجغرافية لظاهرة العنفنة أكثر من ذلك وسأعرضها لمناقشتها :

١ - جاء في نوادر أبي زيد بشرح الأخفش : وأنشدني أعرابية من بني كلاب :
فتعلّمنَ وإن هويتُك عنِّي قطاع أرمام الحبال صروم
فقلت لها ما هذا ؟ فقالت هذه عَنْتُنَا^(٩) .

٢ - جاء في البيان للجاحظ ، وقال أعرابي :
رَعَسَاكَ ضَمَانَ اللَّهِ يَا أَمَّ مَالِكٍ وَلَهُ أَنْ يُشْقِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعَ^(١٠)
وذكر محقق الكتاب : أن هذا الأعرابي من هذيل ، ولكن جاء هذا البيت في شرح المخasse
للتبزيزي :

(واللهَ عَنْ يُشْقِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعَ)^(١١)

(١) سر الصناعة : ٢٣٥/١ - ٢٣٧ .

(٢) المفصل للزخيري : ٣١٨ .

(٣) لسان العرب : ١٦٤/١١ ، ١٧٨/١٦ ، ٢٢٣/١٥ .

(٤) شرح الشافية : ٢٠٣/٣ .

(٥) جهرة ابن دريد : ٢٣٨/١ .

(٦) كتاب العين للخليل : ٥٦ ببغداد .

(٧) الإبدال لابن السكينة : ٢٤ .

(٨) شرح المفصل لا يعيش : ١٤٩/٨ - ١٥٠ .

(٩) نوادر أبي زيد : ٢٩ .

(١٠) البيان والتبيين للجاحظ : ٣٣٠/٣ تحقيق الأستاذ عبد السلام مارون .

(١١) شرح المخasse للتبزيزي : ٢٧٠/٣ تحقيق محبي الدين .

فكان المعنونة في هذيل .

فقييلة كلاب التي وردت في نوادر أبي زيد عامة ولا ندرى هل يقصد بها بطن من عامر بن صعصعة ، أو كلاب بن مرة التي هي بطن من قريش^(١) ، أم كلاب بن معاوية ؟ ولكن أرجح أن التي تتطق بالمعنى من هذه الأسماء المتشابهة هي كلاب من عامر بن صعصعة لا غير ، لأن نسبها ينتهي إلى قيس ، وقياس هذه أثر عنها المعنونة صراحة ، وأما كلاب من بني مرة - فاري أنها لا تتطق بالمعنى ، لأنها كما تشير كتب الأنساب من قريش^(٢) ، وقريش لم يؤثر عنها المعنونة بل ولا قبائل الحجاز ، وأما ما جاء في الشاهد الثاني في التبريزى ، وأن شاعراً هذيلأ نطق بها - فهانى أرجح - كما رأى التبريزى في أحد قوله - بأن التقدير « عن أنت يشقيك »^(٣) ، وعلى هذا لا شاهد للهذيل في المعنونة وما يرجح أن هذيلأ لا تقول « المعنونة » ، أن الشاهد السابق ورد في بيان الملاحظ « والله أنت يشقيك » بدون أثر للمعنونة فيه ، فإذا فرضنا أن روایة المعنونة صحيحة عن هذا الهذيل - فأرجح أن الذي ينطق بها منهم هم أهل الباذية من هذيل - لا كلهم ، ولا شك أن هذا الهذيل نطق برواية واحدة فقط ، ولهذا إذا جاءت رواية أخرى عنه ، فلا بد أن نقف منها موقف الناقد لبحثها وتحقيقها ، ومثل هذا ما جاء عن الأصمى في بيت طفيلي :

فتحن منعنا يوم حرس نسامكم غداة دعانا عامر غير معتلي

قال الأصمى : يريد : غير مؤتلى^(٤) . فكان هذا الشاعر أثر المعنونة ولكن وردت روایة أخرى (بالهمز يعني : غير مؤتلى)^(٥) ومعنى هذا أنه لا يقول المعنونة ، وأمام هذه الخبرة لا بد من توسيع دائرة البحث حتى تعرف على الحقيقة ، وأن نتعصب برواية واحدة لهذا الشاعر ، فطفيل هذا من غني بن أصر^(٦) - والتي يقول نسبها إلى قيس . وبسبق أن ذكرنا أن المعنونة في قيس ، لهذا أرجح أن الروایة (معتلى) بالمعنى وإنما جاءت رواية الهمزة ، لأن الشعراء كان بعضهم ينشد شعر بعض ، ومن ثمة كثرت الروایات في البيت الواحد . وبلاحظة النصوص

(١) معجم كحالات : ٩٨٩/٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) شرح التبريزى للعداية : ٢٧٠/٣ .

(٤) سر الصناعة : ٢٤٠/١ .

(٥) ديوان طفيلي : ٣٧ .

(٦) ختصر شرح المعاية للتبريزى : ١٠٣/١ .

السابقة نرى أن الإبدال قيد بـ «أن» المفتوحة دون المكسورة، ويستدل لذلك بما روي عن ابن هرمة :

أعن تَغَنَّتْ عَلَى سَاقِ مَطْوَقَةٍ وَرَقَاءٌ تَدْعُوَ هَدِيلًا فَوْقَ أَعْوَادٍ^(١)

وكان ابن هرمة هذا قد تربى في ديار قيم، مما يدل على أنه تأثر بهم في لهجتهم، ومثله ما أنسده ابن دريد في جهرته لذى الرمة :

أَعْنَ تَرَسَّمَتْ مِنْ خَرْفَاءَ مَنْزَلَةَ مَاءَ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٍ^(٢)

أو لجنون بنى قيس :

(سوى عَنْ عَظِيمِ السَّاقِ مِنْشِ دَقِيقٍ)^(٣)

فالإبدال من (أن) المفتوحة الهمزة فقط، ويقول في ذلك ابن يعيش «ولا يجوز مثل ذلك في المكسورة»^(٤)، وكان في (أن) لكترة استعمالها فتحولت إلى العين والعلاقة الصوتية واضحة بين الحرفين إذ العين صوت مجحور، وهو أقرب أصوات الحاق المجحورة للهمزة، ولهذا يقول الداني «فحديث ما وقعت العين وقفت الهمزة مكانها فتقول في : آمنوا : عَامَنَا» وفي «وَآتَى المال وَعَاتَى المال» وفي «خاسئين : خَاسِئِين» وفي قوله «متكثون : مَتَكَثُونَ»^(٥) فهذا يدل على أن الهمزة كان يتحسن موضعها من الكلمة بالعين للصلة بينها.

وباستعراض نوع آخر من النصوص على تلك الظاهرة نرى أن هذا الإبدال الذي قيد بكونه في أن المفتوحة، وأن الهمزة يجب أن تكون في أول الكلام – لا يثبت أمام النصوص الآتية، وقد وجد فيها أن العنونة تكون في أن – وفي غيرها، بل في وسط الكلام وآخره، فما معنى هذه القيود التي لا تستطيع أن ثبت أمام نصوص اللغة التي لا يرقى إليها مفرز أو مطعن؟ وإليك بعضها :

١ - جاء في اللسان : عنفوان – فعلوان من العنف ضد الرفق، ويجوز أن يكون الأصل فيه

(١) شرح المفصل لابن يعيش : ١٤٩/٨.

(٢) جهرة ابن دريد : ١٣٨/١ ، شرح الشافية : ٢٠٣/٣ ، وشرح المفصل : ٧٩/٨.

(٣) الجهرة : ٢٣٨/١ ، شرح المفصل : ٧٩/٨.

(٤) شرح المفصل : ١٤٩/٨ . ١٥٠ - ١٤٩/٨.

(٥) كتاب النقط : الداني : ١٤٣ ط دمشق.

أنفوان ... وسمعت بعض بنى قيم يقول « اعتنقت الأمر يعني اثنتها ، واعتنتنا المراعي : أي رعينا أنفها »^(١) .

٢ - كما جاءت العنونة في الوسط كما قال الأصبهي « الساف » والسعف^(٢) ، ودام الحائط : دعه والتأرض للشيء : التعرض له والدُّثُر : الدُّعُث^(٣) (أي الحقد) والأَسْنَا وهو قدس يرمي الشجر - وبعضهم يقول : المُسْنُون^(٤) .

٣ - كما تكون هذه العنونة في الآخر .

ومن ذلك ما ذكره الخليل أن الخبع : الخبأ في لغة قيم^(٥) ، ويتشكل ابن دريد في نسبته ما كان من هذا الضرب - إلى قيم حيث يقول « خبع الرجل في المكان إذا دخل فيه » وأحسب أن هذه العين هزة ، لأن بنى قيم يتحققون المهزة فيجعلونها عيناً فيقولون : هذا خباعنا = يريدون : خباءنا^(٦) .

وما قبل من أن : الفنا = الفنع ، وهو الكثرة ، وتشاهي ما بينهم = تشاسي أي بعد ، والتَّمَلُونَه = التمع أي تغير^(٧) ، فهذه النصوص إن دلت - فإنما تقض تلك القيود التي وضعتها النحاة للعنونة ، وربما أن الذي دفعهم للقول بهذا « أن استقراءهم لهذه الظاهرة كان ناقصاً وأن الأمر لا يعدو أن يكون حكماً خاصاً مبنياً على مثل خاص معه الرواية دون استقراء ليساوي الحالات »^(٨) ، ويظهر أن قلب المهزة عيناً لم يقتصر أمره على قيم بل يرى الدكتور خليل نامي أنه سمع في « بيت الفقيه من يقلب المهزة عيناً » وقد علم من البيهقيين الشقة . أن ذلك يحدث في كل مدن تهامة ، فهم يقولون : « عالة لاللة » ، والعام « الإمام » ، والمير « للأمير »^(٩) ،

(١) لسان العرب : ١٦٤/١١ .

(٢) أمالى القالى : ٧٩/٢ .

(٣) مجلة كلية الآداب : المجلد ١٥ ج ١ سنة ١٩٥٣ من مقال الدكتور عبد الحليم النجاشي .

(٤) أمالى القالى : ٧٩/٢ .

(٥) كتاب العين للخليل : ١٥ ط بغداد .

(٦) المهرة : ٢٣٧/١ ، مقدمتان في علوم القرآن : ميامي ٢٢٢ جفرى .

(٧) مجلة كلية الآداب : مجلد ١٥ ج ١ سنة ١٩٥٣ .

(٨) في اللهجات العربية : ٩٨ ط ٢ الدكتور إبراهيم أنيس .

(٩) محاضرات الدكتور نامي سنة ١٩٥٥ . معهد اللغات الشرقية .

كما وجد أثر قلب الهمزة عيناً في لهجات الجزيرة بالسودان حيث يقولون « أسلوك سعال »^(١) في أسألوك سؤالاً .

ويرى الدكتور ليبان أنها ظاهرة عريقة في السامية وسع أن أهل الخبرة يقولون: « جمع عوضاً عن حباً : أي خباً »^(٢) كما سمعت في صعيد مصر « لسع » في « لاً » بقلب الهمزة عيناً ، وهذا يشير إلى أن في النازلين بصعيد مصر قوماً من تميم ، بدليل كثرة تسميتهم بـ تمّام ، وتميم . وهذا المثال وغيره يشير إلى أن الفعلة تكون في آخر الكلمة . ومن هذه المقارنات نرفض تقيدات النحاة لها كأن تكون في (أن) المفتوحة الهمزة ، وكأن تقيد الهمزة بالأبتداء . أما لهجة الحجاز - فكانت لا تبدل الهمزة عيناً ، لأنهم من الخضر فلا يبالغون في تحقيق الهمزة يدل على ذلك ما رواه السجستاني من أن لغة الحجاز - استأديت الأمير فاداني في معنى - استعديته فأعاداني^(٣) ، وفي حديث هجرة الخبرة « والله لاستأدينه عليكم »^(٤) أي لاستعدينه ، ولا شك أن قلب الهمزة - عيناً في تميم - هو أقصى مراحل تحقيق الهمز ، ذلك الأمر الذي تحلت عنه لهجة الحجاز .

٥) الفحصحة :

عرفها اللغويون بأنها قلب الحاء عيناً ، وعزّاها السيوطي^(٥) هذيل - في المجمع ، ولكن ذهب في كتاب الاقتراح في أصول النحو ، إلى أنها قلب الحاء عيناً مع نسبتها إلى هذيل أيضاً^(٦) إذ قال « والفحصحة في لغة هذيل »^(٧) ولكن نظراً للمصادر التي تحت أيدينا الآن وهي :

١ - المجمع^(٨) . ٢ - البحر المحيط^(٩) . ٣ - مختصر شواذ القرآن^(١٠) لابن خالويه . ٤ - ابن

(١) من لهجات الجزيرة بالسودان : ١٢٢ .

(٢) مجلة الأداب : مجلد ١٠ ج ١ - سنة ١٩٤٨ من مقال للدكتور ليبان .

(٣) الأضداد : للسجستاني : ١٢٣ هقر .

(٤) اللسان : ٢٧/١٨ .

(٥) مع المقام : للسيوطى : ٢٣/٢ .

(٦) الاقتراح : ٨٣ .

(٧) الاقتراح : ٨٣ .

(٨) ٢٣/٢ .

(٩) ٢٠٤/١ ، ٣٠٧/٥ .

(١٠) ٦٣ .

عقيل^(١) . ٥ - اللسان^(٢) . ٦ - سر صناعة الإعراب^(٣) - مصحف ابن مسعود^(٤) - وكلها تحدد «الفحفة» بأنها قلب الماء عيناً، نرفض صيغة السيوطي التي تفرد بها في كتابه الاقتراح والتي يذكر فيها بأنها «جعل الماء عيناً»^(٥) كما أن اللسان في إحدى رواياته، يعزّوها إلى هذيل وثيقيف^(٦) إذ يقول «عَتَّى بِعْنَى حَتَّى هَذِيلَةٌ وَثَقِيفَةٌ»^(٧) .

وفي عزوّها لهذيل يقول ابن مالك : قرأ ابن مسعود **لِتَسْجَنَتْهُ**^(٨) عَتَّى حَيْنٍ «فكتب إليه عمر : أن الله أنزل هذا القرآن عربياً، وأنزله بلغة قويش فلا تقرؤهم بلغة هذيل»^(٩) وجاء مثل هذا الخبر في البحر^(١٠) ، كما قرأ ابن مسعود : «فتربصوا به عَتَّى حَيْنٍ» واستدلوا بهذه اللهجـة في هذيل بقولـم «الـعم الأـعمر أـعـسـن من الـعمـ الأـبيـضـ» أي اللـحـمـ الأـحـمـ أـحـسـنـ من اللـحـمـ الأـبـيـضـ ، كما يقولـون «عـلـتـ العـيـاهـ لـكـلـ عـيـهـ» أي حلـتـ الـحـيـاهـ لـكـلـ حـيـ^(١١) .

وأشك في هذين المثلين اللذين عزيا إلى هذيل ، لأن أثر الصنعة يـاد على كل منها ، وهي أشبه بالفوـازـيرـ والـسـكـاتـ التي يـولـفـهاـ النـاسـ لـتـعـجـيزـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ فيـ النـطـقـ ، كـماـ يـشكـ فيـ قـصـةـ عمرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ ، وـفيـ قـوـلـتـهـ لاـ تـقـرـؤـهـ بـلـغـةـ هـذـيـلـ ، لأنـهاـ تـنـاقـضـ التـيسـيرـ فيـ القرـاءـاتـ القرـآنـيةـ ، وـتـخـالـفـ ماـ يـرمـيـ إـلـيـ الحـدـيـثـ الشـرـيفـ «أـنـزـلـ الـقـرـآنـ عـلـىـ سـبـعـةـ أـحـرـفـ»^(١٢) ثمـ كـيـفـ يـنهـيـ عمرـ عنـ قـراءـةـ ابنـ مـسـعـودـ ، وـهـوـ نـفـسـهـ يـروـيـ أنـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ كـانـ يـسـمـرـ عـنـ أـبـيـ بـكـرـ فـيـ الـأـمـرـ منـ أـمـرـ الـسـلـمـيـنـ وـأـنـهـ سـمـرـ عـنـدـهـ ذـاتـ لـيـلـةـ وـعـمـرـ مـعـهـ ، فـخـرـجـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ يـشـيـ وـهـمـ مـعـهـ ،

(١) ٩/٢ - ١٠ .

(٢) ٣٢٨/٢ .

(٣) ٤/٦ ط الحلبي .

(٤) انظر : تاريخ المصاحف جفرى : 80, P. 61 .

(٥) الاقتراح : ٨٣ .

(٦) اللسان : ٢٥٣/١٩ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) سورة يوسف : آية ٣٥ .

(٩) المفع : ٢٣/٢ .

(١٠) البحر : ٣٠٧/٥ .

(١١) ميزات لغات العرب : ١١ ط الثانية .

(١٢) في اللهجـاتـ الـعـربـيـةـ : ٩٧ .

فإذا رجل قائم يصلّي في المسجد ، فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته ، قال عمر : فلما كدنا أن نعرف الرجل قال : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على فرادة ابن أم معبد ، قال : ثم جلس الرجل يدعوه فجعل رسول الله ﷺ يقول : سل تعطه^(١) ، وابن أم معبد - هو ابن مسعود ، فقراءته بشاهادة الرسول - قراءة كما أنزل القرآن . وإذا التقينا إلى مناقشة هذه الظاهرة التي عزّت إلى هذيل ، وجدناها لا تثبت أمام النقد ، على الرغم من هذه الروايات التي تثبتها ، وذلك :

١ - لأنّه لم يؤثّر عن هذيل أن قلب الحاء عيناً في غير هذا المثال ، ومثال واحد لا يكفي لإثبات ظاهرة هجية ، والقرآن على تردّد كلمة (حتى) فيه لم يؤثّر عن ابن مسعود أن قلب حاءها عيناً إلا في قوله « ليسجنه » حتى حين^(٢) ، قوله تعالى « فتربصوا به حق حين »^(٣) أما في غير هذا فلم يبدل .

٢ - ورد عن ابن مسعود أنه قرأ عدة آيات كريمة أبدل فيها العين حاء - أي على عكس الظاهرة المعروفة لقومه وهي إبدال الحاء عيناً ، وذلك أنه قرأ قوله تعالى : « قالوا نعم » في نعم^(٤) ، وأنه قرأ « أفلأ يعلم إذا بحث منا في القبور »^(٥) في بعثر ، وفي مصحف ابن مسعود نفسه وجدت « بحث » بدل بعثر .

٣ - أن قلب الحاء عيناً ، وهي المنسوبة لهذيل ، لم تُوجَد فقط في مصحف ابن مسعود ، بل وجدت في مصاحف أخرى منها مصحف الربيع بن خيم^(٦) . مما يدل على أن هذيل لا مُختص بها .

٤ - ولنفرض أن ابن مسعود قرأ (عنى حين) فهل معنى هذا أن قومه يقلبون الحاء عيناً ؟ أظن أن قراءة القاريء قد لا تعبّر عن لغة قومه في كل حال ، بدليل أن ابن حميسن وابن

(١) المصحف للسيجستاني : ١٣٧ ، وانظر مقدمتان في علوم القرآن ، مقدمة المباني : ٣٥ .

(٢) سورة يوسف : آية ٣٥ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ٢٥ .

(٤) المجمع : ٧٦/٢ ، مفتني اللبيب : ٢٥/٢ .

(٥) سورة العاديات : آية ٩ .

(٦) تاريخ المصحف بلغوي : P. 111 .

(٧) المرجع السابق : P. 291 .

كثير يقر، ان (إن الله لا يستحي أن يُضُرِّبَ مثلاً)^(١) بياء واحدة - وهي لغة تميم^(٢) ، وتحدثنا كتب الطبقات أنت ابن كثير من مكة ، وابن حيسن قرضي ، ومع هذا فقراءتها جاءت على لغة تميم ، أي خالفاً لمعة قومها - فقراءة ابن مسعود لا نجزم بأنها عكست لمعة قومه ، ومن ثم أشك في أن قلب الحاء عيناً لمعة هذيل ، وكل ما في الأمر أنت قراءة ابن مسعود يمكن أن تفسر تفسيراً صوتياً ، وذلك أن العربي يستثنى الحروف المتصلة ، لأنها تشق عليه في النطق ، فيحاول أن يخالف بينها طليباً للخفة ، ومن ذلك أن العرب قالوا : « تسرير وتظننت وتقصيت »^(٣) في تسرير وتظننت ، وتقصيت فاستثنى العربي التاءل وحوله إلى حرف آخر وهذا ما يسمى « Dissimilation » أي الخالفة . والأمر في قراءة ابن مسعود « عنى حين » لا يعدهو أنه خالف بين تكرار الحاءين .

ويكفي أن ينظر لهذا التناقض في الإبدال بقولهم « المرجلة - من اخيل القطيع وهي بلغة تميم^(٤) المرجلة » ولتفسير هذا الإبدال نرى أن العين « صوت مجهر مخرج وسط الحلق » ثم هي من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة^(٥) والراء صوت مجهر مثل العين ، وهي أيضاً من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، فالبدوي التعميسي استثنى هذا التشابه بين الحرفين ، فآخر أن يخالف بينها طليباً للخفة ، وهذا حول العين في « المرجلة » إلى (حاء) والباء هو الصوت المهموس الذي يناظر العين فمخرجهما واحد ، ولا فرق بينها إلا في أن الحاء مهموس نظيره المجهور هو العين .

ويربط بعض المحدثين بين كلمة « عَدَى » الموجودة في بعض اللغات السامية والعربية الجنوبية القديمة وبين كلمة (حتى)^(٦) فالعين تقابل الحاء ، كما في العبرية ، فربما انتقلت عدوى العين إلى بعض اللهجات العربية . وفي اللهجات اليمنية حولت الحاء إلى العين مثل « صفعه

(١) سورة البقرة : ٢٦ .

(٢) البحر : ١٢١/١ .

(٣) كتاب سيبويه : ٤٠١/٢ .

(٤) اللسان : ٤٦٥/١٣ .

(٥) تاريخ الأدب : ٢٠ حفي ناصف ط ٢ .

(٦) الدكتور خليل نامي محاضرات فقه اللغة في معهد اللغات الشرقية : ١٩٥٢ ، و تاريخ العرب قبل الإسلام : ١٢٧/٧ جواد علي .

بمعنى صحة أو صحفه يعني طبق^(١) وأيضاً ما كان فالعلاقة واضحة بين الحاء والعين فكلامها حلقى إلا أن الأولى مهموسه والثانية نظيره المجهور وحدد ابن جني علاقتها بقوله « ولو لا بحة^(٢) في الحاء لكانت عيناً » وهذه العلاقة روى اللعياني قولهم « عصد الرجل : إذا مات » كما حكى عن أبي طيبة أنه قال « لفتنا حصد » وعقب اللعياني على ذلك بقوله « وإنما قال هذا - أي أبو طيبة - لأن لغة الأكثر إنما هو « عصد »^(٣) .

و) المجمعجة :

أشار إليها اللغويون بأنها قلب الياء جيماً، ثم تضاربت الروايات، هل الياء الحقيقة هي التي تقلب أم تشاركتها الثقلية أيضاً، وهل تشمل الظاهرة كذلك ياء النسب أم لا، ويحسن أن نعرض النصوص حتى تستشف منها الحقيقة أو جابها منها.

١ - يقول الأصممي : كل ياء مشددة للنسبة وغيرها ، فإن بعض العرب يقلبهما جيماً^(٤) ثم يقول بعد ذلك « وزعم الفراء أنها لغة طيء »^(٥) .

٢ - قال أبو عمرو « وهم يقلبون الياء الحقيقة أيضاً إلى الجيم ، قال الفراء : وذلك في بنى د婢 من بني أسد خاصة^(٦) .

٣ - وقال أبو عمرو « قلت لرجل من بنى حنظلة : من أنت ؟ فقال : فقيح ، فقلت : من أينم ؟ فقال : مرج^(٧) .

٤ - وفي نوادر أبي زيد : ساق أبياتاً قلبت فيها الياء الحقيقة جيماً - والأبيات بعض أهل اليمن^(٨) .

(١) المرجع السابق.

(٢) سر الصناعة : ٢٤٦/١ .

(٣) عصد : إبدال أبي الطيب : ٣٠٠/١ .

(٤) إبدال أبي الطيب : ٢٥٧/١ .

(٥) المرجع السابق.

(٦) إبدال أبي الطيب : ٢٦٠/١ .

(٧) إبدال السكikt : ٢٨ .

(٨) النوادر : ١٦٤ .

٥ - وجاء في الشافية : يبدل ناس من بني ثميم الجم مكان الياء في الوقف ، شديدة كانت الياء أو خفيفة^(١) .

٦ - وفي كتاب سيبويه : وأما ناس من بني سعد فلهم يبدلون الجم مكان الياء في الوقف^(٢) .

٧ - وفي اللسان : أن قلب الياء جيماً عند ناس من بني سعد في الوقف خاصة ، فإذا وصلوا لم يبدلوا وقد تبدل في الوصل^(٣) .

٨ - ويقول ابن منظور : العجمجة : في قضاعة كالمنعنة في تم يحولون الياء جيماً مع العين^(٤) ، وفي التصريح ما يؤيد ذلك : إذ أن الجوهرى اشترط لقلب الياء جيماً في قضاعة أن تجتمع مع العين^(٥) .

٩ - وفي أمالى القالى أنه عزا قلب الياء جيماً إلى فقim^(٦) .

وبالنظر إلى الروايات السابقة نستنتج ما يأتي :

١ - أن الظاهرة عزت إلى : طيء ، وبني دبیر ، وحنظلة ، وفقim ، وبعض أهل اليمن ، وناس من ثميم ، وناس من بني سعد ، وقضايا .

٢ - أن قلبها عند قضاعة مقيد بأن يسبقها العين .

٣ - أن هذا القلب قيد في حالة الوقف حيناً ، وحياناً آخر لم تنص الروايات على ذلك .

٤ - أن هذه الياء المقلوبة لا ضير أن تكون مشددة كياء النسب ، ولكنها مقيدة عند أهل اليمن بالياء الخفيفة ، وكذلك عند بني دبیر من أسد .

وإذا ما بحثنا الظاهرة من الناحية الصوتية ، وجدنا أن العلاقة قائمة بين الجم والياء - فكلامها بجهور وها من الحروف الشجرية ، وخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك

(١) شرح الشافية : ٢٨٧/٢ .

(٢) الكتاب : ٢٨٨/٢ .

(٣) اللسان : ٦١/٦ مادة «شجر» .

(٤) اللسان : ١٤٤/٣ .

(٥) التصريح : ٣٦٧/٢ .

(٦) الأمالى : ٧٧/٢ - ٢٨ .

- غير أن الجيم أدخل والياء أخرج - لهذا أمكن انتقال الياء إلى الجيم لهذه العلاقة ، والنطق بالجيم أقوى من النطق بالياء ، لهذا أرجح أن الذين قلبو الياء إلى الجيم من البدو ، فإذا استعرضنا القبائل التي نطقت بتلك الظاهرة وجدناهم :

١ - طيء - وهي متبدية تسكن أو واسط نجد .

٢ - بنو دبیر : شأنها كطيء . وهي من أسد .

٣ - حنظلة - وهي بدوية أيضاً - وهي أكبر قبيلة في قيم وتنسب إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن قيم^(١) .

٤ - فقيم : وهي بطن من دارم من قيم^(٢) أيضاً .

٥ - وبعض أهل اليمن : وأرجح أن هؤلاء البعض من القبائل البدوية .

٦ - سعد : وأرجح أنها سعد من قيم ، والمصادر لم تبين من سعد تلك ! ولكنني أرى أنها سعد قيم ، والسبب في ذلك :

أولاً : أن صاحب الشافية عزى تلك الظاهرة إلى ناس من قيم^(٣) .

ثانياً : وجود شاهد شعري وهو :

(يطير عنها الور الصهابيجا)

يريد الصحابي . والبيت عزاه أبو الطيب اللغوي إلى هيان بن قحافة ، وهذا الشاعر منبني سعد بن زيد مناة من قيم^(٤) ، فتكون الظاهرة في سعد التميية .

بقي أن نناقش ، لم اشترط الجوهرى وجود العين عند قضاعة حتى يصح القلب ؟ بينما غيره من الرواية لم يشترط ذلك . وأرجح أن الجوهرى اشترط ذلك ، لأنه صادف جملة من كلامهم فيها العين فاشترط وجودها ونقل صاحب التصریح ما يؤید ما أقول فهو يذكر : قال الجوهرى

(١) معجم كعبالة : ٣١٠/١

(٢) المرجع السابق : ٩٢٦/٣

(٣) شرح الشافية : ٢٨٧/٢

(٤) معجم كعبالة : ٥١٥/٢

وعجمجة قضاة يحولون الياء جيماً مع العين يقولون « هذا راعيٌ خرج مَعِيْ » ، أي هذا راع خرج معي^(١) بينما وجدت هذه الظاهرة مع غير العين مثل :

١ - قال الأصمعي : أنسدني رجل من أهل البدية :

عمي عويف^٢ وأبو علچ المطمأن الل testim بالعشيج
وبالقداء كسر البرنج تقلع بالولد^٣ وبالصيصج^(٤)

يريد أبو علي^٥ ، وبالعشبي^٦ ، والبرني^٧ ، وبالصيصي^(٨)

٢ - وما أنسدوه لهيام بن قحافة :

يطير عنها الوبر الصهايحا^(٩)

يريد : الصهاي : فمحذف إحدى الياءن وقلب الثانية جيماً .

٣ - وما أنسده ابن الأعرابي :

كأن في أذناهـنـ الشـوـلـ من عبس الصيف قرون الإـجـلـ^(١٠)

يريد الأيل ، والشعر لأبي النجم العجلي في وصف الأيل كما في شرح الشافية^(١١) .

٤ - وما عزى لبعض اليمينين :

لا هـ إن كـتـ قـبـلتـ حـجـتـجـ
فـسـلاـ يـزالـ شـاحـ يـأـتـيكـ بـجـ
أـقـرـ نـهـاتـ يـنـزـيـ وـقـرـتـجـ^(١٢)

(١) التصریح : ٣٦٢/٢ .

(٢) إبدال السکیت : ٢٨ .

(٣) سر صناعة الإعراب : ١٩٢/١ .

(٤) شرح الشافية : ٢١٦/٤ .

(٥) سر الصناعة : ١٩٣/١ .

(٦) ٤٨٥/٤ .

(٧) اللسان : ٢٦/٣ - ٢٧ ، شرح الشافية : ٢٨٧/٢ ، والسيرافي على سيبويه : ٤٤١/٥ خطوط ، ليس في
كلام العرب لابن خالويه : ٤٧ .

فلم نجد من اشترط وجود العين ، وإذا ذهبتنا على أن قضاعة يمنية في نسبها فما عزي منسوباً إلى اليمن لا نجد فيه أثراً لهذه العين ، التي يشتهر بها الجوهري - بل نلح شائعاً آخر في شاهد أبي النجم وهو أن اليماء قد قلبت جيماً مع أنها ليست طرفاً وإذا عرفنا أن هذا الشاعر كما تحدثنا كتب الطبقات من بني عجل بن جليم التي يقول نسبها إلى بكر بن وائل^(١) - عرفنا أن هذه الظاهرة قد شملت بقاعة جديدة فوق ما حدده الروايات اللغوية وأيضاً ما كان فالعلاقة التاريخية والجغرافية تربط أكثر هذه القبائل التي تتطق اليماء جيماً ، فاليمان موصولة النسب بقضاعة على رأي كثرة من النسابين ، وقضاعة تربط بطيء ، لأن كلها من اليمن وأن الروايات العربية التاريخية تلح على أن بطون قضاعة لما انتشرت إلى شمال الجزيرة ، أخذت بعض هذه البطوون أماكنها في أجأ وسمى ، وهو موطن طيء ، « بل يذكر الأخباريون أن طيئاً بعد أن بلغت جبلي أجأ وسلمى - شاهدت هناك شيئاً مع ابنته يتلسان هذين الجبلين » وهذا الشيخ من « صحار » ، « وصحاب » اسم بطن من قضاعة^(٢) وإذا قد عقدنا هذه الصلة ؟ فإننا نعقدها أيضاً بين بني دُبَيْر من أسد ، وبين طيء من جانب آخر ، لأنها هي الأخرى قد وجدت فيها ظاهرة المجمعجة « قطيء » عندما نزحت من الجنوب اختلطت بقبائل أسد^(٣) ثم أجلت طيء ، أسا واستقرت مكانها ولا شك أن هذا الاتصال الجغرافي يمكن أن يولد لنا اتصالاً لغوياً .

وندير البحث ناحية أخرى ، وهي : هل كانت هذه الظاهرة في حالتي الوصل والوقف ؟ أكثر الشواهد التي تحت يدي ترك هذا الأمر غفلاً ، وبعضها قيدته بأن هذا الإبدال لا يكون إلا في حالة الوقف - فابن يعيش يقيد ذلك بحالة الوقف^(٤) ، وكذلك رضي الدين^(٥) ، وسيبوه^(٦) ، والسيرافي على سيبوه^(٧) ، وابن منظور ناقلاً عن سيبوه^(٨) ، أما أبو الطيب اللغوي

(١) معجم كعبالة : ٢٥٧/٢

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٤/٢٦٩ - ٢٦٨ جواد علي .

(٣) نهاية الأربع : ٣٢٦ .

(٤) شرح ابن يعيش : ٩/٧٤ ، ١٠٠ - ٠٠/١٠٠ .

(٥) شرح الشافية : ٢/٢٨٧ .

(٦) الكتاب : ٢/٨٨ .

(٧) شرح السيرافي : ٥/٦٥ .

(٨) اللسان : ٦٦/٦ - ٦٢ مادة شعر .

في إبداله^(١)، وابن السكين^(٢) في الإبدال، وصاحب الأمالي^(٣)، وابن جني في سر الصناعة^(٤)، فلم يقيدوا هذا الإبدال بالوصل أو بالوقف .

والذي أميل إليه أن هذه الظاهرة تكون في الوقف فقط ، ومساعدة ذلك فضوره ، والسبب في ذلك أن النطق بالياء يزداد خفاء في الوقف لسكونها ، لهذا أبدلوا منها الجيم ، والجيم أظهر من الياء ، أما في حالة الوصل فلا حاجة إلى هذا الإبدال ، لأن الياء ظاهرة واضحة وشأنها في ذلك كأي حرف ولهذا جهل الإمام السخاوي بعض القراء في قراءتهم لقوله تعالى (إياك نعبد) ^(٥) إذ ينطقون الياء كجيم . « أما ما ذهب إليه ابن عصفور في ضرائره » ، بأن هذا الإبدال^(٦) خاص بالشعر ، فقد جانب الصواب لأنه ثبت أنه لغة ، بل لا تزال هذه اللغة في اللهجات العربية الجنوبية الحديثة^(٧) ، وفي لغة Tigre في بلاد الحبشة الشمالية^(٨) ، كما في حضرموت في أيامنا هذه ، كما كانت موجودة أيضاً في النقوش اليعربية^(٩) .

ز) العجرفية :

والعجرفية كالغمضة من جهة أنها أنماط مختلفة تتعلق بهيئة النطق والتلفظ وكما ذكر الرواة بمثال للغمضة ضنووا كذلك بنموذج للعجرفية ، وهذا جلّت إلى المعاجم لتلمس تلك الظاهرة : ١ - فالعجرفة : ركوب الرأس في الأمر^(١٠) . كما يقولون : رأيت عجارف المطر : إذا أقبل بشدة^(١١) . وعن ابن دريد أنها « الإقدام في هوج »^(١٢) ، وعن الزمخشري أنها « الجفوة »^(١٣) .

-
- (١) ٢٦٠/١ .
 - (٢) ٢٨ .
 - (٣) أمالي القالى : ٧٧/٢ - ٧٨ .
 - (٤) سر الصناعة : ١٩٢/١ .
 - (٥) نهاية القول المقيد : ٧٤ .
 - (٦) شواهد الشافية : ٤/٢١٦ .
 - (٧) حاضرات الدكتور نامي في معهد اللغات سنة ١٩٥٢ .
 - (٨) مجلة كلية الآداب : مجلد ١٠ ج ١ : ص ٣١ .
 - (٩) لغات النقوش العربية الشمالية : ١٠ دكتور مراد كامل .
 - (١٠) الجهرة : ٤٢٦/٣ .
 - (١١) المرجع السابق : ٣٢٣/٣ .
 - (١٢) المرجع السابق .
 - (١٣) أساس البلاغة : ٢٩٤ .

٢ - ويرى ابن سيده أن العجرفية هي التقرير في الكلام^(١) ، ويقول الزمخشري « ورجل مقرع يتكلم بقرع حلقه »^(٢) ، والتقرير هو : التشدق .

ومن خلال هذه النصوص أرجع أن العجرفية صفة أقرب إلى الشدة والفلاظة والجفوة تتمثل في تغطيم الحروف وتقليلها حق يعلل صداتها الحنك والفهم - فأصحابها كما أظن يؤثرون الأصوات الشديدة المهورة ، أو المفخمة ، لأن فيها عناصر الانفجار والبروز وما يشبه الفرقعة ، وهي صفات للكلام تتج منها الأسماء وتألف منها الطياع لوحشيتها وغلظتها ، ويمكن أن نتلمس هذه العجرفية في الأعراب البداء الذين وفدو على الرسول عليه السلام وأخذوا ينادونه من وراء الحجرات بصوت أبشع وأشد بالمتغيرات المتصلة الدوي - وكأنه سلسلة يتبرأ بعض حلقاتها من بعض - حتى وصفهم القرآن بأن « أكثُرُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ »^(٣) وراح يدعونه إلى أدب الإسلام حين يخاطبون الرسول في قوله « وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجْهَرِ بَعْضِكُمْ لَبْعْضًا » وقوله : « وَاغْضُضُّنْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكِرُ الْأَصْوَاتَ لَصُوتِ الْحَمِيرِ »^(٤) .

وإذا كان الأعراب البداء يتسمون بالشدة والفلاظة في المحسوس من أمورهم كالأصوات والأقوال ، فإنهم أشد وأغلظ في خفيات الأمور ، ودخائل النفوس ، ألا ترى إلى قوله تعالى « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً »^(٥) .

وكان من الطبيعي أن تحافظ قبيلة ضبة على تلك الظاهرة ، لأنها قبيلة بدوية حافظت على النطق القديم ، فهي لم تتأثر بغيرها ، ولم يتتأثر غيرها بها ، يوضح هذا المعنى « أن ضبة داخلة في قبائل الجمرات - وهي قبائل اتفقت على ألا تخرج أحداً منها إلى غيرها ، ولا تدخل من غيرها أحداً فيها »^(٦) وهذا بقيت لهجة ضبة في حفاظها على الطور الأول من هجتها لعزالتها حتى بعد الإسلام حين ذهب الرواة يتلقفون اللغة من القبائل - فلما تلا ذلك الظاهرة التي أطلقوا عليهم « العجرفية » ، لذا قد جاءت رواية عن ثعلب في عدة مصادر تشير إلى أن العجرفية في ضبة^(٧) ،

(١) المزاجة : ٥٩٦/٤ .

(٢) الأسنان : ٣٧٣ .

(٣) سورة الحجرات : آية ٤ .

(٤) سورة لقمان : آية ١٩ .

(٥) سورة التوبة : آية ٩٧ .

(٦) انظر : تاريخ أدب العرب للرافعي : ١٢٧/١ .

(٧) مجالس ثعلب : ١٠٠/١ ، المزاجة : ٥٩٦/٤ ، المزهر : ٢١١/١ .

لكن ورد عن ابن فارس ما ينفي غير ذلك ، وهو أنه عزا « العجرفية لقيس »^(١) وأرى أن ابن فارس إما أن يكون قد حرف في الرواية ، وأما أن يكون على رغم هذا التحرير لا تعارض بين الروايتين ما دامت العجرفية من صفات القبائل البدوية ، لكن أرى أن تخصص رواية ابن فارس ببعض قبائل قيس لا كلها ، كما رأى ابن فارس وهي تلوك التي جاورت ضبة – كباهرة وغنيّ ، وها من قيس « وكانت ضبة وباهلة على جوار حيث سكناها الياما »^(٢) .

فلملل العجرفية – والتي هي من خصائص ضبة – قد تأثرت بها بعض القبائل القيسية المطلقة بضبة ، والتأثير والتآثر قائم بين اللهجات ، وهذا معنى قول ابن جنبي عن العرب « فلهم بتتجاوزهم وتلقيهم وتزورهم يحرون مجرى الجماعة في دار واحدة »^(٣) .

ح) الفعمة :

ولتفسير هذه الظاهرة نعرض ما يلي :

جاء في كامل المبرد « أن معاوية قال يوماً لجلسائه : من أفعى الناس ؟ فقام رجل من السبطان فقال : قوم تباعدوا عن فراتية العراق ، وتيامنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كشكشة بكير ، ليس فيهم غعمفة قضاعة ، ولا طمعانية حمير ، فقال له معاوية : من أولئك ، فقال : قومي يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : من أنت ؟ قال : أنا رجل من جرم »^(٤) كما وردت نفس هذه الرواية في الفائق في غريب الحديث للزنخري^(٥) ، والمفصل^(٦) ، وشرحه لابن يعيش^(٧) ، ودرة الفوادن^(٨) ، وشرحها^(٩) ، وخزانة^(١٠) البغدادي ، كما وردت أيضاً في البيان^(١١)

(١) الصاحي لابن فارس : ٢٣ .

(٢) معجم كعبالة : ٦٠/١ ، وتأريخ العرب قبل الإسلام : ٣٢٨/٤ جرارد علي .

(٣) الخصائص : ١٥/٢ ط دار الكتب .

(٤) الكامل للمبرد : ٣٧٠/١ وما بعدها .

(٥) ٤٥٨/٢ .

(٦) ٣٢٣ .

(٧) ٤٨/٩ وما بعدها .

(٨) ١١٤ .

(٩) ٢٣٤ .

(١٠) ٥٩٥/٤ وما بعدها .

(١١) ٢١٢/٣ .

للباحث ، وشرح السيرافي^(١) ، مع اختلاف في بعض عبارات الرواية .

ويفهم من المناقشة التي دارت بين معاوية وجلسائه أن الفمفة عيب في المنطق تتزه عنهما اللغة الفصحى ، وبعد البحث والاستقصاء لم أجد أمثلة فيها تحت يدي من المصادر توضح هذه الظاهرة ، لهذا جلأت إلى المعاجم لاسترشد بها في كنه هذه الظاهرة .

- ١ - ففي الجهرة : أن « الفمفة مثل المهمة - كلام لا تفهمه »^(٢) .
- ٢ - وفي أساس البلاغة : غم الشيء إذا غطاه ... ومن المجاز « سحاب أغم : لا فرجة فيه »^(٣) .
- ٣ - « أن الفمفة : صفة للقسي إذا كانت هتوفاً - أي أن صوتها يطيف بالقوس فيكون له رنة »^(٤) .

ويفهم من المعنى المعجمي أنك تسمع الصوت ولكن تخفي فيه مقاطع الحروف وبيان أجزائها ، وتقيز كلماتها لسرعة النطق « ولهذا يقال لأصوات الأبطال والثيران عند الذعر - غمام »^(٥) و كان المعنى الجامع هو الاختلاط وعدم التمييز والإفصاح في نطق الكلام حتى لا يفهم السامع المراد ، وهذا أرجح أن خفاء النطق وعدم تيزه كان عند قضاة في حروف الكلمة ، وفي ربط الكلمات بعضها ببعض ، وهي لذلك أشبه شيء باللتفظ : وهو إدخال حرف في حرف^(٦) ، وإذا ذهبنا لبحث المفمفة - وهي عكس الفمفة - وجدنا لها نفس المعنى ، إذ يقول ابن دريد : مفمن كلامة - إذا لم يبنه^(٧) .

وإذا كانت ظاهرة الفمفة كما في المصادر السابقة - قد اتصفت بها قضاة ، فقد عثرت على رواية تفيد أن الفمفة في قريش لا قضاة^(٨) ، ولكنني أرد هذه الرواية لما يأتي :

(١) ٤٦٨/٤ خطوط في مكتبة تيمور .

(٢) الجهرة : ١٦١/١ .

(٣) أساس البلاغة : ٣٢٩ .

(٤) الجهرة : ٤٥٧/٣ .

(٥) شرح الدرة : ٢٣٥ .

(٦) المقد الفريد لابن عبد ربه : ٢٩٦/٢ .

(٧) الجهرة : ١٦١/١ .

(٨) تاج العروس : ٦/٩ .

- أ) ما عزى الى قنادة (١١٧ م) من أن « قريشاً كانت مجتبي - أي مختار أفضل لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها - فنزل القرآن بها »^(١) .
- ب) وما ورد في اللسان عن أبي بكر « قريش هم أوسط العرب في العرب داراً ، وأحسنه جواراً ، وأعربه ألسنة »^(٢) .
- ج) وما نقله ابن فارس عن أشياخه من « أن قريشاً أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة »^(٣) .
- د) وما جاء عن الفراء عند حديثه عن قريش وأنهم « صاروا أفصح العرب » ، وخلت لغتهم من مستبعش اللغات ، ومستقبح الألفاظ »^(٤) .

ولهذا كله تخلت لهجة قريش عن هذه الفعمة ، لأنها مستبشعه ، فإذا أضيف الى هذا روایة أخرى للمحاورة التي وقعت آنفًا بين معاوية وجلسائه حين سألهم عن أفصح الناس فقال (أحدهم) : قوم ارتفعوا عن فرائية . للعربي . ليس فيهم غمضة قضاة ... قال من هم ؟ قال : قومك قريش ، قال : صدقت^(٥) . ولو كانت الفعمة في قريش كما جاء عن صاحب الناج ، لكان المعنى في الروایة السابقة « ليس فيهم غمضة قريش قال : من هم ؟ قال : قومك قريش » فيتعارض النص داخلياً إذ تكون في قريش الفعمة ، فلفتها لذلك ليست فصيحة ، وهذا ينافق قوله في آخر النص « قومك قريش » أي أفصح الناس . ويبعدو أن ظاهرة الفعمة هذه قد شاعت في بعض قرى مديرية الشرقية كما رجح ذلك حفي ناصف^(٦) . وقد اكتشفت فيها جاء عن المقرizi - ما يوضح تلك القرابة الـهـجـيـة بين قضاة وبين بعض القرى في مديرية الشرقية ، إذ يقول « وبلي» (وهي من قضاة) قبيلة عظيمة فيها بطون كثيرة ، وكانت بلي بالشام فنادى رجل من بلي بالشام يال قضاة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب الى عامل الشام أن يسير ثلث قضاة الى مصر فنظروا ، فإذا بلي ثلث قضاة ، فسيراوا الى مصر^(٧)

(١) اللسان : ٧٧/٢

(٢) اللسان : ٧٧/٢

(٣) المزهر : ٢١٠/١ ، الصاحبي : ٢٣

(٤) المزهر : ٢٢١/١ ، الاقرار : ٨٣

(٥) الفائق للزغشري : ٤٠٨/٢

(٦) ميزات لغات العرب : ٣٥

(٧) البيان والاعراب : ٢٩

ويرجح أن بليشاً - سكنت الصحراء الشرقية ، كما أن قبائل عده من جهينة (وهي فرع من قبائل) قد سكنت الشرقية و مركز فاقوس ، حيث بها إلى الآن قرية قديمة تسمى « دوار جهينة »^(١) .

وهذا يشير إلى أن الفممة في بعض قرى مديرية الشرقية موروثة عن قبائل قبائل جهينة - وذلك يؤكد قوّة العلاقة الـمـعـنـيـة بين السـالـفـين والـخـالـفـين عبر القرون .

ط) الوَّتْسِم :

وهو كـا ذـكـرـه اللـغـوـيـون - إـبـدـالـالـسـيـنـالـمـهـلـة - تـاءـفـوـقـيـةـ فـيـقـولـوـنـ : (النـاتـ بـالـنـاتـ) أـيـ الناسـ بـالـنـاسـ . وـقـدـ عـزـيـتـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ لـأـقـوـامـ عـدـيـدـيـنـ ، فـعـزـاـهـاـ الـأـزـهـرـيـ لـهـيـرـ^(٢) ، وـاستـشـهـدـ لهاـ بـقـوـلـهـمـ « لـبـاتـ » بـعـنـيـ « لـاـ بـأـسـ عـلـيـكـ »؛ وـاستـشـهـدـ لهاـ بـقـوـلـ شـاعـرـهـ :

تـنـادـواـ عـنـدـ غـدـرـمـ لـبـاتـ وـقـدـ بـرـدـتـ مـعـاذـرـ ذـيـ رـعـينـ

وـبـيـدـوـ أـنـ الـأـزـهـرـيـ نـقـلـ هـذـاـ الشـاهـدـ مـنـ كـتـابـ شـمـرـ^(٣) . كـاـ حـكـيـتـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ عـنـ (قـبـائلـ) وـاستـشـهـدـ لهاـ بـقـوـلـ الشـاعـرـ :

يـاـ قـاتـلـ اللهـ بـنـيـ السـعـلـاتـ عـمـرـوـ بـنـ يـبـوـعـ شـرـارـ النـاتـ
غـيرـ أـعـفـاءـ وـلـاـ أـكـيـاتـ^(٤)

وـفـيـ نـوـادـرـ أـبـيـ زـيـدـ : أـنـ هـذـاـ مـنـ قـبـيـعـ الـبـدـلـ ، أـوـ مـنـ قـبـيـعـ الـضـرـورةـ^(٥) ، وـوـصـفـ الرـضـيـ هذاـ الـابـدـالـ بـالـنـدـورـ^(٦) ، وـلـكـنـ حـكـاـيـةـ أـبـيـ عـمـرـ بـأـنـ صـيـغـةـ (النـاتـ) بـدـلـ النـاسـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ « قـلـ أـعـوذـ بـرـبـ النـاتـ »^(٧) لـغـةـ قـبـائـلـ^(٨) يـقـفـ فـيـ سـبـيلـ أـبـيـ زـيـدـ حـيـثـ يـرـىـ أـنـهـ ضـرـورةـ

(١) البيان والأعراب : ٣٢ هامش .

(٢) اللسان : ٣٨٨/٢ .

(٣) اللسان : ٣١٨/٧ وما بعدها .

(٤) نوادر أبى زيد : ١٤٧ .

(٥) المرجع السابق : ١٠٤ .

(٦) شرح الشافية : ٢٢١/٣ .

(٧) سورة الناس : آية ١ .

(٨) مختصر شواد القرآن : ١٧٣ ابن خالويه .

وليست لغة، ولا ضرورة في القرآن، على أنه لا ضير أن تتبادل التاء مع السين فكلها متقاربة من الآخر، فالتاء من الأصوات الشديدة ونظيرها الرخو هو السين، ثم هي موافقة لها في الهمس وقرب المخرج، وقد جاءت ألفاظ تؤيد هذا البديل: منها ختبت في خسيس^(١) ومرميته الداهية من الرجال في مرميته^(٢)، وإذا كانت الظاهرة قد عزت لغير مرة، ولقضاعة أخرى فلا تهافت في هذا العزو، لأن قضاعة على الرأي الأشهر من مالك بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير^(٣)، ولكن قضاعة شعب كبير، فهل كانت كل سين تبدلها تاء في جميع قبائلها أم أن ذلك في بعض بطنها فقط؟ – أرجح الرأي الثاني وسبب ذلك أن تحول السين وهو صوت رخو إلى التاء وهو صوت شديد لا يكون إلا من سمة القبائل المتبدلة، لأنها تمثل إلى الأصوات الشديدة، والصوت الشديد أيسر من نظيره الرخو وخير قبائل قضاعة تنسب لها الظاهرة هي جرم وجہیة – لأنها من البداء بقسط كبير. وإذا كان معنى الوتم هو قلب السين المهملة تاء فوقية^(٤)، فذلك يشير إلى الخطأ الذي تردى فيه شارح القاموس في المقدمة حيث ذكر أن (الوتم) هو «جعل الكاف شيئاً مطلقاً»^(٥)، وما أراده شارح القاموس يجب أن تكون الشنونة لا الوتم، والشنونة هي قلب الكاف شيئاً مطلقاً وهي في اليمن^(٦).

ي) الاستنطاء :

وهو عند اللغويين أن تبدل العين الساكنة توناً – إذاجاورت الطاء وذلك مثل: أنطى – في أعطى وقد جاءت عدة روايات في نسبة هذه الظاهرة:

١- ففي اللسان: الإعطاء = الإعطاء بلغة أهل اليمن^(٧)، وكذلك جاءت رواية مماثلة في كتاب^(٨) شمس العلوم.

(١) سر الصناعة: ١٧٣/١ ط الحلبي.

(٢) اللسان: ١٠١/٨.

(٣) معجم كحالة: ٩٥٧/٣.

(٤) اللثات واللثثات: مقال للأب أنتاس الكرملي في مجلة الشرق السنة ٦ عدد ١٢ سنة ١٩٠٣.

(٥) تاج العروس: ٨/١.

(٦) الجناسون: ١٨٣.

(٧) اللسان: ٢٠٦/٢٠.

(٨) ١٠٤.

٢ - وعزها التبرizi إلى العرب العربية^(١).

٣ - كما عزها السيوطي : إلى سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار^(٢).

٤ - وعزها الشدياق : كرواية السيوطي مستثنياً قيساً ، فلم يذكرها^(٣).

وبالبحث في الظواهر اللغوية لقيس ، وفي ديوان هذيل ، لم أعثر على تلك الظاهرة ، لذلك أرجح أن « قيساً » في نص السيوطي ، ليس المراد بها قيس عيلان وإنما هي قيس أخرى ، وأرجح أنها بطن من هدان القحطانية وما يؤيدني في ذلك ما جاء في البحر المحيط من قول الشاعر الأعشى :

جيادك خير جياد الملوك تصان الحلال وتنطى الشعيرا^(٤)

وقائل هذا البيت هو الأعشى - وهو من قيس القحطانية^(٥). وكذلك أرجح أن هذيلاً ليست تلك القبيلة المعروفة من مضر - وإنما هي هذيل اليمنية^(٦) فتكون الظاهرة قد خلصت لليمن بدليل وجود الأنصار ، والأزد في نص السيوطي وجميعهم من اليمن .

وأما النصوص الدالة على تلك الظاهرة فهي :

أ) جاء في البحر المحيط : في قوله تعالى « إنا أعطيناك الكوثر »^(٧) أن الحسن وطلحة وغيرهم قرأوا « أنتيناك وهي قراءة مروية عن الرسول ﷺ^(٨) كما قرأ ابن مسعود والأعشى « وآتاهم تقوام » ، « وأنظام تقوام »^(٩) كما وجدت هذه الصيغة في المصاحف القديمة الآتية :

(١) البحر المحيط : ٥١٩/٨.

(٢) الاقتراح : ٨٤ - ٨٣.

(٣) الماسوس : ١٨٣.

(٤) البحر : ٥١٩/٨ ، وانظر إبدال أبي الطيب : ٤١٨/٢.

جيادك في القيس في نعمة تصان الحلال وتنطى الشعيرا

رق البحر : الحلال « الشعيرا ».

(٥) معجم كحالة : ٩٢٢/٣.

(٦) معجم كحالة : ١٢١٣/٣.

(٧) سورة الكوثر : آية ١.

(٨) البحر : ٥١٩/٨ ، مختصر شواذ القرآن : ١٨١.

(٩) المرجع السابق : ١٤١ ابن خالويه.

- ١ - مصحف ابن مسعود .
- ٢ - مصحف أبي بن كعب .
- ٣ - طلحة بن مصرف .
- ٤ - مصحف الريبع بن خيم^(١) .

ب) جاء في الأثر :

- ١ - أن الرسول ﷺ قال : اليد العليا المنطية ، واليد السفلى المنظة^(٢) .
- ٢ - إن مال الله مستول ومنطي^(٣) .
- ٣ - وفي كتابه ﷺ لوايل : وأنطوا الثبجة^(٤) .
- ٤ - وفي كتابه ﷺ لتيم الداري : هنا ما أنطى محمد رسول الله لتيم الداري وإخوته : حبرون ، والمرطوم وبيت عينون ، وبيت إبراهيم ، وما فيهن نطية بت بذمتهم^(٥) « وابن فضل الله المعربي صاحب كتاب مسالك الأ بصار نقل هذا النص من الكتاب النبوي نفسه ، إذ قال وقد رأيت ذلك كله بعيني » .

ج) وجاء في الأدب ، ما أنشده ثعلب :

من المنطيات المركب المعج بعدما يُرى في فروع المقلتين نضوب^(٦)

ويُرى بعض المحدثين أن الرواية لم يصفوا لنا هذه الظاهرة بدقة ، ويُحيل إلى أنهم ربما كانوا ينطقون بالعين نطقاً أنيقاً – بأن يجعلوا بجرى النفس معه من الفم والأتف مما ، فتسمع العين

(١) انظر : تاريخ المصاحف جفرى .

(٢) البحر : ٥٠٩/٨ .

(٣) اللسان : ٢٠٦/٢٠ .

(٤) مجموعة الوثائق السياسية : ١٠٧ للجعید آبادی .

(٥) مسالك الأ بصار : ١٧٤/١ لابن فضل الله المعربي : دار الكتب ، وانظر : جهرة رسائل العرب : ٧٢/١ - ٧٣ - أحد ذي صفر ط ١ ، وجموعة الوثائق السياسية : ٦٩ .

(٦) اللسان : ٢٠٦/٢٠ .

محترجة بصوت النون ، وليس في الحقيقة نون^(١) ، ولا يرضى «رابين»^(٢) أن العين تحولت إلى نون مطبقة تحت تأثير الطاء لعامل صوتي ، بل يذكر أنه يوجد في العبرية الفعل **תַּעֲשֶׂה**^(٣) ويتعدى به إلى ومعناه (مدّ يده إلى) ، ويقترح (رابين) أن يكون الفعل انطش خالقاً الفعل أعطى ، وليس مغايراً صوتيًا له ، وإنما الفعل «انطش» هو صيغة التعديـة من الفعل المجرد «نطى» بمعنى مدّ يده إلى » كما يميل بعض المستشرقين^(٤) إلى أن أنفية العين كانت صفة صوتية ملزمة لها منذ السامية الأولى ، وقد وجدت ظاهرة الاستنطـاء في لغة الاعراب بصحاري مصر ، ويرى بعض المحدثين أنها شائعة في لهجة العراقيـين^(٥) أيضـاً .

وهذا يشير إلى أنـ في النازلين الأولين في العراق ، ومصر من العرب قومـاً منـ كانت سـتهم تلك الظاهرة ، وجدـير بالذكر أنـ صيغـة (أعـطـى) قد استـبدلـت بـصـيـغـة (أـطـعـى) في بعض قـرـى فـلـسـطـين^(٦) ، وكـأنـها مـقلـوبـة عنـ الصـيـغـةـ الأولىـ .

ك) التـلـقـلة :

لم تـكن القـبـائلـ الـعـربـيـةـ مـتفـقـةـ فيـ تلكـ الـظـاهـرـةـ بلـ كانـ كلـ قـبـيلـ منـ العـربـ أوـ كـلـ بـجـمـوعـةـ منـ القـبـائلـ تـتـخـذـ لهاـ نـطـطاـ أوـ اـتـجـاهـاـ يـخـتـلـفـ عنـ الـأـخـرـىـ ، وـلاـ يـسـتـطـعـ الـبـاحـثـ اـعـتـادـاـ عـلـىـ نـصـ أوـ نـصـينـ – أـنـ يـصـلـ إـلـىـ حـقـيقـةـ هـذـاـ الـأـمـرـ ، هـذـاـ وـسـعـتـ دـائـرـةـ الـبـحـثـ وـحاـولـتـ جـمـعـ النـصـوصـ الـقـيـ تـتـنـاوـلـ الـظـاهـرـةـ ، ثـمـ درـاستـهاـ وـمـقـارـنـتهاـ ، وـكـانـتـ النـصـوصـ تـشـيرـ – بـعـدـ عـرـضـهاـ وـتـلـخـيـصـهاـ – إـلـىـ تـلـكـ الـاتـجـاهـاتـ الـكـبـرىـ .

أولاً : يـزـادـ حـرـفـ الـمـضـارـعـ مـضـمـوـمـاـ فيـ الـمـاضـيـ الـرـبـاعـيـ – تـقـولـ : يـدـحـرـجـ وـيـكـرـمـ كـاـيـزادـ حـرـفـ الـمـضـارـعـ مـفـتوـحاـ – إـذـاـ أـرـدـتـ بـنـاءـ الـمـضـارـعـ مـنـ ثـلـاثـيـ أوـ خـامـيـ أوـ سـدـاسـيـ فيـ مـثـلـ : يـنـصـرـ ، وـيـتـعـلـمـ ، وـيـنـطـلـقـ ، وـلـاـ يـمـوـزـ عـنـ الـحـجـازـيـنـ كـسـرـ حـرـفـ الـمـضـارـعـ .

ثـانـيـاـ : عـنـ غـيـرـ الـحـجـازـيـنـ :

١ـ – يـكـسـرـ مـاـ عـدـاـ الـيـاءـ مـنـ أـحـرـفـ الـمـضـارـعـ فـيـاـ يـلـيـ :

(١) في اللهجات العربية : ١٣٠ الطبعة الثانية .

(٢) Rabin, P. 32 .

(٣) Rabin, P. 32 .

(٤) فـقـهـ الـلـغـةـ : وـافـيـ : ١٠٣ـ الطـبـعـةـ الثـالـثـةـ .

(٥) محـاضـراتـ لـدـكـتـورـ عـاـكـرـ نـقـلاـ عـنـ الـأـطـلـسـ الـجـفـرـانيـ الـعـوـيـ لـفـلـسـطـينـ : عـملـ بـرـجـشـتـرـاسـرـ .

١) مضارع الثلاثي المبني للفاعل إذا كان الماضي على وزن فعل بكسر العين وقد استقصيَت ما جاء على ذلك من منشور العرب ومنظومها فمن ذلك :

قراءة أبي عمرو (ولا تركوا إلى الذين ظلموا)^(١) بكسر التاء على لغة تيم^(٢) ، والماضي منه فعل بكسر العين ، كما قرأ ابن وثاب وأبو رزين « مالك لا تيمنا »^(٣) على لغة تيم بكسر التاء مع الإدغام^(٤) وفي مصحف ابن مسعود « تيمته »^(٥) ، وكذلك في مصحف أبي بن كعب « تيمته »^(٦) وعلى هذا كتبت في مصحف الربيع بن خيثم^(٧) ، ومن ذلك ما جاء في الحتسب من قراءة يحيى « فلنهم يسلون كما يتيمون »^(٨) والفعل ألم – بكسر العين ، وقد قرأ يحيى بن وثاب « ألم أهد إليكم »^(٩) بكسر هزة « أهد » ، كما ذكر أبو حاتم السجستاني أنه سمع حرثش بن ثمال – وهو عربي فصيح – يقول في خطبته : « الحمد لله أحمده واستعينه وأتوكل عليه » ، فيكسر الآلفات كلها^(١٠) ، واستشهد صاحب التصریح بقول الشاعر :

لوقلت ما في قومها لم تيشم يفضلها في نسب وميسم^(١١)

وقد عزا صاحب المفضل على المفصل – هذا الشاهد لشاعر من تيم^(١٢) ، وساق المعري قول الشاعر :

قلت لبابِ لدبه دارها تيدنْ فإني حوها وجارها^(١٣)

(١) سورة هود : آية ١١٣ .

(٢) البحر : ٢٦٩/٥ ، وشواذ القرآن : ٦١ .

(٣) يوسف : آية ١١ .

(٤) البحر : ٢٨٥/٥ ، تفسير الكشاف : ٣٤٩/٢ ط الثانية ١٩٥٣ .

(٥) مصحف ابن مسعود بلغري : سورة آل عمران : آية ٧٥ .

(٦) المرجع السابق : مصحف أبي بن كعب .

(٧) المرجع السابق : مصحف الربيع بلغري .

(٨) الحتسب : ٢٣٧/١ خط تيمور .

(٩) سورة يس : آية ٦٠ .

(١٠) مقدمتان في علوم القرآن : جغرافي مباني : ٢٢٠ .

(١١) التصریح : ١١٨/٢ ، الأشتری : ٢٠/٣ .

(١٢) المفضل : ١١٨ .

(١٣) عبّت الولید : ١٦٨ .

وأصلها : أناذن ؟ ثم كسرت التاء ، وإنما كسر حرف المضارعة دلالة على كسر عين الماضي^(١) . هذا ، وقد رأى ابن عطية أن كسر حروف المضارعة لغة قرشية ، وقد نقل عنه ذلك أبو حيان في تفسيره قوله تعالى « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه »^(٢) . والذي أراه أن ابن عطية واهم في ذلك ، إذ كسر حروف المضارعة لم يكن في لهجة قريش ، قال الداني عن ظاهرة الكسر « وهي لغة قيم »^(٣) ، كما عزّاها إلينهم أيضاً أبو عمرو^(٤) ، كما عزيت في الخزانة إلى قيم وبهراء^(٥) .

ب) الفعل الناقص المكسور العين واوياً كان أو يائياً – كقولهم : شقيت فأنت تشقي ، وخشيتك فأنت تخشى^(٦) ، بكسر التاء من تشقي ، والهمزة من تخشى .

وفي قوله تعالى : « فكيف آسى على قوم كافرين » الأعراف ٩٣ . تقرئه : « فكيف ليسى على قوم ... » بكسر الهمزة وهي قراءة يحيى بن وثاب وطلحة . (مختصر شواذ القرآن ٤٥ لابن خالويه) .

ج) الفعل الأجوف كقولهم : خلتنا فتحن نخال وأنا إخال : بكسر النون والهمزة وقد ساق المرزوقي قول رجل من جرم :

إخالك موعدي ببني جيف وهالة ، إني أنهاك هالا^(٧)

وَجَرْمُ هُولَاءِ : من طيء ، فـكأنهم يكسرون همة إخال ، وما يؤيد تلك الملاحظة ما جاء في شرح التبريزي حيث نسب الكسرة في إخال – لطيء^(٨) ، ولكن وجدت في مكان آخر من شرح المرزوقي ما يفيد أن كسر إخال – في لغة هذيل^(٩) ، وقد عزا صاحب الخزانة الفتح لأسد ، حيث ذكر البيت :

(١) الشافية : ١٤١/١ .

(٢) البحر : ٤٩٩/٢ .

(٣) النهر الماد : ٤٩٨/٢ .

(٤) البحر : ٢٦٩/٠ .

(٥) خزانة الأدب : ٤٩٦ - ٤٩٥/٤ .

(٦) كتاب سيبويه : ٢٥٦/٢ ، شرح الشافية : ١٤١/١ .

(٧) شرح حملة المرزوقي : ٢٤٨/١ .

(٨) حامة التبريزي : ٢٤٢/١ .

(٩) حامة المرزوقي : ١٨٤٥/٤ .

أرجو وأمل أن تدفن مودتها وما إخال لدينا منك تسويل^(١)

ثم قال « وفتحها لغة أسد »^(٢) ، وكذلك عزاماً صاحب اللسان^(٣) ، والمصبح^(٤) ، والأزهري^(٥) إلىبني أسد كذلك ، وكان المفروض أن يقول أسد ذلك بالكسر ، لأن كسر حرف المضارع من خصائص الجزء الشرقي من الجزيرة « كقيس وقين وأسد وريمة وعامة العرب »^(٦) ، كما أن هذيلاً وهي قبيلة تتصل بالحجاز كان عليها أن يقول ذلك بالفتح ، لأن الحجاز فتح هذا بدليل ما جاء في شعر ابن أبي ربيعة :

ما لقلبي كأنه ليس مبنياً وعظامي أخال فيهن فتنراً

بفتح هزة أخال ، والسبب أن عمر حجازي ودليل آخر وهو قول صاحب اللسان من أن « أهل الحجاز وقوم من أعيانها هوازن وأزد السراة وبعض هذيل يقولون : نعلم »^(٧) بفتح التاء . وجلاً لهذا أشك في أن قبيلة أسد فتح أخال - كما جاء عن الرواة ، بل هي تكسر ، وإنما الذي يفتح هي قبيلة أزد كما في الرواية السابقة ، ومن الجائز أن يكون الرواة قد خلطوا بين قبيلة الأزد وقبيلة أسد لاسيما في الكتابة ، وقد وقع في هذا الخلط أحد بن فارس حيث ذكر الاختلاف في الحركات كقولهم « نستعين ، نستعين » ، ثم نقل عن الفراء في ذلك بما يفيد أن التوت مفتوحة في لغة قريش وأسد ، وغيرهم يقولونها بكسر التون »^(٨) فالفتح نسلم به في لمجة الحجاز وقريش ، ولكن لا نستطيع أن نسلم به في لهجة أسد ، لـ « اتقدم » ، لأن أسدًا من المجموعة الشرقية التي توفر الكسر ، وقد عثرت على نص لابن فارس يعارض نصه السابق حيث يقول « وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لفاتها ورقّة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخبروا بكلامهم ... ثم قال : لا أرى أنك لا تجيد في كلامهم عنفنة قيس ، ولا عجرفة قيس ، ولا

(١) خزانة البندادي : ٧/٤ .

(٢) المزانة : ١١/٤ .

(٣) اللسان : ٢٤٠/١٣ .

(٤) ٢٨٨/١ .

(٥) التصريح : ٢٥٨/١ .

(٦) اللسان : ٢٨٣/٢٠ .

(٧) شرح السيرافي : ٣١٦/٥ خط بالtimoriyah .

(٨) الصاحبي : ١٩ .

كشكشة أسد، ولا كشكشة ربعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس – مثل تعلمون – نعلم ...^(١) فابن فارس هنا يعزو الكسر صراحة الى أسد وقيس ، بينما عزا الفتح في نصه السابق الى قريش وأسد ، ولهذا الاختلاف والخلط رجحت أن المقصود بالفتح في أسد – أسد – في نص ابن فارس حتى يتفق مع نصه الثاني ، هذا وقد أوقع وهم ابن فارس بعض المحدثين فوقوا فيما وقع فيه^(٢) .

كما وقع خلط آخر لبعض علماء العربية حين توم أن قريشاً تكسر حرف المضارعة وذلك في رواية نقلها السيوطي عن ثعلب مفادها « ارتفعت قريش من الفصاحة عن عنعنة قيم » ، وتلته براء ، وكشكشة ربعة ، وكشكشة موازن ، وتضجع قريش وعجرفية ضبة^(٣) ولتوثيق هذا النص الذي ساقه السيوطي عن ثعلب ، عرضت النص نفسه على ما جاء في أمالى ثعلب لاستوتن منه فوجدته فيه « ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة قيم ... وتضجع قيس »^(٤) ، وقد نقل ابن جنی في كتابه الخصائص^(٥) ، وسر الصناعة^(٦) عن ثعلب ، رواية تتفق وما نقلته عن مجالس ثعلب ، كذلك رأى صاحب الخزانة رواية في أمالى ثعلب تتفق وما نقلته^(٧) وجبيع هذا يقف في وجه رواية السيوطي السابقة ، ويؤكّد أن التضجع في قيس لا قريش .

وأما أن كسر المهز من إدخال – حيث عزاه المرزوقي الى طيء مرة ، والى هذيل مرة أخرى فهو يشير الى الخلط في أمر اللهجات – والى أن اللهجات عندهم لم تكن إلا أمراً ثانوياً على هامش الدراسة غير جديرة بالبحث والتحقيق – غير أنني أرى أن الكسر في طيء أولى لسببين:

أولهما : أن المرزوقي ساق شاهداً لها في لهجة جرم ، وجرم بطن من طيء ، أما حين عزاهما هذيل فلم يقدم شاهداً لها ، بل اكتفى بقوله « وهي لغة هذيل »^(٨) وحين ذهبت الى شرح

(١) الصاحبي : ٢٣ .

(٢) تاريخ الأدب العربي : ١٢٧/١ الدكتور شوقي ضيف .

(٣) المزمر : ٢١١/١ .

(٤) مجالس ثعلب : ١٠٠/١ .

(٥) ١١/٢ .

(٦) ٢٢٤/١ .

(٧) المخزانة : ٥٩٦/٣ .

(٨) حاشة المرزوقي : ١٨٤٥/٤ .

التبيرزي لأرى هذا الشاهد فيه ، وجدت أنَّ كلمة (أخال) قد غيرت بكلمة أخرى وروى البيت فيه هكذا :

ما لقلبي كأنه لليس مني وعظامي كأنه فيهن فترًا^(١)

ورواه المرزوقي :

(وعظامي أخال فيهن فترا)^(٢)

فالتبيرزي غير رواية الشاهد .

وثائهما : لأن المرزوقي لما عزّها إلى طيء عقب وقال « فكثير استعمالها (أي الظاهرة) في السنة غيرها »^(٣) فكان الظاهرة أصلًا في طيء ، ثم انتشرت إلى ما جاورها ، فإذا عثرت مستقبلاً على روايات وشواهد تؤيد أن هذيلًا نطقوا بالكسر رجحت أنها من البدو .

د) مضعن الثلثاني الذي على وزن فعل بكسر العين ، وقد مثل له سيبويه بقوله : بعض فأنت تعضدن ، وأنت تعضين »^(٤) بكسر التاء ، وأصل الفعل « عضض » بكسر العين وقد حاولت أن أجده صدئي لهذا الفعل في القرآن فوجده في قراءة ابن وثاب وعلقمة والأعش وغيرهم « فتمسكم النثار »^(٥) حيث قرأوا بكسر التاء على لغة تميم »^(٦) ، وفي قوله تعالى « ونقر في الأرحام »^(٧) بكسر النون . كما وجدت شاهدًا لهذا الفعل المضارع بكسر حرف المضارعة في رواية لابن دريد جاء في اللسان وهي « كان لنا وهو فلو يرببه »^(٨) بكسر حرف المضارعة ، وعزى فيها كسر حرف المضارعة إلى هذيل^(٩) . وبالبحث عن قائل

(١) حمامة التبيرزي : ٣٣٦/٤ .

(٢) حمامة المرزوقي : ١٨٤٥/٤ .

(٣) حمامة المرزوقي : ٢٤٨/١ .

(٤) الكتاب : ٢٥٦/٢ .

(٥) سورة هود : آية ١١٣ .

(٦) البحر : ٢٦٩/٥ .

(٧) سورة الحج : آية ٥ .

(٨) اللسان : ٣٨٦/١ .

(٩) اللسان : ٤٢٣/١ .

هذا البيت وجدت الأصمعي قد عزاه إلى دكين بن رجاء الفقيهي^(١) . وبالبحث عن فقim في كتب الأنساب وجدت أنها بطن من حنظلة ، وحنظلة من تميم^(٢) . ولهذا لا أوفق على رأي ابن دريد السابق حيث عزا الظاهرة إلى هذيل لأنها وجدت في شاهد لرجل من فقim ابن حنظلة ، فال الأولى أن تنسب إلى فقim ، وعما يقوى هذا أن هذا الكسر عزى إلى تميم ، وحنظلة هذه من تميم أيضاً .

٥) ما كان مبدوءاً بهمزة وصل مما جاوز ثلاثة أحرف^(٣) ، وذلك قوله : أنت تستغفر وتحرجهم ، تنبئها على كون الماضي مكسور الأول وهو همزة^(٤) . وقد وجدت توثيقاً لتلك اللهجة في قراءة لعبدالله بن عمير الليثي وزر بن حبيش ويحيى بن وتاب وغيرهم حيث قرأوا « وإياك نستعين »^(٥) بكسر التون وقد عزاهما أبو حيyan إلى قيس وتميم وأسد وربيعة^(٦) . وعزاهما أبو جعفر الطوسي إلى هذيل^(٧) ، وهذا يوضح لنا مدى الخلط بين اللهجات ، وأميل إلى أن بعض هذيل كان يفتح كاف في اللسان حيث عزا الفتح لبعض هذيل^(٨) ، ومفاد هذا أن بعضها الآخر كان يكسر – لا كلها كما جاء عن أبي جعفر الطوسي في روایته السابقة كما أرجع أن الذين يكسرن من هذيل كانوا بدوا ، وجاء في الحتسب « يَوْمَ تَبَيَّضَ وَجْهٌ وَتَسْنُدُ وَجْهٌ »^(٩) بكسر حرف المضارعة كذلك .

٦) ما كان ماضيه على وزن تفعتل أو تفعلن أو تفعتلت ، كقولهم : تكلسم ، وتفاول ، وتدحرج ، فيقولون فيها : تتكلم ، وينتفاول ، وينتدحرج ، وقد ذكر الحقري أن العرب أجازت فيه الكسر أيضاً^(١٠) .

(١) الأضداد للأصمعي : ٥١ - ٥٢ هـ هفت ، أضداد ابن السكريت : ٢٠٤ .

(٢) نسب هدان وقططان : ٦ - ٧ للمبرد .

(٣) شرح الشافية : ١٤٣/١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) سورة الفاتحة : آية ٥ .

(٦) البحر المحيط : ٢٣/١ - ٢٤ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) اللسان : ٢٠ : ٢٨٣ .

(٩) الحتسب : ١١/١ خط تيمور .

(١٠) شرح الشافية : ١٤٣/١ ، وانظر سيبويه : ٢٥٦/٢ - ٢٥٧ .

٢- يكسر حرف المضارعة بما فيها الياء في غير لغة المجازيين فيما يأتي :

وعمل ذلك السيرافي في شرحه على سيبويه فقال : وإنما كسروا الياء فيها كان فاء الفعل منه واواً قالوا : وجل ي يجعل ، لأنهم أرادوا بكسرها قلب الواو ياه استثقالاً للواو^(١) وإنما كرها قلب الواو ياه من غير كسرة ما قبلها ، لتحقق الكلمة بانقلاب الواو ياه لسكنها وكسر ما قبلها^(٢) . وقد عزا الفارابي هذه المراجحة لأسد^(٣) ، كما عزاهما إلى بنى أسد كذلك ابن منظور^(٤) ، ولكن المؤثر عن القبائل أنها لا تكسر الياء وعمل ابن سيده هذا بقوله « الذين يقولون تعلم (بكسر التاء) لا يقولون يعلم بكسر الياء ، لاستثقالهم الكسر على الياء ... »^(٥) وعمل ابن جنبي في الحتسبي مثل هذا^(٦) . ولكن وجدهنا فيها سبق أن بنى أسد تكسر الياء في يجعل ، فلماذا خالفت بنو أسد في هذا المثال بالذات ؟ يظهر أنت بنى أسد ، لم تستقبل كسر الياء في يجعل كما استقبلتها في يعلم ، لأن الياء في يجعل تقوت بالياء الأخرى^(٧) .

ب) أنهم كسروا الياء في مضارع أبى يأبى ، حيث قالوا فيه يئى - بكسر الياء ، وهو شاذ من وجوه :

أولاً : أنه فعل يفعل بفتح العين في الماضي والمضارع ، وما كان كذلك لم يكسر أوله في المضارع ، وإنما كسروا هذا لأن مسارعه مشاكل ماضي المضارع فعل بكسر العين ، فلما كسر أول مضارع فعل (بكسر العين) في جميع اللغات إلا في لغة أهل الحجاز ، كذلك كسروا يفعل (يفتح العين) هنا^(٨) .

(١) شرح السيرافي : ٥/١٧-٣ مخطوط.

(٢) شرح الشافية : ١٤١/١

(٣) ديوان الأدب : ورقة ٣٠٠ مكتبة تيمور.

السان : ١٤/٢٤٨، ٧/١٦٢ .

٤) المقصص : ٢١٧/١٤ .

(٦) المحتسب: ١١٤ خطوط.

(٧) اللسان : ٢٤٨/١٤ ، ديوان الأدب : ورقة ٣٠٠ خط .

^(٨) اللسان : ٣/١٨ ، الشافية : ١/١٤١ .

ثانياً : أنهم لم يجوزوا الكسر في الياء من يشيء إلا لأن الشذوذ قد كثر في هذه الكلمة وهذا معنى قول سيبويه «أنهم ربما شذ الحرف في كل ممهم فخرج عن نظائره» ، فيجسرهم ذلك على ركوب شذوذ آخر فيه^(١) وكتئام استمرروا طعم الشذوذ في تلك الكلمة ، والشذوذ كما يقولون مغير بالشذوذ ، وقد ساق ابن بري شاهداً لهذا الكسر^(٢)

ـ) كما عثرت على نص لأبي حيان في تفسيره لقول الله (ألم أعهد إليك)^(٣) يفيد أن لغة لبعض الكلب تكسر في الياء حيث يقولون « هل يعلم »^(٤) بكسر الياء والياء يصعب نطقها لاسيما مع الكسرة ، إذ هي نادرة الشيوع في النطق العربي لأن الكسرة من الياء ، والياء تقوم مقام كسرتين . وقد استطاعت توثيق لهجة بعض قبائل الكلب بقراءة قرآنية حيث قرئ « فلأنهم يملون كالمؤمن » بكسر الياء^(٥) والتاء .

وبقراءة الأعمش والحسن « يكاد البرق يخطف أبصارهم » (البقرة : آية ٢٠) بكسر الياء والخاء والطاء المشددة : البحر / ٩٠ . شواد القرآن لابن خالويه ص ٣ . القراءات الشاذة للشيخ القاضي ٢٥

ويلاحظ أن (كلبا) هذه من قضاعة^(٦) ، ومعنى هذا أنها تكسر جميع حروف المضارعة حتى الياء ، إلا أننا نرى بهراء وهي من قضاعة^(٧) أيضاً تكسر ما كان أوله التاء فقط ، وشاهد ذلك قول البغدادي ، وأمسأ تائلة بهراء فإنهم يقولون تعلمون وتعلمون ، وتصنعون . بكسر أوائل الحروف^(٨) فهذا يشير على أن بهراء تكسر التاء فقط بدليل الأمثلة السابقة في نص البغدادي ، كما أورد ابن جني أمثلة لتائلة بهراء بالتاء فقط^(٩) .

(١) شرح السيرافي : ٣١٥/٥ خط ، الحفص : ٣١٧/١٢ ، الحتسبي : ٤١١/١ .

(٢) اللسان : ٢/١٨ .

(٣) سورة يس : آية ٦٠ .

(٤) البحر : ٣٤٣/٧ ، الدر القبط : ٣٤٣/٧ .

(٥) الهمع : ١٦٤/٢ .

(٦) نسب عدنان وقططان : ٢٣ .

(٧) المرجع السابق : ٢٤ .

(٨) الخزانة : ٤٩٥/٤ .

(٩) الحصائف : ١١/٢ دار الكتب ، سر الصناعة : ٢٣٤/١ .

كما أورد ابن منظور شاهداً لها من قول الشاعر (تكتبان في الطريق لام ألف) بكسر التاء - قال ابن منظور « وهي لغة يهراه يكسرون التاء »^(١) ، ولا أدرى إلى الآن ، لم اختصر بهراء بكسر التاء وحدتها دون أخواتها من حروف المضارعة .

ويرى الدكتور ابراهيم أنيس أن بهراء تكسر حرف الياء أيضاً ، ولم يستشهد بما يؤيد رأيه^(٢) إلا أنني أثبت آنفماً أن القبيلة التي كانت تكسر في الياء هي كلب لا بهراء ، على أننا إذا نظرنا إلى كلمة « التلتلة » المعزوة إلى بهراء توحى بأنها كسر التاء - لا الياء . وكسر حروف المضارعة لم تختص به لهجات القبائل العربية التي أشرت إليها آنفماً ، بل وجدت هذه الظاهرة في معظم السامييات كالعبرية والسريانية^(٣) ، غير أن كسر أحرف المضارعة قد انتقل في العبرية والسريانية من وزن فعل يفعل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع إلى بقية الأوزان الأخرى فصارت أحرف المضارعة كلها مكسورة إلا في اللغة العبرية في الأفعال الحلقية الغاء ، والجواب ، والمضافة - فإن أحرف المضارعة بقيت مفتوحة فيها^(٤) .

كما وجد كسر أحرف المضارعة في لهجات جنوب اليمن الحديثة كالهرية والشحرية والبوتحارية^(٥) ، وفي لهجات السريان في هذه الأيام^(٦) ، كما يكسر حرف المضارعة في عامية مصر ، وفي لهجة بدلي « أميده - المنصورة » ، كما لمحت الظاهرة في عامية نجد حيث يقولون في أمثالهم : « بُرق النعيّ تشتيبة »^(٧) وقولهم « يَدِي تَعْطِي ما تَعْطِي »^(٨) ، وقولهم « ضَرِيع لا يَسْمَن ولا يَغْنِي من جُوع »^(٩) فالظاهرة قد عبرت التاريخ الطويل حتى وصلت للأحفاد بالأجداد ، والخالفين بالسابقين .

(١) اللسان : ١٩٢/٢ .

(٢) في الهمجات العربية : ١٢٧ ط ٢ .

(٣) الكتز في قواعد اللغة العربية : ١٧ .

(٤) محاضرات الدكتور خليل نامي .

(٥) محاضرات الدكتور خليل نامي .

(٦) تاريخ آداب اللغة العربية : ١/٥٠ زيدان .

(٧) الأمثال العامية في نجد : ٤٥ رقم ١١٩ القسم الأول ، والمثل للأشخاص الذين لا خير فيهم يشبه بعضهم ببعض في الرداءة .

(٨) المرجع السابق : ١/٣٦٦ رقم ٩٩٤ والمثل يشبه قولهما « اليد الـ تأخذ متديش .

(٩) المرجع السابق : ١/١٥٥ .

ل) الاصطوانية :

تطلق هذه الكلمة عند اللغويين ويراد بها إيدال لام التعريف ميما كقولك مثلاً « طاب انبهاء ، وصفاً انجو » ، أي طاب الهواء ، وصفاً الجلو ، أما المصادر العربية فقد اختلفت في عزو تلك الظاهرة :

- ١ - فقد عزّاها صاحب مقدمة المباني إلى دوس^(١) .
- ٢ - كما عزّاها أبو العباس ثعلب إلى الأزد^(٢) .
- ٣ - وعزّاها الأشوري^(٣) ، وابن هشام^(٤) ، والسيوطى في المجمع^(٥) ، وشرح الدرة^(٦) ، وابن الحاجب^(٧) إلى طيء .
- ٤ - كما عزّاها العيني^(٨) في شواهد ، وابن مالك^(٩) ، والسان^(١٠) ، وشرح المفصل^(١١) إلى اليمن .
- ٥ - وعزّاها المنفي^(١٢) ، والمجمع^(١٣) ، وصاحب كتاب شمس المعلوم^(١٤) ، وشمر^(١٥) - إلى حمير .

(١) مقدمتان في علوم القرآن : ٢٢٢ .

(٢) مجالس ثعلب : ٤٢/١ .

(٣) ٣٧/١ ، ٩٦/١ .

(٤) المنفي : ٤٧/١ .

(٥) ٢٩/١ .

(٦) ٢٣٤ .

(٧) شرح الشافية : ٢١٥/٣ .

(٨) ٩٦/١ على الأشوري .

(٩) المجمع : ٢٩/١ .

(١٠) ٦٨/١٤ ، ٣٠١/١٤ .

(١١) ٢٠/٩ .

(١٢) ٤٧/١ .

(١٣) ٢٩/١ .

(١٤) ٣٩ .

(١٥) اللسان : ٣٦٣/١٢ .

وبالبحث في هذا العزو لمجده يدور كله حول القبائل التي كانت تسكن جنوب اليمن^١، فدوس - في النص الأول هي بطن من شنوة من الأزد من القحطانية^٢ وكذلك طيء من القحطانية، إلا أنه يلاحظ أن علماء العربية خلطوا بين اليمن وحمير، وربما أنهم فعلوا ذلك لعدم معرفتهم باللغة الحميرية فظنوا أنها هي اليمنية، والحق أن الحميرية شيء واليمنية شيء آخر، كما أظن أن النحاة العرب كانوا يخترعون عبارات يصفون بها ما خالف لغتهم، وأظن أنهم اخترعوا لها هذه الظاهرة المهجية، والطمطمانية كما يراها الزمخشري : العجمة^٣. وما يدل على ذلك ما جاء في السكامل للمبرد في قول عنترة :

تبرى له حُول النعام كأنها حرق يمانية لأعجم طمطم^٤

وفي الحزانة^٥ أن الططممانية هي : أن يكون الكلام مشبهًا لكلام العجم، وفي شرح درة الفواد : أنهم يقولون للعجب : طمطم^٦، ويكون المعنى الذي أراده القويون على هذا أنهم شبّهوا كلام حمير - لما فيه من الألفاظ المعجية المتكررة بكلام العجم يشير إلى هذا ما روي عن عمرو بن العلاء « ما لسان حمير وأقاصي اليمن لساننا ، ولا عربيتهم عربيتنا »^٧.

وقد ساق المصادر العربية شواهد لتلك الظاهرة نذكر منها :

- ١ - ما ورد عن الرسول عليه السلام أنه قال : ليس من أمبر امتصاصاً في امسفرا^٨ ، قوله « من زنى من امبكر فاصفعوه مائة جلدة »^٩.
- ٢ - ما رواه شير من أنه سمع حميرية فصيحة سألاها عن بلادها فقالت : التخل قلل^{١٠} ولكن عيشتنا امتصاص امفرسك ، امتصاص ، امتحاط - طوب ، أي طيب.

(١) نهاية الأرب : ٢٥٣

(٢) الفائق للزمخشري : ٤٠٩/٢

(٣) السكامل للمبرد : ٣٢٣/١

(٤) ٥٩٦/٤

(٥) شرح الدرة : ٢٣٥

(٦) المزهر : ١٧٤/١ ، طبقات فحول الشعراه : ١١

(٧) مقدمتان في علوم القرآن : ٢٢٢ ، اللسان : ١١٦/٥ ، التسريع : ١٤٩/١

(٨) اللسان : ٦٨/١٠

(٩) اللسان : ٣٦٣/١٢

٣ - قال الشاعر :

ذاك خلييلي وذو يعاونني يرمي وراني بامسهم وامسلمه^١

ودراسة أداة التعريف في تاريخها الطويل يحتاج إلى بحث طويل لخرج منه بال نقاط التالية :

أ) اللغات السامية تميل إلى استخدام أداة الإشارة ، أو الضمير الشخصي للتعريف ، والإشارة أقدم من الضمير الشخصي ، وهذا أقدم من التعريف^٢ .

ب) أداة التعريف قد تسبيق المعرف كما هو الحال في العربية والكتمانية ، وقد تلحقه ، كالأرامية والسبئية .

ج) تستخدم الكتمانية « /ج » مع تشديد الحرف الأول إن لم يكن حرفًا حلقياً^٣ .

د) في اللغات اليمنية القديمة (نون) نهاية^٤ ، وفي لهجة طيء (أم) .

ه) في اللعانية والشمعية والصفوية تجدهم أداة التعريف (الهماء) ، واستخدمت اللعانية (هن) ، (هل) يجانب (ه) وهذه الشون التي في (هن) تدغم في الحروف الأولى من الأسماء بشرط ألا تكون حروف حلق .

و) في عربيتنا أداة التعريف (ألل) ، واختلف العلماء في الأداة هل هي (ألل) كما قال الخليل أم (اللام) فقط وهو رأي سيبويه^٥ .

وما سبق بيانه نلحظ الأدوات الآتية في التعريف في الساميّات وهي (اللام والنون . والميم) والعلاقة واضحة بين هذه المجموعة ، فهي أكثر الأصوات شيوعاً في اللغات السامية ، كما أنها من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين^٦ - ولهذا لا غرابة أن يقع التبادل بينها مثل :

(١) شمس العلوم : ٣٩ .

(٢) محاضرات الدكتور فؤاد حسانين ، وتاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٥٩/٧ .

(٣) محاضرات الدكتور فؤاد حسانين في كلية دار العلوم .

(٤) تاريخ العرب : ٣٣/٧ بجواه علي .

(٥) ابن عقيل : ١٥٣/١ .

(٦) الأصوات اللغوية : ٦٠ ط الثانية .

(بن) بمعنى (بل) ، (والبنام) في البنان^(١) (وطامه) الله على الخير وطاته^(٢) ، و (العن) في لعل^(٣) ، والأيم والأين للذكر من الحيات^(٤) .

م) العاقبة :

رأينا في لغتنا العربية ، بل وفي الساميّات أيضًا كثيراً ما تتعاقب الواو مع الياء ، كما رأينا في دراستنا للحركات هنا التّعاقب بين الضمة والكسرة ونسوق بعض الأمثلة لبيان هذا :

١ - المياثر والمواثر ، والمواثق والمياثق^(٥) .

٢ - وقد دوخوا الرجل وديخوه ، « ومالك تحوز مني كما تحوز الحياة » وقد تحيزت الى فئة ، وقد تحوزت ، وساغ الرجل طعامه يسيقه ، وبعضهم يقول « يسوغه »^(٦) .

٣ - إن فلاناً سريع الأوبة والأيبة^(٧) ويُكَلِّن أن تكون هذه معاقبة في العين . كما قد تكون المعاقبة في اللام أيضًا من ذلك :

كنت الرجل وكنيته^(٨) ، وعزوت الرجل وعزيته^(٩) - إذا نسبته الى أبيه .
كما قد يكون هذا التّعاقب في الثنائيّة ومن ذلك : نسيان ونسوان ، ورحوان ، ورحيان^(١٠) .
ويكون بين الواو والياء في الجمّع مثل : هو ذو دغيّات ودغوات^(١١) ، كما قد تتعقب الواو

(١) شافية ابن الحاجب : ٢١٦/٣ .

(٢) المرجع السابق : ٢١٧ .

(٣) شافية ابن الحاجب : ٢١٩/٣ .

(٤) اللسان : ١٨٧/١٦ .

(٥) المقصص : ٩/١٤ ، اللسان : ٣٢٥/٢ - ٣٢٦ .

(٦) أدب الكاتب : ٣٦٥ ط السعادة تحقيق عبي الدين ، المقصص : ٢٠/١٤ .

(٧) أدب الكاتب : ٤٥٩ .

(٨) مزهر السيوطي : ٢٧٩/٢ ، أدب الكاتب : ٣٦٤ .

(٩) أدب الكاتب : ٣٦٤ .

(١٠) المقصص : ٢٥/١٤ .

(١١) أي أخلاق رديئة .

والباء على فمك كقولهم : هو الكذاب الأنوم والأئم^(١) ، وقد تتعقب الباء والواو زائدتين من بنات الأربع كقولهم : ما رواه ابن السكري :

جعلته على حنديرة عيني ، وحندورة عيني – أبي نصب عيني^(٢) . وقد نجد حكماً لأحد أئمة العربية حيث يرجح صيغة على أخرى كقول أبي عبيد : « والحنديرة أجود »^(٣) .

ولكن هل يمكن أن نضع نظاماً للقبائل تسير عليه إزاء هذه الظاهرة ؟ كأن ندعى مثلاً أن هذه القبيلة تؤثر نظاماً من المعاقبة تتخالف به مع القبيلة الأخرى . أرى أنه لا يمكن أن نخس برأي ، حتى تستدل بنصوص لمجية ، من شأنها أن تساعدنا في الحكم ، وإليك بعضها :

١ - ما روي عن الأصمي من قوله : سألت المفضل عن قول الأعشى :

لعمري لمن أمسى من القوم شائضاً لقد ثال خيضاً من عقبة خائضاً

فقلت ما معنى خيضاً خائضاً ؟ فقال : أراه من قوله : فلان يخوض العطاء في بني فلان – أبي يقلله فكان خيضاً شيء يسير ، ثم بالغ بقوله : خائضاً – قلت له : فكان يجب أن يقول : لقد ثال خوشاً ، إذ هو من قوله : هو يخوض العطاء فقال : هو على المعاقبة ، وهي لغة لأهل المجاز^(٤) وزاد اللسان « وأهل المجاز يسمون : الصواغ : الصياغ » ، ويقولون : الصيام : للصوم ، ومثله كثير^(٥) ولقد عزا الفراء الصيغة اليائية إلى المجاز^(٦) ومثل ذلك فعل ابن جنبي في محتسبة^(٧) ، وابن خالويه في شواده^(٨) ، وابن السكري في إصلاحه^(٩) ، وابن سيده في

(١) المقصص : ٢٥/١٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المقصص : ١٩/١٤ .

(٥) اللسان : ٠٣٠٠/٨ .

(٦) معاني القرآن للقراء : ١٩٠/١ .

(٧) المحتسب : ١٧٥/١ غلط خطوط : تيمور .

(٨) مختصر شواد القرآن : ١٩ .

(٩) إصلاح النطق : ١٣٧ .

نحصنه^(١) ، وابن جرير الطبرى فى تفسيره^(٢) ، وأبو الطيب المخوبى^(٣) فى إيداله ، وأرجح
أصلة الصيغة الواوية ، لكثرتها استعمالها ، كما أن الاشتقاق منها .

٢ - ما جاء عن أبي علي :

ليث عليه من البرديّ هبرية كالمزبراني^(٤) عيتار بأوصال

ويروى : عيال وعواو - فأما عوال فمن عال عولاً ، وأما عيال - فلا أعرف ما هي ! إلا
أن يكون على المعاقبة التي بين الياء والواو بغير علة - وهي حجازية^(٥) كما روى عن قيم أنهم
يقولون « القنة » والججاز يقول : القنية^(٦) وكما جاء في اللسان أن « حوث » بالواو لفظة
قيم^(٧) . وأن قيمًا يقول : قلنوسة ، بينما الججاز يقول « قلنستية »^(٨) .

ومن هذا العرض نقترح أن الججاز تؤثر الياء - بينما قيم تؤثر الواو . ولكن قد تقف بعض
الشوادر لتحول بينما وبين تبيعتنا السابقة - وأها :

١ - ما رواه أبو هريرة أن قوماً يتعادون فقال مالمهم ، فقالوا : خرج الدجال . فقال : كذبة
كذبها الصياغون^(٩) ، وروى الصواغون : أي اختلقها الكذابون^(١٠) .

٢ - جاء عن ابن منظور في حديث علي رضي الله عنه « وأعدت صواغاً منبني قينقاع »^(١١) .
والمعروف أن المتكلم في النص الأول هو الرسول ، والشاهد الثاني علي - وكلامها فريشان ،
وكان يجب أن تكون الرواية بالياء في « صواغاً » و « الصواغون » حق يستقيم ما سبق أنت

(١) المخصص : ٣١/١٢ ، ٢٢/٣ ، ٦٣/٨ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٦٠/٦ ط دار المعرفة .

(٣) الإيدال لأبي الطيب : ٤٧٨/٢ .

(٤) المزبراني : شعر مجتمع على موضع الكامل : المخصص : ٦٢/٨ .

(٥) المخصص : ٦٢/٨ .

(٦) المزهرا : ٢٢٦/٢ .

(٧) اللسان : ٤٤٥/٢ .

(٨) المزهرا : ٢٧٦/٢ .

(٩) اللسان : ٣٢٥/١٠ .

(١٠) اللسان : ٣٢٥/١٠ .

قررناه ، وأرجح أن روایة الحديث الأولى بالياء ، بدليل ما جاء من روایة أخرى بالياء فيه ، وإنما جاءت روایة الواو ، لأن الحديث ربما روى على لفحة رجل من لفته لإثارة الواو على الياء . وأما ما جاء عن ابن منظور فهانني أشك فيه ، والروايات اللغوية كثيراً ما حرفت وصحفت ، ومنها جاء البلاء .

٣ - جاء عن ابن السكبي قوله : يقال فلان ذو دغوات ودغيات ، ولم يسمع دغيات إلا في بيت رؤبة فإنهم زعموا أنه قال « نحن نقول : دغية وغيرنا يقول دغوة ». وأنشد (ذا دغيات قلب الأخلاق)^(١) ورؤبة هذا من تميم ، وآخر الياء على الواو - والجواب على هذا الإشكال : أن شاهد رؤبة السابق روي في إبدال أبي الطيب^(٢) بالواو ، وكذلك في اللسان^(٣) فيكون هذا بما يؤيد رأينا . وثانياً أن قول ابن السكبي السابق حاكياً روایة الياء لرؤبة تجعلنا نقف موقف الشك منها لقوله « فإنهم زعموا » فكان الروایة لم تفارق منطقة الزعم إلى حدود التأكيد والتأييد .

وهب أن رؤبة قالها بالياء فهل يكفي شاهد واحد - لتفصيل عدة شواهد متالية متواترة ؟ وبعد أن وضح ما أورده في منطق المجاز وتميم أريد أن أعرض جوانب أخرى في بقاع جغرافية لنرى اتجاهات بقية اللهجات العربية في تلك الظاهرة :

- ١ - حكى الفراء عن بعض بني كلب « عنيان الكتاب » في عنوانه وعلوانه^(٤) .
- ٢ - شد في ثانية المدود خمسة أشياء منها « حمرابان » وحكى بعضهم أنها لغة « فزاره »^(٥) وقياسها « حراوان »^(٦) .

وجاء في اللسان عن أبي زيد « سمعت بعض فزاره يقول : ها كسايان وخبابان وفضابان »

(١) المزهر : ٢٥٤/١ ، أي ذا أخلاق رديئة متلونة .

(٢) إبدال أبي الطيب : ٥١٩/٢ .

(٣) اللسان : ٢٨٨/١٨ .

(٤) إبدال السكبي : ٨ .

(٥) الأشوفى : ١١٤/٤ .

(٦) المع : ٤٤/١ .

فيتحول الواو إلى الياء^(١) ، وقد حكم النحاة بشذوذ لهجة فزاره السابقة^(٢) ، ولكن الكوفيين قاسوا عليها^(٣) ، ومنع ذلك غيرهم.

٣ - جاء في الغريب المصنف أن الكسائي - سأله بنى سليم عن غا ينسو - فلم يعرفوه بالواو^(٤) ، ومعنى هذا أنهم عرفوه بالياء ويلاحظ على هذه النصوص أنها آثرت الياء كلهمجة الحجاز ، فهل هناك علاقة بين هذه القبائل وبين الحجاز؟

أما كلب فقد تأثرت بالحجاز ، لأنهم عاشوا على الطريق الذي كان يسلكه الحجاجيون في تجارتهم على حدود الشام^(٥) ، وأما فزاره فقد كانت بطونها تسكن منطقة الحجاز ، وإن كانت قيسية ، وأما سليم - فقد كانت على صلة وثيقة بقريش^(٦) .

فعلاقة هذه القبائل كما ترى - وثيقة الصلة بالحجاز - فإذا عرفت أن الحجاز يغلب عليهما طابع المضاربة ، وقد شاركتها القبائل السابقة - أمكننا أن نرجح أن القبائل المتحضرة آثرت الياء .

وإذا كان هذا هو موقف القبائل المتحضرة - فإنني أعرض الآن نموذجاً جديداً لقبائل أخرى لها وضع مميز في هذه الظاهرة وهي :

١ - جاء في مجالس ثعلب :

تحنن إلى الفردوس والشير دونها وأيهات عن أوطانها حوت حلست
قال أبو العباس : هذه لغته ، وهو رجل من طيء .

٢ - قال عياض بن أم درة^(٧) :

(١) اللسان : ١٣/١ .

(٢) التصريح : ٤٩٥/٢ ، والأشموني : ٢١٢/٤ .

(٣) الممع : ٤٤/١ .

(٤) الغريب المصنف : ٥٠٢ خطوط رقم ١٢١ .

(٥) في اللهجات العربية : ٨٥ .

(٦) تاريخ العرب : ١٧٦/٤ جواد علي .

(٧) قال أبو سعيد : حفظي عياض بن درة : نوادر أبي زيد : ٦٤ .

حَتَّى لَا يُحلُ الْدَهْرُ إِلَّا بِإِذْنِنَا وَلَا نَسُّلُ الْأَقْوَامَ عَهْدَ الْمَوْاقِعِ^(١)
 (ورواه ثعلب عقد المياثق) .

٣ - حَكَى أَبْنُ السَّكِيتِ عَنْ بَعْضِ الطَّائِبِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ « أَوْنِقٌ » ثُمَّ قَلَبُهَا بَعْضُ الْعَرَبِ يَاءٌ
 تَخْفِيَنَا فَصَارَ « أَيْنِقٌ »^(٢) ، وَكَا حَكَاهَا عَنْ طَيِّهِ أَبْنُ السَّكِيتِ فَقَدْ حَكَاهَا عَنْهُمْ
 يَعْقُوبُ^(٣) .

٤ - وَجَاءَ فِي الْمَحْصُصِ عَنْ صَاحِبِ الْعَيْنِ : « وَطَيِّهٌ تَقُولُ : بَحِيتَهْ بِحِيَا ، وَمَحْوَا »^(٤) .

٥ - جَاءَ فِي إِصْلَاحِ النَّطْقِ عَنِ الْفَرَاءِ : ضَارَهْ يَضِيرُهُ . قَالَ : وَزَعْمُ الْكَسَائِيِّ أَنَّهُ سَمِّعَ بَعْضَ
 أَهْلِ الْعَالَمِ يَقُولُ لَا يَنْفَعُنِي ذَلِكُ وَلَا يَضُرُّنِي^(٥) .

٦ - حَكَى أَبْنُ سَيْدَهُ عَنِ الْعَرَبِ « يَقُولُونَ مَا أَعْيَجُ مِنْ كَلَامِهِ بِشَيْءٍ - أَيْ مَا أَعْبَأَ بِهِ وَبَنَوَ أَسْدٍ
 يَقُولُونَ : مَا أَعْوَجٌ »^(٦) . كَارَوْيُ أَبْنُ السَّكِيتِ عَنْهُمْ « عَزِيزَتِهِ إِلَى أَبِيهِ وَبَنَوِ أَسْدٍ يَقُولُونَ :
 عَزُوتُهُ إِلَى أَبِيهِ »^(٧) .

٧ - جَاءَ عَنْ أَهْلِ نَجْدِ قَوْلَهُمْ : لَهُوَ عَنْهُ أَلْهُو - وَغَيْرُهُمْ لَهِتْ^(٨) .

وَبِالنَّظَرِ إِلَى هَذِهِ النَّصْوصِ نَرَى أَنَّ طَيِّبًا ، وَقَبَائِلَ أَسْدًا ، وَنَجْدَ آثَرَتِ الْوَاوِ فِي تَلْكُ الرَّوَايَاتِ
 بِاسْتِثنَاءِ الشَّاهِدِ الثَّانِي الَّذِي وَرَدَ مَرَةً بِالْيَاءِ وَآخَرَيْ بِالْوَاوِ ، وَلَكِنِي أَرْجُحُ رِوَايَةَ الْوَاوِ لَطَيِّهِ ،
 وَمَا يَؤْيِدُ رِوَايَةَ الْوَاوِ - قَوْلُ ثَعْلَبِهِنَا « وَهِيَ أَجْوَدُ وَأَشَهَرُ »^(٩) ثُمَّ إِنْ صَاحِبُ رِوَايَةِ الْوَاوِ
 هُوَ عِيَاضُ بْنُ دَرَةَ - وَهُوَ مِنْ طَيِّهِ وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقَبَائِلُ قَدْ آثَرَتِ الْوَاوِ كَتِيمَ - فَإِنَّ الْعَلَاقَةَ

(١) نَوَادِرُ أَبِي زِيدٍ : ٦٥/٦٤ ، شَرْحُ الشَّافِيَّةِ : ٢١٠/١ .

(٢) شَرْحُ الْمَفْصِلِ : ١٢٩/٨ ، إِصْلَاحُ النَّطْقِ : ١٤٤ .

(٣) الْلَّسَانُ : ٢٤١/١٢ .

(٤) الْمَحْصُصُ : ٧/١٣ .

(٥) إِصْلَاحُ النَّطْقِ : ١٣٦ ، الْمَحْصُصُ : ٢١/١٤ .

(٦) الْمَحْصُصُ : ٢١/١٤ ، إِصْلَاحُ النَّطْقِ : ١٣٦ ، الْلَّسَانُ : ١٦٠/٣ .

(٧) الْمَحْصُصُ : ٢٣/١٤ .

(٨) الْمَصْبَاحُ : ٨٦٢/٢ .

(٩) نَوَادِرُ أَبِي زِيدٍ : ٦٥/٦٤ .

بینها وبين ثمیم ؟ لا علاقه بینها إلا أنها قبائل بدوية - فكأن البدو قد مالوا الى الواو في تلك الصيغ .

ولكن ألا ينقض هذا التقسيم - ما عثرنا عليه من روايات تسد الكلمة الواحدة وقد وردت بالياء والواو لقبيلة بعینها ؟ فقد ورد في المخصوص عن أبي صخر ؟

فإن يعذر القلب العَشِيَّةَ في الصبا فؤادك لا يعذرك فيه الأقاوم^(١)

وقد روی «الأقاوم» يريد القوم ، وبما أن صخرأ هذا من هذيل ، وهذيل تقع في منطقة الحجاز ، وكان المفروض أن يقول (الأقاوم) بالياء إلا أنها وردت بالياء مرة والواو مرة أخرى ، وأرجح أن هذيلا وإن كانت تسكن مناطق الحجاز إلا أن جزءاً منها كان بدواً يعيش على قن الجبال ومسارب المياه . كان عملهم إثارة الرعب ، ونهب القوافل ، والصلعكة التي تمثل في مجموعة من شعراها وعدائتها - وهنا نرجع أن الصيغة الواوية للبدو منهم ، والبائية للحضر ، وعلى النظرة الى المجتمع يمكن أن محل المشكلات التي تعترضنا ، فإذا ما اعوا صاحب المهرة صيغة : يأتوا - بدل : يأتي في قول خالد بن زهير :

يا قوم مالي وأبا ذؤيب كتت إذا أتوته من غيب^(٢)

إلى هذيل ، وسار على هذا ابن سيده في مخصوصه^(٣) ، وأبو علي في أماليه^(٤) ثم يعرض يوسف بن حبيب نصاً مخالفًا يقول فيه «أجويت القدر» - وهذيل تقول أجبيتها^(٥) . فكأن هذيلاً نطق مرة بالياء ، ومرة بالياء . وإذا عزى الحميري - الكلوة - على أنها لغة اليمن في الكلية^(٦) فإننا لا نرى أن اليمن كلها كانت تتنطق بالواو في مثل هذا - بل أرجح أن المجتمع البدوي منهم كانوا ينطقون بذلك بالواو فقط وغير من يثنهم قبائل خثعم وزبيد .

وهذه المعاقبة بين الواو والياء كما كانت في العربية - حدثت في أخواتها فقد حدث ذلك في الآرامي «كأنها وجدت في النقوش اليمنية فكلمة : قول - تقابل الكلمة العربية قَبَيل»^(٧) .

(١) المخصوص : ٢٢/١٤ .

(٢) المهرة : ١٧٠/١ ، ديوان المذلين : ١٦٥/١ ط دار الكتب .

(٣) ٢٨/١٤ .

(٤) أمالي القالى : ٢٠٩/٢ .

(٥) ما تفرد به بعض أئمة اللغة : القسم الثاني ما تفرد به يوسف بن حبيب : خط دار الكتب : رقم ٤١٨ .

(٦) شمس العلوم للحميري : ٩٣ .

• Rabin, P. 148, F,6 (٧)

وإذا أردنا أن نوثق هذه اللهجات من القراءات القرآنية نجد :

أ) أن عمر بن الخطاب^(١) قرأ « الله لا إله إلا هو الحي^(٢) القيام » وأصله القيوام ، فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت فيها الياء ، وعمر قرأ على منطق الحجاز ، لأنه قريشي ، والقيوم : الذي لا ينام بالسريانية (المتوكلي : ٩) .

ب) قوله تعالى « لا تذر على الأرض من الكافرين ديتارا »^(٣) وهو دوار : فصال من دار يدور فكأن الآية نزلت على لهجة الحجاز ، وأقرت كذلك^(٤) في المصحف ولا شك أن رسم المصحف يعتبر مرشدًا إلى حد كبير للهجة الحجازية .

ج) قوله تعالى « جمل الله الكعبة البيت الحرام^(٥) قياماً » والأصل : قواماً ، فتحولت واوها ياء ، والدليل على هذا ما جاء من كلام العرب مقولاً على أصله من قول حميد الأرقط :

(قواماً دُنْيَا وقواماً دِينَ)

وبعضهم قرأ في الآية : « قواماً للناس »^(٦) .

ه) وإذا وسعنا الدائرة قليلاً وخرجنا من حقل العاقبة إلى حقل آخر وجدت أن هذا النظام الذي رجحته وقد التزم في عدة ملامح من ظواهر العربية فالفعل الثلاثي الذي انقلب عين فعله ألفاً في الماضي – إذابني للمفعول – نراه مختلف في صيغته عند القبائل العربية ، فقرىش ومن جاورها من بني كنانة^(٧) آثرت الياء في عينه كقولهم : قيل : بينما قبائل قيس ، وعقيل ومن جاورهم ، وعامة أسد^(٨) يقولون فيها : « قول » ، بالواو ، كما عزيت

(١) تفسير الطبرى : ١٥٥/٦ ط دار المعرف ، المحتسب لابن جنى : ١٧٥/١ خط بالتيمور ، مختصر شواذ القرآن : ١٩ ، معانى القرآن للفراء : ١٩٠/١ دار الكتب ، ديوان الأدب للفارابي : ورقة ٣٣٠ خط بدار الكتب : رقم ٣٨٣ لغة تيمور .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(٣) سورة فوح : آية ٢٦ .

(٤) تفسير الطبرى : ١٦٠/٦ .

(٥) سورة المائدة : آية ٩٧ .

(٦) تفسير الطبرى : ٩١/١١ دار المعرف .

(٧) البصر : ٦١/١ .

(٨) المرجع السابق .

الصيغة الواوية أيضاً إلى بني دبير وفقيس^(١)، وقد قرأ بها نافع وابن عامر^(٢) والكسائي . كما جاء في البحر أن الكسائي وهشامأ قرأ في قيل وغىض وحيل وجيء وسيق - بالواو^(٣) فنجد أن قريشاً وكثامة وما من قبائل الحضر قد آثرت الياء في مثل هذه الصيغة ، بينما آثرت أسد ، وقيس ، وعقيل ومن جاورهم وعامة أسد ، وكذلك قبائل دبير ، وفقيس الصيغة الواوية وجميعها يغلب عليها البداءة ، إذ فقيس ودبير بطنان من أسد ، وأسد بدوية أو يغلب عليها البداءة ، ومن المفيد أن أشير إلى أن هذه القبائل التي آثرت الواو في هذه الصيغة كانت جميعها تسكن مناطق بدوية في نجد .

ثانياً : هجات منسوبة غير ملقبة :

وهي هجات لم يخلع عليها الرواية لقباً ، ولكتهم يشيرون إليها مجرد عن التسمية ، ويمكن أن أدرس هذا القسم بالنظر إلى العلاقات التي تكون بين الأصوات وهي إما أن تكون علاقة تقارب أو تجانس ، أو تباعد ، فعلاقة التباعد في المخرج أو الصفة لا تبيح الإبدال ، أما علاقة التقارب أو التجانس فكل منها تبيحه .

ومتقاربان : ما الحرفان اللذان تقاربا مخرجاً وصفة ، كاللام والراء ، أو مخرجاً لا صفة : كالدال والسين . أو صفة لا مخرجاً : كالشين والسين .

ومتجانسان : ما الحرفان اللذان اتحدا مخرجاً واحتلما صفة - كالدال والباء أو الدال والظاء ، أو الباء والدال ، أو الباء والميم^(٤) . وإنما أقنا هذه الدراسة على هذا النهج ، لأن « معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار » ومعرفة الصفة بمنزلة الحكم والمعيار^(٥) .

(١) ابن عقيل : ٤٢٦ / ٤٢٧ ، البحر : ٦١ / ١ .

(٢) البحر : ١٥١ / ٧ .

(٣) البحر : ٦١ / ١ .

(٤) العقد الفريد في فن التجويد : ١١ - ١٢ .

(٥) نهاية القول المفيد في علم التجويد : ٣٢ .

أولاً : بين الأصوات الشفوية ، والشفوية الأسنانية

(م - ب - ف)

وقد وقع التبادل بين تلك المجموعة كثيراً ، لتميزها عن غيرها ، فنطقتها خارج الفم ، إذ تشمل الشفتين ، ويطلق عليها ابن جني « حروف الذلاقة »^(١) وربما سميت كذلك لأنها تخرج من ذلك الشفة . ونعرض الآن للروايات التي وردت في كتب العربية متداولة فيها هذا التعاقب :

أولاً : ذكر الحريري في الدرة أن بعض أهل النمة قصد أبو عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، وبذل له مائة دينار ، فامتنع أبو عثمان ، فقيل له : أترد هذه النفقه مع فاقتك فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثة وعشرين آية من كتاب الله ولست أرى أن أمكن منها ذميأ غيره على كتاب الله ، قال : فاتفق أن غنت بجارية بحضور الواثق بقول العرجى :

أظلم إن مصابكم رجالاً أهدي السلام تحية ظلم^(*)

فاختلف من بالحضره في إعراب « رجل » فنهم من نصبه وجعله اسم (انت) ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها - والجازية مصرة على أن شيخها أبو عثمان المازني لقنتها إياه بالنصب ، فأمر الواثق بإشخاصه - قال أبو عثمان : فيما مثلت بين يديه قال : من الرجل ؟ قلت : منبني مازن ، قال : أي الموازن ؟ مازن قيم أم قيس ، أم مازن ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلبني بكلام قومي ، قال لي : باسمك ؟ لأنهم يقلبون الميم به ، وبالباء ميما - إذا كانت في أول الأسماء . قال : فكرهت أن أجبيه على لغة قومي ، لثلا أوواجهه بالذكر ، فقلت : بكر ، فقطن لما قصدته وأعجب به ...^(٢) ، وفي طبقات اللغوين للزبيدي أنه قال له « اجلس واطمئن »^(٣) ، وفي شرح التصريف « اجلس فاطبئن »^(٤) .

(١) سر الصناعة : ٧٤/١ .

(*) وفي رواية الأغاني ترجمة العرجى [أظليئن] اسم امرأة .

(٢) درة النواص : ٤٣ - ٤٤ .

(٣) ٩٨ .

(٤) النصف : ٣٢٨/٣ لأن جنى .

والذي يظهر أن الرواية السابقة جاءت مختلفة في كتب العربية ، ففي رواية الدرة^(١) قال المازني : بكر - بالباء يشير إلى اسمه ، وفي رواية عن الزبيدي : قال المازني : مكر - باليم يشير إلى اسمه^(٢) . وفي كتب الطبقات أن المازني هذا هو « أبو عثمان بكر بن محمد بن عمارة المازني »^(٣) ، كما أن الرواية التي هنا تشير إلى أنه من مازن ربعة ، وفي الزبيدي « أنه من مازن ابن شيبان بن ذهل »^(٤) فهو متصل النسب إذاً ببكر بن وائل التي يُؤول نسبها إلى ربعة ، والمحجِّب أن رواية الدرة السابقة هي التي قيدت قلب الميم به إذا كانت في أول الأسماء - بينما لم أجده هذا الشرط في الروايات الأخرى^(٥) .

وأيضاً لا أفهم لهذا القيد من سر في هذا الإبدال ، بل الذي أفهمه ، والذي يسوغ مثل هذا الإبدال بين الباء والميم أن تتجاوز الميم - وهي التي يسير الهواء للنطق بها - متخذًا مجرأه من الأنف - مع حرف كاللون - وهي مثل الميم في أن يجرأها الأنف - فيحاول الإنسان أن يخالف بين اتجاه هذين الحرفين فيبدل الميم إلى الباء ، ولا فرق بينهما إلا في تغير مخرج الهواء ، فالميم من الأنف ، والباء من الفم ولا شك أن المخالفة بين الصوتين المتأثرين - فيها تيسير للمجهود العضلي في النطق ، فكلمة « صنم » ينطق بها « صنب » ، فتحويل الميم إلى الباء أو العكس لا يكون إلا تحت ظروف لغوية خاصة كاتقدم ، وليس المسألة مباحثة ، فتقلب الميم إلى الباء ، أو الباء إلى الميم في طبقة واحدة ، وهذا أرى أن الحريري أخطأ في تعليمه لقول الواثق للمازني « باسمك » ؟ حيث يقول « لأنهم يقلبون الميم به ، والباء ميما » .

وناحية أخرى وهي أن هذه الظاهرة ، لم تقتصر على مازن من ربعة ، بل تردد صداتها في مناطق متفرقة من الجزيرة العربية منها :

١ - أنها وجدت في مزينة وساق لها المبرد في كتابه قول الشاعر :

خَلِيلِيْ بِالبُوْبَاةِ عُوجَا فَلَا أَرِيْ **بِهَا مَنْزَلًا إِلَّا جَدِيبُ الْمَقِيدِ^(٦)**

(١) درة الفراس : ٤٣ - ٤٤ .

(٢) طبقات اللغوين : ٩٨ للزبيدي .

(٣) طبقات الزبيدي : ٩٢ .

(٤) طبقات الزبيدي : ٩٢ .

(٥) انظر : سفياني ثابت في ميزات لغة العرب : ١٤ ط ٢ ، طبقات الزبيدي : ٩٨ .

(٦) الكامل : ١١٧/١ .

٢ - ما جاء عن أبي علي قال : وكان أبو سر^١ ار الفنوبي يقول « با اسمك » يريد : ما اسمك^(١) .

٣ - ما جاء عن أبي الطيب من قول الشاعر :

وأنسر خطيباً كان كموبه نوى القسْب قد أرمى ذراعاً على عشر^(٢) .

أي أربى بالباء - وفائه : حاتم الطائي ، كما أثر عنهم أنهم كانوا يماقبون بين الميم والباء
فيقولون « حبت بدل حلت »^(٣) .

٤ - وعزى لعمرو بن شاؤس قوله :

(وقوم عليهم عقبة السرور مقتفي)^(٤) في عقمة .

٥ - كما عزا الفراء : اطيلنت في اطمانتن - إلى بني أسد ، واستشهد لها بقول الشاعر :

وبشرني جبينك من بعيد بخير فاطلأن له جنابي^(٥) .

٦ - كما وردت عدة روايات مختلفة منها ما جاء عن ابن دريد من أنه سمع عامرياً يقول : نقول .
إذا قيل لنا أبقي عندكم شيء - حمام وحمام وبجباخ - أي لم يبق شيء^(٦) ، وجاءت
روايات أخرى في المزهر^(٧) ، وإبدال أبي الطيب^(٨) ، واللسان^٩ .

٧ - ما جاء من قولهم « صرب الزرع » أي صرمه بلغة بعض أهل اليمن ، ويسمون : الصرام :
الصراب ، وحير تسمى أيلول : ذا الصراب - لأن فيه صرام الزرع^(٩) ، كما جاء في اللسان

(١) أمالى القالى : ٥٢/٢ .

(٢) إبدال أبي الطيب : ٣٨/١ .

(٣) Rabin, P. 201 .

(٤) إبدال السكين : ١٤ .

(٥) إبدال السكين : ١٣ .

(٦) المخصص : ٢٥٥/١٣ .

(٧) ١٣٣/٢ .

(٨) ٣٢٥/١ .

(٩) ٤٢٦ ، ٢٣٠/٣ ، ١٠٧/١٦ ، ٥٠/١٥ .

(١٠) شمس العلوم : ٦٠ للحميري .

والجهرة أن « الكعب » لغة في الكعب - وهو الحص - واحدته كعمة - يمانية » ^١ .

ومن هذه النصوص التي اختصرت أكثراها يستنتج أن هذه الظاهرة لم تكن في مازن ربعة فقط - بل شملت بقاعة كثيرة من الجزيرة العربية فهي في مزينة كما في الشاهد الأول ، ومزينة من قضاعة ^٢ . كما أن أبا سردار الغنوبي يقول نسبة إلى غني بن أعرس بن سعد بن قيس عيلان كما في الشاهد الثاني ، كما أنها عزيت لطبيه في الشاهد الثالث ، وما يحسن ذكره أن مزينة كانت تجاور طيئا ، وإن كانت تعد من قضاعة ، والشاهد الرابع لعمرو بن شأس ، وهو منبني أسد ، كما أنها عزيت في الشاهد الخامس لبني أسد أيضا ، كما أنها انتشرت كذلك في اليمن - بل مما يؤكّد أن انتشارها في اليمن كان واسعاً رواية أبي علي القاسم : قال العباس المبرد : قال المازني : « فلما دخلت على الواثق سأله فقال : باسمك ؟ وهي لغة بلحارت بن كعب - فقلت : بكر يا أمير المؤمنين » ^٣ - فكان هذا التعاقب في بلحارت أيضا - وهي قبيلة يمنية . بل إن هذه الرواية تختلف رواية الدرة ، لأنها تعزو هذه الظاهرة إلى لغة أبي عثمان المازني ، في حين رواية أبي علي القاسم تعزوها إلى بلحارت ، وكثيراً ما تجد هذا التعاقب في العربية الجنوبيـة - فحرف الجر « من » يقابلـه في العربية الجنوبيـة « بن » ^٤ ، ولعل سبب الإبدال هنا المخالفة .

ولعموم هذه الظاهرة في الجزيرة رأى الدكتور إبراهيم أنس أنها يمكن أن تعزى إلى آية لهجة من اللهجات المنعزلة حيث لا يجيد الطفل وقتاً كافياً لصلاح أخطائه - لانشغال أبيه وأمه بكسب العيش ، فتشتبـه هذه الأخطاء معه ، حتى تصـبح ظاهرة معترفـ بها من ظواهر اللغة ^٥ . وأرى أن ظواهر كثيرة من ظواهر الإبدال تحـمل على هذا ، فمنه ما جاء عن بنـي عامـر من قولهـم: بـحـاجـ ، وـمحـاجـ - أي لم يـقـ شيءـ - وهذا التـبـادـل نفسه يـنـطـقـ به أـطـفـالـناـ حتـىـ الـيـوـمـ فيـقـولـونـ: بـحـ بـحـ ، معـ معـ ^٦ - بـعـنىـ لم يـقـ شيءـ - كما يمكنـ أن يكونـ مثلـ هـذاـ التعـاقـبـ إـذـاـ لمـ تـجـدـ لهـ سـبـبـ لـتـقـسـيـرـ كـالمـائـلـةـ وـالـمـخـالـفـةـ - سـبـبـهـ بـعـضـ أـمـرـاـضـ الـكـلـامـ - وـهـذـاـ إـذـاـ سـمـعـنـاـ كـلـمـةـ منـ إـنـسـانـ مـرـيـضـ بـالـجـيـوبـ الـأـنـفـيـةـ أـوـ الزـكـامـ - مـثـلـ كـلـمـةـ «ـ حـمـلتـ »ـ بـالـيـمـ تـحـسـبـهاـ «ـ حـبـلتـ »ـ بـالـبـاءـ ، وـلـاـ

(١) اللسان : ٤١٢/٥ ، الجهرة : ١٨٦/٢ .

(٢) معجم كحالـة : ١٠٨٣/٣ .

(٣) طبقات الزيدي : ٩٣ .

(٤) تاريخ العرب : ١٣٠/٧ جـوـادـ عـلـيـ .

(٥) في اللهجـاتـ العـربـيـةـ : ١٠٧ طـ .

(٦) انظر : إـبدـالـ أـبـيـ الطـيـبـ : ٧٦/١ عـقـقـ .

شك أن كثيراً من أمراض الكلام كاللُّكْنَة ، والرُّتْهَة ، والخُتْنَة – مسئولة في كثير من مظاهر التغيرات اللغوية ، وربما أن جامعي اللغة « لما سمعوا قبيلة تنطق « باليم » في بعض الكلمات حيث ينطق غيرها بها « باء » ظنوا أن تلك القبيلة تلتزم هذه الصيغة في كل الكلمات ، وكذلك العكس »^١ ، ولكن الحق أن الراوي اللغوي كان يقيب عنه كثير من الظروف اللغوية ، وكثير من علل الكلام وأمراضه – مما يجعل الباحث الحديث يتتردد فيأخذ هذه الروايات كتلة واحدة بدون بحثها وفحصها .

ثانياً : كذلك حدث تعاقب بين الباء والفاء ، وبينهما علاقة تتبع ذلك ، فالباء والفاء حرفان شفويان من مخرج واحد ، فالتبادل يكثر بينهما ، ونشير الآن إلى بعض الظواهر المهجية التي حدث فيها ذلك :

١ - جاء في كتاب الخليل : عكبت حوصل الطير : عكفت فهـ طـ عـ كـوـ فـ وـ عـ زـ اـ خـ لـ لـ لـ الصـيـغـةـ الـأـوـىـ الـبـائـيـةـ إـلـىـ الـخـفـاجـيـنـ مـنـ بـنـيـ عـقـيلـ^٢ . وفي اللسان : وعكفت الخيل عـ كـوـ فـ ، وعكبت عـ كـوـ بـاـ بـعـنـيـ وـاحـدـ^٣ ، وعـ زـ اـ هـاـ كـاـ جـاءـ فيـ كـتـابـ الـعـيـنـ ، وـ يـكـنـ أـنـ نـلـتـمـسـ مـنـ شـعـرـهـ مـاـ يـؤـيدـ تـلـكـ الـظـاهـرـةـ ، فـقـدـ جـاءـ عـنـ الـخـلـلـ :

تَظَلَّلَ نَسُورٌ مِّنْ شَمَاءٍ عَلَيْهِمْ عَكْوَبَاً مَعَ الْعَقْبَانِ يَذْبَلُ^٤

وهذا الشعر منسوب إلى مزاحم العقيلي ، فكان الباء في (عـ كـوـ بـاـ) لنتهـ ولـغـةـ قـوـمـهـ .

٢ - وذكر ابن دريد أن « الخزف – ما عمل بالطين وشوي بالنار فصار فخاراً واحدهـ خـزـفـ – والخـزـبـ – لـغـةـ فيـ الـخـزـفـ : يـمـانـيـةـ^٥ .

٣ - وروى الأزهري : أنه سمع أعرابياً من بني حنظلة يسمى « المصتبة – المصطفة بالفاء^٦ . وفي رواية أخرى عن الأزهري : أنه سمع أعرابياً من بني فزاره يقول لخادمه : ألا

(١) في المهجات العربية : ١٠٨ .

(٢) العين للخليل : ١١٦ طـ بغداد .

(٣) اللسان : ١١٧/٢ .

(٤) العين : ١١٦ طـ بغداد .

(٥) المقصص : ١٢٥/٥ .

(٦) اللسان : ٩٥/١١ .

وارفع لي عن صعيد الأرض مصطبة أبىت عليها بالليل فرفع له من السهلة شبه دكان مربع قدر ذراع من الأرض يتقى بها من الهوام بالليل . ثم عقب الأزهري نفسه على ذلك بقوله « وسمعت آخر من بنى حنظلة ساماها « المصطفة » بالفاء » .

وبالنظر في هذه الروايات جميعاً يتبين أن عقلاً آثرت الباء - على الفاء ولا فرق بين الباء والفاء - إلا أن الفاء صوت رخو مهمس نظيره الشديد هو الباء ، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس معللاً لصوت الباء في لغة عقيل ، أن تلك القبيلة بدوية ، والبدويون يميلون إلى الأصوات الشديدة ، بينما يميل أهل الحضر إلى الأصوات الرخوة ، ولكن يقف في سبيل هذا من أن حنظلة قد آثرت الصوت المهموس الرخو وهو الفاء على الشديد وهو الباء - مع أن حنظلة هذه ينتهي نسبها إلى تم البدوية ، ومساكنها ضاربة في البدائية ، فماها خالفت هذا القانون ؟ والذي أجنح إليه للخروج من هذا الإشكال : أحد أمرين : الأول : أن اللغة إحدى الظواهر الاجتماعية التي تخضع لظروف عديدة ، وليس من شأن القوانين اللغوية الصرامة ، وعلى هذا فلا ضير أن نلح في اللهجات تنوءاً وشذوذًا تتخالف مع ما عرف من هذه القوانين . والثاني : أن هذه الفاء التي جاءت في لهجة حنظلة - ليست فاء مهمسة كالي تعرفها في عربيتنا ، وإنما هي مجهرة تشبه الحرف (v) في اللغات الأوروبية وما يؤدي في هذا الظن نص اللسان المعزو إلى الأزهري من أنه سمع حنظلياً ينطق بها « المصطفة » بتشديد الفاء^٢ ، وعلى هذا فتكون « حنظلة » البدوية قد نطقت بصوت مجهر ، ليست بينه وبين الباء إلا أن ينبعس الهواء قليلاً فيصبح انفعجاريًا كالباء - ولا شك أن غالبية لهجات البدو مالت إلى المجهورات ، ثم إن الكتابة العربية - لم تكن تعكس اللهجات العربية كما هي ، وإنما تنظر إلى قصورها الشديد - قد ضيّعت ، بدل طمست جانباً لهجياً هاماً .

كما يلاحظ على نص ابن دريد أنه نسب « الحزب » بالباء لليمن ، وهي في فصحانا بالفاء - ولكن مما يقع فيه القدرماء دائمًا العزو لمنطقة شاسعة كاليمن - واليمن تختلف فيها البيئات اختلافاً متبيناً فهو عزو مشاع ، يعارض ما يهدف إليه الباحثون الحديثون من التحديد والدقّة ، ولكتني مع هذا أرجح أن « الحزب » ، بالباء لبيئة بدوية يمنية - لأنّ الباء شديدة تناسب البدو - ويمكن أن تكون الصيغة البابية (الحزب) كانت تطلق - على نوع من الحزف غليظ ، وكان الباء الشديدة تتلامم والطين الغليظ المتراكب الذي يصنع منه الحزف .

(١) اللسان : ١١/٢ .

(٢) المرجع السابق .

وما يرجع ما أقول قول ابن دريد عن «الحزب» : (وأحسبهم يخسون به ما غلظ منه)^١ ، ولا شك أن العربية يمكن أن يتعمّس فيها أمثلة لهذا فننه : قوله تعالى : إنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزواً) أي تزعجهم وتقلّفهم ، فهذا في معنى (تهزّهم هزاً) والهمزة أخت الماء ، فكأنّهم خصوا هذا المعنى بالهمزة ، لأنّها أقوى من الماء ، كما أن المعنى نفسه أعظم في النفوس من الماء ، لأنّك قد تهز ما لا حراك له ، كالجذع مثلاً ، فيبقى الماء المفرون بالإزعاج خاصّاً بذى الحياة ، لأنّه متعلق بالشعور ، وذلك ما أفادته الهمزة وحدها^٢ . فالعرب تقارب حروف الألفاظ متى تقارب معانيها ، وكثيراً ما يحملون أصوات الحروف على سمت الأحداث ، فمن ذلك قولهم : خضم وقضم ، فالخضم لأكل الرطب ... والقضم للصلب للباس ، وفي الخبر « قد يدرك الخضم بالقضم » ، وعليه قول أبي الدرداء « يخضمون ونقضم والموعد الله »^٣ . وكأنّهم اختاروا الماء من أجل رخاوتها للرطب ، والكاف من أجل صلابتها للباس وهم - كما يقول ابن جنّي - يملئون ذلك ، حذواً لسموّ الأصوات على محسوس الأحداث^٤ ، والحق أن هذا النّظام الذي يتمثّل في مساواة الصيغة النّظرية لمعانيها - يعد نطاً لسياسة الحروف في العربية ، ويشير إلى تقدّم العرب في لغتهم .

(١) الخص : ١٢٥/٥ .

(٢) الخصائص : ٦٣٨/١ ط دار الملال ، تاريخ آداب العرب : ٢٢٧/١ للرافعي .

(٣) الخصائص : ٥٥٠/١ ط الملال .

(٤) الخصائص : ١/٥٠ ط الملال ، تاريخ آداب العرب : ٢٢٩/١ للرافعي .

عدد الناشر : 400 - 47^{هـ} - 83

HERITAGE OF ARABIC DIALECTS

DR. AHMAD ALAM-EL DEEN EL GINDI

التراث

مقدمة في دراسة وتحليل الاصوات والكلمات في اللهجة العربية

To: www.al-mostafa.com